فضل

ذكر تغلب الافرنج على بيت المقدس واستنقاذه منهم على يد الفتح الصلاحي

كتاب الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل
تأليف قاضي القضاة أبو اليمن القاضي
مجير الدين الحنبلي رحمه الله تعالى
رحمة واسعة وجمع له بين
خيري الدنيا
والآخرة
آمين



الحمد لله المتفضل على خلقه بفتح أبواب الرحمة يسر المحسن الى أهل الملة الحنيفية بترادف الخير والنعمة * الذى يسر لمن اختاره لنصرة دينه أسباب علو الهمة * وأنعم على عبيده سكان البيت المقدس بما منحهم من الاقامة به وكشف عنهم الغمة * أحمده سبحانه على ما من به علينا من المجاورة للمسجد الشريف الاقصى * وأشكره على منته التى كثرت فلا تعد ولا تحصى * واشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الفعال لما يريد * وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى نصر به دينه وقمع به كل جبار عنيد * صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين أيد الله بهم الاسلام * فهدوا قواعد الدين من بعده وقاموا بنصرته أعظم قيام * صلاة وسلاما دائمين الى أن نلقاه ان شاء الله بدار السلام * (أما بعد) * فهذا مختصر استخرت الله تعالى فى جمعه * وسألته المعونة لى بفضله فى ترتيب وضعه * يتضمن تاريخ

البيت

البيت المقدس * الذى هو على التقوى مؤسس * وقصة السيد الجليل * سيدنا ابراهيم الخليل * وابنائه السادة الكرام * وغيرهم من الانبياء عليهم الصلاة والسلام * عن لى ان أجمعه من كتب المتقدمين * وأهذب الفائدة من فوائد المؤرخين * وأذكر ما يتعلق ببيت المقدس من ابتداء أمره وبنائه * وما وقع من أخباره وأنبائه * من لدن سيدنا آدم عليه السلام * الى عصرنا هذا وهو آخر عام تسعمائة من هجرة النبى المصطفى خير الانام * وأضيف الى ذلك نبذة من الحوادث والاخبار * وتراجم الاعيان على وجه الاختصار * فاستعنت بالله سبحانه فيما قصدته * وتوكلت عليه فى تيسير ما تصورته * وشرعت فى ذلك طالبا من الله التوفيق * والمن بالهداية لأقوم طريق * فأذكر أولا نبذة يسيرة من تفسير أول سورة الاسرا واسماء المسجد الاقصى وبيت المقدس وما ورد من الخلاف فى ابتداء أمره * ثم أذكر أول ما خلق الله سبحانه وتعالى من مخلوقاته الى حين خلق آدم ثم أذكر سيدنا آدم عليه السلام ومن بعده من الانبياء الى سيدنا ابراهيم ونبذة يسيرة من أخبارهم * ثم أذكر قصة سيدنا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ومولده ونبوته ونبذة من سيرته ومعجزاته وأولاده الكرام وهجرته وبناء الكعبة المشرفة وقصة الذبيح وشراء المغارة ووفاته وبناء السور السليمانى المحيط بقبره وكونه صار مسجدا وذرعه طولا وعرضا وأذكر صفة المسجد وما هو مشتمل عليه وترتيب قبور الانبياء عليهم السلام * ثم اذكر نبذة من أخبار السماط الكريم ونظامه * ثم اذكر ما بعد ابراهيم من الانبياء الى سيدنا موسى وأخيه هارون عليهما السلام * ثم اذكر السبب فى ملك سيدنا داود عليه السلام ونبذة يسيرة من سيرته واهتمامه ببناء المسجد الاقصى الشريف باذن الله تعالى * ثم اذكر عمارة سيدنا سليمان عليه السلام لمدينة القدس والمسجد الاقصى وما كان عليه من الصفات والعجائب ونبذة من سيرة سيدنا سليمان * ثم اذكر تخريبه على يد بخت نصر والسبب فيه ثم أذكر عمارته الثانية على يد كورش

ملك الفرس وأذكر من كان من الانبياء من بعد سيدنا سليمان الى سيدنا يونس عليهم السلام * ثم أذكر مولد سيدنا زكريا ويحيي وعيسى ابن مريم عليهم السلام ونزول المائدة على عيسى وصعوده الى السماء ونبذة من سيرته * ثم أذكر خراب بيت المقدس الثانى على يد طيطوش وزوال دولة اليهود * ثم أذكر عمارته الثالثة * ثم أذكر مولد سيد الاولين والآخرين وحبيب رب العالمين ونبذة من سيرته الشريفة وقصة المعراج وماوقع له ليلة الاسراء بالمسجد الاقصى الشريف وهجرته وبناء مسجده الشريف وتحويل القبلة من صخرة بيت المقدس الى المسجد الحرام ونبذة من أخباره وغزواته ووفاته صلى الله عليه وسلم * ثم أذكر نبذة من فضائل المسجد الاقصى وماورد فيه * ثم أذكر الفتح العمرى الذى يسره الله تعالى على يد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وعمارته على يديه ومن دخله من أعيان الصحابة واستوطنه * وأذكر المهدى الذى يكون فى آخر الزمان بالقدس الشريف * ثم أذكر بناء عبد الملك بن مروان لقبة الصخرة الشريفة وبناء المسجد الاقصى وماوقع فى ذلك * وأذكر طرفا من أخبار عبد الله بن الزبير رضى الله عنه وماوقع له مع الحجاج بن يوسف بأمر عبد الملك وهدم الكعبة وبناءها مرة بعد اخرى ونبذة من أخبارها وذرع المسجد الحرام طولا وعرضا وعدد ابوابه ومنايره * ثم أذكر جماعة من أعيان التابعين والعلماء والزهاد ممن دخل بيت المقدس زائرا او مستوطنا قبل استيلاء الافرنج عليه * ثم اذكر تغلب الافرنج واستيلاءهم على بيت المقدس بعد ذلك لضعف دولة الفاطميين وسوء تدبيرهم * ثم أذكر الفتح الصلاحى الذى يسره الله تعالى على يد السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب تغمده الله برحمته وماوقع له من الغزوات ونبذة من سيرته ووفاته ثم أذكر ماوقع بعده من تسليم القدس للافرنج وانتزاعه منهم مرة بعد اخرى لوقوع الخلف بين ملوك بنى أيوب * ثم اذكر صفة المسجد الاقصى

وماهو عليه في عصرنا وذرعه طولا وعرضا وكذلك صحن الصخرة الشريفة وارتفاع القبة ثم اذكر غالب مافي بيت المقدس من المدارس والمشاهد مما هو مجاور لسور المسجد الاقصى وغيره واسماء من عرفته من الواقفين للمدارس وما اطلعت عليه من تواريخ أوقافهم * ثم أذكر مابظاهر بيت المقدس من عين سلوان وعين المقذوفات وبئر أيوب وطور زيتا وقبر مريم والساهرة وبيت لحم ورملة فلسطين ولد وغير ذلك * ثم أذكر نبذة من أخبار مدينة سيدنا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ومافيها وماحولها مما اشتهر من المشاهد والاماكن المقصودة للزيارة * وأذكر الاقطاع التميمي * ثم أذكر جماعة من اعيان ملوك الاسلام ممن تولى على بيت المقدس وبلد سيدنا الخليل عليه السلام وفعل فيهما الخير من أنواع البر والعمارة * ثم أذكر ماتيسر من اعيان علماء البلدتين من المذاهب الاربع ومن ولي فيهما المناصب الحكمية والوظائف الدينية ومن عرف منهم بالزهد والصلاح وأذكر في تراجمهم نبذة مما اطلعت عليه من الحوادث والاخبار مما لايخلو من فائدة ان شاء الله تعالى ثم أختم الكتاب بذكر ترجمة ملك العصر والزمان مولانا السلطان الملك الاشرف أبو النصر قايتباي نصره الله تعالى وأذكر مدرسته الشريفة وأنها من محاسن بيت المقدس لاسيما كونها في المسجد الاقصى الشريف وهي آخر مدرسة بنيت فيه وأذكر ابتداء ولايته السلطنة واحوال بيت المقدس واحوال بلد سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام في ايامه وأذكر سبب بناء مدرسته وتولية مشيختها للشيخ الاسلام الشيخ كمال الدين أبي المعالي محمد بن أبي شريف الشافعي ادام الله النفع بعلومه وأذكر تاريخ مولده واسماء مصنفاته وماتيسر من ترجمته وأجتهد في ايجاز لفظ هذا الكتاب حسب الامكان طالبا للاختصار * وسميته بالانس الجليل * بتاريخ القدس والخليل * واذا من الله بكماله كان تاريخا للقدس والخليل خاصة ولغيرهما عامة فانه يكون فيه تاريخ المساجد الثلاثة وغيرها فالكعبة

المشرفة ذكرها بالنسبة الى ذكر قصة سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم ذكره بالنسبة الى ذكره الشريف وغير ذلك من الحوادث بالنسبة لارتباط الاخبار بعضها ببعض وحين عزمي على جمعه لم أقصد ذلك وانما قصدت ذكر ما تعلق بالقدس والخليل فقط فتأملت ما قصدت جمعه فرأيت الحال يتطرق الى ذكر جميع ذلك لأمور لا تخفى على من تأمل والله يعلم أني لم أقصد بذلك الفخر ولا أن يقال انى من جملة المصنفين لعلمي بحقيقة حالى فى التقصير وأن بضاعتي فى العلم مزجاة وانما دعانى لذلك أن غالب بلاد الاسلام قد اعتنى بها الحفاظ وكتبوا ما يتعلق بتاريخها مما يفيد أخبارها الواقعة فى الزمن السابق وبيت المقدس لم أطلع له على شئ من ذلك يختص به وانما ذكروا فى التواريخ أشياء فى اماكن متفرقة ورأيت الانفس متشوقة الى شئ من هذا النمط الذى قصدت فعله فان بعض العلماء كتب شيئا يتعلق بالفضائل فقط وبعضهم تعرض لذكر الفتح العمرى وعمارة بنى امية وبعضهم ذكر الفتح الصلاحي واقتصر عليه ولم يذكر ما وقع بعده وبعضهم كتب تاريخا تعرض فيه لذكر بعض جماعة من أعيان بيت المقدس مما ليس فيه كبير فائدة فاحببت أن اجمع بين ذكر البناء والفضائل والفتوحات وتراجم الاعيان وذكر بعض الحوادث المشهورة ليكون تاريخا كاملا والله سبحانه وتعالى المسؤل وهو المأمول أن يمن علىّ بتيسير اتمامه * وكما وفقنى لبدايته يعيننى على اكماله وختامه * وان ينفعني والمسلمين بما فيه انه قريب مجيب وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب *

(نبذة يسيرة من تفسير اول سورة الاسراء وذكر اسماء المسجد الاقصى)

قال الله تعالى فى كتابه العزيز بعد قوله تعالى وهو أصدق القائلين * بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير * قال المفسرون رضى الله تعالى عنهم سبحان هى تنزيه الله تعالى عن كل سوء

ووصفه بالبراءة من كل نقص وتكون سبحان بمعنى التعجب * أسرى بعبده * ليلا أى سيره والعبد هو محمد صلى الله عليه وسلم لم يختلف فى ذلك احد من الامة * من المسجد الحرام يعنى مكة الى المسجد الاقصى هو مسجد بيت المقدس * الذى باركنا حوله يعنى بالانهار والاشجار والاثمار * وعن ابن عباس رضى الله عنه فى قوله باركنا حوله فلسطين والاردن ويأتى ذكر فلسطين فيما بعد ان شاء الله تعالى واما الاردن فهو نهر الشريعة المذكور فى قوله تعالى ان الله مبتليكم بنهر وهو بضم الهمزة وسكون الراء وضم الدال المهملة وتشديد النون * وقال أبو القاسم السهيلى قوله الذى باركنا حوله يعنى الشأم والشام بالسريانية الطيب سميت بذلك لطيبها وخصبها وقيل باركنا حوله بمقابر الانبياء وقيل غير ذلك وقيل سماه مباركا لأنه مقر الانبياء وقبلتهم ومهبط الملائكة والوحى وفيه يحشر الناس يوم القيامة وسمى الاقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام وقيل كان هذا أبعد مسجد عن أهل مكة فى الارض يعظم للزيارة وقيل لبعده عن الاقذار والخبائث * وروى انه سمى الاقصى لانه وسط الدنيا لا يزيد شيئا ولا ينقص * وقوله تعالى والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين روى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال أقسم ربنا جل جلاله بأربعة اجبل فقال والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين قال التين طور سيناء مسجد دمشق والزيتون طور زيتا مسجد بيت المقدس وطور سينين حيث كلم الله موسى عليه السلام وهذا البلد الامين جبل مكة * ومن اسماء بيت المقدس ايلياء بهمزة مكسورة ثم ياء آخر الحروف ساكنة ثم لام مكسورة ثم ياء آخر الحروف ثم ألف ممدودة ككبرياء وحكى فيها القصر ومعناه بيت الله المقدس وبيت المقدس بفتح الميم وسكون القاف أى المكان المطهر من الذنوب واشتقاقه من القدس وهى الطهارة والبركة فمعنى بيت المقدس المكان الذى يتطهر فيه من الذنوب ويقال المرتفع المنزه عن

الشرك والبيت المقدس بضم الميم وفتح الدال المشددة أى المطهر وتطهيره اخلاؤه من الاصنام وبيت القدس بضم الدال وسكونها لغتان * ومن اسماء بيت المقدس ورشلم بشين معجمة وتشديد اللام ويروى بالمهملة وكسر اللام ويروى شلم ومعناه بالعبرانية بيت السلام وصهيون بكسر الصاد المهملة ويقال لمسجد بيت المقدس الزيتون ولا يقال له الحرم وقد اختلف فى أوّل من بنى مسجد بيت المقدس قبل داود عليه السلام * فروى بعض العلماء ان أوّل من بناه الملائكة بأمر الله تعالى ويقال ان الذى بناه اسرافيل عليه السلام * وقد روى المحدثون عن أبى ذر رضى الله عنه أنه قال قلت يا رسول الله أى مسجد وضع فى الارض أوّلا قال المسجد الحرام قال قلت ثم أى قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال أربعون سنة ثم أينما أدركتك الصلاة فصل فان الفضل فيه وقد روى ان الملائكة بنوا المسجد الحرام قبل خلق آدم بألفى عام فكانوا يحجونه * قال الامام أبو العباس القرطبى يجوز أن يكون بناه يعنى مسجد بيت المقدس الملائكة بعد بنائها البيت المعمور بإذن الله تعالى وظاهر الحديث يدل على ذلك والله أعلم * ومن العلماء من قال بنى مسجد بيت المقدس آدم عليه السلام ومنهم من قال أسسه سام بن نوح عليهما السلام ومنهم من قال أوّل من بناه وأرى موضعه يعقوب بن اسحاق عليهما السلام روى ان أباه اسحاق أمره ان لا ينكح امرأة من الكنعانيين وأمره ان ينكح من بنات خاله فلما توجه الى خاله لينكح ابنته أدركه الليل فى بعض الطريق فبات متوسدا حجرا فرأى فيما يرى النائم أن سلما منصوبا الى باب من ابواب السماء والملائكة تعرج فيه وتنزل فأوحى الله اليه * انى أنا الله لا اله الا أنا وقد ورثتك هذه الارض المقدسة وذريتك من بعدك ثم أنا معك أحفظك حتى أردك الى هذا المكان فأجعله بيتا تعبدنى فيه فهو بيت المقدس وقد تأوّل بعض العلماء معنى الحديث الشريف الوارد أن بناء المسجد الاقصى كان بعد بناء المسجد الحرام بأربعين سنة على أن

المراد به

المراد به بناء يعقوب عليه السلام لمسجد بيت المقدس بعد بناء ابراهيم
الخليل عليه الصلاة والسلام الكعبة الشريفة والله أعلم * والحديث
الشريف المتقدم وهذه الاقوال تدل على ان بناء داود وسليمان عليهما
السلام اياه انما كان على اساس قديم لانهما المؤسسان له بل هما
مجددان وكل قول من الاقوال الواردة فى بناء المسجد الاقصى لاينافى
الآخر فانه يحتمل أن يكون بناه الملائكة أولا ثم جدده آدم عليه السلام ثم
سام بن نوح عليهما السلام ثم يعقوب بن اسحاق عليهما السلام ثم داود
وسليمان عليهما السلام فانّ كل نبي منهم بينه وبين الآخر مدة تحتمل ان
يجدد فيها البناء المتقدم قبله والقول بأن سام بن نوح أسسه ظاهر فان
سام بن نوح هو الذى اختط مدينة بيت المقدس وبناها وكان ملكا عليها
فلا يبعد أن يكون اسس المسجد حين بنائه المدينة ولكن يحمل على
تجديده للبناء القديم لا تاسيسه والله أعلم * وأما مدينة القدس فكانت
أرضها فى ابتداء الزمان صحراء بين أودية وجبال وهى خالية لا بناء فيها
ولا عمارة فأول من بناها واختطها سام بن نوح عليهما السلام وكان ملكا
عليها وكان يلقب ملكيصادق بفتح الميم وسكون اللام وكسر الكاف
وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الصاد المهملة وبعدها ألف ثم دال
مهملة مكسورة وبعدها قاف ومعناه بالعبرانية ملك الصدق * ومما حكى
فى أمر بناء القدس فى تواريخ الامم السالفة ان ملكيصادق نزل بأرض
بيت المقدس وقطن بكهف من جبالها يتعبد فيه واشتهر أمره حتى بلغ
ملوك الارض الذين هم بالقرب من أرض بيت المقدس وبالشأم وسدوم
وغيرهما وعدتهم اثنا عشر ملكا فحضروا اليه فلما رأوه وسمعوا كلامه
اعتقدوه وأحبوه حبا شديدا ودفعوا له مالا ليعمر به مدينة القدس
فاختطها وعمرها وسميت بروشلم وتقدم ان معناه بالعبرانية بيت السلام
فلما انتهت عمارتها اتفقت الملوك كلهم ان يكون ملكيصادق ملكا عليها
وكنوه بأبى الملوك وكانوا باجمعهم تحت طاعته واستمر حتى مات بها

وسيأتي ذكر مولده ووفاته عند ذكر والده نوح ان شاء الله تعالى ولما بنيت مدينة بيت المقدس كان محل المسجد في وسطها وهو صعيد واحد والصخرة الشريفة قائمة في وسطه حتى بناه داود ثم سليمان كما سنذكر ان شاء الله تعالى

﴿ذكر اول ما خلق الله سبحانه وتعالى﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما أول ما خلق الله تعالى اللوح المحفوظ فحفظه بما كتب الله فيه مما كان ويكون لا يعلم ما فيه الا الله عزوجل وهو من درة بيضاء دفتاه ياقوتتان حمراوان وهو في عظم لا يوصف * وخلق الله له قلما من جوهرة طولها مسيرة خمسمائة عام مشقوق السن ينبع منه النور كما ينبع من أقلام اهل الدنيا المداد ثم نودي القلم ان اكتب فاضطرب من هول النداء حتى صار له ترجيع كترجيع الرعد ثم جرى في اللوح بما هو كائن وما هو فاعله في الوقت الذي يفعله الى يوم القيامة فامتلأ اللوح وجف القلم بسعد من سعد وشقي من شقي * وخلق الله الماء ثم خلق الله من بعد ذلك درة بيضاء في عظم السموات والارضين ثم ناداها الرب سبحانه وتعالى فاضطربت وذابت من هول النداء حتى صارت ماء يموج بعضها في بعض ثم نودي ان اسكن فاستقر وهو ماء صافي لا كدر فيه ولا موج ولا زبد

﴿خلق العرش والكرسي والريح﴾ ثم خلق الله تعالى العرش والكرسي من جوهرتين عظيمتين ووضعهما على تيار الماء قال الله تعالى وكان عرشه على الماء قال ابن عباس رضي الله عنهما كل صانع يبني الاساس فاذا تم يتخذ عليه السقف وان الله تعالى خلق السقف أولا ثم خلق الاساس لانه خلق العرش قبل السموات والارضين ثم خلق الله الريح وجعل لها اجنحة لا يعلم كثرتها الا الله وأمرها ان تحمل هذا الماء وكان العرش على الماء والماء على الريح ثم خلق الله حملة العرش وهم اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة امدهم الله بأربعة أخر فذلك قوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهم في عظم لا يوصفون ثم خلق الله حول العرش حية محدقة به رأسها من درة بيضاء وجسدها من ذهب وعيناها ياقوتتان لا يعلم عظم

تلك

تلك الحية الا الله تعالى فالعرش عرش العظمة والكبرياء والكرسي كرسي الجلال او البهاء لان الله تعالى لا حاجة له اليهما فقد كان قبل تكوينهما لا على مكان *(خلق الارضين والجبال والبحار) لما أراد الله خلق الارضين أمر الريح أن تضرب الماء بعضه في بعض فلما اضطرب أزبد وارتفعت أمواجه وعلا بخاره فأمر الله الزبد أن يجمد فصار يابسا فهو الارض فدحاها على وجه الماء في يومين فذلك قوله تعالى قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض في يومين ثم أمر تلك الامواج فسكنت فهى الجبال فجعلها عمادا الارض وذلك قوله تعالى وجعلنا في الأرض رواسى ان تميد بكم فلولا ها لماجت الارض بأهلها وعروق هذه الجبال متصلة بعروق جبل قاف وهو الجبل المحيط بالارض ثم خلق الله تعالى سبعة أبحر فأولها محيط بالارض وراء جبل قاف وكل بحر منها محيط بالبحر الذى تقدمه واما هذه البحار التى على وجه الارض فانها بمنزلة الخليج لها وفى تلك البحار من الخلائق والدواب مالا يعلم عدده الا الله تعالى وخلق الله تعالى هذه البحار وما فيها من الدواب في اليوم الثالث ثم خلق الله تعالى أرزاقها وقدرها في اليوم الرابع وذلك قوله تعالى وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين وهى سبع أرضين كل أرض تلى الاخرى وكانت الارض تموج بأهلها كالسفينة تذهب وتجىء لانه لم يكن لها قرار فأهبط الله ملكا ذا بهاء عظيم وقوة وأمره الله أن يدخل تحتها فجعلها على منكبه فأخرج الله له يدا فى المشرق ويدا فى المغرب فقبض على أطراف الارض وأمسكها ثم لم يكن لقدميه قرار فخلق الله له صخرة مرتفعة من ياقوتة خضراء وأمرها حتى دخلت تحت قدمى الملك فاستقرت أقدام الملك عليها ثم لم يكن للصخرة قرار فخلق الله للصخرة ثورا عظيما صفته لا يحيط بها الا الله تعالى لعظمها وأمره أن يدخل تحتها فحملها على ظهره وقيل على قرونه ثم لم يكن للثور قرار فخلق الله له حوتا عظيما لا يقدر أحد أن ينظر اليه لعظمه ولبروق

عينيه وأمره الله تعالى ان يصير تحت قوائم الثور واسم هذا الحوت بهموت ثم جعل قراره على الماء وتحت الماء الهواء وتحت الهواء الظلمة والارضون كلها على منكبي الملك والملك على الصخرة والصخرة على الثور والثور على الحوت والحوت على الماء والماء على الهواء والهواء على الظلمة ثم انقطع علم الخلائق بما تحت الظلمة ﴿العقل﴾ ثم خلق الله تعالى العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال له وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا احب الي منك بك آخذ وبك اعطي وعليك اثيب وبك اعاقب * وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال العاقل هو الصادق الطويل صمته الذي يسلم الناس من شره فان الله تعالى يدخله الجنة وان الله تعالى ليعاقب العاقل يوم القيامة بما لا يعاقب به الجاهل وان الجاهل هو الكاذب بلسانه الخائض فيما لا يعنيه وان كان قارئا اوكاتبا ثم قال ما تزين العبد بزينة أحسن من العقل وما من شئ أقبح من الجهل فالعقل ما يحصل به التمييز وهو بعض العلوم الضرورية وهو غريزة نص عليه الامام أحمد رضي الله عنه والمشهور عنه أنه في الدماغ وفاقا للحنفية وعند أصحاب أحمد والشافعي والاطباء ان محله القلب وله اتصال بالدماغ قال أصحاب أحمد العقل يختلف فعقل بعض الناس اكثر ﴿خلق الله السموات وسكانها وصفة الملائكة وخلق الشمس والقمر﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما أمر الله تعالى البخار الذي علا من الماء ان يعلو الهواء فخلق الله تعالى منه السماء في يومين فكانت ارضا واحدة في يومين وسماء واحدة في يومين وما بينهما في يومين أيام ثم تفتقت السماء والارض خوفا من ربهما فصارت سبع سموات وسبع أرضين وذلك قوله تعالى أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما ثم قال فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها * فالسماء الاولى من زبرجدة خضراء وسكانها ملائكة على صورة البقر * والسماء الثانية من ياقوتة حمراء وسكانها ملائكة على صورة العقبان * والسماء الثالثة

من

من ياقوتة صفراء وسكانها ملائكة على صورة النسور * والسماء الرابعة
من فضة بيضاء وسكانها ملائكة على صورة الخيل * والسماء الخامسة
من ذهب وسكانها ملائكة على صورة الحور العين * والسماء السادسة
من درة بيضاء وسكانها ملائكة على صورة الولدان * والسماء السابعة
من نور يتلألأ وسكانها ملائكة على صورة بني آدم وهؤلاء الملائكة
لا يفترون عن التسبيح فذلك قوله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون
فأفضلهم جبريل وهو الروح الامين له ستة أجنحة فى كل جناح مائة
جناح وله وراء ذلك جناحان أخضران ينشرهما ليلة القدر وجناحان
ينشرهما عند هلاك القرى والاجنحة كلها من أنواع الجواهر * ويليه
اسرافيل وهو ملك عظيم الشان وله أربعة اجنحة جناح يسد به المشرق
وجناح يسد به المغرب والثالث يسد به ما بين السماء والارض والرابع
قد التثم به قدماه تحت الارض السابعة ورأسه قد انتهى الى أركان قوائم
العرش وبين عينيه لوح من جوهرة فاذا أراد الله أن يحدث فى عباده
أمراً أمر القلم أن يخط فى اللوح ثم يدلى اللوح الى اسرافيل فيكون بين
عينيه ثم ينتهي الوحي الى جبريل عليه السلام وهو أقرب من اسرافيل
ومن وراء البيت المعمور ملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى وفى السماء
السابعة البحر المسجور وأما ملك الموت عزرائيل فسكنه فى سماء الدنيا
وقد خلق الله له عيونا بعدد من يذوق طعم الموت رجلاه فى تخوم الارض
ورأسه فى السماء العليا عند آخر الحجب ووجهه مقابل للوح المحفوظ وهو
ينظر اليه وكل الخلق بين عينيه ولا يقبض روح مخلوق الا بعد أن يستوفى
رزقه وينقضى اجله *(خلق الشمس والقمر) ثم خلق الله الشمس والقمر
فالشمس من نور عرشه والقمر من نور حجابه الذى يليه واثنى الله تعالى
عليهما فقال وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ثم وكل بهما جمعا من الملائكة
يرسلونهما بمقدار ويقبضونهما بمقدار فذلك قوله تعالى يولج الليل فى النهار
ويولج النهار فى الليل فانقص من أحدهما زاد فى الآخر وقال أهل التوراة

ابتدأ الله تعالى الخلق في يوم الاحد وانتهى في السبت فاستوى على العرش فيه فاتخذوا السبت عيدا وقالت النصارى وقع الابتداء في يوم الاثنين والانتهاء في الاحد ثم استوى على العرش فيه فاتخذوا الاحد عيدا * قال ابن عباس رضي الله عنهما كان الابتداء في السبت والانتهاء يوم الجمعة سيد الايام وهو عند الله أعظم من يوم الفطر ويوم الاضحية وفيه ستة فضائل فيه خلق الله آدم عليه السلام وفيه نفخ الروح فيه وفيه تاب الله عليه وفيه توفاه وفيه ساعة لا يسأل العبد فيها شيئا الا اعطاه الله اياه مالم يكن حراما وفيه تقوم الساعة *(ذكر الجنة والنار ومافيهما)* ثم خلق الله الجنة وهي ثمان جنات * اولها دار الجلال من اللؤلؤ الأبيض * ثم دار السلام وهي من الياقوت الاحمر * ثم جنة المأوى وهي من الزبرجد الاخضر * ثم جنة الخلد وهي من المرجان الاصفر * ثم جنة النعيم وهي من الفضة البيضاء * ثم الفردوس وهي من الذهب الاحمر ثم جنة دار القرار وهي من المسك * ثم جنة عدن وهي من الدرّ وهي منرفة على الجنان لها بابان من ذهب بين كل مصراع كما بين السماء والارض وبناؤها لبنة من ذهب ولبنة من فضة بلاطها المسك وترابها العنبر وحشيشها الزعفران وقصورها اللؤلؤ وغرفها الياقوت وابوابها الجوهر وفيها انهار منها نهر الرحمة ونهر الكوثر وهو لنبينا صلى الله عليه وسلم ونهر الكافور ثم التسنيم ثم السلسبيل ثم الرحيق وغير ذلك مما لا يعلمه الا الله تعالى والجنان ثمانية ابواب وفيها من الحور العين مالا يقدر على وصفهن الا الذي خلقهنّ * واما جهنم فلها سبعة ابواب * اولها جهنم والثاني لظى والثالث الحطمة والرابع السعير والخامس سقر والسادس الجحيم والسابع الهاوية ولها سبع طباق وفيها اشجار من النار شوكها كأمثال الرماح الطوال تتلظى بالنيران وعليها ثمار من نار في كل ثمرة حية تأخذ باجفان عين الكافر وشفتيه تسقط لحمه الى قدميه وفيها عقارب وأسود وذئاب وكلاب من نار وزبانية بأيديهم مقامع من نار وعليها تسعة عشر من الملائكة كما قال الله

تعالى

تعالى لواحة للبشر عليها تسعة عشر وقال الله تعالى عليها ملائكة غلاظ
شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴿ذكر الجن والجان
وما كان من ابتداء أمرهم وعبادة ابليس﴾ روى عن وهب قال خلق
الله نار السموم وهى نار لا حر لها ولا دخان ثم خلق الله منها الجان فذلك قوله
تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم قال وخلق الله خلقا عظيما
وسماه مارجا وخلق منه زوجة وسماها مرجة فواقعها فولدت الجان
وولد للجان ولد فسماه الجن فنه تفرعت قبائل الجن ومنهم ابليس
اللعين وكان يلد من الجان الذكر والانثى ومن الجن كذلك توأمين فصاروا
سبعين ألفا وتوالدوا حتى بلغوا عدد الرمل فتزوج ابليس امرأة من ولد
الجان فكثر أولاده وانتشروا حتى امتلأت الاقطار منهم ثم أسكن الله
الجان فى الهواء وابليس وأولاده فى سماء الدنيا وأمرهم بالعبادة
والطاعة فكانت السماء تفتخر على الارض بأن الله رفعها وجعل فيها
مالم يكن فى الارض فشكت الارض الى خالقها الوحشة اذ ليس على
ظهرها خلق يذكرون الله فنوديت الارض اسكنى فانى خالق من أديمك
صورة لا مثل لها فى الجن وأرزقها العقل واللسان وأعلمها من علمى وأنزل
عليها من كلامى فأملأ منها بطنك وظهرك وشرقك وغربك على مزاج
تربتك فى الالوان والخيرية والشرية فافتخرى يا أرض على السماء بذلك
فاستقرت الارض وهى مع ذلك بيضاء نقية كأنها الفضة البيضاء فاشرفت
الجان على الارض وقالت ربنا أهبطنا الى الارض فاذن الله لهم بذلك على
أن يعبدوه ولا يعصوه فأعطوه العهود على ذلك ونزلوا وهم ألوف فعبدوا
الله حق عبادته دهرا طويلا ثم أخذوا فى المعاصى وسفك الدماء حتى
استغاثت الارض منهم وقالت ان خلوى يارب أحب الىّ من أن يكون
على ظهرى من يعصيك فأوحى الله اليها ان اسكنى فانى باعث اليهم رسلى
قال كعب الاحبار فأول نبى بعثه الله من الجان نبيا منهم يقال له عامر بن
عمير بن الجان فقتلوه ثم بعث لهم من بعد عامر صاعق بن ماعق بن مارد بن

الجان فقتلوه حتى بعث الله اليهم ثمانمائة نبي فى ثمانمائة سنة فى كل سنة نبيا وهم يقتلونهم فلما كذبوا الرسل أوحى الله الى أولاد الجن فى السماء ان انزلوا الى الارض وقاتلوا من فيها من أولاد الجان وعليهم ابليس اللعين فقاتلهم ابليس اللعين هو ومن كان معه حتى أدخلهم الى بقعة من الارض فاجتمعوا فيها فأرسل الله عليهم نارا فاحرقتهم وسكن ابليس الارض مع الجن وعبد الله حق عبادته فكانت عبادته اكثر من عبادتهم كلهم * ثم رفعه الله تعالى الى سماء الدنيا لكثرة عبادته فعبد الله فيها ألف سنة حتى سمي فيها العابد ثم رفعه الله تعالى الى السماء الثانية فعبد الله فيها ألف سنة ثم رفعه الى الثالثة فعبد الله كذلك حتى رفعه الى السماء السابعة فيقال انه فى يوم السبت يكون فى الاولى ويوم الاحد فى الثانية حتى اذا كان يوم الجمعة يكون فى السماء السابعة يعبد الله فى كل سماء يوما وكان ابليس لعنه الله بمنزلة عظيمة بحيث اذا مر به جبريل أو ميكائيل أو غيرهما من الملائكة يقول بعضهم لبعض لقد أعطى الله هذا العابد من القوة على طاعة ربه مالم يعط أحدا من الملائكة فلما كان بعد ذلك بدهر طويل أمر الله تعالى جبريل عليه السلام أن يهبط الى الارض و يقبض قبضة من شرقها وغربها ووعرها وسهلها ليخلق منها خلقا جديدا ليجعله أفضل الخلائق فعرف ذلك ابليس فهبط الى الارض حتى وقف فى وسطها وقال لها انى جئتك ناصحا فقالت وما نصحك يا زين العابدين وامام الزاهدين فقال لها ان الله يريد أن يخلق منك خلقا يفضله على جميع خلقه وأخاف منه أن يعصيه فيعذبه وقد أرسل الله اليك جبريل فاذا جاءك فأقسمي عليه أن لا يقبض منك شيئا فلما هبط جبريل عليه السلام نادته الارض وقالت يا جبريل بحق من أرسلك الى لا تقبض مني شيئا فانى أخاف أن يخلق الله مني خلقا فيعصيه ذلك الخلق فيعذبه بالنار فارتعد جبريل من هذا القسم فرجع ولم يأخذ منها شيئا فأخبر جبريل ربه بذلك فبعث الله ميكائيل ليأتيه بالقبضة فكانت حالته كحالة جبريل فبعث الله ملك الموت

فلما

فلما هم أن يقبض ما أمره ربه أقسمت عليه أيضا فقال ملك الموت عليه السلام وعزة ربي لا أعصى له أمرا فقبض منها قبضة من جميع بقاعها عذبها ومالحها وحلوها ومرها وطيبها وخبيثها وكل ابن آدم مخلوق من تلك القبضة فلما رجع ملك الموت بالقبضة وقف في موقفه أربعين عاما لا ينطق * ثم أتاه النداء يا ملك الموت ما الذى صنعته وهو أعلم فأخبره بقسمه وقسم الارض عليه فقال تعالى وعزتي وجلالي لاخلقن مما أتيت به خلقا ولأسلطنك على قبض أرواحهم لقلة رحمتك بهم فجعل نصف تلك القبضة في الجنة ونصفها في النار وقال أنا الله الذى لا اله الا أنا اقضى ولا يقضى علي

ذكر آدم عليه السلام

قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض منهم الاحمر والاسود والابيض وما بين ذلك ومنهم الحزن والسهل وبين ذلك وانما سمى آدم لانه خلق من أديم الارض ولما خلق الله جسد آدم تركه أربعين ليلة وقيل أربعين سنة ملقى بغير روح وقال الله تعالى للملائكة اذا نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين * فلما نفخ فيه الروح سجد له الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ولم يسجد كبرا وبغيا فأوقع الله تعالى على ابليس اللعنة والاياس من رحمته وجعله شيطانا رجيما واخرجه من الجنة بعد ان كان ملكا على سماء الدنيا والارض وخازنا من خزنة الجنة وأسكن الله تعالى آدم الجنة ثم خلق الله تعالى من ضلع آدم حواء زوجته سميت بذلك لانها خلقت من شيء حي فأوحى الله تعالى اليه يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ثم أراد ابليس ان يدخل الجنة ليوسوس لآدم وحواء فمنعه الخزنة فعرض نفسه على دواب الارض أن تحمله حتى يدخل الجنة ليكلم آدم وزوجته فكل الدواب أبت ذلك الا الحية فانها أدخلته الجنة بين نابيها

وكانت اذ ذاك على غير شكلها الآن فلما دخل ابليس الجنة وسوس لآدم وحواء وحسن عندهما الاكل من الشجرة التى نهاهما الله تعالى عنها وهى الحنطة فى قول وقرر عندهما بعد أن حلف لهما انهما ان أكلا منها خلدا ولم يموتا فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما اى ظهرت لهما عوراتهما وكانا لا يريان ذلك * فقال الله تعالى اهبطوا بعضكم لبعض عدو وهم آدم وحواء وابليس والحية فأهبطهم الله من الجنة الى الارض وسلب عن آدم وحواء كل ما كانا فيه من النعمة والكرامة فهبط آدم بسرنديب من أرض الهند على جبل يقال له نود وحواء بجده وابليس بايلة والحية باصفهان فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات يوم عرفة وتعارفا فسمى ذلك اليوم عرفة والموضع عرفات وكان هبوط آدم من باب التوبة وهبوط حواء من باب الرحمة وابليس من باب اللعنة والحية من باب السخط * وكان فى وقت العصر وكان بين هبوط آدم والهجرة النبوية ستة آلاف سنة ومائتان وستة عشر سنة على حكم التوراة اليونانية وهى المعتمدة عند المحققين من المؤرخين وفى ذلك خلاف لا فائدة لذكره خشية الاطالة وقد مضى من الهجرة الشريفة الى عصرنا هذا تسعمائة سنة كاملة فيكون الماضى من هبوط آدم الى آخر سنة تسعمائة من الهجرة الشريفة سبعة آلاف سنة ومائة وستة عشر سنة وهو المعتمد عند المؤرخين ولما هبط آدم الى الارض كان له ولدان هابيل وقابيل فقربا قربانا فتقبل من هابيل ولم يتقبل قربان قابيل فحسده على ذلك وكان لقابيل أخت توأمته وكانت أحسن من توأمة هابيل وكان آدم أراد أن يزوج توأمة قابيل بهابيل وعكسه فلم يطب لقابيل ذلك ورأى قربان أخيه قد تقبل دون قربانه فقتل أخاه هابيل وأخذ قابيل توأمته وهرب بها وعاش آدم عليه السلام تسعمائة وثلاثين سنة وذلك باتفاق المؤرخين وكان آدم رجلا طويلا كأنه نخلة سحوق كثير شعر الرأس وقد بلغ عدد ولده لصلبه وولد ولده لما توفى أربعين ألفا ونزل عليه جبريل عليه السلام اثنى عشر مرة وقد

تقدم ذكر الخلاف فى انه أوّل من بنى مسجد بيت المقدس وقد اختلف فى مدفنه فقيل ان قبره فى مغارة بين القدس ومسجد ابراهيم رجلاه عند الصخرة ورأسه عند مسجد ابراهيم عليه السلام والخلاف فى ذلك كثير * ثم بعد قتل هابيل ولد لآدم شيث عليه السلام وهو وصيه وتفسير شيث هبة الله عاش تسعمائة سنة واثنى عشر سنة ومات لمضى ألف ومائة واثنين وأربعين سنة لهبوط آدم والى شيث تنتهى انساب بنى آدم كلهم ثم ولد لشيث * انوش عاش تسعمائة سنة وخمسين سنة ثم ولد لانوش * قينان عاش تسعمائة وعشرين سنة ثم ولد لقينان مهلاييل عاش ثمانمائة وخمسا وتسعين سنة ثم ولد لمهلاييل * يود بالدال المهملة عاش تسعمائة واثنين وستين سنة ثم ولد ليود * حنوخ بحاء مهملة ونون وواو وخاء معجمة وهو ادريس عليه السلام وأدرك ادريس من حياة شيث جد جده عشرين سنة ولما صار له من العمر ثلثمائة وخمس وستون سنة رفعه الله الى السماء وكان قد نبأه الله وانكشفت له الاسرار السماوية ونزل عليه جبريل عليه السلام أربع مرات وله صحف (منها) لا تروموا ان تحيطوا بالله خبرة فانه أعظم وأعلى من أن تدركه فطن المخلوقين الا من أثره ثم ولد لحنوخ * متوشلخ بتاء مثناة من فوق وآخره خاء مهملة عاش تسعمائة وتسعا وستين سنة ثم ولد لمتوشلخ * لامخ ولما صار له من العمر مائة وثمان وثمانون سنة ولد له نوح *{ذكر نوح عليه السلام}* واسمه عبد الغفار ولد بعد أن مضى ألف وستمائة وثنتان وأربعون سنة من هبوط آدم عليه السلام وكان بعد رفع ادريس الى السماء بمائة وخمس وسبعين سنة ويقال ان دمشق كانت دار نوح عليه السلام وأرسله الله تعالى الى قومه وكانوا أهل أوثان فصار يدعوهم الى طاعة الله وهم لا يلتفتون اليه وكانوا يخنقونه حتى يغشى عليه فاذا أفاق قال اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون وكانوا يضربونه حتى يظنوا انه مات فاذا أفاق اغتسل وأقبل عليهم وهو يدعوهم الى الله * فلما طال ذلك شكاهم الى الله تعالى فأوحى الله اليه أنه لن يؤمن

من قومك الا من قد آمن فلما ايس منهم دعا عليهم * فقال رب لا تذر على
الارض من الكافرين ديارا فأوحى الله اليه ان اصنع السفينة فصنعها من
خشب الساج فلما أقبل على عمل الفلك جعل يقطع الخشب ويضرب
الحديد وكان قومه يمرون عليه وهو فى عمله فيسخرون منه ويقولون يا نوح
قد صرت نجارا بعد النبوة ويضحكون عليه فقال لهم ان تسخروا منا
فانا نسخر منكم اذا عاينتم عذاب الله كما تسخرون واتخذ السفينة
وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وطولها فى السماء ثلاثين
ذراعا وقيل غير ذلك فلما فار التنور وكان هو الآية بين نوح وبين ربه حمل
نوح من أمره الله بحمله من أهله وغيرهم سوى ولده كنعان فانه كان كافرا
ثم ادخل فى السفينه ما أمره الله به من الدواب واختلف فى موضع التنور
فقيل كان بالكوفة وقيل بالشام وقيل غير ذلك فلما دخل نوح ومن معه
السفينة فتح الله عز وجل عيون الماء ففارت الارض والتقت البحار
وأمطر الله من السماء ماء فارتفع الماء وجعلت الفلك تجرى بهم فى موج
كالجبال وعلا الماء على رؤس الجبال أربعين ذراعا فهلك كل من على
وجه الارض من حيوان ونبات سوى عوج ابن عناق نسبة لأمه عناق
بنت آدم وهى أول من بغى على وجه الارض وعمل الفجور وعمل
السحر وجاهرت بالمعاصى وولدت عوج الجبار ولم يغرقه الطوفان
ولا بلغ الى نصف جسده وطلب السفينة ليغرقها وكان طوله ثلاثة آلاف
وثلثمائه وثلاثة وثلاثين ذراعا وثلث ذراع بالهاشمى وكان يحتجز
بالسحاب ويشرب منه ويتناول الحوت من قرار البحر ويشويه فى عين
الشمس يرفعه اليها ثم يأكله وعاش ثلاثة آلاف سنة وعمر الى زمان
فرعون وقطع صخرة على قدر عسكر موسى عليه السلام ليطرحها عليهم
وكان المعسكر فرسخا فى فرسخ فأرسل الله طيرا فنقر الصخرة فنزلت من
رأسه الى عنقه ومنعته الحركة فوثب موسى وكانت وثبته عشرة اذرع
وطوله مثل ذلك وطول عصاه مثل ذلك ولم يلحق سوى عرقوبه فقتله

وتركه بموضعه وردم عليه بالصخر والرمل فكان كالجبل العظيم في صحراء مصر وقيل غير ذلك وكان بين أن ارسل الله ماء الطوفان وبين ان غاض ستة اشهر وعشر ليال وكان ركوب نوح في السفينة في مستهل شهر رجب وقيل لعشر ليال مضت من رجب وكان أيضا لعشر ليال خلت من آب وخرج من السفينة يوم عاشوراء من المحرم وكان استقرار السفينة على الجودي وهو جبل من أرض الموصل * وقد ورد حديث ان السفينة طافت بالبيت الحرام اسبوعا ثم طافت بيت المقدس اسبوعا واستوى على الجودي وروى ان السفينة سارت حتى بلغت بيت المقدس فوقفت ونطقت باذن الله تعالى وقالت يا نوح هذا موضع بيت المقدس الذي يسكنه الانبياء من أولادك وكان الطوفان بعد هبوط آدم بألفي سنة ومائتين واثنين وأربعين سنة وكان لستمائة سنة مضت من عمر نوح وبين الطوفان والهجرة الشريفة ثلاثة آلاف وتسعمائة واربع وسبعون سنة وقد مضى من الهجرة الى عصرنا تسعمائة سنة كاملة فيكون الماضي من الطوفان الى سنة تسعمائة من الهجرة أربعة آلاف وثمانمائة واربعا وسبعين سنة والله أعلم ولما مضت ثلثمائة وخمسون سنة للطوفان توفي نوح عليه السلام وله من العمر تسعمائة وخمسون سنة هكذا وقع في كلام المؤرخين ان نوحا عاش القدر المذكور فقط وظاهر الآية الشريفة يخالفه لانه يدل على انه لبث القدر المذكور في قومه بعد ارساله اليهم ينذرهم وان الطوفان وقع بعد ذلك وقيل ان عمر نوح ألف واربعمائة وخمسون سنة وهو موافق للآية قال الله تعالى ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون * وظاهر الآية الشريفة انه عاش اكثر مما ذكره المؤرخون والله أعلم ونزل عليه جبريل عليه السلام خمسين مرة وقبره بكرك نوح ومن اولاده سام ولد قبل الطوفان بمائة سنة وعاش ستمائة سنة ووفاته بعد الطوفان بخمسمائة سنة وهو ابو العرب وفارس والروم وكان هو القيم بعد

نوح فى الارض ومن ذريته الانبياء كلهم عربهم وعجمهم * وجعل الله فى ذريته النبوة والكتاب ونزل بنوه سرة الارض وهو الذى اختط مدينة القدس واسس مسجدها وكان ملكا عليها كما تقدم * وحام أبو السودان ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج والافرنج والقبط من ولد فوط ابن حام ولما خرج نوح من السفينة قسم الارض بين أولاده الثلاث فأعطى سام الحجاز واليمن والشام والجزيرة وأعطى حام الغرب وأعطى يافث الشرق وولد لسام ولد سماه أرفخشد عاش أربعمائة وخمسا وستين سنة ثم ولد لأرفخشد ولد سماه قينان عاش أربعمائة وثلاثين سنة وولد لقينان شالخ عاش اربعمائة وستين سنة وولد لشالخ غابر عاش أربعمائة وأربعا وستين سنة ثم ولد لغابر فالغ عاش ثلثمائة وتسعا وثلاثين سنة ثم ولد لفالغ رعون عاش ثلثمائة وتسعا وثلاثين سنة وعند مولد رعون تبلبلت الالسن وتقسمت الارض وتفرق بنو نوح وذلك لمضى ستمائة وسبعين سنة للطوفان ثم ولد لرعون شاروع واسمه فى التوراة سرور عاش ثلثمائة وثلاثين سنة ثم ولد لشاروع ناحور عاش مائتين وثمانى وستين سنة ثم ولد لناحور ولد اسمه تارخ وهو آزر عاش مائتين وخمس سنين وهو أبو ابراهيم الخليل عليه السلام *(ذكر هود وصالح)* عليهما السلام وهما نبيان ارسلا بعد نوح وقبل ابراهيم الخليل وارسل الله هودا الى عاد وكانوا أهل اصنام وكانت عاد وثمود جبارين طوال القامة فدعا هود قوم عاد فلم يؤمن منهم الا القليل فاهلك الله الذين لم يؤمنوا بريح سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما والحسوم الدائم فلم تدع غير هود والمؤمنين معه فانهم اعتزلوا فى حضرموت وبقى هود كذلك حتى مات وقبره بحضرموت وقيل بالحجر من مكة وقيل ان هودا هو غابر المتقدم ذكره والذى صححه جماعة من أكابر العلماء ان هودا هو ابن عبد الله بن رباح وليس هو غابر والله أعلم ويروى انه كان من عاد شخص اسمه لقمان وهو غير لقمان الحكيم الذى كان على عهد سيدنا داود عليه السلام

﴿وأما صالح﴾ فهو ابن اسف أرسله الله الى ثمود فدعاهم الى التوحيد وكان مسكنهم بالحجر وهي مدينة بين المدينة الشريفة والشام فلم يؤمن به الا قليل مستضعفون ثم ان كفارهم عاهدوه على انه ان اتاهم بما يقترحونه عليه آمنوا واقترحوا عليه ان يخرج لهم من صخرة معينة ناقة فسأل الله تعالى في ذلك فخرج من تلك الصخرة ناقة وولدت فصيلا فلم يؤمنوا وعقروا الناقة فاهلكهم الله تعالى بعد ثلاثة أيام بصيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة فتقطعت قلوبهم فأصبحوا في دارهم جاثمين وسار صالح الى فلسطين ثم انتقل الى الحجاز يعبد الله الى أن مات وهو ابن ثمان وخمسين سنة وورد انه توفي في فلسطين وأقام بها بعد أن هلك قومه ويقال ان قبره بالمغارة التي بالجامع الابيض بالرملة والله أعلم

﴿ذكر سيدنا ابراهيم الخليل وابنائه الكرام عليهم الصلوة والسلام﴾

أقول وبالله التوفيق ابراهيم خليل الرحمن وهو أبو الانبياء الكرام من أولي العزم من المرسلين روى انه أنزل الله عليه عشر صحف وكانت كلها أمثالا وجعل له لسان صدق في الآخرين أي ثناء حسنا فليس أحد من الامم الا يحبه واكرمه الله تعالى بالخلة وجعل اكثر الانبياء من ذريته وختم ذلك بسيد المرسلين محمد المصطفى صلى الله عليه سلم وشرف وكرم وابراهيم هو ابن تارخ وهو آزر ولما أراد الله عزوجل ان يبعث السيد ابراهيم عليه السلام حجة على قومه ورسولا الى عباده رأى النمروذ في منامه كأن كوكبا قد طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتي لم يبق لهما ضوء ففزع لذلك فزعا شديدا وجمع السحرة والكهنة وسألهم عن ذلك فقالوا له هو مولود يولد في ناحيتك هذه السنة ويكون هلاكك وذهاب ملكك على يده ويقال انهم وجدوا ذلك في كتب الانبياء عليهم السلام وكانت الملوك الذين ملكوا الارض أربعة مؤمنان وهما سليمان بن داود وذو القرنين وكافران وهما نمروذ وبخت نصر فنمروذ هو ابن كنعان بن كوش بن سام بن نوح وهو أول من وضع التاج على رأسه وتجبر في الارض

ودعا الناس الى عبادته فلما أخبر نمروذ بذلك أمر بذبح كل غلام يولد فى تلك الناحية تلك السنة وأمر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل حامل امينا فكانت الحامل اذا وضعت حملها فان كان ذكرا ذبحه وقيل انه حبس جميع الحوامل الا ما كان من ام ابراهيم فانه لم يعلم حملها وعميت عنها الابصار وخرج نمروذ بجمع الرجال الى المعسكر ونحاهم عن النساء كل ذلك تخوفا من ذلك المولود الذى أخبر به وقيل ان نمروذ لما خرج بعسكره بدت له حاجة فى المدينة لم يأمن عليها أحدا من قومه سوى آزر وذلك قبل حمل أم ابراهيم به فبعث الى آزر وأسر له حاجته وقال له أما انى لم ابعثك الا لثقتى بك فاقسمت عليك ان لا تدنون من أهلك. فقال آزر أنا أشح على دينى منك ثم دخل آزر المدينة وقضى حاجته ثم بدا له الدخول على أهله لرؤية حالهم واصلاح شأنهم فلما دخل الدار واجتمع بأهله حكم عليه نفوذ القدر فنسى ما التزم به للنمروذ فواقع زوجته واسمها نونا وقيل غير ذلك فحملت بابراهيم عليه السلام فلما استقر فى بطنها تنكست الاصنام وظهر نجم ابراهيم عليه السلام وله طرفان أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب فلما رأى نمروذ ذلك النجم تحير وازداد خوفه ولما تم حمل ابراهيم وجاء لامه الطلق أرسل الله تعالى اليها ملكا على احسن صورة واجمل وجه من بنى آدم فآنسها وسكن روعها وبشرها بولد يكون له شأن عظيم وهو خليل رب العالمين فلما ثقل عليها الحال قال لها انهضى معى فقامت معه وتبعته فتوجه بها حتى أدخلها غارا هنالك معى عن الخلق فلما دخلت الغار وجدت فيه جميع ما تحتاجه وخفف الله تعالى عنها الطلق فوضعت ابراهيم الخليل عليه أفضل الصلوة وأتم التسليم ليلة الجمعة وكانت ليلة عاشوراء وكان مولده لمضى ألف واحدى وثمانين سنة من الطوفان وكان الطوفان بعد هبوط آدم عليه السلام بألفين ومائتين واثنين وأربعين سنة وبين مولد ابراهيم الخليل عليه السلام والهجرة الشريفة النبوية الفان وثمانمائة وثلاث وتسعون سنة على اختيار المؤرخين

وقدمضى من الهجرة الشريفة الى عامنا هذا تسعمائة سنة كاملة فيكون
الماضى من مولد سيدنا ابراهيم الخليل الى آخر سنة تسعمائة من الهجرة
الشريفة ثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاث وتسعون سنة والاختلاف
فى ذلك كثير فلما سقط الى الارض نزل جبريل عليه السلام وقطع سرته
واذن فى اذنه وكساه ثوبا أبيض ثم عاد بأمه الملك الى مكانها وتركت
ولدها فى الغار ولما طالت غيبة نمروذ عن أرضه وبلاده عاد الى تدبير
ما كان قد اهمه فبينما هو جالس ذات يوم على سريره واذا هو بالسرير قد
انتفض من تحته انتفاضا شديدا فسمع نمروذ هاتفا يقول تعس من
كفر باله ابراهيم فقال لآزر هل سمعت ما سمعت قال نعم قال فمن هو ابراهيم
قال آزر انى لا أعرفه فأرسل للسحرة والكهنة يدلوك عليه فأرسل نمروذ
خلف السحرة والكهنة وسألهم عن ذلك فلم يخبروه بشئ مع علمهم به
وكان ذلك فى يوم ولادته ثم توالت على نمروذ الهواتف حتى نطقت الوحوش
والطيور بمثل ذلك فكان نمروذ لا يمر بمكان الا ويسمع قائلا يقول
تعس من كفر باله ابراهيم فازداد همه ورأى رؤيا هائلة فى منامه
وذلك انه رأى القمر قد طلع من ضلع آزر وبقى نوره كالعمود الممدود بين
السماء والارض وسمع قائلا يقول قد جاء الحق وزهق الباطل فنظر الى
الاصنام فوجدها كلها منكسة على رؤسها فاستيقظ النمروذ من منامه
فزعا خائفا مرعوبا فقص رؤياه على آزر فخاف آزر على نفسه منه وقال
انما ذلك لكثرة عبادتى لها وكان نمروذ بليدا جبانا فرضى بقول آزر
وسكت ثم بدا له الدخول الى البلد فلما دخلها دخل آزر على الاصنام
وكان هو القيم لها فلما وقع نظره عليها تساقطت عن كراسيها فسجد آزر
حين رأى ذلك وانطقها الله تعالى وقالت يا آزر جاء الحق وزهق الباطل
ووافى نمروذ ما كان يحذره فدخل آزر بيته وكان قد توهم فى زوجته انها
حامل فلما رآها وهى نشطة سألها عن حالها فقالت له ان الذى كان ببطنى
لم يكن ولدا وانما كان ريحا وقد تصرف عنى فصدقها على ذلك وألقى الله

تعالى على نمروذ النسيان لامر ابراهيم فكانت امه تتوجه الى الغار في
كل ثلاثة أيام مرة لترى حال ولدها فتراه في أحسن هيئة فتوجهت اليه
مرة فرأت الوحوش والطيور على باب المغارة فخافت واضطربت
وظنت ان ولدها قد هلك فلما دخلت عليه وجدته بخير وعافية وهو
جالس على فراش من السندس وهو مدهون مكحول بأحسن حال فلما
رأت ذلك منه ازدادت فيه محبة وعظمته وعلمت ان له شأنا عظيما وان
له ربا يحرسه ويتولاه فنظرت اليه فوجدته يمص في أصابعه فوجدت
يخرج له من أصبع لبن ومن أصبع عسل ومن أصبع سمن ومن أصبع
ماء صلوات الله وسلامه عليه وكان يشب شبا لا يشبه أحد من الغلمان
يومه كالشهر وشهره كالسنة ولم يمكث في الغار سوى خمسة عشر شهرا
وتكلم فقال لامه يوما يا اماه من ربي قالت أنا فقال لها ومن ربك
فقالت له أبوك قال فمن رب أبي قالت نمروذ قال فمن رب نمروذ فلطمته
لطمة وقالت له أسكت فسكت ورجعت الى زوجها وقالت له يا آزر
أرأيت الغلام الذي يحدث به انه يغير دين أهل الارض قال لا قالت انه
هو ابنك ثم أخبرته بأمره وبمكانه فأتاه أبوه ونظره وفرح به وقال له
أنت ولدي فقال ابراهيم نعم يا ابت ثم قال ابراهيم يا ابتاه من ربي قال امك
قال فمن رب امي قال أنا قال فمن ربك قال نمروذ قال فمن رب نمروذ فلطمه
لطمة كادت ان تخرج عينه وقال له اسكت وذلك قوله تعالى ولقد آتينا
ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ثم ان ابراهيم قال لامه يوما اخرجيني
من الغار فأخرجته عشاء فلما خرج نظر وتفكر في خلق السموات والارض
ثم قال ان الذي خلقني ورزقني ويطعمني ويسقيني لربي مالي اله غيره ثم
نظر الى السماء فرأى كواكبها ورأى كوكبا فقال هذا ربي ثم اتبعه بصره
حتى غاب وهو ينظر اليه فلما غاب قال لا احب الآفلين وهذا يدل على كمال
عقله وعلمه اذ الآفل لا يجوز ان يكون الها ثم رأى القمر بازغا قال هذا ربي
فاتبعه بصره حتى غاب قسيمه وقال أنا لا احب الآفلين ورجع بفكره

متوجها الى ربه وقال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين ومعنى
قوله صلى الله عليه وسلم لئن لم يهدني ربي أن الهداية والتوفيق بيده سبحانه
ثم طلعت الشمس فقال هذا ربي هذا اكبر فلما أفلت سئمها وتوجه الى ربه
بقلب سليم ووجه وجهه للحق بالصدق واليقين ونادى على قومه بالشرك
المبين وقال يا قوم انى برىء مما تشركون انى وجهت وجهي للذى فطر
السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين فنقله الله تعالى من علم
اليقين الى عين اليقين ثم ان أباه ضمه اليه فشب شبابا حسنا ولم يزل صلى
الله عليه وسلم مجملا فى جميع أحواله حتى أكرمه الله تعالى بما اكرمه
من الآيات البينات والكرامات الباهرات ثم البسه خلعة الخلة وجعله
من أولى العزم من الرسل وجعله أبا الانبياء وتاج الاصفياء ونصرة أهل
الارض وشرف أهل السماء وكان مولده عليه السلام بكوثا من اقليم
بابل من أرض العراق على ارجح الاقوال وكان آزر أبو ابراهيم يصنع
الاصنام ويعطيها لابراهيم ليبيعها فكان ابراهيم يقول من يشترى ما يضره
ولا ينفعه فلا يشتريها أحد فاذا بارت عليه ذهب بها الى نهر فصوّب فيه
رؤسها وقال لها اشربي استهزاء بقومه وبما هم فيه من الضلالة حتى
فشا استهزاؤه بها فى قومه وأهل قريته فحاجه قومه فى دينه فقال لهم
أتحاجوني فى الله وقد هداني للتوحيد والحق ولا أخاف ما تشركون به
وذلك انهم قالوا له احذر الاصنام فانا نخاف أن تمسك بسوء من خبل
أو جنون لسبك اياها فقال لهم لا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء
ربي شيئا وسع ربي كل شئ علما أى أحاط علمه بكل شئ أفلا تتذكرون
ثم لما أمر الله تعالى ابراهيم عليه السلام ان يدعو قومه الى التوحيد دعا
أباه فلم يجبه ودعا قومه وفشا أمره واتصلت أخباره بنمروذ وهو ملك
تلك البلاد ثم جاهد ابراهيم قومه بالبراءة مما كانوا يعبدون وأظهر دينه
وقال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لى الا رب
العالمين فقالوا له فمن تعبد أنت قال رب العالمين قالوا نحن ربنا نمروذ قال

انا عبد الذى خلقنى فهو يهدينى والذى هو يطعمنى ويسقينى واذا مرضت فهو يشفينى والذى يميتنى ثم يحيينى والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين رب هب لى حكما والحقنى بالصالحين واجعل لى لسان صدق فى الآخرين واجعلنى من ورثة جنة النعيم واغفر لابى انه كان من الضالين ولا تخزنى يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم قال ففشا ذلك الخبر فى الناس حتى بلغ النمروذ فدعاه اليه وقال يا ابراهيم ارأيت الملك الذى بعثك وتدعو الناس الى عبادته وتذكر عظيم قدرته ماهو فقال له ابراهيم هو ربى الذى يحيى ويميت فقال نمروذ أنا احيى واميت قال ابراهيم كيف تحيى وتميت قال آخذ رجلين قد استوجبا القتل فى حكمى فأقتل أحدهما فأكون قد أمته ثم أعفو عن الآخر فاتركه فاكون قد احييته قال فانتقل ابراهيم الى حجة اخرى أعجز فان حجته كانت لازمة لانه أراد بالاحياء احياء الميت فكان له أن يقول فأحى من أمت ان كنت صادقا فانتقل الى حجة اخرى أوضح من الاولى فقال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر اى تحير واندهش وانقطعت حجته ولما أراد ابراهيم عليه السلام أن يرى قومه ضعف الذى كانوا عليه وضعف الاصنام التى كانوا يعبدونها من دون الله تعالى وعجزها الزاما للحجة عليهم بفعل ينتظر لذلك فرصة الى ان حضر عيدلهم وكان لهم فى كل سنة عيد يخرجون اليه ويجتمعون فيه وكانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فيسجدون لها ثم يعودون الى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال آزر أبو ابراهيم لابراهيم لوخرجت معنا الى عيدنا لأعجبك ديننا فخرج معهم فلما كان فى بعض الطريق ألقى نفسه وقال انى سقيم فقعد ومضوا وهو صريع فلما مضوا نادى فى آخرهم وقد بقى ضعفاء الناس تالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فسمعوا كلامه ثم رجع ابراهيم الى بيت الآلهة فاذاهم قد جعلوا طعاما فوضعوه بين ايدى الآلهة وقالوا اذا رجعنا تكون قد باركت الآلهة فى طعامنا

فنأكله فلما نظر ابراهيم عليه السلام الى الاصنام والى ما بين أيديهم من
الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء ألا تأكلون فلم يجبه أحد منهم
فقال لهم ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين وجعل يكسرهم
بفاس فى يده حتى لم يبق منهم الا الصنم الكبير فعلق الفاس فى عنقه ثم خرج
فذلك قوله تعالى فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون فلما رجع
القوم من عيدهم الى بيت آلهتهم ورأوا اصنامهم جذاذا الا كبيرا لهم قالوا
من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين أى المجرمين قال الذين سمعوا كلام
ابراهيم حيث قال وتالله لاكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين
سمعنا فتى يذكرهم يعيبهم ويسبهم يقال له ابراهيم وهو الذى نظن أنه
فعل هذا بآلهتنا فبلغ ذلك نمروذ الجبار وأشراف قومه قالوا فأتوا به على
اعين الناس أى ظاهرا لعلهم يشهدون عليه انه الذى فعله كرهوا ان
يأخذوه بغير بينة فلما أتوا به قالوا ءأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال
بل فعله كبيرهم هذا غضب من ان تعبدوا معه هؤلاء الصغار وهو اكبر
منهم فكسرهم وأراد ابراهيم عليه السلام بذلك اقامة الحجة عليهم فذلك
قوله تعالى فاسئلوهم ان كانوا ينطقون حتى يخبروا من فعل بهم ذلك
* روى أبو هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لم يكذب ابراهيم صلى الله عليه وسلم الا ثلاث كذبات ثنتان منهن فى ذات
الله عز وجل قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة هذه
اختى وليس هذا من باب الكذب الحقيقى الذى يذم فاعله وانما اطلاق
الكذب على هذا تجوز ويجوز ان يكون الله تعالى قد اذن له فى ذلك لقصد
الصلاح وتوبيخهم والاحتجاج عليهم كما اذن ليوسف عليه السلام حيث
أمر مناديه فقال لاخوته ايتها العير انكم لسارقون ولم يكونوا سرقوا
فرجعوا الى أنفسهم أى تفكروا بقلوبهم ورجعوا الى عقولهم فقالوا ما نراه
الا كما قال انكم أنتم الظالمون يعنى بعبادتكم من لا يتكلم ثم نكسوا على
رؤسهم أى ردوا الى الكفر بعد ان أقروا على أنفسهم بالظلم وقالوا لقد

علمت ماهؤلاء ينطقون فكيف نسألهم * فلما اتجهت الحجة عليهم لابراهيم
عليه السلام قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ان عبدتموه
ولا يضركم ان تركتم عبادته أف لكم أى تنا لكم وقذرا لكم ولما تعبدون
من دون الله أفلا تعقلون فلما الزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب قالوا احرقوه
وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين أى ان كنتم ناصرين لها فلما جمع نمروذ قومه
لاحراق ابراهيم حبسوه فى بيت وبنوا بنيانا كالحضيرة قيل طوله فى
السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملؤه من الحطب وأوقدوا
فيه النار ليطرحوه فيه فلم يطيقوا لشدة حر النار أن يقربوها ولا علموا
كيف يلقوه فيها فجاء ابليس وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه ثم عمدوا الى
ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فرفعوه على رأس البنيان وقيدوه ثم
وضعوه فى المنجنيق مقيدا مغلولا وألقوه فى النار فكانت عليه بردا وسلاما
ولما أرادوا القاءه فى النار أتاه خازن المياه وقال يا ابراهيم ان أردت ان
اخمد لك النار اخمدتها فقال لا ثم أتاه خازن الرياح وقال له ان شئت طيرت
لك النار فى الهواء فقال ابراهيم عليه السلام لا حاجة لى بكم حسبى الله ونعم
الوكيل ولما ألقى فى النار كان ابن ستة عشر سنة وقد مدحه الله فى كتابه
العزيز بقوله تعالى واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن والكلمات التى
ابتلاه الله بها من اجل شرائع الاسلام واعزما امتحن به أهل الايمان
ولذلك مدحه الله تعالى بقوله وابراهيم الذى وفى ومعنى التوفية هو
الاتمام لما طولب به فى دينه وماله ونفسه وولده فأتم الجميع على الوجه
المطلوب ولما صنع له نمروذ المنجنيق وألقاه فى النار ظهر تحقيق الابتلاء
وصدق الولاء وذلك انه لما نزل به من عدوه ما نزل ووضع فى المنجنيق
استغاثت الملائكة قائلة يارب هذا خليلك قد نزل به من عدوك ما أنت
أعلم به فقال الله تعالى لجبريل اذهب اليه فان استغاث بك فأغثه
والا فاتركنى وخليلى فتعرض له جبريل وهو يقذف به فى لجة الهواء الى
النار وقال له هل لك من حاجة فقال اما اليك فلا واما الى الله فبلى قال

جبريل فسل ربك فقال ابراهيم حسبي من سؤالي علمه بحالي ولم يستعن
بغير الله ولا جنحت همته لما سوى الله تعالى بل استسلم لحكمه مكتفيا
بتدبيره عن تدبير نفسه فاثنى الله تعالى عليه بقوله *وابراهيم الذي وفى فقال
الله تعالى للنار كوني برداوسلاما على ابراهيم ونجاه من النار قال كعب
الاحبار رضي الله عنه فجعل كل شئ يطفىء عنه النار الا الوزغ فانه كان
ينفخ في النار قال الثعلبي رحمة الله عليه فلذلك أمر النبي صلى الله عليه
وسلم بقتلها وسماها فويسقة * وعن علي رضي الله عنه أنه قال ان
البغال كانت تتناسل وكانت أسرع الدواب في نقل الحطب لنار ابراهيم
فدعا عليها ابراهيم فقطع الله نسلها وقال بعض العلماء لولم يقل الله سبحانه
وسلاما لأهلكه بردها وقيل انه لم يبق في ذلك الوقت نار تشتعل بمشارق
الارض ولا بمغاربها الا خمدت ظانة انها المعنية بالخطاب وكان ابراهيم
حين وضع في المنجنيق ورمى به جردت عنه ثيابه ولم يترك عليه سوى
السراويل فقصد بعض السفهاء أن ينزع السراويل عنه فشلت يداه وكان
مقيدا بقيود فتلقاه جبريل عليه السلام ولم يضره الم الهوى فلما استقر على
الارض وهي اذ ذاك جمر أحمر تتلهب وتتوقد فلم يؤثر فيه شئ من حرارتها
وظهر للناظرين اليه ان الارض التي سقط عليها مخضرة مونقة وجليسه
جليس صالح حسن الوجه والهيئة كاحسن ما رآه راء ثم ألبسه قميصا من
ثياب الجنة وفك قيده وآنسه وقال له جليسه ربك يقرئك السلام ويقول
لك اما علمت ان النار لا تضر احبابي *فقال الخليل عليه السلام حسبي الله
ونعم الوكيل وكان عليه السلام أول من جرد من ثيابه في سبيل الله تعالى
فلذلك كساه الله في ذلك المحل قميصا من الجنة وادخر له كسوة يكسى بها
اول الخلق يوم القيامة كل ذلك وهو بمشهد من الخلق ينظرون اليه فلما
رآه قومه وقد اكرمه الله بما اكرمه به آمن بالله جمع كثير في السر خوفا
من نمروذ *وخرج ابراهيم من مكانه وهو يمشي وفارقه جبريل عليه
السلام فأقبل نحو منزله فأرسل اليه نمروذ يسأله عن كسوته وعن رفيقه

فقال له انه ملك أرسله الى ربي وقص عليه قصته فقال له نمروذ ان الملك
الذي تعبده لا له عظيم وانى مقرب قربانا اليه وذلك لما رأيت من عزته
وقدرته فيما صنع بك حين أبيت الا عبادته فقرب أربعة آلاف بقرة ثم
احترم ابراهيم بعد ذلك وكف عنه وقد عذب الله النمروذ بارسال البعوض
عليه وعلى حاشيته وجيوشه فأكلت لحومهم وشربت دماءهم وتركتهم
عظاما ودخلت واحدة منها فى منخر الملك نمروذ فلبثت فى منخره أربعمائة
سنة عذبه الله تعالى بها فكان يضرب رأسه بالمرازب فى تلك المدة كلها
حتى أهلكه الله تعالى بها وسلط الله على مدينة كوثا الزلازل حتى
خربت قال الثعلبي رضى الله عنه لما حاجه ابراهيم فى ربه قال نمروذ ان
كان ما تقول حقا فلا أنتهى حتى أعلم ما فى السموات فبنى صرحا عظيما
ببابل ورام الصعود منه الى السماء لينظر الى اله ابراهيم عليه السلام
واختلف فى طول الصرح فى السماء فقيل خمسة آلاف ذراع وقيل
فرسخان ثم عمد الى اربعة افراخ من النسور فاطعمها اللحم والخبز حتى
كبرت ثم قعد فى تابوت ومعه غلام له قد حمل القوس والنشاب معه
وجعل لذلك التابوت بابا من اعلاه وبابا من اسفله ثم ربط التابوت
بارجل النسور وعلق اللحم على عصى فوق التابوت ثم خلى عن النسور
فطارت النسور طمعا فى اللحم حتى ابعدت فى الهواء وحالت الريح بينها
وبين الطيران * فقال لغلامه افتح الباب الاعلى فانظر ففتحه فاذا السماء
كهيئتها وفتح الباب الاسفل فاذا الارض سوداء مظلمة ونودى ايها
الطاغي اين تريد فعند ذلك أمر غلامه فرمى سهما فعاد السهم اليه وهو
ملطخ بالدم فقال كفيت شر اله السماء واختلف فى ذلك السهم بأى شئ
تلطخ فقيل سمكة فى السماء من بحر معلق فى الهواء وقيل أصاب طيرا من
الطيور فتلطخ بدمه ثم أمر نمروذ غلامه أن يصوب العصى وينكس اللحم
ففعل ذلك فهبطت النسور بالتابوت فسمعت الجبال خفقان هبوط
التابوت والنسور ففزعت وظنت انه قد حدث فى السماء حادث أو أن

الساعة قد قامت فذلك قوله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال ثم
ارسل الله تعالى على صرح نمروذ ريحا فالقت رأسه فى البحر وانكفأت
بيوتهم واخذت نمروذ الرجفة وتبلبلت السن الناس حين سقط الصرح
من الفزع فتكلموا بثلاث وسبعين لسانا فلذلك سميت بابل لتبلبل
الالسنة بها واستجاب لابراهيم عليه السلام جماعة من قومه حين رأوا
صنع الله عز وجل من برد النار وغير ذلك من المعجزات فآمن به لوط وهو
ابن اخيه وآمنت به سارة زوجته وقد ذكر المؤرخون والمفسرون قصة
ابراهيم عليه السلام مع نمروذ واخباره وما وقع له بابسط من هذا
والغرض فى هذا الكتاب الاختصار والله المستعان

﴿ذكر هجرة ابراهيم الخليل عليه السلام﴾

لما نجى الله تعالى خليله من نار النمروذ الجبار استجاب له رجال وآمن معه
قوم على خوف من نمروذ وملائه ثم ان ابراهيم ومن كان آمن معه من
أصحابه أجمعوا على فراق نمروذ وقومهم فقالوا لقومهم انا برآء منكم ومما
تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا
حتى تؤمنوا بالله وحده ورحل هو واهله ومن معه من قومه ونزلوا بارها
ثم سار الى مصر ويقال الى بعلبك وصاحبها يومئذ فرعون فذكر لفرعون
حسن سارة وجمالها زوجة الخليل عليه السلام وهى ابنة عمه هاران
فسأل ابراهيم عنها فقال هذه اختى يعنى فى الاسلام خوفا ان يقتله فقال له
زينها وأرسلها الى فأقبلت سارة الى الجبار وقام ابراهيم يصلى فلما دخلت
عليه ورآها هوى اليها وأراد أن يتناولها بيده فايبس الله يده ورجله فلما
تخلى عنها اطلق الله يده ورجله فعاد اليها فصار له كالاولى حتى صار له ذلك
مرارا وكان هذا تكرمة منه تعالى *قال فأطلقها ووهبها هاجر وفى بعض
الاخبار ان الله تعالى رفع الحجاب بين ابراهيم وبين سارة حتى ينظر اليها
من وقت خروجها من عنده الى وقت انصرافها كرامة لها وتطييبا لقلب
ابراهيم عليه السلام ثم سار ابراهيم من مصر الى الشام واقام بين الرملة

وايليا فهو اول من هاجر من وطنه فى ذات الله تعالى حفظا لايمانه ولما نزل بالموضع الذى يعرف بوادى السبع وهو شاب لامال له فأقام حتى كثر ماله وشاخ وضاق على أهل البلد مواضعهم من كثرة ماله ومواشيه فقالوا له يا شيخ ارحل عنا فقد أذيتنا بمالك ايها الشيخ الصالح وكانوا يسمونه بذلك فقال لهم نعم أرحل عنكم فلما هم بالرحيل قال بعضهم لبعض انه جاء عندنا وهو فقير وقد جمع عندنا هذا المال كله فلو قلنا له اعطنا شطر مالك وخذ الشطر فقالوا له ذلك فقال لهم يا قوم صدقتم جئتكم وكنت شابا واليوم صرت شيخا فردوا على شبابى وخذوا ما شئتم من مالى فخصمهم ورحل عنهم فلما كان وقت ورود الغنم الماء جاؤا يستقون فاذا الآبار قد جفت فقال بعضهم لبعض الحقوا الشيخ الصالح الذى كنتم فى بركته واسألوه الرجوع فانه ان لم يرجع هلكنا وهلكت مواشينا فلحقوه فوجدوه فى الموضع المسمى بالغار وسألوه الرجوع فقال انى لست براجع ودفع لهم سبع شياه من غنمه وقال لهم اذهبوا بها معكم فانكم اذا أوردتموها البئر ظهر لكم الماء حتى يكون عينا تجرى فاملؤا واشربوا واسقوا مواشيكم ولا يقربها امرأة حائض فرجعوا بالاغنام فلما وقفت على البئر ظهر لهم الماء فكانوا يشربون منها وهى على حالها لم تنقص ابدا واستمرت على تلك الحالة حتى أتت امرأة حائض واغترفت منها فغاض ماؤها * ورحل ابراهيم عليه السلام ونزل اللجون وأقام بها ما شاء الله تعالى ثم أوحى الله اليه ان انزل حبرى فنزل بها ونزل عليه جبريل وميكائيل عليهما السلام بحبرى وهما يريدان قوم لوط عليه السلام فخرج ابراهيم عليهم ليذبح لهم عجلا فانفلت العجل منه ولم يزل حتى دخل مغارة حبرون فنودى يا ابراهيم سلم على عظام أبيك آدم عليه السلام فوقع ذلك فى نفس ابراهيم عليه السلام ثم انه ذبح العجل وقربه اليهم وكان من شأنه ما نص الله عز وجل فى كتابه العزيز وسنذكر ملخص القصة عند ذكر سيدنا اسحاق عليه السلام فمضى ابراهيم معهم الى قرب ديار قوم لوط فقالوا له اقعد ههنا فقعد وسمع صوت الديكة فى السماء فقال

هذا

هذا هو الحق اليقين فأيقن بهلاك القوم فسمى ذلك الموضع مسجد اليقين
وهو على نحو فرسخ من بلد سيدنا ابراهيم الخليل ثم رجع ابراهيم الخليل
عليه السلام وسيأتى ذكر القصة عند سيدنا لوط عليه السلام *

(قصة بناء الكعبة المشرفة وذكر سيدنا اسماعيل عليه السلام)

قد تقدم ان ابراهيم الخليل عليه السلام لما سار الى مصر ومعه زوجته
سارة ووهبها فرعون مصر هاجر فلما قدم الى الشام واقام بين الرملة وايليا
وكانت سارة لا تحبل وهبت هاجر لابراهيم عليه السلام فواقعها فحملت
وولدت اسماعيل عليه السلام ومعنى اسماعيل بالعبرانية مطيع الله
وكانت ولادته لمضى ست وثمانين سنة من عمر ابراهيم عليه السلام *
فغارت سارة وحزنت لذلك فوهبها الله تعالى اسحاق ولدته ولها تسعون
سنة ثم غارت سارة من هاجر ومن ولدها اسماعيل وطلبت من ابراهيم
ان يخرجهما عنها فأخذهما ابراهيم وسار بهما الى ارض الحجاز وتركهما
بمكة وذلك كله باذن الله تعالى وليس بمكة يومئذ أحد ولا بها ماء فوضع
هاجر واسماعيل ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفل ابراهيم
عليه السلام منطلقا فنهضت أم اسماعيل خلفه وقالت يا ابراهيم الى اين
تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه انيس ولا شئ وقالت له ذلك
مرارا فلم يلتفت اليها فقالت له آلله أمرك بهذا فقال نعم فقالت اذا
لا يضيعنا ربنا ثم رجعت وانطلق ابراهيم عليه السلام حتى اذا كان عند
الثنية حيث انهما لا يرونه استقبل القبلة بوجهه ودعا بهذه الدعوات
ورفع يديه * فقال رب انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك
المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم
من الثمرات لعلهم يشكرون واما أم اسماعيل فجعلت ترضع اسماعيل
عليه السلام وتشرب من ذلك الماء حتى نفد ما فى السقاء فعطشت وعطش
ولدها فجعلت تنظر اليه وهو يتلوى من شدة العطش فانطلقت كراهة
ان تنظر اليه وهو على تلك الحالة فوجدت الصفا أقرب جبل فى الارض

اليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى وجعلت تنظر اليه لعلها تنظر
أحدا فلم تنظر احدا فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادى رفعت
طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي وهي
تنظر لخالقها ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى احدا فلم تر
احدا ففعلت ذلك سبع مرات * قال ابن عباس رضي الله عنهما قال
النبيّ صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما أشرفت على
المروة سمعت صوتا فقالت مه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت الصوت
ثانيا فقالت قد أسمعت ان كان عندك غوث فأغث فاذا هي بالملك
عند موضع زمزم فبحث بعقبه او قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوطه
وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهي تقول بعد
ما تغرف زم زم * قال ابن عباس قال النبيّ صلى الله عليه وسلم رحم الله ام
اسماعيل لو تركت زمزم او قال لو لم تغرف من الماء لكان زمزم عينا معينا
قال فشربت وأرضعت ابنها فقال لها الملك لا تخافي الضيعة فانّ هاهنا
بيت الله الحرام وسيبنيه هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله وكان
البيت مرتفعا من الارض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله
ثم نزل هناك ابيات من جرهم وشب اسماعيل عليه السلام وتعلم العربية
منهم فلما ادرك زوجوه امرأة منهم وماتت امه هاجر فجاء ابراهيم عليه
السلام فلم يجد اسماعيل فسأل امرأته فقالت خرج يبتغي لنا الصيد ثم
سألها عن عيشهم فقالت نحن بشر وشكت اليه بعلها فقال لها اذا جاء
زوجك فاقرئيه السلام وقولي له يغير عتبة بابه فلما جاء اسماعيل أخبرته
بما كان قال ذلك أبي أمرني أن أفارقك فالحقي بأهلك فطلقها
وتزوج بأخرى منهم فلبث عنهم ابراهيم ما شاء الله تعالى * ثم أتاهم بعد ذلك
فلم يجده فسأل امرأته فقالت خرج يبتغي لنا صيدا فقال لها كيف انتم
فقالت نحن بسعة وبخير من الله تعالى واثنت على بعلها خيرا وشكرت الله
تعالى فقال لها ما طعامكم قالت اللحم قال فما شرابكم قالت الماء فقال اللهم

بارك لهم فى اللحم والماء ثم قال لها اذا جاء زوجك فاقرئى عليه منى السلام وأمريه ان يثبت عتبة بابه فلما جاء اسماعيل أخبرته بما قال فقال ذلك ابى وانت العتبة أمرنى أن امسكك ثم انه لبث عنهم ماشاء الله ثم جاء بعد ذلك وكان اسماعيل يبرى نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم فلما رآه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد* ثم شرعا فى بناء الكعبة وقد اختلف فى أول من بنى الكعبة فقيل الملائكة باذن الله تعالى وقيل آدم عليه السلام ولكن اندرس فى زمان الطوفان ثم اظهره الله تعالى لابراهيم عليه السلام حتى بناه* وقصة بناء ابراهيم عليه السلام مشهورة وملخصها ان ابراهيم عليه السلام لما سار من الشام وقدم مكة قال يا اسماعيل ان الله أمرنى ان ابنى له بيتا هاهنا وأشار الى اكمة مرتفعة على ما حولها فقال اسماعيل السمع والطاعة لما قال ربنا قال ابراهيم وقد أمرك ان تعينني فقال اسماعيل اذا افعل فجعل ابراهيم يبني واسماعيل يناوله الحجارة فكانا كلما بنيا دعوا فقالا * ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم وكان وقوف ابراهيم على حجر وهو يبني وذلك الموضع هو مقام ابراهيم واستمر البيت على مابناه ابراهيم الى ان هدمته قريش سنة خمس وثلاثين من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنوه وكان بناء الكعبة بعد مضى مائة سنة من مولد ابراهيم عليه السلام فيكون بالتقريب بين بناء الكعبة وبين الهجرة الشريفة الفان وسبعمائة وثلاث وتسعون سنة وقد مضى من الهجرة الشريفة الى عصرنا هذا تسعمائة سنة كاملة فيكون الماضى من بناء ابراهيم الخليل الكعبة الشريفة الى آخر تسعمائة سنة من الهجرة النبوية ثلاثة آلاف وستمائة وثلاث وتسعين سنة والله أعلم* وسيأتى ذكر ماوقع فى الكعبة الشريفة من الهدم والبناء فى السيرة الشريفة المحمدية وفى ذكر بناء عبد الملك ابن مروان لمسجد بيت المقدس ان شاء الله تعالى

(ذكر قصة الذبيح)

ثم أمر الله ابراهيم عليه السلام ان يذبح ولده وفداه الله تعالى بكبش
وقد اختلف فى الذبيح هل هو اسحاق ام اسماعيل فالكتابيون يقولون انه
اسحاق وهو قول على وابن مسعود وكعب ومقاتل وقتادة وعكرمة
والسدى * وقال ابن عباس رضى الله عنهما هو اسماعيل وهو قول
سعيد بن المسيب والشعبى والحسن ومجاهد وكلا القولين يروى عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن قال ان الذبيح اسحاق فقد احتج بقوله
عز وجل فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعى أمره بذبح من بشر به
وليس فى القرآن انه بشر بولد غير اسحاق * ومن قال ان الذبيح اسماعيل
احتج له بما قيل ان ذكر البشرى باسحاق بعد الفراغ من قصة المذبوح
فقال تعالى وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين فدل على ان المذبوح غيره
واما قصة الذبيح فقال البغوى قال السدى لما دعا ابراهيم عليه السلام
وقال رب هب لى من الصالحين وبشر به فقال هو اذا ذبيح فلما ولد وبلغ
معه السعى قال له اوف بنذرك * هذا هو السبب فى أمر الله تعالى اياه بذبح
ابنه فعند ذلك قال لابنه انطلق بنا لنتقرب قربانا الله عز وجل فأخذ سكينا
وحبلا وانطلق معه حتى ذهب بين الجبال فقال له الغلام يا ابت أين
قربانك فقال يا بنى انى أرى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت
افعل ما تؤمر فلما اسلما أى انقادا لامر الله تعالى وخضعا وتله للجبين
أى صرعه على الارض فقال له ابنه الذى أراد ذبحه يا ابت أشدد رباطى
حتى لا اضطرب واكفف عنى ثيابك حتى لا ينتضح عليها من دمى شئ
فينقص اجرى وتراه أمى فتحزن علىّ واستحد شفرتك وأسرع مر السكين
على حلقى ليكون أهون علىّ فان الموت شديد واذا أتيت امى فاقرئ
عليها السلام منى وان رأيت ان ترد قيصى على امى فافعل فعسى أنه يكون
اسلاء لها عنى فقال له ابراهيم نعم العون انت يا بنى على أمر الله تعالى قال
ففعل ابراهيم ما امره الغلام وقبله بين عينيه وقد ربطه وهو يبكى
ثم وضع السكين على حلقه وجعل يجرها على حلقه فلا تقطع فقال الابن

عنـد ذلك يا ابت كبني على وجهي فانك اذا نظرت الى وجهي رحمتني وادركتك الرأفة فتحول بيني وبينك وبين أمر الله تعالى وأنا لا انظر الشفرة فاجزع ففعل ابراهيم ذلك ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت ونودي يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا فنظر ابراهيم فاذا هو بجبريل عليه السلام ومعه كبش املح أقرن * وقال هذا فداء ابنك فاذبحه دونه فكبر جبريل عليه السلام وكبر الكبش وكبر ابراهيم عليه السلام وكبر ابنه فأخذ ابراهيم الكبش واتى به المنحر من منى فذبحه وكان ذلك الذبيح كبشا رعى فى الجنة أربعين خريفا قال القرطبي سأل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه رجلا كان من علماء اليهود اسلم وحسن اسلامه أى ابني ابراهيم امر بذبحه فقال اسماعيل ثم قال يا أمير المؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم معاشر العرب على أن يكون أبوكم هو الذبيح ويزعمون انه اسحاق أبوهم * وروى الثعلبي عن الصنهاجي قال كنا عند معاوية فذكروا اسماعيل الذبيح أو اسحاق فقال على الخبير سقطتم كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل وقال له يا ابن الذبيحين فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا أمير المؤمنين وما الذبيحان فقال ان عبد المطلب لما حفر زمزم نذر لئن سهل الله له أمرها ليذبحن احد أولاده فخرج السهم على ولده عبد الله فنعه اخواله من ذلك وقالوا له بل افد ولدك بمائة من الابل ففداه والثاني اسماعيل عليه السلام ومن زعم ان الذبيح اسحاق فيقول كان موضع الذبح بالشام على ميلين من ايليا وهي بيت المقدس وزعمت اليهود انه كان على صخرة بيت المقدس ومن يقول ان الذبيح اسماعيل فيقول ان ذلك كان بمكة المشرفة وارسل الله اسماعيل الى قبائل اليمن والى العماليق وزوج اسماعيل ابنته من ابن اخيه العيص بن اسحاق وعاش اسماعيل مائة وسبعا وثلاثين سنة ومات بمكة ودفن عند قبر امه هاجر بالحجر فكانت وفاته بعد وفات ابيه ابراهيم عليه السلام بثمان وأربعين سنة ولما ماتت سارة بعد وفاة هاجر

تزوج ابراهيم الخليل عليه السلام امرأة من الكنعانيين وولدت منه
ستة وهم يقشان وزمران ومدان ومديان ويشق وشرخ ثم تزوج
امرأة اخرى فولدت له خمسة بنين فكان جميع أولاد ابراهيم ثلاثة عشر
ولدا مع اسماعيل واسحاق وكان اسماعيل أكبر أولاده فآثر اسماعيل
ارض الحجاز واسحاق ارض الشام وفرق سائر ولده في البلاد والله أعلم

﴿ذكر شراء المغارة﴾

عن كعب الاحبار رضي الله عنه قال أول من مات ودفن في حبرون سارة
وذلك انها لما ماتت خرج الخليل عليه السلام يطلب موضعا ليقبرها فيه
ورجا أن يكون موضعا بقرب حبرى فمضى الى عفرون وكان ملك
الموضع وكان مسكنه حبرى فقال له ابراهيم بعني موضعا اقبر فيه من مات
من أهلي * فقال له عفرون الملك قد ابحتك فادفن موتاك حيث شئت
من أرضي فقال ابراهيم عليه السلام اني لا احب ذلك الا بالثمن فقال له
ايها الشيخ الصالح ادفن حيث شئت فابى عليه * وطلب منه المغارة فقال
له ابيعكها بأربعة آلاف درهم كل درهم وزن خمسة دراهم وكل مائة
درهم ضرب ملك واراد بذلك التشديد عليه كيلا يجد شيئا من ذلك فيرجع
الى قوله فخرج ابراهيم الخليل من عنده فاذا جبريل عليه السلام واقف
فقال له يا ابراهيم ان الله قد سمع مقالة الجبار لك وهذه الدراهم ادفعها
اليه فانها كما طلب * قال فأخذ ابراهيم عليه السلام الدراهم ودفعها الى
الجبار فقال له من اين لك هذه الدراهم فقال له من عند الهي وخالقي
ورازقي فأخذها منه وحمل ابراهيم عليه السلام سارة ودفنها في المغارة
فكانت أول من دفن فيها وتوفيت ولها من العمر مائة وسبعة عشر سنة
وقيل مائة وسبع وعشرون سنة * ثم لما توفي الخليل عليه السلام دفن
بحذائها من جهة الغرب وسنذكر تاريخ وفاته فيما بعد ان شاء الله تعالى ثم
توفيت ربقة زوجة اسحاق فدفنت فيها بحذاء سارة من جهة القبلة ثم توفي
اسحاق عليه السلام فدفن بحذاء زوجته من جهة الغرب ثم توفي يعقوب

عليه السلام فدفن عند باب المغارة وهو بحذاء قبر الخليل عليه الصلاة والسلام من جهة الشمال ثم توفيت ليقا زوجته فدفنت بحذائه من جهة الشرق فاجتمع أولاد يعقوب والعيص واخوته وقالوا ندع باب المغارة مفتوحا وكل من مات منا دفناه فيها فتشاجروا فرفع واحد من اخوة العيص يده ولطم العيص لطمة فسقط رأسه فى المغارة وقيل كان الضارب للعيص واحد من أولاد يعقوب * ولما سقط رأسه فى الغار حملوا جثته ودفنوها بغير رأس وبقى الرأس فى المغارة وحوطوا عليها حائطا وعملوا فيها علامات القبور فى كل موضع وكتبوا عليهم هذا قبر ابراهيم وهذا قبر زوجته سارة وهذا قبر اسحاق وهذا قبر زوجته ربقه وهذا قبر يعقوب وهذا قبر زوجته ليقا * وخرجوا واطبقوا الباب وكل من جاء اليه يطوف به ولا يصل اليه احد حتى جاءت الروم بعد ذلك ففتحوا له بابا ودخلوا اليه وبنوا فيه كنيسة ثم أظهر الله الاسلام بعد ذلك وملك المسلمون تلك الديار وهدموا الكنيسة وبالقرب من مدينة سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام قرية تسمى سعير وهى الفاصلة بين أعمال القدس والخليل بها قبر بداخل مسجدها يقال انه قبر العيص عليه السلام وقد اشتهر ذلك عند الناس وصاروا يقصدونه للزيارة والله أعلم * وروى عن وهب بن منبه انه قال اصبت على قبر ابراهيم الخليل عليه السلام مكتوبا حلقة فى حجر غر جهو لا امله * يموت من جا أجله * لن تغنى عنه حيله * زاد بعض أهل العلم * والمرء لا يصحبه فى القبر الا عمله * وحدث محمد بن بكران بن محمد خطيب مسجد الخليل عليه السلام قال سمعت محمد بن اسحاق النحوى يقول خرجت مع القاضى ابى عمرو عثمان بن جعفر بن شاذان الى قبر ابراهيم الخليل عليه السلام فأقمنا به ثلاثة أيام فلما كان فى اليوم الرابع جاء الى النقش المقابل لقبر ربقه زوجة اسحاق عليه السلام فأمر بغسله حتى ظهرت كتابته وتقدم الى بأن أنقل ما هو مكتوب فى الحجر الى درج كان معنا على التمثيل فنقلته ورجعنا الى الرملة فاحضر أهل كل لسان ليقرأه عليه

فلم يكن فيهم أحد يقرؤه ولكنهم أجمعوا على ان هذا بلسان اليونانى القديم وانهم لا يعلمون انه بقى أحد يقرؤه غير شيخ كبير بحلب فعمدوا الى احضاره فلما حضر عنده أحضرنى فاذا هو شيخ كبير فاملى على الشيخ المحضر من حلب ما نقلته فى الدرج على التمثيل أوله بسم الهى اله العرش القاهر الهادى الشديد البطش العليم الذى لا يحد هذا قبر ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم والعلم الذى بحذائه من جهة الشرق قبر زوجته سارة والعلم الاقصى الموازى لقبر ابراهيم الخليل قبر يعقوب والعلم الذى يليه من الشرق قبر اليا زوجته صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين * وكتبه العيص بخطه واسم زوجة يعقوب اليا وفى بعض الكتب ليا والشم ورليقا والله أعلم وهذا الحجر المنقوش موجود الى يومنا هذا وقد اشتهر عند الناس مكتوبه بمقام آدم ويقال انه عند رأس آدم عليه السلام * قال الحافظ ابن عساكر قرأت فى بعض كتب أصحاب الحديث ونقلت منها قال محمد بن بكران بن محمد خطيب مسجد ابراهيم الخليل عليه السلام وكان قاضيا بالرملة فى أيام الراضى بالله فى سنة ثنتين وعشرين وثلثمائه وما بعدها وله رواية فى الحديث سمع من جماعة وحدث عن جماعة من أهل العلم قال سمعت محمد بن أحمد بن على بن جعفر الانبارى يقول سمعت أبا بكر الاسكافى يقول صح عندى ان قبر ابراهيم عليه السلام فى الموضع الذى هو الآن فيه لما رأيت وعاينت وذلك انى وقفت على السدنة وعلى الموضع أوقافا كثيرة تقرب من نحو أربعة آلاف دينار رجاء ثواب الله عز وجل وطلبت ان أعلم صحة ذلك حتى ملكت قلوبهم بما كنت عملت معهم من الجميل والكرامة والملاطفة والاحسان اليهم وأطلب بذلك ان أصل الى ما يصح وحالك فى صدرى فقلت لهم يوما من الايام وقد جمعتهم عندى بأجمعهم أسألكم ان توصلونى الى باب المغارة كى انزل الى حضرة الانبياء صلوات الله عليهم واشاهدهم فقالوا قد اجبناك الى ذلك لان لك علينا حقا واجبا ولكن لا يمكن فى هذا الوقت لان الطارق علينا كثير ولكن حتى يدخل الشتاء فلما دخل كانون الثانى خرجت اليهم

فقالوا أقم عندنا حتى يقع الثلج فأقمت عندهم حتى وقع الثلج وانقطع
الطارق عنهم فجاؤا الى صخرة ما بين قبر ابراهيم الخليل وقبر اسحاق عليهما
السلام وقلعوا البلاطة ونزل رجل منهم يقال له صعلوك وكان رجلا
صالحا فيه خير ولين فنزلت انا معه فنشى وانا من ورائه فنزلنا اثنين وسبعين
درجة فاذا عن يميني دكان عظيمة من حجر اسود واذا عليه شيخ خفيف
العارضين طويل اللحية ملقى على ظهره وعليه ثوب أخضر فقال لى صعلوك
هذا اسحاق عليه السلام ثم سرنا غير بعيد واذا بدكان أكبر من الاولى
وعليها شيخ ملقى على ظهره وله شيبة قد أخذت ما بين منكبيه أبيض
الرأس واللحية والحاجبين واشفار العينين وتحت شيبته ثوب اخضر
قد جلل بدنه والرياح تلعب بشيبته يمينا وشمالا فقال لى صعلوك هذا
ابراهيم الخليل عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم فسقطت على وجهى
ودعوت الله عز وجل بما فتح على ثم سرنا واذا بدكان لطيفة وعليها شيخ
لطيف آدم شديد الادمة كث اللحية وتحت منكبيه ثوب اخضر قد جلله
فقال لى صعلوك هذا يعقوب النبى ثم اناصدلنا يسارا لننظر الى الحرم
فخلف أبو بكر الاسكافى ما ان تممت الحديث قال فقمت من عنده فى الوقت
الذى حدثنى فيه من وقتى الى مسجد ابراهيم عليه السلام فلما وصلت
الى المسجد سألت عن صعلوك فقيل لى الساعة يحضر فلما جاء قمت اليه
وجلست عنده وطارحته بعض الحديث فنظر الى بعين منكر للحديث
الذى سمعه فاومأت اليه بلطف تخلصت به من الاثم ثم قلت له ان أبا بكر
الاسكافى عمى فأنس عند ذلك فقلت يا صعلوك بالله عليك لما عدلتما نحو
الحرم ماذا كان وما الذى رأيتما فقال ما حدثك أبو بكر فقلت أريد ان
اسمع منك أيضا * فقال سمعنا من نحو الحرم صائحا يصيح وهو يقول
تجنبوا الحرم رحمكم الله فوقعنا مغشيا علينا ثم أفقنا وقد أيسنا من
الحياة وأيست الجماعة منا قال فقال لى الشيخ وعاش أبو بكر الاسكافى بعد
ما حدثنى زمانا يسيرا ومات وكذلك صعلوك رحمهما الله تعالى *

وروى الحسن بن عبد الواحد بن رزق الرازي قال قدم أبو زرعة القاضي بفلسطين الى مسجد ابراهيم عليه السلام فجئت لأسلم عليه وقد قعد عند قبر سارة في وقت الصلاة فدخل شيخ فدعاه وقال له يا شيخ ايما هو قبر ابراهيم بين هؤلاء فأومأ الشيخ بيده الى قبر ابراهيم عليه السلام ثم مضى الشيخ وجاء شاب فدعاه وقال له مثل ذلك فأشار الى قبر ابراهيم ومضى ثم جاء صبي فدعاه وقال له مثل ذلك فأشار الى قبر ابراهيم عليه السلام فقال أبو زرعة أشهد ان هذا قبر ابراهيم الخليل عليه أفضل الصلاة والسلام لا شك فيه ولا خفاء نقله الخلف عن السلف كما قال مالك بن انس رضي الله عنه ان نقل الخلف عن السلف أصح الحديث لان الحديث ربما يقع فيه الخطأ والنقل لا يقع فيه خطأ ولا يطعن فيه الا صاحب بدعة ومخالف ثم قام ودخل الى داخل فصلى الظهر ثم رحل من الغد * وقال أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء المقدسي في كتاب البدائع في تفصيل مملكة الاسلام * حبرى هي قرية ابراهيم الخليل عليه السلام فيها حصن عظيم يزعمون أنه من بناء الجن من حجارة عظيمة منقوشة ووسطه فيه حجارة اسلامية على قبر ابراهيم عليه السلام وقبر اسحاق قدام في المغطى وقبر يعقوب في المؤخر عند كل نبي امرأته وقد جعل الحصن مسجدا وبنى حوله دور للمجاورين به واتصلت العمارة به من كل جانب ولهم قناة ماء ضعيفة وبهذه القرية الى نصف مرحلة من كل جانب قرى وكروم واعناب وتفاح وعامتها تحمل الى مصر وفي هذه القرية ضيافة دائمة وطباخ وخباز وخدام مرتبون وهم يقدمون العدس بالزيت لكل من يأتي ويحضر عندهم من الفقراء ويدفع الى الاغنياء اذا أخذوا * وحكى الملك المؤيد اسماعيل صاحب حماه في تاريخه في وقائع سنة ثلاثة عشر وخمسمائة ان في تلك السنة ظهر قبر ابراهيم عليه السلام وقبر ولديه اسحاق ويعقوب عليهما السلام أيضا بالقرب من بيت المقدس ورآهم كثير من الناس لم تبل أجسادهم وعندهم في المغارة قناديل من ذهب وفضة

ولم يذكر كيف كان ظهور ذلك وفيه اشكال لان فى التاريخ المذكور كان بيت المقدس وبلد بسيدنا الخليل عليه السلام فى يد الافرنج وليس للمسلمين عليها تكلم ولا أعلم هل كانت الافرنج يمكنون المسلمين من البلاد حين استيلائهم عليها والله أعلم بحقيقة الحال

﴿ ذكر ختانه وتسروله عليه السلام وشيبته ﴾

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اختتن ابراهيم عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم وهو بالتخفيف والتشديد * وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ربط ابراهيم عليه السلام غرلته وجمعها اليه وحذ قدومه وضرب عليه بعمود كان معه فندرت بين يديه بلا ألم ولا دم وختن اسماعيل عليه السلام وهو ابن ثلاثة عشر سنة وختن اسحاق وهو ابن سبعة أيام * وعن عكرمة انه اختتن ابراهيم الخليل عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة فأوحى الله تعالى اليه انك قد أكملت ايمانك الا بضعة من جسدك فالقها فختن نفسه بالفاس وسبب ختانه انه أمر بقتال العمالقة فقاتلهم فقتل خلق كثير من الفريقين فلم يعرف ابراهيم أصحابه ليدفنهم فأمر بالختان ليكون علامة المسلم وختن نفسه بالقدوم * قال ابن عباس رضى الله عنهما كان ابراهيم أول من لبس السراويل وذلك انه كان عليه السلام كثير الحياء وكان من حيائه يستحى ان ترى الارض مذاكيره فاشتكى الى الله عز وجل فأوحى الله الى جبريل عليه السلام فهبط عليه بخرقة من الجنة ففصلها جبريل عليه السلام سراويل وقال له ادفعها الى سارة وكان اسمها يساره ومرها أن تخيطه فلما خاطته ولبسه ابراهيم قال ما أحسن هذا وما أستره يا جبريل فانه نعم الستر للمؤمن فكان ابراهيم عليه السلام أول من لبس السراويل وأول من فصل جبريل واول من خاط سارة بعد ادريس عليه السلام وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال كان الرجل يبلغ الهرم ولم يشب وكان الرجل يأتى القوم وفيهم الوالد والولد فيقول أيكم الاب من الابن فقال ابراهيم رب اجعل لى شيئا اعرف به

فاصبح رأسه ولحيته أبيضين * وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال أوّل من سمانا المسلمين ابراهيم عليه السلام وهو أوّل من ضرب بالسيف من الانبياء وكسر الاصنام واختتن ولبس السراويل والنعلين ورفع يديه فى الصلاة فى كل خفض ورفع وصلى أوّل النهار أربع ركعات جعلهنّ على نفسه فسماه الله وفيا * فقال تعالى وابراهيم الذى وفى قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هى الاربع فى أوّل النهار وهو أوّل من أضاف الضيف وثرد الثريد وفرق الشعر واستنجى بالماء وقلم الظفر وقص الشارب ونتف الابط وهو أوّل من استاك وتمضمض واستنشق بالماء وحلق العانة وأوّل من صافح وعانق وقبل بين العينين موضع السجود واوّل من شاب فقال ماهذا فقال الله تعالى هذا وقار * فقال ابراهيم يارب زدنى وقارا فابرح حتى ابيضت جميع لحيته وأوّل من جرّ الذيل هاجر امرأته فصارت سنة فى النساء فغارت منها سارة وحلفت انها تملأيدها من دمها فقال ابراهيم عليه السلام خذيها واختنيها كى يكون ذلك سنة بعدكما وتخلصى من يمينك ففعلت فكانت هاجر أوّل من اختتن من النساء وابراهيم أوّل من اختتن من الرجال * ذكر رأفته بهذه الامة صلى الله عليه وسلم * روى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم انه قال لقيت ابراهيم ليلة اسرى بى فقال لى يا محمد اقرئ امتك منى السلام وقل لهم ان الجنة طيبة التربة عذبة الماء وانها قيعان وان غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وفى رواية فرأيت ابراهيم الخليل فرحب بى وسهل ثم قال لى مر أمتك فليكثروا من غراس الجنة فان تربتها طيبة وأرضها واسعة فقال وما غراس الجنة فقال لا حول ولا قوة الا بالله وفى رواية فقال ابى ابراهيم مرحبا بالنبىّ الامى الذى بلغ رسالة ربه ونصح لامته يا نبى الله انك لاق ربك الليلة وانّ أمتك هى آخر الامم وأضعفها فان استطعت ان تكون حاجتك أوجلها فى أمتك فافعل

﴿ ذكر ضيافته واكرامه للضيف واخلاقه الكريمة ﴾

روى ان ابراهيم عليه السلام كان اذا أراد أن يأكل خرج ميلا أو ميلين
يلتمس من يأكل معه وكان يكنى بأبي الضيفان ولصدق نيته فى الضيافة
دامت ضيافته فى مشهده الى يومنا هذا فلا ينقضي يوم ولا ليلة الا ويأكل
عنده جماعة * وحكى ان رجلا شريف القدر من أهل دمشق ذا وجاهة
كان يزور الخليل عليه السلام فى كل حين وكان يؤتى بالضيافة التي جرت
العادة بها للزواره فيردها ولا يأكل منها شيئا فجاء مرة وهو ملهوف وجعل
يطلبها ويجد فى طلبها حتى قيل انه كان يتتبع ما بقي فى القصع ويلتقط
ما يجد من لباب الخبز وقتاته فيأكله فقيل له فى ذلك فقال رأيت الخليل
صلى الله عليه وسلم فقال لى ما أكلت ضيافتنا فنحن ما قبلنا منك زيارتك
روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال ان الله تعالى وسع على ابراهيم
الخليل عليه السلام فى المال والخدم فاتخذ بيتا للضيافته وجعل له بابين
يدخل الغريب من أحدهما ويخرج من الآخر ووضع فى ذلك البيت
كسوة للشتاء وكسوة للصيف ومائدة منصوبة عليها طعام فيأكل
الضيف ويلبس أن كان عريانا وابراهيم يجدد فى كل حين مثل ذلك *
وروى ان ابراهيم الخليل عليه السلام لما قرب العجل الى الضيوف ورأى
أيديهم لا تصل اليه قال لم لا تأكلون قالوا لا نأكل طعاما الا بثمنه قال
أو ليس معكم ثمنه قالوا وأنى لنا ثمنه قال تسمون الله تبارك وتعالى
اذا أكلتم وتحمدونه اذا فرغتم قالوا سبحان الله لو كان ينبغي لله ان يتخذ خليلا
من خلقه لاتخذك يا ابراهيم خليلا فاتخذ الله تعالى ابراهيم خليلا وقيل ان
الملائكة لما رأت ازدياد ابراهيم فى الخير واقبال الدنيا عليه ولم يشغله ذلك
عن الله طرفة عين تعجبت من ذلك وقالت ان ظاهره حسن وانه لا يؤثر
على ربه شيئا فهل هو فى قلبه هكذا فعلم الله سبحانه وتعالى ذلك منهم قبل
ما تكلموا به فأمر الله ملكين من أجلاء الملائكة وقيل انهما جبريل
وميكائيل عليهما السلام ان ينزلا عليه ويستضيفاه ويذكراه بربه
ويرفعا صوتهما عنده بالتسبيح والتقديس لله تعالى فنزلا على صورة

بنى آدم فسألاه الاذن لهما فى المبيت عنده فاذن لهما واكرم نزلهما ورفع محلهما فلما كان فى بعض الليل وهو يسامرهما فى الكلام اذ رفع أحدهما صوته * وقال سبحان ذى الملك والملكوت ثم رفع الآخر صوته وقال سبحان الملك القدوس بصوت لم يسمع مثله قال فاغمى على ابراهيم عليه السلام ولم يملك نفسه من الوجد والطرب ثم أفاق بعد ساعة وقال لهما اعيدا علىّ ذكركما فقالا له انا لم نفعل حتى تجعل لنا شيئا معلوما فقال لهما خذا ما تختارا من مالى فقالا له أعطنا ماشئت فقال لكما جميع مالى من الغنم وكان شيئا كثيرا فرضيا بذلك ثم رفعا صوتهما وقالا كالاولى فأغمى عليه فلما أفاق وعلم انهما لايقولان شيئا الا بمعلوم قال لكما جميع مالى من البقر فرضيا واعادا ولم يزالا يكرران عليه الذكر ويتحلى به وهو يستغرق فى لذاته حتى أعطاهما جميع موجوداته من ماله وأهله ولم يبق الا نفسه فباعها لهما ورضى أن يكون فى رقهما وجعل فى عنقه شدادا وسلمهما نفسه وقال لهما لعلكما ان تجودا علىّ بالذكر مرة اخرى * فلما رأيا منه ذلك قالا له يحق لك ان يتخذك الله خليلا ثم حكيا له ما كان من الملائكة فتبسم وقال حسبى الله ونعم الوكيل ثم قالا له أمسك عليك مالك بارك الله لك وعليك وعلى ذريتك فمنّ الله عليه سبحانه بابقاء ذريته وسماطه وزاده بركة وخيرا وجعل سماطه ممدودا من يومه الى يومنا هذا جعله الله دائما الى يوم القيامة ان شاء الله تعالى * واما أخلاقه الكريمة فقد سماه الله تعالى حليما أواها منيبا والحليم الرشيد الذى يملك نفسه عند الغضب والاواه الذى يكثر التأوه من الذنوب والمنيب المقبل على ربه عزوجل فى شأنه كله * روى الثعلبى عن أبى ادريس الخولانى عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه قال قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله كم من كتاب أنزل الله عزوجل قال رسول الله أنزل الله تعالى مائة كتاب وأربعة كتب أنزل تعالى على آدم عليه السلام عشر صحائف وعلى ابراهيم الخليل عشر صحائف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين صحيفة وأنزل الله تعالى

التوراة والانجيل والزبور والفرقان قال قلت يا رسول الله ما كانت صحف
ابراهيم قال كانت أمثالا * أيها الملك المغرور المبتلى انى لم أبعثك لتجمع
الدنيا بعضها الى بعض ولكن بعثتك لتنصر دعوة المظلوم فانى لا أردها
وان كانت من كافر وكان فيها أمثال كثيرة (منها) وعلى العاقل مالم يكن
مغلوبا على عقله أن يكون له ساعات ساعة يناجى فيها ربه ويتفكر فى
صنع الله وساعة يحاسب نفسه فيما قدم وأخر وساعة يخلو فيها بحاجته
من الحلال لا من الحرام فى المطعوم والمشروب وغيرهما وعلى العاقل أن
يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شأنه حافظا للسانه ومن علم ان كلامه
من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه والله أعلم * معنى الخلة * أصل الخلة
الاستصفاء وسمى ابراهيم خليل الله لانه يوالى فى الله ويعادى فى الله وخلة
الله له نصره وجعله اماما لمن بعده والخليل أصله الفقير المحتاج المنقطع
مأخوذ من الخلة وهى الحاجة سمى بها لانه قصر حاجته على ربه وانقطع
اليه بهمته ولم يجعل له ولياغيره حيث قال له جبريل عليه السلام وهو
فى المنجنيق ليرمى به فى النار ألك حاجة فقال اما اليك فلا * روى عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال لجبريل يا جبريل لم اتخذ الله ابراهيم خليلا قال
لاطعامه الطعام وفى الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قال أيها الناس ان
الله تعالى قد اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا واختلف فى تفسير الخلة
واشتقاقها فقيل الخليل المنقطع الى الله تعالى الذى ليس له فى انقطاعه
اليه ومحبته له اختلال واختلف أيضا هل الخلة والمحبة بمعنى واحد أو
احداهما ارفع من الاخرى فقيل هما بمعنى واحد والحبيب خليل وعكسه
لكن خص ابراهيم بالخلة ومحمد بالمحبة وقيل الخلة ارفع للحديث الوارد
عنه صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر
خليلا ولكن أخوة الاسلام فلم يتخذ أبا بكر خليلا وأطلق على نفسه
الشريفة المحبة له ولعائشة ولفاطمة وابنيها واسامة وغيرهم والاكثر على
ان المحبة ارفع لان درجة نبينا الحبيب صلى الله عليه وسلم ارفع من درجة

ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم واصل المحبة الميل الى ما يوافق المحبوب وهذا فيمن يتأتى منه الميل وهى درجة المخلوقين أما الخالق جل جلاله فتنزه عن ذلك فمحبته لعبده تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه لطاعته وافاضة رحمته عليه سبحانه وتعالى

ذكر وفاته عليه السلام

قد تقدم ان بين الهجرة الشريفة النبوية المحمدية ومولده عليه السلام الفين وثمانمائة سنة وثلاثا وتسعين سنة على اختيار المؤرخين واختلف فى عمره فقيل ان ابراهيم الخليل عاش مائة وخمسا وسبعين سنة وهو الذى ذكره الملك المؤيد صاحب حماه فى تاريخه وقيل مائة وخمسا وتسعين وقيل مائتى سنة ونزل عليه جبريل عليه السلام اثنين واربعين مرة * قال أهل السير لما أراد الله عزوجل قبض روح خليله ابراهيم عليه السلام أرسل اليه ملك الموت فى صورة رجل شيخ هرم قال الثعلبى قال السدى باسناده قال كان ابراهيم كثير الاطعام يطعم الناس ويضيفهم فبينما هو يطعم الناس اذا هو بشيخ كبير يمشى فى الحرة فبعث اليه رجلا بحماره واركبه حتى أتاه واطعمه فجعل الشيخ يأخذ اللقمة ليدخلها فاه فيدخلها فى عينه وتارة فى اذنه ثم يدخلها فاه فاذا حصلت فى جوفه خرجت من دبره وكان ابراهيم قد سأل ربه ان لا يقبض روحه حتى يكون هو الذى يسأله الموت فلما رأى حال الشيخ قال له يا شيخ مالك تصنع هكذا قال يا ابراهيم من الكبر فقال ابن كم أنت يا شيخ قال فزاد على عمر ابراهيم سنتين فقال ابراهيم انا بينى وبينك سنتان فاذا بلغت ذلك صرت مثلك قال نعم فقال ابراهيم اللهم اقبضنى اليك قبل ذلك * فقام الشيخ وقبض روح ابراهيم وكان ملك الموت صلوات الله وسلامه عليهما وحكى غير ذلك فيكون بين وفاة الخليل عليه السلام والهجرة النبوية على القول الاول فى عمره الذى ذكره صاحب حماه الفان وسبعمائة وثمانية عشر سنة ومضى من الهجرة الشريفة النبوية الى عصرنا هذا تسعمائة سنة فيكون الماضى

من

من وفاة ابراهيم الى سنة تسعمائة من الهجرة الشريفة ثلاثة آلاف سنة وستمائة وثمان عشرة سنة وقيل غير ذلك * وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوّل من يكسى يوم القيامة ابراهيم الخليل عليه السلام بخلته ثم انا بصفوتى ثم علىّ بن أبي طالب يزف بيني و بين ابراهيم الخليل زفا الى الجنة وفى الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوّل من يكسى من الخلائق يوم القيامة ابراهيم الخليل عليه السلام * وروى انه قال يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا فيقول الله تعالى مالى أرى خليلى عريانا فيكسى ثوبا ابيض فهو أوّل من يكسى يوم القيامة صلى الله عليه وسلم

ذكر قصة الاسكندر وكان فى زمن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام

الاسكندر المشهور بذى القرنين الذى ذكره الله فى القرآن هو من ذرية نوح عليه السلام ومما ورد فى أمره انه انما سمى بذى القرنين لانه كان عبدا صالحا بعثه الله عزّ وجلّ الى قومه ولم يكن نبيا فضربوه على قرنه فمات فأحياه الله تعالى ثم بعثه مرّة اخرى اليهم فضربوه على قرنه فمات فأحياه الله فسمى ذا القرنين وقيل غير ذلك وتوفى الاسكندر بناحية السواد فى موضع يقال له شهر روز بعد ان غزا الهند حتى انتهى الى البحر المحيط فهال ذلك ملوك الغرب فوفدت عليه رسلهم بالانقياد والطاعة ودخل الظلمات مما يلى القطب الشمالى فى بحر الشمس فى أربعمائة رجل من أصحابه يطلب عين الحياة فلم يصبها فسار فيه ثمانية عشر يوما وبنى اثنى عشر مدينة سماها كلها بالاسكندرية ولما مات عرض الملك بعده على ابنه فابى واختار النسك والعبادة وكانت مدة تملكه اثنى عشر سنة وقيل ثلاثة عشر سنة وقيل أربعة عشر سنة وكان عمره ستا وثلاثين سنة بالاتفاق والله أعلم

ذكر بناء سليمان عليه السلام الحيز الذى على المغارة بوحى من الله تعالى

روى أن سليمان عليه السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس أوحى الله تعالى اليه يا ابن داود ابن على قبر خليلى حيرا حتى يكون لمن يأتى من بعدك لكى يعرف فخرج سليمان وبنوا اسرائيل من بيت المقدس حتى قدم أرض كنعان وطاف فلم يصبه فرجع الى بيت المقدس فاوحى الله تعالى اليه ياسليمان خالفت امرى فقال يارب قد غاب عنى الموضع فأوحى الله اليه امض فانك ترى نورا من السماء الى الارض فانه موضع قبر خليلى ابراهيم فخرج سليمان مرة ثانية فنظر وأمر الجن فبنوا فى الموضع الذى يقال له الرامة وهو بالقرب من مدينة سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام من جهة الشمال قبلى قرية حلحول * التى بها قبر يونس عليه السلام فأوحى الله تعالى اليه ان هذا ليس هو الموضع ولكن انظر الى النور المتدلى من السماء الى الارض فان فخرج سليمان عليه السلام ونظر فاذا النور على بقعة من بقاع حبرون فعلم ان ذلك هو المقصود فبنى الحير على البقعة * وسنذكر وصف هذا البناء وذرعه طولا وعرضا فيما بعد ان شاء الله تعالى ويأتى ذكر مامضى من تاريخ بناء سليمان عليه السلام مسجد بيت المقدس فيعلم منه تاريخ بناء الحير الذى على مقام سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام

ذكر فضل سيدنا الخليل عليه أفضل الصلاة والسلام وفضل زيارته

قد نص الله تعالى فى كتابه العزيز على فضله فى قوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا الى غير ذلك مما أنزل الله فى حقه من الآيات المخصوصة به * وعن أنس بن مالك رضى الله عنه انه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له ياخير الناس فقال النبى صلى الله عليه وسلم ذلك ابراهيم عليه السلام وفى رواية مسلم قال له ياخير البرية قال ذلك ابراهيم * وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لما أسرى بى الى بيت المقدس مر بى جبريل عليه السلام على قبر ابراهيم عليه السلام فقال لى انزل فصل ركعتين

ها هنا فان ها هنا قبر أبيك ابراهيم الخليل عليه السلام * وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من لم يمكنه زيارتي فليزر قبر ابي ابراهيم الخليل عليه السلام * وعن كعب الاحبار رضي الله عنه انه قال اكثروا من الزيارة الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم واظهروا الصلاة عليه وعلى صاحبيه ابي بكر وعمر رضوان الله عليهما قبل ان تمنعوا ذلك و يحال بينكم و بين ذلك بالفتن وفساد السبل فمن منع ذلك او حيل بينه و بين الزيارة الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فليجعل رحلته واتيانه الى قبر ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وليظهر الصلاة عليه وليكثر من الدعاء عنده فان الدعاء عند قبر سيدنا ابراهيم الخليل مستجاب ولم يتوسل به احد الى الله في شيء الا أجابه ولم يبرح من مكانه حتى يرى الاجابة في ذلك عاجلا أو آجلا (قلت) وهذا مما لا شك فيه فاني جربته في أمر وقع لي من امور الدنيا فكنت أتوقع الهلاك منه فتوجهت من بيت المقدس الى بلد سيدنا الخليل عليه السلام في ضرورة اقتضت سفري فلما أن دخلت مسجده ودخلت الى الضريح المشهور بأنه قبر ابراهيم الخليل عليه السلام تعلقت باستاره ودعوت الله تعالى فيما كنت ارجوه فما كان بأسرع من أن فرج الله عني كربتي ولطف بي وأزال عني كلما أزعجني فله الحمد سبحانه * وحكي عن رجل من أهل بعلبك انه قال زرنا قبر ابراهيم الخليل عليه السلام وكان معنا رجل مغفل من أهل بعلبك فسمعناه وقد زار القبر وهو يبكي و يقول حبيبي ابراهيم سل ربك يكفيني فلانا وفلانا فانهم يؤذونني ونحن نضحك منه ونتعجب ثم رجعنا بعد مدة الى يافه فوصل قارب من بيروت وفيه رجل من أهل بعلبك فاخبرنا ان الثلاثة الذين سماهم ماتوا *(القول في آداب الزيارة)* يستحب لمن قصد زيارة ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ان يقلع عن الذنوب وان يتوب الى الله توبة نصوحا ثم ينوي زيارته و يتوجه نحوه بعزم ورغبة و يكثر في الطريق من الصلاة عليه وعلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع

الانبياء والمرسلين * فاذا أتى باب المسجد وقف يسيرا ثم يقدم رجله اليمنى
ويدعو بما يستحب أن يدعى به اذا دخل المساجد ثم يقول بسم الله اللهم
صل على سيدنا محمد وافتح لي ابواب رحمتك ثم يصلي ركعتين تحية المسجد
ثم يقصد قبر سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام فيقف على باب حجرته
مطرقا رأسه ثم يستغفر الله تعالى ويصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم
يقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته اشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وانك عبد الله ورسوله وخليله
جزاك الله عنا خيرا كما هو أهله ثم يقول صلوات الله البر الرحيم والملائكة
المقربين والانبياء والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين من أهل
السموات وأهل الارضين عليك يا أبا الانبياء يا خليل الله وعلى ولدك
السيد الكامل الفاتح الخاتم سيد الاولين والآخرين محمد المصطفى حبيب
رب العالمين وعلى آلكما واصحابكما كلما ذكركما الذاكرون وغفل عن ذكركما
الغافلون ثم يدعو بما شاء من خيري الدنيا والآخرة ثم يلتفت نحو السيدة
سارة ويقول السلام عليكم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ورحمة الله
وبركاته ثم يقول انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم
تطهيرا ثم يتوجه الى قبر السيد اسحاق عليه السلام ويقول السلام عليك
أيها النبي الكريم ورحمة الله وبركاته ويدعو عنده بما شاء ثم يلتفت عن
شماله ويسلم على زوجته السيدة الجليلة ربقة ويقول السلام عليكم أهل
بيت النبوة ومعدن الرسالة ورحمة الله وبركاته ثم يمضي بأدب وسكون
ويقصد السيد الجليل نبي الله يعقوب عليه السلام ويفعل عنده كما فعل
عند اسحاق أبيه وكذلك عند زوجته السيدة ليقا ثم يقصد نبي الله
يوسف الصديق عليه السلام ويفعل كما فعل ثم يقصد شباك سيدنا ابراهيم
الخليل عليه الصلاة والسلام الذي تجاه قبر سيدنا يعقوب ويقف بالقرب
منه ويسلم ويدعو الله بما شاء فان الدعاء هناك مستجاب ثم يتوجه الى الله
تعالى بجميع أنبيائه خصوصا بسيد الاولين والآخرين ثم يمسح وجهه

ويمضي مسرورا مقبولا ان شاء الله تعالى * وكل ماذكره العلماء رضي الله تعالى عنهم في مناسكهم من آداب الزيارة في حق النبي صلى الله عليه وسلم فهو سائغ في حق هذا النبي الكريم خليل الله ابراهيم اللهم صل عليه وعلى جميع اولاده الاكرمين ﴿ فصل في حكم السور السليماني ﴾ وهو البناء المنسوب لسيدنا سليمان عليه السلام المحيط بقبر سيدنا ابراهيم عليه السلام قد صار مسجدا وثبت له أحكام المساجد * وقد روى عن ابن عمر رضي الله عنه انه قال ان آدم عليه السلام رأسه عند الصخرة الشريفة ورجلاه عند مسجد ابراهيم الخليل عليه السلام فسماه مسجدا * وفي رواية ان قبره في مغارة بين بيت المقدس ومسجد ابراهيم الخليل رجلاه عند الصخرة ورأسه عند مسجد ابراهيم عليه السلام واذا كان مسجدا جاز الدخول اليه وسماه السبكي وكتب بخطه في آخر جزء حديث يسمى تحفة أهل الحديث في سماعه على الشيخ برهان الدين الجعبري وذكر جماعة سمعوه معه بالحرم ثم قال وصح وثبت في يوم السبت ثامن عشر صفر سنة ثمان وسبعمائة بحرم الخليل عليه السلام وأطلق على المشهد المذكور حرما وكلامه صريح في انه دخله هو والشيخ برهان الدين الجعبري والسامعون معه فدل على جواز دخوله وعمل الناس اليوم على دخوله وزيارتهم للقبور الشريفة والوقوف عند الاشارات التي عليها وصلاة الجماعة والجماعات هنالك فانه بني به محراب شريف ووضع الى جانبه منبر وقد مضى على ذلك ازمنة متطاولة والعلماء وأئمة الاسلام مطلعون على ذلك وقد اقره الخلفاء وملوك الاسلام ولم ينكره منكر فصار كالاجماع واذا تقرر هذا ثبت له احكام المساجد من جواز الاعتكاف فيه وتحريم المكث على الحائض والجنب فيه وفعل التحية ولا يقال انه مقبرة فان الانبياء الذين فيه صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أحياء في قبورهم واما النساء فعلى خلاف فيه والله أعلم ﴿ ذكر ذرعه طولا وعرضا ﴾ وهذا المقام الكريم الذي هو داخل السور السليماني

طوله فى سعته قبلة بشمال من صدر المحراب الذى عند المنبر الى صدر
المشهد الذى به ضريح سيدنا يعقوب عليه السلام ثمانون ذراعا بذراع
العمل ينقص يسيرا نحو نصف ذراع او ثلثى ذراع تقريبا وعرضه شرقا
بغرب من السور الذى به باب الدخول الى صدر الرواق الغربى الذى به
شباك يتوصل منه الى ضريح سيدنا يوسف عليه السلام أحد واربعون
ذراعا ويزيد على ذلك يسيرا نحو ثلث ذراع أو نصف ذراع تقريبا بذراع
العمل المذكور وهو الذراع الذى تذرع به الابنية فى عصرنا هذا وسمك
السور ثلاثة أذرع ونصف من كل جانب وعدة مداميكه فى البناء خمسة
عشر مدماكا من اعلى الاماكن وهو الذى عند باب القلعة من جهة
الغرب الى القبلة وارتفاع البناء عن الارض من المكان المذكور ست
وعشرون ذراعا بذراع العمل غير البناء الرومى الذى فوق السليمانى ومن
جملة الاحجار بالبناء السليمانى حجر عند مكان الطبلخانة طوله أحد عشر
ذراعا بالعمل وعرض كل مدماك من البناء السليمانى نحو ذراع وثلثى
ذراع بالعمل وعلى السور المذكور منارتان احداهما من جهة الشرق
مما يلى القبلة والثانية من الغرب مما يلى الشمال وبناؤهما فى غاية اللطف
* واما صفة البناء الموجود بداخل السور على ما هو عليه فى عصرنا وقد
صار مسجدا كما تقدم القول فيه فهو يشتمل على بناء معقود من داخل
السور على نحو النصف من جهة القبلة الى جهة الشمال والبناء من
عهد الروم وهو ثلاثة اكوار الاوسط منها مرتفع عن الكورين
الملاصقين له من جهة المشرق والمغرب والسقف مرتفع على اربعة
اسوار محكمة البناء وبصدر هذا البناء المعقود تحت الكور الاعلى المحراب
والى جانبه المنبر وهو من الخشب فى غاية الاتقان والحسن وهذا المنبر
عمل فى زمن المستنصر بالله ابي تميم معد الفاطمى خليفة مصر بأمر بدر
الجمالى مدبر دولته برسم مشهد عسقلان الذى زعمت الفاطمية ان به
رأس الحسين بن على بن أبي طالب رضى الله عنهما وكان عمل المنبر

فى سنة أربع وثمانين واربعمائة وعليه تاريخ عمله مكتوب بالكوفى والقاهرات الذى نقله ووضعه بمسجد الخليل عليه السلام الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب رحمه الله لما هدم عسقلان وهذا المنبر موجود الى عصرنا هذا ويقابل ذلك دكة المؤذنين على عمد من رخام فى غاية الحسن والرخام مستدير على حيطان المسجد من الجهات الاربع وهو من عمارة تنكز نائب الشأم فى سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة والقبور الشريفة بداخل السور منها تحت البناء المذكور قبر سيدنا اسحاق عليه السلام الى جانب السارية التى عند المنبر ويقابله قبر زوجته ربقه الى جانب السارية الشرقية وهذا البناء له ثلاثة أبواب تنتهى الى صحن المسجد أحدهما وهو الاوسط ينتهى الى الحضرة الشريفة الخليلية وهو مكان معقود والرخام مستدير على حيطانه الاربعة وبه الى جهة الغرب الحجرة الشريفة التى بداخلها القبر المنسوب لسيدنا ابراهيم الخليل ويقابله من جهة الشرق قبر زوجته سارة والباب الثانى من جهة الشرق عند باب السور السليمانى خلف قبر سارة والباب الثالث من جهة الغرب خلف قبر ابراهيم عليه السلام والى جانبه محراب المالكية وينتهى هذا الباب الى الرواق وفتح هذا الباب وعمر محراب المالكية الامير شهاب الدين اليغمورى ناظر الحرمين الشريفين ونائب السلطنة فى دولة الملك الظاهر برقوق وفتح الشباك بالسور السليمانى المتوصل منه الى مقام السيد يوسف الصديق وعمر الاروقة مكان القلال التى كانت هناك ورتب قراءة سبع وشيخا القراءة البخارى ومسلم فى الاشهر الثلاثة وذلك فى شهر رمضان سنة ست وتسعين وسبعمائة وبآخر الساحة التى بداخل السور السليمانى من جهة الشمال الضريح المنسوب لسيدنا يعقوب وهو من جهة الغرب بحذاء قبر ابراهيم الخليل عليه السلام ويقابله من جهة الشرق قبر زوجته ليقا وصحن المسجد المكشوف تحت السماء بين مقام الخليل ومقام يعقوب عليهما السلام والقباب المبنية على الاضرحة

المنسوبة للخليل وزوجته سارة ويعقوب وزوجته ليقا أخبرت انهما من
بناء بني أمية وجميع الارض التي بداخل السور مما هو تحت السقف
وبالساحة السماوية مفروشة بالبلاط السليماني الذي رؤيته من العجائب
لكبره وهيئته وبجوار قبر الخليل عليه السلام من داخل البناء المعقود
سفل الارض مغارة * تعرف بالسرداب بداخلها باب لطيف ينتهي الى
المنبر وقد نزل اليه بعض الخدام من مدة قريبة نحو السنة لسبب أوجب
ذلك وهو أن شخصا معتوها من الفقراء سقط فيه فنزل اليه جماعة من
الخدام ودخلوا من هذا الباب فانتهى بهم الحال الى المنبر تحت القبة التي
على عمد الرخام بجوار بيت الخطابة وأخبرني الذي نزل أنه عاين سلما من
حجر عدته خمسة عشر درجة مبني عند آخر هذا المغار من جهة القبلة وقد
سد بالبناء من آخره فالظاهر أن هذا الباب كان عند المنبر منه يتوصل
الى السرداب وبظاهر السور السليماني من جهة الشرق مسجد في غاية
الحسن وبين السور السليماني وهذا المسجد الدهليز وهو معقود مستطيل
عليه الابهة والوقار والذي عمر هذا الدهليز والمسجد الامير أبو سعيد سنجر
الجاولي ناظر الحرمين الشريفين ونائب السلطنة فعرف هذا المسجد
بالجاولية وهو من العجائب قطع في جبل ويقال انه كان مقبرة يهود على
هذا الجبل فقطعه الجاولي وجوفه وبنى السقف عليه والقبة وهو مرتفع
على اثني عشر سارية قائمة في وسطه وفرش ارض المسجد وحيطانه
وسواريه بالرخام * وعمل شبابيك حديد على آخره من جهة الغرب وهذا
المسجد طوله من القبلة بشام ثلاثة وار بعون ذراعا وعرضه شرقا بغرب
خمسة وعشرون ذراعا بذراع العمل وكان الابتداء في عمارة هذا المسجد في
ربيع الآخر سنة ثماني عشرة وانتهت العمارة في ربيع الآخر سنة عشرين
وسبعمائة في دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون ومكتوب في حائطه ان
سنجر عمر ذلك من خالص ماله ولم ينفق عليه شيئا من مال الحرمين
الشريفين وبجوار المسجد الجاولي من جهة القبلة المطبخ الذي يعمل فيه

الدشيشة

الدشيشة للمجاورين والواردين وعلى باب المطبخ تدق الطبلخانة في كل يوم
بعد صلاة العصر عند تفرقة السماط الكريم* وهذا السماط من عجائب
الدنيا يأكل منه أهل البلد والواردون وهو خبز يعمل في كل يوم ويفرق
في ثلاثة أوقات بكرة النهار وبعد الظهر لاهل المدينة وبعد العصر تفرقة
عامة لاهل البلد والواردين ومقدار ما يعمل فيه من الخبز كل يوم أربعة عشر
ألف رغيف ويبلغ الى خمسة عشر الف رغيف في بعض الاوقات اذا كان
عندهم زائر* واما سعة وقفه فلا تكاد تنضبط واما سماطه الكريم فانه
لا يمنع منه أحد لا من الاغنياء ولا من الفقراء واما السبب في دق
الطبلخانة كل يوم عند تفرقة السماط بعد العصر فيقال ان الاصل في ذلك
ان سيدنا ابراهيم عليه السلام لما كانت تأتيه الضيوف ويصنع لهم
ما يأكلون ويكونون جماعة متفرقين في المنازل التي أنزلهم فيها فاذا
قصد اطعامهم دق لهم الطبل ليعلموا انه هيأ لهم الطعام فاذا سمعوا بادروا
واجتمعوا الاكل سماطه فصارت سنة بعده تعمل في كل يوم عند تفرقة
السماط بحضرته الشريفة وعلى باب المسجد الذي تدق عنده الطبلخانة
المكان الذي يصنع فيه خبز السماط من الافران والطواحين وهو مكان
متسع يشتمل على ثلاثة أفران وستة احجار للطحن وعلو هذا المكان
الحواصل التي يوضع فيها القمح والشعير ورؤية هذا المكان علوا وسفلا
من العجائب فانه يدخل اليه بالقمح فلا يخرج منه الا وقد صار خبزا *
واما الاهتمام بعمل السماط من كثرة الرجال في تعاطي أسبابه من طحن
القمح وعجنه وخبزه وتجهيز آلاته من الحطب وغيره والاعتناء بأمره
فذلك من العجائب لا يكاد يوجد مثل ذلك عند ملوك الارض ولا يستكثر
مثل ذلك في معجزات هذا النبي الكريم عليه الصلاة والسلام

ذكر اسحاق عليه السلام

هو اسحاق بن خليل الرحمن النبي بن النبي بن النبيين صلوات الله
وسلامه عليهم أجمعين وأمه سارة حملت به في الليلة التي خسف الله تعالى

بقوم لوط وولدته ولها من العمر تسعون سنة ومن ولده الروم واليونان والارمن ومن يجري مجراهم وبنو اسرائيل وكان ابراهيم عليه السلام يضيف من نزل به وقد أوسع الله تعالى عليه وبسط له من الرزق والمال والخدم * ولما أراد الله تعالى هلاك قوم لوط أمر رسله من الملائكة ان ينزلوا بابراهيم ويبشروه هو وسارة باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب فلما نزلوا على ابراهيم عليه السلام كان الضيف قد حبس عنه خمسة عشر يوما حتى شق ذلك عليه وكان لا يأكل الامع الضيف ما امكنه فلما رآهم على صورة الرجال سر بهم ورأى اضيافا لم يضفه مثلهم حسنا وجمالا فقال لا يخدم هؤلاء القوم الاأنا فخرج الى أهله فجاء بعجل سمين حنيذ وهو المشوى بالحجارة فلما رأى ايديهم لا تصل اليه أى العجل نكرهم وأوجس منهم خيفة وذلك انهم كانوا اذا نزل بهم ضيف ولم يأكل من طعامهم ظنوا انه لم يأتهم بخير وانما جاءهم بشر قالوا لا تخف يا ابراهيم انا ملائكة الله تعالى أرسلنا الى قوم لوط وكانت امرأته سارة قائمة من وراء الستر تسمع كلامهم وابراهيم جالس معهم فضحكت لزوال الخوف عنهما حين قالوا لابراهيم لا تخف وقيل ضحكت بالبشارة * وقال ابن عباس ووهب ضحكت تعجبا من ان يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها وعلى هذا القول تكون الآية على التقديم والتأخير تقديره وامرأته قائمة فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب فضحكت وقالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا وكان سن ابراهيم عليه السلام مائة وعشرين سنة فى قول ابن اسحاق ان هذا الشئ عجيب قالوا يعنى الملائكة اتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد * وسنذكر ما تكلم به ابراهيم عليه السلام مع الملائكة فى أمر قوم لوط عند ذكره عليه السلام ثم ان اسحاق تزوج بنت عمه ربقة بنت تنويل وكان اسحاق ضريرا وولدت له العيص ويعقوب ولم يمت ابراهيم عليه السلام حتى بعث الله اسحاق عليه السلام الى

ارض

أرض الشأم وبعث يعقوب الى أرض كنعان واسماعيل الى جرهم ولوطا الى سدوم فكانوا كلهم أنبياء على عهد ابراهيم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وعاش اسحاق مائة وثمانين سنة ومات بالارض المقدسة ودفن عند أبيه ابراهيم الخليل عليهما السلام

ذكر سيدنا يعقوب عليه السلام

هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم النبي ابن النبي ابن أبي الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين وهو الذي يسمى اسرائيل قيل معناه صفوة الله وهو أخو العيص وسمي يعقوب لأنه كان هو والعيص توأمين فخرج من بطن أمه آخذا بعقب أخيه العيص قيل وفيه نظر لان هذا الاشتقاق عربي ويعقوب اسم أعجمي وكان مولده بعد مضي ستين سنة من عمر أبيه اسحاق ورزق يعقوب من زوجته ليا روبيل وهو اكبر أولاده ثم شمعون ولاوى ويهوذا ثم تزوج اختها راحيل فرزق منها يوسف عليه السلام وبنيامين وولد له من سريتين ستة أولاد فكان بنو يعقوب اثنى عشر رجلا وهم الاسباط الاثنا عشر وهم روبيل وشمعون ولاوى ويهوذا ويساخر وزبلون ويوسف وبنيامين ودان ونفتالى وكاد واشر وسموا الاسباط لانه ولد لكل منهم جماعة وعاش لاوى بن يعقوب مائة وسبعا وثلاثين سنة وولد له فاهت وعاش مائة وسبعا وعشرين سنة ثم ولد لفاهت عمران وعاش مائة وستا وثلاثين سنة ثم ولد لعمران موسى عليه السلام وسيأتى ذكره ان شاء الله تعالى *وعاش يعقوب مائة وسبعا وأربعين سنة ومات بمصر وأوصى ان يحمل الى الارض المقدسة ويدفن عند أبيه وجده فحمله ابنه يوسف ودفنه عندهما *وسنذكر ذلك في قصة ولده يوسف ان شاء الله تعالى وتقدم ذكر الخلاف فى ان يعقوب اول من بنى مسجد بيت المقدس وأرى موضعه بوحى من الله تعالى وتقدم لفظ الاثر الوارد فى ذلك ونقل بلفظ آخر غير المتقدم وهو أن والده اسحاق أوصى اليه ان لا ينكح امرأة من الكنعانيين وان ينكح من بنات خاله

وكان مسكن يعقوب القدس فتوجه الى خاله فأدركه الليل فى الطريق فبات متوسدا حجرا فرأى فيما يرى النائم ان سلما منصوبا الى باب من ابواب السماء عند رأسه والملائكة تنزل عليه وتعرج منه * فأوحى الله تعالى اليه انى الملك واله آبائك ابراهيم واسحاق وقد ورثتك هذه الارض المقدسة لك ولذريتك من بعدك وباركت فيك وفيهم وجعلت لكم الكتاب والحكم والنبوة ثم أنا معك احفظك حتى أردك الى هذا المكان فاجعله بيتا تعبدنى فيه أنت وذريتك * وقد حكى الحافظ أبو محمد هذا الأثر والاثر المقدم قبله وليس فى احدهما ماينافى الآخر سوى اختلاف فى بعض اللفظ

ذكر يوسف عليه السلام

هو يوسف الصديق بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم فهو نبى الله بن نبى الله ابن نبى الله بن نبى الله وخليله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولد يوسف عليه السلام لما كان ليعقوب من العمر أحدى وتسعون سنة ولما صار ليوسف ثمانية عشر سنة كان فراقه ليعقوب وبقيا متفرقين احدى وعشرين سنة ثم اجتمع يعقوب بيوسف فى مصر وليعقوب من العمر مائة وثلاثون سنة وبقيا مجتمعين سبعة عشر سنة وقيل غير ذلك وسبب فراق يوسف عن أبيه حسد اخوته فألقوه فى الجب كما أخبر الله تعالى فى كتابه العزيز واختلف فى الجب فقال قتادة هو فى بيت المقدس وقال وهب فى أرض الاردن وقال مقاتل هو على ثلاثة فراسخ من منزل أبيه يعقوب وكان بالجب ماء وبه صخرة فأوى اليها وأقام بالجب ثلاثة أيام فمرت به السيارة فاخرجوه وأخذوه فجاء اخوه يهوذا بطعام الى الجب ليوسف فلم يجده فى الجب ورآه عند تلك السيارة فأخبرهم وذا بقية اخوته بذلك فأتوا الى السيارة وقالوا هذا عبدنا أبق منا فاشتروه من اخوته بثمن بخس قيل عشرون درهما وقيل أربعون درهما ثم ذهبوا به الى مصر فباعوه لاستاذهم الذى على خزائن مصر واسمه العزيز وكان فرعون مصر حين

ذلك

ذلك الريان بن الوليد رجلا من العماليق والعماليق هم ولد عملاق بن سام
ابن نوح فهويته امرأته راعيل وراودته عن نفسها فابى وهرب فلحقته من
خلفه وامسكته بقميصه فانقد ووصل أمرهما الى زوجها العزيز وابن عمها
بتحقيق وبيان وظهر لهما براءة يوسف ثم بعد ذلك مازالت تشكو الى
زوجها وتقول له انه يقول للناس انى راودته عن نفسه وفضحنى فحبسه
زوجها سبع سنين ثم اخرجه فرعون مصر بسبب تعبير الرؤيا التى رآها
ثم لما مات العزيز جعل فرعون مصر موضعه يوسف على خزائنه وجعل
القضاء اليه ثم دعا يوسف الريان فرعون مصر الى الايمان فآمن به وبقى
كذلك الى أن مات الريان فرعون مصر وملكها وملك مصر بعده
قابوس بن مصعب من العمالقة أيضا ولم يؤمن وكان يوسف اذا سار فى
ازقة مصر يتلألأ نوره على الجدران وكان من صفته عليه السلام انه ابيض
اللون حسن الوجه جعد الشعر ضخم العينين مستوى الخلق غليظ
الساعدين والعضدين والساقين اقنى الانف صغير السرة بخده الايمن
خال اسود وكان ذلك الخال يزين وجهه وبين عينيه شامة تزيده حسنا
وجمالا كأنه القمر ليلة البدر وكان اذا تبسم رأيت النور من ضواحكه
واذا تكلم رأيت شعاع النور يشور من بين ثناياه صلى الله عليه وسلم
ووصل الى يوسف أبوه يعقوب واخوته جميعهم من كنعان وهى ارض
الشام وقد ذكر الله تعالى قصته فى القرآن مبسوطة مفصلة ومات يعقوب
وأوصى ولده يوسف ان يدفنه عند أبيه اسحاق فسار به الى حبرون
ودفنه عند أبيه وقبره بحذاء قبر جده الخليل عليه السلام من جهة
الشمال وهو مشهور وكان عمر يوسف لما توفى والده يعقوب ستا وخمسين
سنة ولما دفنه عاد الى مصر وعاش يوسف مائة وعشرين سنة وبينه وبين
سيدنا موسى عليه السلام اربعمائة سنة ونزل عليه جبريل اربع مرات
وتوفى بمصر ودفن بها حتى كان زمن موسى عليه السلام وفرعون *
فلما سار موسى من مصر ببنى اسرائيل الى التيه نبش على يوسف وحمله معه

فى التيه حتى مات موسى فلما قدم يوشع بن نون بنى اسرائيل الى الشأم
دفنه بالقرب من نابلس وقيل عند الخليل وهو المشهور عند الناس
فان قبره عند الخليل ظاهر مشهور وقد استفاض عند الناس فلم ينكر*
وروى ان الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام ان احمل يوسف الى
بيت المقدس عند آبائه فلم يدر أين هو فسأل بنى اسرائيل فلم يعرف أحد
منهم أين قبره فقال له شيخ عمره ثلثمائة سنة يا نبى الله ما يعرف قبر يوسف
الا والدتى فقال له موسى عليه السلام قم معى الى امك فقام معه الى منزله
فدخلا المنزل وأتاه بقفة وفيها والدته فقال لها موسى عليه السلام
ألك علم بقبر يوسف قالت نعم قال فدلينى عليه قالت أدلك على قبره بشرط
ان تدعو الله ان يرد علىّ شبابى الى سبعة عشر سنة وان يزيد لى فى عمرى
مثل ما مضى قال فدعا فقال لها موسى عليه السلام كم عشت
فقالت تسعمائة سنة فعاشت ألفا وثمانمائة سنة وأرت موسى عليه
السلام قبر يوسف عليه السلام وكان فى وسط نيل مصر فى صندوق من
رخام وذلك انه لما مات تشاجر عليه الناس وكل اراد ان يدفن فى محلته لما
يرجو من بركته عليه السلام فاختلف رأيهم فى ذلك حتى ارادوا ان
يقتتلوا فرأوا ان يدفن فى النيل ليمر عليه الماء فتصل بركته الى جميع مصر
وما حولها فيكونون كلهم فى بركته مشتركين ففعلوا ذلك ولما علم موسى
مكانه اخرجه وهو فى التابوت وحمله على عجل من حديد الى بيت المقدس
وقبره فى البقيع خلف الحير السليمانى حذاء قبر يعقوب وجوار جديه
ابراهيم واسحاق عليهما السلام وعن ابراهيم بن احمد الخلنجى انه لما سألته
جارية المقتدر وكانت تعرف بالعجوز وكانت مقيمة ببيت المقدس
الخروج الى الموضع الذى روى ان قبر يوسف فيه واظهاره والبناء عليه
قال فخرجت والعمال معى فكشف البقيع الذى روى انه فيه خارج الحير
حذاء قبر أبيه يعقوب عليهما السلام* قال فاشترى البقيع من صاحبه
واخذ فى كشفه فخرج فى الموضع الذى روى انه فيه حجر عظيم فأمر بكسره

فكسر

فكسر منه قطعة قال وكنت معهم فى الحفر فلما شالوا القطعة من الحجر
واذا هو يوسف عليه السلام على الصفة بحسنه وجماله وصارت روائح
الموضع مسكا ثم جاء ريح عظيم فاطبق العمال الحجر على ما كان سابقا ثم بنى
عليه القبة التى هى عليه الآن على صحة من رؤيته صلى الله عليه وسلم
وهو خارج السور السليمانى من جهة الغرب بداخل مدرسة منسوبة
للسلطان الملك الناصر حسن وتسمى الآن بالقلعة ويدخل اليه من عند
باب المسجد الذى عند السوق تجاه عين الطواشى وهو موضع مأنوس
وفيه الضريح ثم ان بعض النظار على وقف سيدنا الخليل عليه الصلاة
والسلام وهو شهاب الدين احمد اليغمورى فتح بابا فى السور السليمانى
من جهة الغرب بحذاء القبر المنسوب لسيدنا يوسف الصديق عليه
السلام وجعل فوق القبر السفلى اشارة تدل عليه كبقية الاضرحة
الكائنة بمسجد سيدنا الخليل عليه السلام وذلك فى سلطنة السلطان
الملك الظاهر برقوق * وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف
ابن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم ولو لبثت فى السجن ما لبث يوسف ثم
جاءنى الداعى لاجبته * وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكرم
الناس قال أتقاهم لله فقالوا ليس عن هذا نسألك قال فأكرم الناس
يوسف الصديق نبى الله ابن نبى الله ابن نبى الله ابن خليل الله فهؤلاء الانبياء
الاربعة وهم ابراهيم الخليل وولده اسحاق وولده يعقوب وولده يوسف
قبورهم فى محل واحد وعليهم من الوقار والجلال ما لا يكاد يوصف
صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

﴿ذكر لوط عليه السلام﴾

هو لوط بن أخى ابراهيم الخليل عليهما السلام واسم أبيه هاران بن آزر قال
الثعلبى وانما سمى لوطا لان حبه ليط بقلب ابراهيم عليه السلام أى تعلق
ولصق وكان ابراهيم يحبه حبا شديدا وكان ممن آمن بعمه ابراهيم وهاجر

معه الى مصر حين هاجر من نمروذ وعاد معه الى الشأم فأرسله الله تعالى الى
أهل سدوم وكانوا أهل كفر وفاحشة ودام لوط يدعوهم الى الله تعالى
وينهاهم فلم يلتفتوا اليه وكانوا على ما أخبر الله عنهم فى قوله تعالى أتأتون
الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون
السبيل وتأتون فى ناديكم المنكر وكانوا يقطعون الطريق واذا مر بهم
أحد من المسافرين أمسكوه وفعلوا به اللواط وهو ينهاهم فلم ينتهوا
ولم يزدهم وعظه الا تمادياً وضلالا فسأل الله تعالى النصرة عليهم فأرسل
الله الملائكة لقلب سدوم وقراها المؤتفكات وهى خمس مدائن وكان
الملائكة قد أعلموا ابراهيم الخليل بما أمرهم الله تعالى به من الخسف
بقوم لوط حين قدموا عليه وبشروه باسحاق كما تقدم فسأل ابراهيم
جبريل فيهم وقال له أرأيت ان كان فيهم خمسون رجلا من المسلمين فقال
جبريل ان كان فيهم خمسون من المسلمين لا يعذبهم الله فقال ابراهيم
وأربعون قال جبريل وأربعون قال ابراهيم وثلاثون قال جبريل وثلاثون
قال ابراهيم ولم أزل كذلك حتى قال لى جبريل وعشرة قال ابراهيم فقلت ان
هناك لوطا فقال جبريل والملائكة نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا
امرأته كانت من الغابرين قال ولما وصلت الملائكة الى لوط هم قومه
ان يلوطوا بهم لان الملائكة جاؤا اليه على صورة غلمان حسان الوجوه
فقال لهم لوط يا قوم هؤلاء بناتى هن اطهر لكم يعنى بالتزويج فاتقوا الله
ولا تخزونى فى ضيفى أليس منكم رجل رشيد فلم يرضوا بقوله وقالوا لقد
علمت ما لنا فى بناتك من حق أى من حاجة وشهوة وانك لتعلم ما نريد
من اتيان الرجال فعالجهم وناشدهم وهم على العناد والغى فاعماهم جبريل
بجناحه وقالت الملائكة للوط نحن رسل ربك فأسر بأهلك بقطع من
الليل ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك انه مصيبها ما أصابهم * قال
ولما خرج لوط بأهله قال للملائكة أهلكوهم الساعة فقالوا لم نؤمر
الا بالصبح أليس الصبح بقريب فلما كان الصبح قلبت الملائكة سدوم

وقراها

وقراها الخمس بمن فيها وكان فيها أربعمائة ألف * وقيل أربعة آلاف ألف فرفعوا المدائن كلها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب فلم يكفأ لهم اناء ولم يتنبه نائم ثم قلبوها فجعلوا عاليها سافلها فسمعت امرأة لوط الهدة فقالت واقوماه فأدركها حجر فقتلها وامطر الله الحجارة على من لم يكن بالقرى فأهلكهم * واما قبر لوط عليه السلام فهو في قرية تسمى كفر بريك تبعد عن مسجد الخليل عليه السلام نحوا من فرسخ ونقل ان في المغارة الغربية تحت المسجد العتيق ستين نبيا منهم عشرون مرسلا فصار هذا المكان مشهورا يقصد للزيارة وعلى فرسخ من حبرون جبل صغير مشرف على بحيرة زغر وموضع قرى لوط وثم مسجد بناه أبو بكر محمد بن اسماعيل الصباحي فيه مرقد ابراهيم عليه السلام قد غاص في الصخر نحوا من ذراع يقال ان ابراهيم لما رأى قرى لوط وهي طائرة في الهواء وقف وقيل رقد ثم قال أشهد أن لا اله الا الله وان هذا هو الحق اليقين ولذلك سمي ذلك المسجد مسجد اليقين وكان بناء ذلك المسجد في شهر شعبان سنة اثنين وخمسين وثلاثمائة وبظاهر المسجد مغارة بها قبر فاطمة بنت الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين وعند قبرها رخامة مكتوب عليها بالكوفي

أسكنت من كان في الاحشاء مسكنه * بالرغم مني بين الترب والحجر
أفديك فاطمة بنت ابن فاطمة * بنت الائمة بنت الانجم الزهر

ذكر ايوب عليه السلام

هو رجل من أمة الروم لانه من ولد العيص وهو ايوب بن موص بن وادح ابن العيص بن اسحاق بن ابراهيم الخليل عليه السلام وكان له زوجة يقال لها رحمة وكان صاحب اموال عظيمة وكانت له الثنية جميعها من اعمال دمشق ملكا فابتلاه الله تعالى بان أذهب امواله فصار فقيرا ثم ابتلاه في جسده حتى تجرد ماود وداو بقي مرميا على مزبلة لا يطيق أحد ان يشم رائحته وزوجته صابرة تخدمه فتراآى لها ابليس اللعين وقال لها اسجدي لي

وأنا اردلكما مالكما فاستأذنت ايوب فغضب وحلف ليضربنها مائة سوط ثم عافاه الله ورزقه ورد على امرأته حسنها وجمالها وشبابها وولدت له ستا وعشرين ولدا بعد أن عافاه الله تعالى مما ابتلاه به فلما عوفى أمره الله تعالى ان يأخذ عرجونا من النخل فيه مائة شمراخ فيضرب به زوجته رحمه كى يبر فى يمينه ففعل وكان ايوب نبيا فى زمن يعقوب وعاش ثلاثا وتسعين سنة ومن أولاد ايوب ابنه بشر وبعث الله بشرا بعد ايوب وسماه ذا الكفل وكان مقامه بالشأم وقبره فى قرية كفل حارس من اعمال نابلس .

ذكر شعيب عليه السلام

وهو نبى بعثه الله الى أصحاب الايكة وأهل مدين وقد اختلف فى نسب شعيب فقيل انه من أولاد ابراهيم وقيل من ولد بعض الذين آمنوا بابراهيم وكانت الايكة من شجر ملتف فلم يؤمنوا به فأهلك الله أصحاب الايكة بسحابة امطرت عليهم نارا يوم الظلة وذلك انهم رأوا حرا شديدا فدخلوا الاسراب فوجدوها اشد حرا فخرجوا منها فرأوا سحابة فاستظلوا بها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا وأهلك الله أهل مدين بالزلزلة وجاء فى الخبر ان شعيبا كان خطيب الانبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام وكان ضرير البصر وقبر شعيب بقرية يقال لها حطين من أعمال مدينة صفد وهو بعيد عن بيت المقدس نحو ثلاثة أيام

ذكر سيدنا موسى الكليم عليه أفضل الصلاة والتسليم وأخيه هارون عليه السلام أقول وبالله التوفيق

موسى نبى الله وكليمه وهو ابن عمران بن فاهت بن لاوى بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل سلام الله عليهم ولد لمضى ألف وخمسمائة وست وستين من الطوفان واسم امه يوحانذ بنت لاوى بن يعقوب وكان فرعون مصر الوليد بن مصعب وكان قد تزوج آسيه بنت مزاحم *وقد روى أن الله تعالى لما خلق الحور العين فى نهاية الحسن والجمال قالت الملائكة

الهنا ومولانا وسيدنا هل خلقت خلقا أحسن منهن فجاءهم النداء من العلى الاعلى انى خلقت سيدات نساء العالمين وفضلتهن على الحور العين كفضل الشمس على الكواكب وهن آسية بنت مزاحم ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وصفت آسية لفرعون أحب ان يتزوج بها فتزوجها على كره منها ومن أبيها لكنه بذل لهم أموالا جزيلة وزفت اليه ودخل عليها فلما هم بها أخذه الله عنها فلم يقدر عليها وكان ذلك حاله معها وكان قد رضى منها بالنظر اليها فبينما هو معها فى قبتها اذ سمع هاتفا يقول ويلك يا فرعون لقد قرب زوالك وزوال ملكك على يد نبى من بنى اسرائيل فقال فرعون لآسية سمعت هذا قالت له سمعت لكن هذا من عمل النساء ثم ان فرعون رأى عدة منامات ازعجته فاستدعى بالمعبرين وقص عليهم ما رآه فقال أحدهم هذه الرؤيا تدل على مولود يولد من بنى اسرائيل يسلبك ملكك ويزعم أنه رسول اله السماء والارض يأتى اليك ويكون هلاكك وهلاك قومك على يديه فلما سمع فرعون ذلك لحقه غم شديد فجمع وزراء مملكته واستشارهم فى ذلك فأشاروا عليه ان يوكل على النساء الحبالى من يحملهن الى داره حتى تكون ولادتهن عنده فان كان المولود ذكرا قتله وان كان انثى تركها ففعل ذلك ولم يزل حتى قتل اثنى عشر ألف مولود وكان يعذب النساء الحبالى حتى يسقطن حملهن فضجت الملائكة من ذلك الى ربهم فأوحى الله اليهم ان اسكنوا فان له اجلا ممدودا الى وقت محدود ثم بشرهم الله تعالى بمولود هو موسى عليه السلام وحملت أمه به وكان فرعون قد منع وزراءه وكبراء مملكته من الاجتماع بأهلهم لانه كان قد بلغه ان ذلك المولود يكون من اقرب الناس اليه وكان عمران من أقرب الناس اليه فكان شأنه أنه لا يفارقه فبينما عمران قاعد عند رأس فرعون اذ نظر الى امرأته وقد حملت اليه على جناح ملك فلما نظر اليها فزع فزعا شديدا وقام على قدميه وقال لها ما الذى جاء بك

فى مثل هذا الوقت فقال له الملك ان الله يأمرك ان تواقع زوجتك على
فراش فرعون ليكون ذلك هوانا له ثم جذب الملك فراش فرعون من تحته
وألقاه لعمران وتوارى الملك فواقعها فحملت بموسى عليه السلام ثم
احتملها الملك الى دارها هذا وكان على باب فرعون ألف من الحراس
والاعوان فلما أصبح دخل عليه المنجمون والكهنة وقالوا لفرعون ان
المولود الذى كنا نحذرك منه قد حملت به امه فى هذه الليلة وقد ظهر نجمه
وعلا شعاعه قال فاشتد فزع فرعون و زاد اختباطه * ولما مضت مدة
الحمل اخذ أمه الطلق فى نصف الليل ولم يكن عندها احد الا اختها فلما
وضعته نظرت الى نوره وهو يتلألأ ففرحت به الا انها مكروبة لخوفها
عليه من فرعون واعوانه فسألت الله تعالى ان يحفظه عليها وان يرزقها
الصبر فاستجمت دعاءها ونظرت الى موسى فاذا هو قد استوى قاعدا
وقال لها يا أمى لاتخافى ولا تحزنى ان الله معنا وسمع فرعون فى تلك الليلة
هاتفا فى قصره وهو يقول ولد موسى وهلك فرعون فصار كل صنم فى تلك
الليلة منكسا فاصبح فرعون ممتلئا غيظا وشدد فى طلب المولودين تلك
الليلة وكانت أم موسى اذا خرجت فى حاجة تعمد الى موسى وتضعه فى مهده
وتضعه فى التنور وتغطيه فاتفق أنها خرجت يوما من الايام وكانت اختها
قد عجنت عجينا وارادت ان تخبز فأمرت بسجر التنور فسجروه ولم تعلم ان
فيه موسى وكان موسى فى التنور وقد وقع فى قلب هامان أن المولود فى
بيت عمران فكبس داره وقال ههنا مولود فقالت اختها كيف يكون
ههنا مولود وعمران محبوس عندكم فجعل هامان يفتش حتى جاء الى
التنور فوجده يسجر نارا فانصرف وقال لا يكون مولود فى النار ثم رجعت
أم موسى واذا بالاعوان والحراس قد خرجوا من دارها فلما رأتهم وقد
خرجوا من دارها كادت روحها ان تزهق من الهم والغم فدخلت منزلها
وقالت هل نظر هامان الى ولدى فى التنور قالوا لا ثم اسرعت أم موسى
نحو التنور فاذا هو مسجور بالنار والنار تعلو منه فلطمت على وجهها

وقالت ما نفعني الحذر قد احرقتم ولدى فناداها موسى لا تخافى على يا اماه فان الله تعالى قد منعني من النار وان النار لا تحرقنى فمدى يدك الى فان النار لا تصل الينا ولا تحرقنا فأدخلت يدها فى التنور واخرجته ولم تمسها النار ﴿ قصة التابوت ﴾ فلما كان بعد أربعين يوما صنعت له تابوتا وكان عمران توفى قبل أن يتم لموسى أربعون يوما فعمدت الى ذلك التابوت وفرشته وأرضعت موسى وكحلته ودهنته وألقته فى التابوت واغلقت عليه بابه وهى تبكى ثم احتملت التابوت فى نصف الليل ومعها اختها وجاءت الى شاطئ النيل فألقته فى اليم وبكت فسمعت النداء من العلا انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين وبقى التابوت فى النيل أربعين يوما وقيل ثلاثة أيام وقيل ليلة واحدة وصعد فرعون الى صرح له فجلس وهو مشرف على النيل فالقت الريح التابوت تحت قصره وكان له سبع بنات ليس منهن واحدة الا وبها سائر الامراض وكان فى داره حوض يركد فيه الماء من النيل وهو حوض عظيم وكن البنات يغتسلن فيه فلم تزل الريح بأمر الله تعالى تسوق التابوت الى ان دخل فى ذلك الحوض وركد فيه فبادرت البنت الكبيرة وأخذت التابوت وفتحته واذا فيه موسى عليه السلام وله شعاع ونور كشعاع الشمس فاخرجته فلما لمسته ذهب ما كان بها من البلاء فتناولته الثانية ولمسته فعوفيت ولم يزلن يتناولنه حتى عوفيت السبع بنات مما كن فيه من الامراض وصرن صحاحا من بلائهن ببركته فأخذنه ودخلن به الى آسية وذكرن لها القصة فلما رأتهن قد عوفين أحبته ونظرت اليه وقبلته وحملته الى فرعون فلما رآه فرعون فزع منه فقالت له أيها الملك لا تخف وذكرت له حديث التابوت وكيف عوفيت البنات ببركته فقال يا آسية انى اخاف أن يكون هذا عدوى وأنا لا بدلى من قتله فقالت له قرة عين لى ولك لا تقتله عسى ان ينفعنا أو نتخذه ولدا وقالت له أيها الملك انه فى قبضتك وانك من قتله متمكن فى أى وقت شئت وأنت ليس لك ولد فكرفأطعم الناس لاجله

ولم تزل به حتى فعل ذلك فجاع الطفل فأتى اليه بالمراضع فلم يقبل موسى ثدى واحدة منهن وذلك قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل معناه لا يرضع من غير أمه

﴿ ذكر قصة الرضاع ﴾

ثم بلغ أمه وصول التابوت الى قصر فرعون فقالت لبنتها كلثوم اخرجى فقصى اسره فجاءت قصر فرعون فاذا هو فى حجر آسية فقالت لها هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فلم تعلم آسية انها ابنة عمها لرثاثة ثيابها فقال فرعون من هؤلاء القوم فقالت هم من آل ابراهيم فأمر باتيانهم فحضرت أم موسى فعرفتها آسية انها امرأة عمها عمران فأعطتها الصبى فلما أخذته ضحك ورضع منها فقال لها فرعون انى أرى لك لبنا كثيرا فهل لك ولد فقالت له هل ترك أهلك واعوانك ولدا ولم يقتلوه فقال لها فرعون ويلك من قتل ولدك فقالت الملك اعلم بذلك ولم يعلم فرعون انها امرأة عمران واستمرت عند آسية ترضعه سنة كاملة ثم انصرفت من عندها مسرورة مستبشرة فلما صار لموسى ثلاث سنين دعا به فرعون وأقعده فى حجره وجعل يلاعبه فقبض موسى عليه السلام بيده لحية فرعون ولطمه بالاخرى فقال فرعون فى نفسه لا شك ان هذا الذى يكون عدوى فهم بقتله فاسرعت اليه آسية وقالت له ان الصبيان لهم حركة ولعب من غير معرفة ولا عقل وأنا أريك انه لا يعقل فأمرت باحضار طشت من فضة ووضعت فيه تمرة وجمرة وقدمته لموسى عليه السلام وقالت يا ولدى خذ أيهما شئت فأراد موسى أن يمد يده ويأخذ التمرة فضرب جبريل يده على الجمرة فأخذ موسى بيده الجمرة ورفعها الى فيه فاحترق لسانه فرماها من فيه وبكى بكاء شديدا فقالت له أرأيت لو كان له عقل أكان يؤثر الجمرة على التمرة فسكت فرعون بعد ذلك ثم أظهر الله آياته وبانت معجزات موسى عليه السلام وانبته الله نباتا حسنا وأعطاه حكما وعلما فى دينه ودين آبائه فلما بلغ اشده واستوى قال ابن عباس الاشد

مابين ثمان وعشرين الى ثلاثين سنة واستوى اذ صار ابن أربعين سنة وكان يذكر لبني اسرائيل مافي فرعون وما هو عليه من الضلال وكان موسى يأمر فرعون بالمعروف وينهاه عن المنكر ويعظه وينهاه عن الكفر حتى شاع ذلك في البلد وانه مخالف رأي فرعون

﴿ قصة القبطي ﴾ وقوله تعالى ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه وذلك ان موسى عليه السلام كان يمشي في بعض الايام فوجد اسرائيليا وقبطيا يختصمان فاستغاثه الاسرائيلي فوكز موسى القبطي في صدره فمات فندم موسى بفعله وقال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فذهب بعض القبط الى فرعون وأعلمه بذلك فلم يصدق ثم اصبح موسى وهو خائف أن يؤخذ بدم القتيل فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه على آخر من القبط والقبطي يقول قتل ابن عمي بالامس فقال ياموسى أعني على هذا القبطي فانه يريد أن يحملني الى فرعون فقال له موسى كما اخبر الله تعالى انك لغوي مبين فخزن الفتى وعلم من كلامه ان موسى ندم على ما كان منه بالامس ثم ان موسى لم يجد بدا من نصرته لانه قد استغاث به فدنا موسى من القبطي ونزع الاسرائيلي من يده فظن انه يريد قتله فقال كما أخبر الله تعالى ياموسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وما تريد أن تكون من المصلحين ثم دخل القبطي على فرعون وأخبره أن موسى قتل نفسا بالامس فارسل فرعون في طلبه وأذن لاولياء المقتول ان يقتلوه حيثما وجدوه فسمعه رجل مؤمن من آل فرعون فأقبل على موسى وأخبره وقال كما قال الله تعالى ياموسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين فخرج منها خائفا يترقب

﴿ قصة أرض مدين ﴾ فلم يزل موسى عليه السلام يسير حتى صار في أرض مدين في اليوم السادس أو السابع وبه جهد من الجوع والعطش واذا بجماعة من أهل مدين على بئرهم يسقون اغنامهم فنظر موسى

امرأتين تذودان أي تمنعان أغنامهما عن الماء من بين الرعاة وهم ما بين العشرة الى الاربعين فقال موسى للمرأتين ما خطبكما أي ما قصتكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء أي يصرفوا مواشيهم عن الماء لاننا امرأتان لا نطيق أن نسقي ولا نستطيع أن نزاحم الرجال وأبونا شيخ كبير وهو شعيب نبي القوم وكلهم يحسدونه على ما آتاه الله من الغنم وغيرها فقال لهما موسى وهذا الماء لهم خاصة قالتا لا بل لجميع الخلق وكانوا اذا فرغوا عمدوا الى حجر كبير عظيم يطبقونه على رأس البئر لا يقدر أحد على تنحيته فسكت موسى عليه السلام حتى فرغ الناس من سقي أغنامهم فاجتمعوا وطبقوا الحجر وانصرفوا فقام موسى عليه السلام وقال للمرأتين قربا أغنامكما الى الحوض ثم انه تقدم الى البئر وضرب الصخرة برجله فرماها أربعين ذراعا على ضعفه من الجوع ولما فرغ من سقي اغنامهما تولى الى الظل وهي شجرة كانت هنالك فقال رب اني لما أنزلت الي من خير فقير فانصرف المرأتان الى أبيهما شعيب واخبرتاه بما كان فقال لاحداهما اذهبي فأتيني به فاقبلت الى موسى وأومأت اليه وقالت ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فقام موسى ومرت المرأة بين يديه فكشفت الريح عن ساقها فقال لها موسى تأخري خلفي ودليني على الطريق فتأخرت وكانت تقول عن يمينك عن شمالك خلفك وقدامك حتى وقف على باب شعيب فبادرت المرأة الى أبيها وأخبرته فأذن له بالدخول وشعيب يومئذ شيخ كبير وقد كف بصره فسلم موسى عليه السلام عليه فرد عليه السلام وعانقه ثم أجلسه بين يديه وسأله عن حاله وقصته فاخبره بخبره وقص عليه قصته فقال لا تخف نجوت من القوم الظالمين وأتاه بطعام فقال بسم الله الرحمن الرحيم وأكل ولما فرغ من أكله حمد الله تعالى وأثنى عليه بالجميل فقالت بنت شعيب واسمها صفورا يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين فرغب شعيب فيه لقوته وأمانته فقال اني اريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين

على ان تأجرني ثماني حجج فان أتممت عشرا فمن عندك فرضي موسى وقال ذلك بيني وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ماتقول وكيل فرضي شعيب وجميع المؤمنين من أهل مدين وزوجه ابنته صافورا ودخل موسى البيت وجعل يرعى الغنم فرعى غنم شعيب عشر حجج وهي عشر سنين *(قصة رجوعه من أرض مدين)* ثم قصد موسى السير الى أهله فبكى شعيب وقال يا موسى كيف تخرج عني وقد ضعفت وكبرت فقال موسى قد طالت غيبتي عن امي وخالتي وهارون أخي واختي فانهم في أسر فرعون فقام شعيب وبسط يديه الى ربه وقال يارب ابراهيم الخليل واسماعيل الصفي واسحاق الذبيح ويعقوب الكظيم ويوسف الصديق رد قوتي وبصري فأمن موسى على دعائه فرد الله عليه بصره وقوته ثم أوصاه بابنته وسار موسى وأهله وضرب خيمته على الوادي وأدخل أهله فيها وهطلت السماء بالمطر والثلج وكانت امرأته حاملا فأخذها الطلق فأراد أن يقدح فلم يظهر له نار فاغتم لذلك واذا هو بنار من بعد فقال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون فأتى نحو النار فلما دنا منها رأى نورا ممتدا من السماء الى شجرة عظيمة من العوسج وقيل من العناب فتحير وخاف فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن من الشجرة ان يا موسى اني أنا الله ربك فاخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى ثم قال وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب اخرى قال الله عز وجل القها يا موسى فالقاها فاذا هي حية تسعى فلما رآها ولى مدبرا ولم يعقب فسمع النداء هل يملك احد الموت والحياة غير الله عز وجل فرجع موسى الى موضعه والحية على حالها فقال الله تعالى خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى

فأدخل يده فى كمه ليأخذها فسمع النداء أرأيت لو اذنت لها ان تضربك اكان يغنيك كمك فكشف يده وادخلها فى فيها فاذا هى عصا كما كانت قال الله عز وجل واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء أى من غير برص آية اخرى مع العصا فعند ذلك انس موسى وذهب عنه الخوف قال الله ياموسى انى اخترتك على الناس برسالاتى وبكلامى لأبعثك لعبد من عبيدى كفر بنعمتى وتسمى باسمى واستعبد عبيدى ولولا حلمى وكرمى لأهلكته ولكن هان على وأنا مستغن عنه أمهله لاقيم عليه حجتى فبلغه رسالتى وادعه الى عبادتى فقال موسى رب اشرح لى صدرى ويسر لى امرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى يعنى يعرفوا كلامى واجعل لى وزيرا من أهلى هارون أخى اشدد به ازرى واشركه فى امرى يعنى يكون عونا لى على الرسالة قال الله تعالى قد اوتيت سؤلك ياموسى ثم تذكر ما كان منه من قتل النفس بخافهم فقال رب انى قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون قال كلا فاذهبا بآياتنا انا معكم مستمعون ثم قال اذهبا يعنى هو وهارون الى فرعون انه طغى فى القول والفعل فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى قالا ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا أو ان يطغى فيقتلنا قال لا تخافا اننى معكما أسمع وأرى فأتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بنى اسرائيل وهذه المخاطبة كانت له وحده والرسالة له ولاخيه هارون ومر موسى فى المخاطبة مع ربه عز وجل وزوجته صافورا بنت شعيب قد اشتد بها الطلق فسمع انينها سكان ذلك الوادى فأتوا اليها واوقدوا عندها نارا وجلسوا عندها ثم أقبل موسى الى أهله فسار بهم نحو مصر حتى أتاها ليلا

﴿ قصة دخوله الى مصر ﴾

فأوحى الله تعالى الى أخيه هارون بقدوم موسى الى مصر وهارون كان يومئذ وزيرا من وزراء فرعون لا يفارقه ليلا ولا نهارا وكانت الابواب مغلقة فاحتمله الملك الى قارعة الطريق ثم قال له امض ياهارون واستقبل اخاك فقال له هارون وكيف أسلك الطريق فى هذا الليل وانا لا أعرفه فنزل عليه

جبريل

جبريل وبشره بالرسالة مع أخيه موسى الى فرعون ثم احتمله الملك حتى أتى به الى شاطئ النيل فالتقى بأخيه موسى وتعانقا وبشره بالرسالة ثم أقبلا يريدان أمهما فاجتمعا بها وأخبرها موسى بما كان من أمره ثم حمل جبريل هارون من عند أمه الى منزل فرعون ثم خرج موسى متنكرا ينظر ما أحدثه فرعون بأرض مصر من البنيان ثم قصد الاجتماع بفرعون فصار الى بابه فنهم من يعرفه ومنهم من ينكره ثم علم به فرعون فتغير لونه وارتعدت مفاصله ثم ان هامان أمسكه وحبسه واخبر فرعون بامره وانه حبسه فدعا فرعون بالفراشين وزين قصره وأحضره فلما نظر فرعون الى موسى عرفه ولكنه قال من أنت قال أنا عبد الله ورسوله وكليمه فقال فرعون انك عبدى وابن امتى فقال موسى ان الله عز وجل أعز من أن يكون له ند أو ضد فقال له فرعون يا موسى أنت رسول الىّ وحدى فقال موسى اليك والى جميع أهل مصر فقال فرعون بماذا ارسلت قال أن تقولوا لا اله الا الله وحده لا شريك له وأنّ موسى عبده ورسوله قال له فرعون فأجئتك فان لكل مدع بينة وبرهانا فقال موسى ان أتيتك ببينة واحدة تؤمن بى قال نعم قال موسى يا هارون انزل عن الكرسى فنزل هارون ثم قال يا فرعون انا رسولا ربك اليك فارسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم يعنى بالبناء ونقل الاحجار قد جئناك بآية من ربك قال فتحير فرعون لان هارون كان عنده وهو يظن انه يساعده على أخيه لاختصاصه به وقربه منه ثم قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى وكان هارون كلما تكلم اخوه موسى بشئ صدقه فيه وأعانه عليه فغضب فرعون على هارون فخلع ما كان عليه من اللباس حتى بقى هارون بالسراويل فبادر موسى عليه السلام ونزع مدرعة مما عليه وألبسها لهارون ثم نزل جبريل عليه السلام بقميص من الجنة فافرغه على هارون فتحير فرعون فى أمره ثم أمر هامان بحملهما الى داره ومداراتهما على ان يرجعا الى طاعته فلم يلتفتا الى قوله فجاء هامان وأخبر فرعون

انهما لم يقبلا ذلك ولم يلتفتا الى قوله فاحضرهما فرعون وقال لموسى
الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت
يعني القتل قال فعلتها اذا وأنا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم
فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين يعني اليك يا فرعون ثم قال
له وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل يعني انك جعلت بني
اسرائيل عبيدا لك تذبح ابناءهم وتستحيي نساءهم وكان فرعون متكئا
فاستوى جالسا فقال وما رب العالمين قال موسى رب السموات
والارض وما بينهما ان كنتم موقنين فالتفت فرعون الى من حوله
وقال الا تستمعون يعني الى قول موسى قال موسى ربكم ورب آبائكم
الاولين قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون قال موسى رب
المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون قال فرعون لموسى لئن اتخذت
الها غيري لأجعلنك من المسجونين قال أولو جئتك بشيء مبين يعني بآية
بينة قال فأت به ان كنت من الصادقين *(قصة الحية واليد البيضاء)*
فبينما هما في المجادلة اذا بالعصا قد اضطربت في كف موسى فناداه
جبريل ألقها يا موسى فالقاها فاذا هي حية تسعى اى ثعبان مبين والناس
ينظرون اليه وقام على رجليه حتى أشرف على الحائط وجعل يقلع
الصخور من قصر فرعون ويهدمها وجعلت تتنفس في البيوت والخزائن
واشتعلت نارا وجعلت تهيج كما يهيج الجمل ولها صوت كالرعد القاصف
والناس يهربون منها وآسية تنظر وتتعجب من ذلك فلما نظر فرعون
الى ذلك وثب عن سريره وقد أحدث في ثيابه واخذت الحية ذيل ثيابه
حتى رمى بنفسه خلف السرير وقال يا موسى بحق التربية والرضاع وبحق
آسية قال فلما سمع موسى بذكر آسية صاح بالحية فأقبلت نحوه كالكلب
فادخل يده في فيها وقبض على لسانها فاذا هي عصا كما كانت بقدرة الله
تعالى فلما نظر فرعون الى ذلك قال يا موسى لقد حويت سحرا عظيما هل
عندك غير هذا قال نعم فأدخل يده في جيبه ثم أخرجها وهي بيضاء ولها نور

ثم

ثم ردها الى جيبه واخرجها واذا هى على لونها الاول كما كانت فأقبل فرعون على قومه وقال ان هذا الساحر عليم يريد ان يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون *(قصة السحرة)* ثم أقبل الملأ من قوم فرعون عليه وقالوا أيها الملك ان هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما فأخرجهما وابعث فى المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم فأمر فرعون بذلك وأرسل قصاده الى جميع البلاد فاجتمع اليه سبعون ألف ساحر وهم احذق الخلق ثم بعث الى موسى ودعاه وقال فرعون للسحرة اجتهدوا أن تغلبوا موسى ثم اجتمع الناس فى صعيد واحد لينظروا من يكون الغالب وخرج فرعون بجنده فأقبل موسى وهارون وقد أحدقت بهم الملائكة وكان السحرة قد أخرجوا ثلثمائة وقر من الحبال والعصى وسحروا أعين الناس فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى فامتلأ الوادى من العصى والحبال وجعلت يركض بعضها على بعض فأوجس فى نفسه خيفة موسى فأوحى الله اليه لا تخف انك أنت الاعلى * وألق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى فزال عن موسى الخوف وقال ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين ثم ألقى عصاه فى وسط الوادى وبطل ما أظهروه من السحر واذا هو حبال وعصى فصارت عصا موسى ثعبانا لها سبع رؤس ثم أتت على حبالهم وعصيهم فابتلعتها عن آخرها وجميع ما فى الوادى من زينة فرعون ثم حملت على السحرة فولوا هاربين على وجوههم ثم اجتمعوا فى موضع واحد وقالوا ما هذا سحر انا آمنا بربنا ثم خروا بأجمعهم ساجدين فاغتم فرعون لذلك وقال للسحرة آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر فسوف تعلمون فأمر بقطع أيديهم وارجلهم من خلاف وأمر بصلبهم أجمعين *(قصة الصرح)* ثم أقبل فرعون على هامان وقال له ابن لى صرحا يعنى قصرا مشيدا العلى أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع الى اله موسى وانى لاظنه كاذبا يعنى فى رسالته

فجمع هامان خمسين ألف بناء وصانع واخذ في ذلك ولم يزالوا حتى بنوا الصرح وارتفع في الهواء ارتفاعا لم يبلغه احد من بني آدم قال واشتد ذلك على هارون وموسى لان بني اسرائيل كانوا معذبين في بنائه فلما فرغوا من بنائه وارتفاعه ارتقى فرعون فوقه واخذ سهما ورمى به نحو السماء فرد اليه وهو ملطخ بالدم فقال الكلب قد قتلت اله موسى فأمر الله عز وجل جبريل ان يهدم الصرح فجعل عاليه سافله ومات كل من كان فيه من الفعلة ممن كان على دين فرعون ﴿قصة الآيات التسع﴾ ثم ان الله تعالى حبس عن قوم فرعون المطر فأجدبت الارض عليهم وماتت المواشي وخرب الصرح وجاءهم الطوفان فدام عليهم ثمانية أيام بلياليها وبعث الله عليهم الجراد فأكل جميع ما عندهم ثم بعث الله القمل حتى أكل جميع ما على وجه الارض ووقع في ثيابهم فقرضها وقرض أيديهم ثم أرسل الله عليهم الضفادع فكانت عليهم أشد من الكل لانها كانت تقتحم في طعامهم وفي قدورهم وفي ثيابهم ثم أوحى الله تعالى الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فصار دما عبيطا من وقته فاشتد بهم العطش وكان الفرعوني والاسرائيلي يعمدان الى موضع واحد يستقيان فاذا أخذ الاسرائيلي يكون ماء واذا أخذ الفرعوني يكون دما فدام ذلك عليهم ثمانية أيام حتى أجهدهم العطش وكان بين كل آية أربعون يوما فهذه الآيات التسع ﴿قصة المسخ وقتل آسية﴾ ثم دعا عليهم موسى وأمن على دعائه هارون فمسخ الله سبحانه وتعالى كثيرا منهم حتى أصبح الرجال والنساء والصبيان حجارة ثم ان آسية أظهرت الانكار على فرعون وواجهته بقبيح القول فقتلها لعنة الله عليه ثم بعث الله الظلمة على اهل مصر ثلاثة أيام فلم يعرفوا الليل من النهار ﴿قصة النيل﴾ وانقطع عنهم النيل فضجوا الى فرعون فخرج بهم على ان يجري لهم النيل فلما قرب من النيل أوقفهم وانفرد عنهم بحيث لا يرونه فنزل عن فرسه ومرغ وجهه على الارض ورفع يديه الى السماء وقال الهي وسيدي ومولاي علمت انك اله السماء والارض لا اله فيهما سواك

حملك الذى حملنى أن أسألك ماليس لى بحق وانت المتكفل بالارزاق اللهم انى اسألك ان تجرى لهم هذا النيل قال فأجرى الله لهم النيل فلما رآه القوم ظنوا انه أجرى لهم النيل فسجدوا له وازدادوا كفرا وعصيانا وقالوا قد أتانا بالماء والنيل فى طاعته وعلم الله منه انه لا يزداد الا كفرا لكنه أراد أن يؤكد الحجة عليه وبلغ ذلك موسى وهارون فتعجبا من لطف الله تعالى

﴿قصة غرق فرعون وخروج موسى من مصر﴾ ثم أوحى الله الى موسى ان قد اقترب أجل فرعون وهلاكه واهبط الله تعالى جبريل عليه السلام على صورة رجل حسن الوجه فدخل على فرعون فقال له فرعون من أنت قال أنا عبد من عبيد الملك جئتك مستفتيا على عبد من عبيدى مكنته من نعمتى فاستكبر وبغى وجحد حقى وتسمى باسمى وادعى فى جميع ماانعمت عليه انه له فقال فرعون بئس ذلك العبد بين العبيد فقال جبريل عليه السلام فما جزاؤه قال يغرق فى البحر قال جبريل عليه السلام انى أسألك ان تكتب لى خطا بيدك فكتب له خطا بيده فأخذه جبريل وخرج من عنده حتى صار الى موسى فأخبره بذلك وقال له ان الله يأمرك ان ترحل من موضعك فنادى موسى فى بنى اسرائيل بالرحيل فارتحلوا وهم يومئذ ستمائة ألف فلما سمع فرعون ذلك نادى فى جنوده وكان فى كثرة لا يحصون عددا وسار فرعون بجنده فى تبع موسى وبنى اسرائيل فانه كان معتقد انهم خرجوا هاربين منه فسار حتى قرب من بنى اسرائيل فلما رأوه قالوا لموسى ياموسى قد لحقنا فرعون وجنوده فقال موسى كلا ان معى ربى سيهدين قالوا له قد قرب القوم وليس بين أيدينا شئ سوى البحر وما خلفنا سوى السيوف وقد هلكنا فأوحى الله الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وصار فيه اثنا عشر طريقا للاسباط الاثنى عشر فجعلوا يسيرون فيه ويحدث بعضهم بعضا وموسى بين أيديهم وهارون من ورائهم فأقبل فرعون وهامان بين يديه ومن ورائه وزراؤه وحجابه فنظروا الى البحر يابسا والى

تلك الطرق فأحب لحوق موسى فتقدم وهو على فرسه فتأخر الفرس
ونفر فهبط جبريل على فرسه وتقدم الى فرس فرعون فاشتم رائحة فرس
جبريل فاتبعها فرعون ولحقه جنوده وجبريل يقول ايها الملك لا تعجل
وجعل ميكائيل يسوق الناس خلفه فاخرج جبريل الصحيفة وقال
لفرعون أيها الملك أتعرف هذه الصحيفة التي كتبتها بيدك فلما فتحها علم
انه هالك وجعل البحر ينضم بعضه الى بعض والناس يغرقون وفرعون
ينظر اليهم فلما استيقن بالموت قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو
اسرائيل وأنا من المسلمين فقال له جبريل عليه السلام الآن وقد عصيت
قبل وكنت من المفسدين فلما اخبر موسى قومه بهلاك فرعون وقومه
قال بنو اسرائيل ما مات فرعون فأمر الله البحر فألقاه على الساحل فرآه
بنو اسرائيل فمن ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتا أبدا بل يلقيه وذلك قوله تعالى
فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية عبرة وموعظة فغرق القوم
كلهم وبنو اسرائيل ينظرون اليهم كيف يغرقون ولما عبر موسى البحر ببني
اسرائيل اذ رأوا في طريقهم قوما يعبدون الاصنام فقال سفهاؤهم
ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال موسى انكم قوم تجهلون ان هؤلاء
متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون ثم قال أغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم
على العالمين ثم قال لهم استغفروا الله مما قلتم فساروا وفي قلوبهم حب
الاصنام فلما قرب موسى من الطور استخلف أخاه هارون على قومه
وخرج موسى الى البقعة التي كلمه الله فيها وهو صائم فتطهر وطمع ان الله
يكلمه وهو في ذلك يكثر التسبيح والتقديس والتمجيد (قصة السامري)
ثم ان السامري عمل لبني اسرائيل بعد رواح موسى الى مناجاة ربه فأخذ
منهم ما كان معهم من الزينة والحلي واتخذ لهم عجلا وكان معه قبضة من
الرمل من الساحل من تحت فرس جبريل وطرحها في جوف ذلك العجل
فصار له خوار فقال لبني اسرائيل هذا الهكم واله موسى فمال اليه خلق
وامتنع آخرون وبلغ هارون ذلك فقال لهم ان ربكم الرحمن فاتبعوني

واطيعوا أمري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى فاهتم لذلك ولم يمكنه التغيير عليهم خشية الفتنة وموسى لا يعلم فأوحى الله الى موسى وما اعجلك عن قومك يا موسى قال هم اولاء على أثري وعجلت اليك رب لترضى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك واحتمل جبريل موسى الى الموضع الذي كلمه فيه ربه فوقف وذلك قوله تعالى وقربناه نجيا فسمع موسى في ذلك الوقت صرير القلم حين يجري في اللوح واللوح من الزمرد الاخضر وأوحى الله الى القلم ان اكتب فقال القلم يا رب وما اكتب فنودي يا موسى انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني ولا تشرك بي شيئا فمن أشرك بي ادخلته النار يا موسى لا تسرق مال غيرك فيحل عليك عذابي في الدنيا والآخرة وكتب غير ذلك ﴿ذكر قصة الرؤية﴾ وسار ببني اسرائيل مستقبلين الارض المقدسة فلما أتوا الى جانب الطور أمره الله تعالى ان يقيم ببني اسرائيل في ذلك المكان وأن يستخلف عليهم هارون وظلل الغمام ذلك الجبل كله ثم دنا منه موسى فأمره الله ان يقطع الالواح من صخرة صماء فقطعها وكتب الله فيها التوراة بيد القدرة وكان موسى يسمع جريان القلم فحدث نفسه بالرؤية لله عز وجل فقال رب أرني أنظر اليك فأنت الحنان المنان ذو الفضل والاحسان متفضل علي بكرمك فلا تحرمني النظر الى وجهك الكريم ياذا الجلال والاكرام فأوحى الله اليه يا موسى سألت شيئا لم يسأله أحد من خلقي فهل تستطيع ذلك يا موسى فانه لا يراني أحد من خلقي الا خر صعقا فقال موسى يا رب أراك وأموت احب الي من ان لا اراك وأحيا فأوحى الله اليه يا موسى انك لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا لا يعقل من أمره شيئا ثم ازال الله خوفه فذلك قوله فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين معناه وأنا أول المصدقين بانه لا يراك أحد في الدنيا ثم أوحى الله اليه يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ثم أوحى الله اليه

انا قدفتنا قومك من بعدك واضلهم السامری بعبادة العجل فرجع
موسى الى قومه غضبان اسفا واشتد غضبه عليهم وقال بئسما خلفتمونى
من بعدى ثم القى الالواح وعمد الى أخيه هارون وأخذ بلحيته وقال له
لم لا تبعتنى لما رأيتهم ضلوا أفعصيت امرى فبكى هارون وقال يا ابن امى
لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى فارفق بى فانى أكبر منك سنا ان القوم
استضعفونى وكادوا يقتلوننى فلا تشمت بى الاعداء ولا تجعلنى مع القوم
الظالمين فاستحيا موسى منه ثم خلاه وضمه الى صدره وسأل الله المغفرة
والرحمة له ولاخيه ثم أقبل موسى على بنى اسرائيل يعاتبهم فاخبروه بقول
السامرى فاقبل على السامرى وهو مغضب * فسأله عن أمره فأخبره
بما كان فهم موسى بقتله فأوحى الله اليه لا تقتله فانه سخى فى قومه ولكن
أخرجه عن عسكرك ثم عمد موسى الى صخرة عظيمة ولم يزل يضرب بها العجل
حتى تقطع ثم أحرقه بالنار حتى صار رمادا وذراه فى البحر وقال لو كان هذا
الها كان يدفع عن نفسه وسكت عن موسى الغضب فاقبل على بنى اسرائيل
وقال لهم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فقالوا يا موسى اسأل ربك
لنتوب فأوحى الله اليه ان لا توبة لهم لان فى قلوبهم مرضا من حب العجل
فاخرج من رماد العجل وألقه فى الماء ثم مرهم ليشربوا منه فانه يظهر ما فى
قلوبهم على وجوههم فلما فعل ذلك لم يبق أحد ممن فى قلبه مرض أوغم
من كسر العجل الا أصبح مصفرا لونه فلما رأوا ذلك أيقنوا بالموت
فقالوا يا موسى ما الناعير التوبة الخالصة وقد أخلصنا فى توبتنا حتى انك
لو سألت ربك ان نقتل انفسنا نقتلناها فأوحى الله الى موسى انى رضيت
عليهم بحكمهم فى انفسهم فذلك قوله تعالى فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم
فقالوا كيف نقتل انفسنا ونحن أهل واقارب فأنزل الله عليهم ظلمة فلم
يبصر بعضهم بعضا حتى ان الرجل كان يأتى الى أخيه وابن عمه فيقتله وهو
لا يعرفه وكان السلاح لا يعمل فيمن لم يعبد العجل فلم يزالوا كذلك حتى خاضوا
فى الدماء فاستغاثوا يا موسى العفو العفو فبكى موسى ودعا الى الله تعالى

بالعفو

بالعفو عنهم فارتفعت عنهم الظلمة ثم أقبل عليهم موسى بالتوراة وقال هذا كتاب ربكم فيه الحلال والحرام والاحكام الشرعية والسنن والفرائض والرجم للزاني والزانية المحصنين والقطع للسارق والقصاص من كل ذنب يكون منكم فضجوا من ذلك وقالوا لا حاجة لنا بهذه الاحكام وما كنا عليه من عبادة العجل كان ارفق بنا فلم يكن في عبادته علينا قطع ولا رجم ولا قصاص ﴿قصة الجبل﴾ فقال موسى يارب انك تعلم انهم قد ردوا كتابك وكذبوا بآياتك فأمر الله جبريل أن يرفع طور سيناء في الهواء على عسكر بني اسرائيل فرفعه على رؤسهم في الهواء حتى انهم لم يروا السماء منه ونودوا يا بني اسرائيل ان قبلتم هذا الكتاب والا القي عليكم هذا الجبل فلما نظروا الى الجبل وهو يدنو منهم حتى ظنوا انه ساقط عليهم وأيقنوا بالموت خروا سجدا وقبلوا الكتاب فلما قبلوا الكتاب رد الله عنهم الجبل ﴿قصة الحجر﴾ وكان بنو اسرائيل اذا اغتسلوا في مواضعهم يكشفون عوراتهم وكانوا يرون موسى في اغتساله مستورا فاعتقدوا فيه ان بدنه عيبا وكان اذا اغتسل وضع ثوبه على حجر هناك ثم يضرب الحجر بعصاه حتى ينبع منه الماء فيغتسل ففعل ذلك يوما من الايام فانقلع الحجر من مكانه باذن الله تعالى وسار على وجه الارض فعدا موسى خلفه وهو عريان وصار ينادي ويقول ايها الحجر قف باذن الله تعالى حتى وقف على جماعة من بني اسرائيل فنظروا الى موسى فلم يروا في بدنه عيبا من العيوب فندموا على ما قالوا فذلك قوله تعالى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها ﴿قصة طلب الرؤية﴾ ثم طلب بنو اسرائيل من موسى الرؤية فقالوا أرنا الله جهرة فأوحى الله اليه ان اختر من قومك سبعين رجلا وسر بهم الى الطور واحمل معك أخاك هارون واستخلف على قومك يوشع بن نون ففعل ذلك وسار بهم نحو الجبل فنودوا من السماء ان يا بني اسرائيل فصعقوا كلهم وماتوا فحزن عليهم موسى وقال رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا يعني الذين عبدوا العجل ان هي الا فتنتك يعني

ابتلاءك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا الآية فرد الله عليهم أرواحهم وذلك قوله تعالى ثم بعثنا كم من بعد موتكم ورجعوا الى معسكرهم فرحين واخبروا قومهم بما رأوه ثم انهم بدلوا التوراة بعد ذلك و زادوا فيها ونقصوا منها وذلك قوله تعالى يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون ﴿قصة الجبارين والتيه والحطة﴾ ثم أوحى الله اليه ان يسير بهم الى الارض المقدسة فاذا أردتم دخولها فلا تدخلوها الا ساجدين شاكرين لربكم على تبليغكم اياها فقاتلوا الجبارين وجاهدوهم فاستثقلوا ذلك واستبعدوا الارض المقدسة واختاروا أيام فرعون على هذه الايام فأوحى الله الى موسى انني ممطر عليهم المن وآمر الريح أن تأتيهم بالسلوى والحجر أن ينفجر لهم بماء عذب وأمرت الغمام ان يسير معهم واخفافهم لا تنقب وثيابهم تكون بقدر صغارهم وكبارهم فلما سمعوا ذلك طابت نفوسهم وساروا الامر على ذلك ثم اختار موسى اثني عشر رجلا باذن الله تعالى ووجههم الى اريحا مدينة الجبارين ليأتوه بخبرها وصفة أهلها فخرجوا ومعهم يوشع بن نون فلما قربوا من المدينة استقبلهم رجل من الجبارين فساقهم بين يديه الى اريحا فاجتمعوا عليهم يتعجبون من ضعف أبدانهم وقالوا هؤلاء الذين يزعمون انهم يخرجونا من مدينتنا وهموا بقتلهم ثم اقتضى رأيهم ان يدعوهم ليكونوا عبيدا لهم فلما أقبل الليل هربوا على وجوههم ولم يزالوا حتى وصلوا الى معسكر بني اسرائيل واخبروهم بذلك فبلغ موسى ما صنعوا فدعاهم وقال لهم ألم أقل لكم اكتموا ما ترون فلم تقبلوا حتى هولتم عليهم وأرعبتم قلوبهم ثم دعا عليهم فمات منهم عشرة وبقي رجلان يوشع وكالب فانهما كانا كتماه ثم وقع الخوف في بني اسرائيل من الجبارين وقالوا يا موسى ان مملكة فرعون كانت اخف علينا مما نحن فيه ودخول مدينة الجبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون واختلفوا عليه وهو يقول لهم يا قوم لا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا

خاسرين فقال عند ذلك يوشع بن نون وكالب ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون فلم يلتفتوا الى قولهما فقال موسى رب انى لا أملك الا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين فأوحى الله تعالى اليه يقول فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الارض فلا تأس على القوم الفاسقين ولم يدخل الارض المقدسة احد ممن ولد بمصر وسلط الله عليهم التيهان فكان كلما خرج واحد منهم يتيه فى الارض فلا يهتدى ان يرجع حتى يموت واما المؤمنون فلا يموتون وان تاهوا فلم يزالوا كذلك حتى انقرض آخرهم على رأس أربعين سنة وسار موسى الى باب حطة وعليه مكتوب اسم الله الاعظم وأقبل المؤمنون فسجدوا عند الباب ودخل أولاد الفاسقين وهم يقولون حنطة حمراء فذلك قوله تعالى فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون يعنى أخذهم الطاعون حتى ماتوا جميعا ثم غلب موسى عليه السلام على أهل مدينة أريحا وأسر من كان فيها من الجبارين وتفرقوا على البلاد حتى أهلكهم الله تعالى وسار موسى عليه السلام بنى اسرائيل يريد مدينة بلقا فجاءها وقتل ملكها وغنم بنو اسرائيل من أرض البلقا من النساء والولدان شيئا كثيرا ثم ان بنى اسرائيل ملوا من أكل المن والسلوى فقالوا يا موسى ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها فانا لن نصبر على طعام واحد فقال لهم موسى أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير فأبدلهم الله بالمن والسلوى ما سألوا ورفع عنهم ذلك وذلك قوله تعالى اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وهم يزيدون على أربعين ألفا ﴿قصة قارون﴾ وكان لموسى رجل يقال له قارون بن مصعب وهو ابن عم موسى وكان فقيرا جدا فتعلم صنعة الكيمياء من كلثوم أخت موسى وكانت تعرف ذلك فرزق مالا عظيما يضرب به المثل على طول الدهر وكانت مفاتيح كنوزه تحمل على أربعين بغلا وبنى دارا وصفحها بالذهب وجعل أبوابها من ذهب وتكبر

بسبب كثرة ماله على موسى وقذفه وخرج من طاعته واحضر امرأة بغيا
وأمرها بقذف موسى بنفسها فبلغ ذلك موسى فغضب وقال يارب ان
قارون قد بغى علىّ فانصرني عليه فأوحى الله اليه انى قد أمرت الارض
بالطاعة لك وسلطتك عليه فأقبل موسى حتى دخل على قارون وقال
ياعدو الله بعثت الى المرأة واتهمتني على رؤس بني اسرايل وأنت تريد
فضيحتي ياارض خذيه فساخت داره فى الارض ذراعا وسقط قارون من
علو سريره فأخذته الارض الى ركبتيه فقال ياموسى اغثني فقال
ياعدو الله تبني مثل هذه الدار وتشرب فى آنية الذهب والفضة وأنا
أدعوك الى حظك فلا تقبله وتقول انما أوتيته على علم عندي ياارض خذيه
فأخذته الارض وذلك قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من
فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين وأصبح الذين تمنوا امكانه
بالامس يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر الآية
قال الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا فى الارض
ولا فسادا والعاقبة للمتقين ﴿قصة الخضر واجتماعه مع موسى عليهما
السلام﴾ اذن الله تعالى لموسى عليه السلام فى الاجتماع بالخضر عليه
السلام وكان مسكنه فى جزيرة من جزائر البحر فانطلق اليه موسى واجتمع
به فكان من شأنهما مانص الله عليه فى كتابه العزيز وعن ابن عباس رضى
الله عنهما فى قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال كان لوحا من ذهب مكتوب
عليه بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله محمد رسول الله عجبا لمن يؤمن بالقدر
كيف يحزن وعجبا لمن يعلم بالموت وان الموت حق كيف يفرح وعجبا لمن
يرى الدنيا وتصاريف أهلها كيف يطمئن اليها ولما فارق موسى الخضر
عليهما السلام وودعه سار عنه حتى عاد الى بني اسرائيل ﴿قصة البقرة﴾
وكان فى زمن بني اسرائيل وأيام موسى عبد صالح فمات وترك امرأته
حاملا فولدت بعده غلاما فسمته امه ميشا فكبر وكان صالحا بارّا بأمه
فأعلمته امه ان أباه خلف عجلة وانها دفعتها للراعى وهى عنده وأمرته

يأخذها منه فتوجه الى الراعي وأخذها منه فلما عاد قالت له امه هذه
بقرتك بارك الله لك فيها فانطلق بها الى السوق فتعرض له ملك من
الملائكة وقال له أيها الفتى البار لامه بكم تبيعها فقال الفتى بثلاثة دنانير
بشرط ان استأذن امى فقال له خذ لك خمسة دنانير ولا تستأذن امك فأبى
وعاد الى امه فأخبرها فقالت له يا بنى ارجع وبعها بخمسة دنانير فعاد بها الى
السوق فجاءه الملك وقال بكم تبيعها فقال بخمسة دنانير على أن أستاذن أمى
فقال له الملك خذ لك عشرة دنانير ولا تستأذن امك فلم يفعل وعاد الى أمه
واخبرها فقالت له يا بنى فى غد بعها بعشرة دنانير على اذنى واعلم يا بنى انها
لا تساوى عشرة دنانير غير أن الذى يتعرض لك فى شرائها ملك يستخبرك
كيف برك لامك وطاعتك اياها فاذا جاءك فقل له أيها الملك المقرب فبكم
ابيعها وافعل ما يقول لك فلما كان من الغد جاءه الملك وقال له قد جئتك
أطلب بقرتك ثلاث مرات فلم تبعنى اياها فقال له ان امى أخبرتنى انك
لست بآدمى وانما أنت ملك من الملائكة فاخبرنى ما أصنع ببقرتى فقال له
الملك ردها الى منزلك فانه سيقتل فى بنى اسرائيل قتيل ولا يعرفون قاتله
فيشترون بقرتك ليحيي القتيل بها فتبيعها بما تريد فانصرف الفتى الى امه
واخبرها بذلك ثم قتل فى بنى اسرائيل قتيل دعوه أقاربه الى ضيافة لهم
فقتلوه ثم حملوه الى قرية اخرى وألقوه على باب من أبواب أهل القرية
واستعدوا الى موسى وادعوا على الذى وجدوا القتيل على بابه فحلف
الذى وجد على بابه بين يدى موسى عليه السلام أربعين يمينا أنه ما قتله
وشهد من بنى اسرائيل أربعون شاهدا بصلاح المتهم فتحير موسى من
ذلك فأوحى الله اليه ان قل لاولياء المقتول يشتروا بقرة ويذبحوها ويضربوا
ببعضها بدن المقتول حتى يحييه الله تعالى لهم ويخبرهم بالذى قتله فقال لهم
موسى ذلك فقالوا أتتخذنا هزوا فقال لهم أعوذ بالله أن اكون من الجاهلين
قالوا يا موسى ادع لنا ربك يبين لنا ما صفة البقرة فأوحى الله اليه انها بقرة
لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك يعنى لا كبيرة ولا صغيرة فقال لهم موسى

ذلك فقالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع
لونها تسر الناظرين فلما قال لهم ذلك قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان
البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون فأوحى الله اليه انها بقرة لا ذلول
تثير الارض ولا تسقي الحرث أي لا مذللة للعمل تثير الارض تقلبها للزراعة
ولا تسقي الحرث اي بسانية مسلمة بريئة من العيوب لا شية فيها وانما لونها
واحد فلما سمعوا ذلك من موسى اجتهدوا في طلبها فلم يجدوا هذه الصفة
الا عند ميشا البار بامه ولو كانوا في ابتداء الامر ذبحوا بقرة سواها كانت
اغنت عنها بظاهر الامر الاول غير انهم شددوا على أنفسهم فشدد الله
عليهم فجاؤا الى ميشا ليبيعهم البقرة فامتنع وقال انا أبيعها لموسى فرضوا
بذلك واخرج ميشا بقرته وسار بها الى موسى فقال له موسى بكم هذه فقال
ميشا البار بامه أبيعها بملأ جلدها ذهبا لا يزيد ولا ينقص فقالوا له هذا شئ
كثير لا قدرة لنا عليه فقال لهم موسى عليه السلام ان ذلك
من أجل تشديدكم في الامر فضمن موسى ثمن البقرة على بني اسرائيل
وسلم اليهم البقرة قال الله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون يعني
ما كانوا معتقدين بوفاء ثمنها فلما ذبحوها قطعوا اذنها وضربوا به القتيل
فاستوى قاعدا فسألوه عن الذي قتله فقال لهم قتلني فلان وفلان
ثم خر ميتا فقتلهما موسى عليه السلام بذلك القتيل ثم أمرهم بسلخ البقرة
فسلخوها وملؤا جلدها ذهبا ودفعه موسى لصاحبها ميشا وذلك قوله
تعالى فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون
﴿ذكر وفاة هارون عليه السلام﴾ ثم نظر هارون الى جبل بالتيه وهو بعيد
عن معسكر بني اسرائيل فقال يا موسى الا تنظر الى ذلك الجبل وما فيه من
الخضرة فقال له بلى ولكن الى غد ان شاء الله نمضي اليه فلما كان من الغد
مضيا اليه ومع هارون أولاده فلما وصلوا الجبل واذا فيه كهوف كثيرة
واذا بكهف منها يسطع منه النور فتبادروا اليه فلما دخلوا الكهف
نظروا فيه سريرا من الذهب وعليه أنواع الفرش ومكتوب على حافته

بالعبرانية هذا السرير لمن كان على طوله فصعد موسى على السرير فلما مد
رجليه فضلت من طوله فنزل موسى عنه وصعد هارون واضطجع عليه
فاذا هو على طوله فهم أن ينزل فاذا هو بملك الموت قد دخل عليهم فسلم
عليهم وأعلمهم انه ملك الموت أرسله الله تعالى ليقبض. روح هارون
فدمعت عيناه وقال لاخيه موسى وهو ينظر الى ملك الموت يا موسى
أوصيك بأولادى وأهلى تقربهم اليك وتقرئ سلامى على بنى اسرائيل
ثم امر ملك الموت موسى ان يخرج من الكهف فخرج فقبض الملك
روح هارون عليه السلام قبضة الملائكة ثم دخل موسى وأولاد هارون
الكهف فأخرجوا هارون وغسلوه وصلوا عليه ووضعوه فى الكهف
وسدوا بابه وانصرف موسى الى بنى اسرائيل واخبرهم بموت أخيه
فاتهموه بقتله فقال لهم موسى يا سفهاء بنى اسرائيل ماذا لقيت منكم
أقتل أخى وشقيقى وعضدى ودعا ربه ان يبرئه عندهم فأمر الله الملائكة
ليحملوا سرير هارون فحملوه حتى نظره بنو اسرائيل ونادت الملائكة
يا بنى اسرائيل لا تتهموا موسى بقتل أخيه هارون فهذا سرير هارون
وقد قبضه الله اليه فبكوا وحزنوا عليه لانهم كانوا يحبونه ثم خلفه من
بعده ابنه العيزار واعطاه الله وقار هارون ولينه وسكونه وشبهه
فكانوا لا يشكون انه هارون فاحبوه حبا شديدا ﴿ ذكر وفاة
موسى عليه السلام ﴾ ثم لما قرب اجل موسى عليه السلام قام فى بنى
اسرائيل خطيبا فخطب لهم ووعظهم وخوفهم وانذرهم وحذرهم
واشهدهم على انفسهم واشهد الله عليهم انه بلغهم الرسالة وأمرهم
بالطاعة والتقوى والامر بالمعروف والنهى عن المنكر واستخلف
يوشع ابن نون على بنى اسرائيل ولما فرغ من وصيته أوحى الله اليه انى
قابض روحك وذكره بما أنعم عليه من النبوة والرسالة والتكليم
فاعترف بنعمة الله وحمده واثنى عليه ثم نزل عليه ملك الموت وهو جالس
يتلو التوراة فسلم عليه وقبض روحه الشريفة صلى الله عليه وسلم

وفى الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال أرسل الله ملك الموت الى موسى عليه السلام فلما جاءه صكه ففقأ عينه فرجع الى ربه عزوجل وقال يارب أرسلتني الى عبد لا يريد الموت قال فردّ الله اليه عينه وقال له ارجع اليه وقل له يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت يده بكل شعرة سنة فجاءه وقال له ذلك فقال يارب ثم وما بعد ذلك قال ثم الموت فقال الآن فسأل الله ان يدنيه من الارض المقدسة رمية بحجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كنت ثم لأريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر وكانت وفاته فى التيه فى سابع شهر ادار لمضى ألف وستمائة وست وعشرين سنة من الطوفان وكان موته بعد أخيه هارون باحدى عشرة سنة وقيل غير ذلك وكان هارون اكبر من موسى بثلاث سنين وعاش موسى مائة وعشرين سنة ونزل عليه جبريل عليه السلام أربعمائة مرّة وكان جملة مقام بني اسرائيل بمصر حين أخرجهم موسى مائتين وخمسة عشر سنة وبين وفاة موسى عليه السلام والهجرة الشريفة النبوية الفان وثلاثمائة وثمان وأربعون سنة على اختيار المؤرخين وقد مضى من الهجرة الشريفة الى عصرنا تسعمائة سنة كاملة فيكون الماضى من وفاة موسى الى آخر سنة تسعمائة من الهجرة الشريفة ثلاثة آلاف ومائتين وثمانيا وأربعين سنة ومات موسى ولم يعرف احد من بني اسرائيل أين قبره ولا أين توجه فماج الناس فى أمره ولبثوا كذلك ثلاثة أيام لا ينامون الليل فلما كان ثالث ليلة غشيتهم سحابة على قدر بني اسرائيل فسمعوا منها مناديا يقول باعلى صوته مات موسى واى نفس لا تموت ولم يزل يكرر ذلك القول حتى فهمه الناس كلهم وعلموا أنه قد مات فلم يعرف أحد من بني اسرائيل أين قبره ونقل انه دفن فى الوادى من الارض التى مات فيها واختلف الناس فى محل قبره فقيل وهو المشهور عند الناس انه شرقي بيت المقدس بينه وبين بيت المقدس مرحلة ودربه عسر لكثرة الوعر وعليه بناء وداخله مسجد وعن يمينه قبة معقودة بالحجارة

وفيها ضريحه ويوضع على قبره فى أيام موسم زيارته ستر من حرير اسود وعلى الستر طراز أحمر مزركش دائر على جميع أطرافه بالذهب والاكثرون على ان هذا قبره وفى الصحيح ان النبى صلى الله عليه وسلم مرّ به ليلة الاسراء وهو قائم يصلى فى قبره عند الكثيب الاحمر والذى بنى القبة المذكورة الملك الظاهر بيبرس رحمه الله عند عوده من الحج وزيارته بيت المقدس فى سنة ثمان وستين وستمائة ثم بنى بعده أهل الخير وزادوا زيادات فى المسجد وحوله لحصل النفع بذلك للزائر ثم فى سنة خمس وسبعين وثمانمائة وسع داخل المسجد من جهة القبلة ولم تكمل عمارته الى سنة خمس وثمانين وثمانمائة ثم بنى به منارة بعد الثمانين والثمانمائة وهذا المكان بالقرب من اريحا الغور من أعمال بيت المقدس وأهل بيت المقدس يقصدون زيارته فى كل سنة عقب الشتاء ويقيمون عنده سبعة أيام وقد ظهر فى هذا المكان أشياء من أنواع المعجزات منها انه عند الضريح الذى بداخل القبة لا يزال يرى فوق المحراب خيال اشباح الوانهم مختلفة منهم صفة الراكب ومنهم صفة الماشى ومنهم من على كتفه رمح ومنهم لابس أبيض ومنهم لابس أخضر ويصافح بعضهم بعضا وغير ذلك من الصفات وللناس فى ذلك أقوال مختلفة فيقال انهم ملائكة ويقال انهم الصالحون ويتظرهم كل الناس من الرجال والنساء والاطفال ولا يخفون على أحد واذا دخل المسجد أمراة من النساء يكون عليها حيض أو جنابة أو فعل احد حول المسجد منكرا من المعاصى يثور هواء فى تلك البرية حتى لا يقدر الرجل على رؤية من بجانبه وتتقطع حبال الخيام وتقلع الخيام من مكانها وغير ذلك من الخوارق الباهرات التى يستدل بها على انه صلى الله عليه وسلم مدفون هنالك فى هذا المكان ﴿فائدة﴾ فان قيل لم سأل موسى عليه السلام الدنو من الارض المقدسة ولم يسأل بيت المقدس ولا مكانا مخصوصا معروفا عند الناس* فالجواب عنه ما رواه القرطبى فى تفسيره بانه انما سأل الدنو من الارض المقدسة لشرفها ولم يسأل مكانا

معروفا خوفا من ان يعبد ولا ينافى سؤاله الدنو من الارض المقدسة القول بأن قبره ببيت المقدس فانه سأل شيئا أعطاه الله فوقه وهذا شأن الكريم يعطي فوق المطلوب واما صلاته فى قبره فلم تكن بحكم التكليف بل بحكم الاكرام والتشريف لان الانبياء عليهم السلام حبب اليهم فى الدنيا عبادة الله تعالى والصلاة فكانوا يلازمون ذلك وتوافقوا عليه فشرفهم الله تعالى بإبقائهم على ما كانوا يصنعون ويحبون فعله فى الدنيا فعبادتهم الهامية كعبادة الملائكة لا تكليف فيها * وامار أفته بهذه الامة فسيأتى طرف منها فى قصة الاسراء

* ذكر السبب فى ملك سيدنا داود عليه السلام *

اقول وبالله التوفيق لما توفى سيدنا موسى الكليم عليه السلام قام بعد وفاته بتدبير بني اسرائيل يوشع وهو من ذرية يوسف بن يعقوب عليهما السلام وبعثه الله نبيا وأمره بقتل الجبابرة فتوجه ببني اسرائيل الى اريحا النور وأحاط بها ستة أشهر فلما كان السابع نفخوا فى القرون وضج الشعب ضجة واحدة فسقط السور فدخلوا وقاتلوهم وهجموا على الجبابرة فهزموهم وقتلوهم وكان يوم الجمعة فبقيت منهم بقية وكادت الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت فقال اللهم اردد الشمس علىّ وسأل الشمس ان تقف حتى ينتقم من اعداء الله قبل دخول السبت فوقفت الشمس وزيد فى النهار ساعة حتى قتلهم أجمعين وتتبع ملوك الشام واستباحهم وملك يوشع الشأم وفرق عماله واستمر يدبر بني اسرائيل ثمانية وعشرين سنة ثم توفى يوشع وله من العمر مائة وعشرون سنة ودفن فى كفل حارث وهي قرية من اعمال نابلس وكانت وفاته سنة ثمان وعشرين لوفاة موسى وقيل انه مدفون فى المعرة ثم ولى على بني اسرائيل جماعة من الملوك واحد بعد واحد ولا حاجة الى ذكر اسمائهم لان المراد هنا الاختصار ثم ولى عليهم شمويل عليه السلام وكان مولده بقرية يقال لها سيلوا وقيل انها القرية المشتهرة الآن بالسيلة من اعمال جبل نابلس

وتنبأ بعد ان صار له من العمر أربعون سنة فدبر شمويل بني اسرائيل
أحدى عشرة سنة ومنتهى هذه الاحدى عشرة سنة هى آخر سني حكام
بني اسرائيل وقضاتهم فيكون انقضاء سني حكامهم فى سنة ثلاث
وتسعين وأربعمائة لوفاة موسى عليه السلام ثم حضر بنو اسرائيل الى
شمويل وسألوه ان يقيم فيهم ملكا فأقام فيهم شاول وهو طالوت بن قيس
من سبط بنيامين ولم يكن طالوت من أعيانهم قيل انه كان راعيا وقيل
كان سقاء وقيل دباغا فملك طالوت سنتين واقتتل هو وجالوت وكان
جالوت من جبابرة الكنعانيين وكان ملكه بجهات فلسطين وكان من
الشدة وطول القامة بمكان عظيم فلما برزوا للقتال طلب طالوت داود عليه
السلام وكان أصغر بني أبيه وامره بمبارزة جالوت بعد ان رأى
فيه العلامة التى يستدل بها على انه هو الذى يقتل جالوت وهى دهن كان
يستدير على رأس من يكون فيه السر واحضر أيضا تنورا حديدا وقال
الشخص الذى يقتل جالوت يكون ملأ هذا التنور فلما اعتبر داود ملأ
التنور واستدار الدهن على رأسه ولما تحقق ذلك منه بالعلامة
أمره طالوت ان يبارز جالوت فبارزه وقتل داود جالوت وكان عمر
داود اذ ذاك ثلاثين سنة ثم بعد ذلك مات شمويل فدفنه بنو اسرائيل
فى الليل وناحوا عليه وكان عمره اثنين وخمسين سنة وأحب الناس داود
ومالوا اليه بالمحبة فحسده طالوت حسدا عظيما وقصد قتله مرة بعد اخرى
فهرب داود منه وبقي متحرزا على نفسه ثم ندم طالوت بعد ذلك على ما كان
منه فى حق داود على ما قصد من قتله ثم ان طالوت قصد فلسطين للغزاة
وقاتلهم حتى قتل هو وأولاده فى الغزاة فيكون موته فى اواخر سنة خمس
وتسعين وأربعمائة لوفاة موسى عليه السلام ثم ملك بعد ذلك ولده
اشربوشت ثلاث سنين وكان ملكه على احد عشر سبطا من بني اسرائيل
وخرج من حكمه سبط يهوذا بن يعقوب فقط فملكوا عليهم سيدنا داود وهو
من ذرية يهوذا المذكور * ثم ملك عليهم جميعهم داود عليه السلام وهو

داود بن بيشى بن عوفيل بن يوعز بن سلمون بن نحشون بن عيناراب بن ردم
ابن حضرون بن يارض بن يهوذا بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل
عليه السلام وكان مقام داود بحبرون فلما استوثق له الملك ودخلت جميع
الاسباط تحت طاعته وذلك فى سنة ثمان وثلاثين من عمره انتقل الى
القدس الشريف ثم فتح فى الشأم فتوحات كثيرة من أرض فلسطين
وغيرها من الاقاليم * وكان لقمان الحكيم على عهد داود عليه السلام وكان
قاضيا فى بنى اسرائيل وآتاه الله الحكمة ولم يكن نبيا وقبره بقرية صرفند
ظاهر مدينة الرملة وعليه مشهد وهو مقصود للزيارة وقال قتادة قبره
بالرملة ما بين مسجدها وسوقها وهناك قبور سبعين نبيا ماتوا بعد لقمان
جوعا فى يوم واحد أخرجهم بنو اسرائيل من القدس فالجأوهم الى الرملة
ثم أحاطوا بهم هناك فتلك قبورهم ولقد آتى الله داود ما نص عليه فى كتابه
العزيز قال تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا يعنى النبوّة والكتاب وقيل
الملك وقيل جميع ما أوتى من حسن الصوت وتليين الحديد وغير ذلك
مما خص به وقوله تعالى يا جبال اوبى معه أى سبحى معه وقيل نوحى معه
والطير عطف على موضع الجبال وقيل معناه وسخرنا أى امرنا الطير أن
يسبح معه فكان داود اذا نادى بالنياحة اجابته الجبال بصداها وعكفت
عليه الطير من فوقه فصدى الجبال الذى يسمعه الناس اليوم من ذلك
وقيل كان داود اذا تخلل الجبال فسبح الله تعالى جعلت الجبال تجاوبه
بالتسبيح نحو ما يسبح وقوله تعالى وألنا له الحديد حتى كان الحديد فى يده
كالشمع والعجين يعمل منه ما يشاء من غير نار ولا ضرب مطرقة وكان
السبب فى ذلك ان داود لما ملك بنى اسرائيل كان من عادته ان يخرج للناس
متنكرا فاذا رأى رجلا لا يعرفه تقدم اليه يسأله عن داود ويقول له
ما تقول فى داود واليكم هذا أى رجل هو فيثنون عليه ويقولون خيرا
فقيض الله له ملكا على صورة آدمى فلما رآه داود تقدم اليه على عادته
وسأله فقال له الملك نعم الرجل هو لولا خصلة واحدة فيه فراع داود ذلك

وقال له ماهي يا عبد الله قال انه يأكل ويطعم عياله من بيت المال
ويتقوت به فتنبه لذلك وسأل الله ان يسبب له شيئا يستغني به عن بيت
المال فيتقوت منه ويطعم عياله فألان الله له الحديد وعلمه صنعة الدروع
وهو أول من اتخذها وقيل انه كان يبيع كل درع بأربعة آلاف درهم
فيأكل ويطعم منها عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين ويقال
انه كان يعمل في كل يوم درعا يبيعه بستة آلاف درهم فينفق منها ألفين على
عياله وعلى نفسه ويتصدق بأربعة آلاف درهم على الفقراء والمساكين
من بني اسرائيل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان داود لا يأكل
الا من عمل يده *(ذكر قصة اوريا)* ولما صار لداود ثمان وخمسون سنة
وهي السنة الثانية والعشرون من ملكه كانت قصته مع اوريا وزوجته
وهي واقعة مشهورة وملخصها ما نقله المفسرون في قوله تعالى وهل أتاك
نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب الآية من قصة امتحان داود عليه السلام
واختلف العلماء باخبار الانبياء في سببه فقال قوم كان سبب ذلك
انه تمنى يوما من الايام منزلة آبائه ابراهيم واسحاق ويعقوب فسأل ربه
ان يمتحنه كما امتحنهم ويعطيه من الفضل ما أعطاهم فروى ان داود كان
قد قسم الدهر ثلاثة أيام جعل يوما يقضي فيه بين الناس ويوما يخلو فيه
لعبادة ربه ويوما لنسائه واشغاله وكان يجد فيما يقرأ من الكتب المتقدمة
فضل ابراهيم واسحاق ويعقوب فقال يارب أرى الخير كله قد ذهب به
آبائي الذين كانوا قبلي فأوحى الله تعالى اليه انهم ابتلوا ببلايا لم تبتل بها أنت
فصبروا عليها ابتلى ابراهيم بنمروذ وناره وذبح ابنه اسحاق وابتلى اسحاق
بالذبح وذهاب بصره وابتلى يعقوب بالحزن وذهاب بصره على فقد ولده
يوسف فقال داود يارب لو ابتليتني بمثل ما ابتليتهم لصبرت أيضا فأوحى
الله اليه اني مبتليك في شهر كذا في يوم كذا فاحترس فلما كان ذلك اليوم
الذي وعده الله فيه دخل داود محرابه وأغلق عليه بابه وجعل يصلي
ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه الشيطان وتمثل له في صفة حمامة

من ذهب فيها من كل لون حسن وقيل كان جناحاها من الدر والزبرجد فوقعت بين رجليه فاعجبه حسنها فمد يده ليأخذها ويريها لبني اسرائيل ليتعجبوا من قدرة الله تعالى فلما قصد أخذها طارت غير بعيد من غير ان تؤيسه من نفسها فامتد اليها ليأخذها فتنحت عن مكانها فتبعها فطارت حتى وقفت فى كوة فذهب ليأخذها فطارت من الكوة فنظر داود أين تقع فيبعث من يصيدها فابصر امرأة فى بستان على شط بركة تغتسل وقيل رآها على سطح لها تغتسل فرأى امرأة من أجمل الناس خلقا فتعجب داود من حسنها وحانت منها التفاتة فابصرت ظله فنفضت شعرها فغطى بدنها فزاده ذلك اعجابا بها فسأل عنها فقيل له هى شارع زوجة اوريا بن حنانا وزوجها فى غزاة بالبلقاء مع أيوب بن صوريا ابن أخت داود فذكر بعضهم انه كتب داود الى ابن اخته أيوب ان ابعث اوريا الى موضع كذا وقدمه قبل التابوت وكان من قدم قبل التابوت لا يحل له ان يرجع وراءه حتى يفتح الله تعالى على يديه أو يستشهد فبعثه وقدمه ففتح الله على يديه وكتب بذلك الى داود كتابا يعلمه بما فتح على يديه فكتب له كتابا ثانيا ان ابعثه الى مكان كذا ليقدمه أيضا فبعثه ففتح له وكتب لداود بذلك فكتب له ثالثا ان ابعثه الى كذا وكذا فبعثه ففتح ثم بعثه الى مكان اشد منه فقتل فى المرة الثالثة فلما انقضت عدة المرأة تزوجها داود فهى ام سليمان عليهما السلام فلما دخل داود بزوجة اوريا لم يلبث معها الا يسيرا حتى بعث الله اليه ملكين فى صورة رجلين فى يوم عبادته فطلبا ان يدخلا عليه فنعهما الحرس فتسوروا المحراب عليه فما شعر وهو يصلى فى المحراب الا وهما بين يديه جالسان يقال انهما جبريل وميكائيل فذلك قوله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب صعدوا وعلوا يقال تسوّرت الحائط والسور اذا علوتهما وقوله تعالى اذ دخلوا على داود ففزع منهم خاف منهم حين هجموا عليه فى محرابه بغير اذنه فقال ما ادخلكما علىّ قالوا لا تخف خصمان أى نحن خصمان بغى بعضنا على بعض جئناك لتقضى بيننا فاحكم

بيننا بالحق ولا تشطط أى لا تجر واهدنا الى سواء الصراط أى أرشدنا
الى طريق الصواب فقال داود لهما تكلما فقال أحدهما ان هذا أخى أى
على دينى وطريقى له تسع وتسعون نعجة يعنى امرأة ولى نعجة واحدة أى
امرأة واحدة والعرب تكنى بالنعجة عن المرأة فقال أكفلنيها يعنى طلقها
لأتزوجها وعزنى أى غلبنى فى الخطاب أى فى القول وقيل قهرنى لقوة
ملكه وهذا كله تمثيل لامر داود مع اوريا زوج المرأة التى تزوجها داود
حيث كان لداود تسع وتسعون امرأة ولأوريا امرأة واحدة فضمها
الى نسائه قال داود لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من
الخلطاء أى الشركاء ليبغى بعضهم على بعض أى يظلم بعضهم بعضا الا
الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانهم لا يظلمون أحدا وقليل ماهم أى
قليل هم يعنى الصالحون الذين لا يظلمون قليل * فلما قضى بينهما داود
نظر احدهما الى الآخر وضحك وصعدا الى السماء فعلم داود ان الله
تعالى ابتلاه وذلك قوله تعالى وظن داود أى أيقن وعلم انما فتناه اى
ابتليناه عن ابن عباس وكعب ووهب قالوا جميعا ان داود عليه السلام
لما دخل عليه الملكان وقضى بينهما فتحولا الى صورتهما وعرجا الى
السماء فسمعهما وهما يقولان قد قضى الرجل على نفسه فعلم داود انه
عنى بذلك نخر ساجدا أربعين يوما لا يرفع رأسه الا لوقت حاجة أو اداء
صلاة مكتوبة ثم يعود ساجدا الى تمام الاربعين يوما لا يأكل ولا يشرب
وهو يبكى حتى نبت العشب حول رأسه وهو يناجى ربه ويسأله
التوبة وكان من جملة دعائه فى سجوده سبحان الملك الاعظم الذى يبتلى
الخلق بما يشاء سبحان خالق النور الهى خليت بينى وبين عدوى ابليس
فلم اقم لفتنته اذ نزلت بى سبحان خالق النور الهى أنت الذى خلقتنى وكان
فى سابق علمك ما انا اليه صائر سبحان خالق النور الهى الويل لداود اذا
كشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطئ سبحان خالق النور الهى
بأى عين انظر اليك يوم القيامة وانما ينظر الظالمون من طرف خفى

سبحان خالق النور الهى بأى قدم اقوم امامك يوم القيامة يوم تزل أقدام
الخاطئين سبحان خالق النور الهى من أين يطلب العبد المغفرة الا من عند
سيده سبحان خالق النور الهى أنا الذى لا اطيق حر شمسك فكيف اطيق
حر نارك سبحان خالق النور الهى أنا الذى لا اطيق اسمع صوت رعدك
فكيف اطيق صوت جهنم سبحان خالق النور الهى الويل لداود من الذنب
العظيم الذى أصابه سبحان خالق النور الهى أنا الذى اعترفت بذنبى
ان لم يغفر السيد لعبده من ذا الذى يغفر له سبحان خالق النور الهى أنت
تعلم سرى وعلانيتى فاقبل عذرى سبحان خالق النور الهى برحمتك اغفر لى
ذنوبى ولا تباعدنى من رحمتك لهوانى سبحان خالق النور الهى اعوذ بنور
وجهك الكريم من ذنوبى التى اوبقتنى سبحان خالق النور الهى أقررت
اليك بذنوبى واعترفت بخطيئتى فلا تجعلنى من القانطين ولا تخزنى يوم
الدين سبحان خالق النور * قال مجاهد مكث داود أربعين يوما لا يرفع رأسه
حتى نبت العشب من دموع عينيه وغطى رأسه فنودى يا داود أجائع
فتطعم ام ظمآن فتسقى أو عار فتكسى فاجيب بغير ما طلب قال فهب
نحبة هاج منها العود فاحترق من حر جوفه ثم أنزل الله التوبة والمغفرة *
قال وهب ان داود أتاه نداء من العلى الاعلى انى قد غفرت لك قال يا رب
كيف وأنت لا تظلم أحدا قال يا داود اذهب الى قبر اوريا فناده وانا اسمعه
نداءك فتحلل منه قال فانطلق داود الى قبر اوريا وكان قد لبس المسوح
حتى جلس عند قبر اوريا ثم نادى وقال يا اوريا فقال لبيك من هذا الذى
قطع علىّ لذتى وأيقظنى قال انا داود فقال فما جاءك يا نبى الله قال جئت
لأسألك ان تجعلنى فى حل مما كان منى اليك قال وما كان منك الىّ قال
عرضتك للقتل قال عرضتنى للجنة فأنت فى حل منى فأوحى الله تعالى اليه
يا داود ألم تعلم انى الحكم العدل لا اقضى بالتعنت لم لا أعلمته انك
قد تزوجت بامرأته قال فرجع داود الى القبر ونادى يا اوريا فاجابه
وقال من هذا الذى قطع علىّ لذتى قال أنا داود قال يا نبى الله الست
قد حاللتك وعفوت عنك قال نعم ولكنى ما أرسلتك حتى قتلت

الا المكان امرأتك وقد تزوجت بها ومرادى تحالنى بذلك قال فسكت
ولم يجبه فدعاه ثانيا فلم يجبه وثالثا فلم يجبه فقام داود عند قبره وجعل
يبكى ويحثو التراب على رأسه وهو ينادى الويل لداود اذا نصب الميزان
غدا بالقسطاس سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له
حين يسحب على وجهه مع الخاطئين الى النار سبحان خالق النور فأتاه
النداء من العلى وهو يقول سبحان خالق النور * يا داود قد غفرت لك
ذنبك ورحمت بكاءك واستجبت دعاءك وأقلت عثرتك قال يارب كيف
وخصمى لم يعف عنى قال يا داود أعطيه من الثواب مالم تره عيناه يوم
القيامة ولم تسمعه اذناه فاقول له رضى عبدى فيقول يارب انى لى هذا
ولم يبلغه عملى فاقول هذا عوض عن عبدى داود فاستوهبك منه فيهبك لى
قال يارب قد عرفت الآن انك قد غفرت لى وذلك قوله تعالى فاستغفر
ربه وخر راكعا أى ساجدا عبر عن السجود بالركوع لان كل واحد فيه
انحناء ومعناه خر بعد ما كان راكعا أى سجد واناب أى رجع
فغفرنا له ذلك يعنى ذلك الذنب وان له عندنا لزلفى وحسن مآب حسن
مرجع ومنقلب يوم القيامة بعد المغفرة * قال وهب ان داود لما تاب الله
عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا يرقأ دمعه ليلا ولا نهارا وكان قد
أصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة فقسم الدهر بعد تلك الخطيئة على
أربعة أيام جعل يوما للقضاء بين الناس ويوما لنسائه ويوما يسيح فى
الفيافى والجبال والسواحل والاوعار ويوما يخلو فى دار له فيها أربعة
آلاف محراب فيجتمع اليه الرهبان فينوح معهم على نفسه وهم يساعدونه
على ذلك فاذا كان يوم سياحته يخرج فى الفيافى فيرفع صوته بالمزامير فتبكى
معه الاشجار والاوعار والرمل والطير والوحوش حتى يسيل من دموعهم
مثل الانهار ثم يجىء الى الجبال فيرفع صوته بالمزامير فيبكى وتبكى معه
الجبال والحجارة والطير والدواب حتى تسيل الاودية من بكائهم ثم يجىء الى
الساحل فيرفع صوته فيبكى وتبكى معه الحيتان ودواب البحر وطير الماء

والسباع فاذا امسى رجع فاذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه ان
اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضر من يساعده فيدخل الدار التى فيها
المحاريب فيبسط له ثلاثة فرش من مسوح حشوها ليف فيجلس عليها
ويجيء أربعة آلاف راهب عليهم البرانس وفى ايديهم العصى فيجلسون فى
تلك المحاريب ثم يرفع داود صوته بالبكاء والنوح على نفسه ويرفع الرهبان
معه اصواتهم فلا يزال يبكى حتى تغرق الفرش من دموعه ويقع داود فيها
مثل الفرخ يضطرب فيجيء ابنه سليمان فيحمله فيأخذ داود من تلك
الدموع بكفيه ثم يمسح بها وجهه ويقول يارب اغفر ماترى فلو عدل بكاء
داود بكاء أهل الدنيا لعدله * قال وهب مارفع داود رأسه حتى قال له
الملك أوّل امرك ذنب وآخره معصية ارفع رأسك فرفع رأسه فكث حياته
لا يشرب ماء الا مزجه بدموعه ولا يأكل طعاما الابله بدموعه وذكر
الاوزاعى مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان مثل عينى
داود كالقربتين ينطفان ماء ولقد خدّت الدموع فى وجهه كخديد الماء فى
الارض قال وهب لما تاب الله على داود قال يارب غفرت لى فكيف لى ان
لا انسى خطيئتى فأستغفر منها لى وللخاطئين الى يوم القيامة قال فوسم الله
خطيئته فى يده اليمنى فارفع طعاما ولا شرابا الا بكا اذا رآها وماقام خطيبا
فى الناس الا بسط راحتيه فاستقبل الناس ليروا وسم خطيئته واستغفر
للخاطئين قبل نفسه * وعن الحسن كان داود بعد الخطيئة لايجالس الا
الخاطئين يقول تعالوا الى داود الخاطئ ولا يشرب شرابا الا مزجه بدموع
عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس فى قصعته فلا يزال يبكى حتى تبتل
بدموع عينيه وكان يذرّ عليه الملح والرماد فيأكل ويقول هذا أكل
الخاطئين وكان داود قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف
الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله وكان
اذا ذكر عقاب الله تخلعت أوصاله واذا ذكر رحمة الله تراجعت وفى القصة
ان الوحوش والطير كانت تسمع الى قراءته فلما فعل ما فعل كانت لا تصغى

الى قراءته فروى انها قالت يا داود ذهبت خطيئتك بحلاوة صوتك

﴿ذكر بناء سيدنا داود عليه السلام مسجد بيت المقدس﴾

عن رافع بن عميرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى لداود يا داود ابن لي بيتا في الارض فبنى داود بيتا لنفسه قبل البيت الذى أمره الله به فأوحى الله تعالى اليه يا داود بنيت بيتك قبل بيتي قال اى رب هكذا قلت فيما قضيت من ملك استأثر ثم أخذ في بناء المسجد يعني بيت المقدس * وعن وهب لما تاب الله عز وجل على داود عليه السلام وكان قد بنى مدائن كثيرة وصلحت امور بني اسرائيل احب ان يبني بيت المقدس وعلى الصخرة قبة في الموضع الذى قدسه الله تعالى في ايليا وكان قد حسنت حال بني اسرائيل وملؤا الشأم وضاقت بهم فلسطين وما حولها فاحب داود عليه السلام ان يعلم عددهم فأمر باحصائهم على انسابهم وقبائلهم فكثر عليهم فلم يطيقوا احصاءهم * وروى ان الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام لما كثر طغيان بني اسرائيل انى اقسمت بعزتي لابتلينهم بالقحط سنتين أو اسلط عليهم العدو شهرين أو الطاعون ثلاثة أيام فجمعهم داود وخيرهم بين احدى الثلاث فقالوا أنت نبينا وانت أنظر لنا من أنفسنا فاختر لنا فقال اما الجوع فانه بلاء فاضح لا يصبر عليه أحد واما العدو والموت فاني اخبركم ان اخترتم تسليط العدو فانه لا بقية لكم والموت بيد الله تعالى تموتون بآجالكم في بيوتكم ففوضوا ذلك الى الله تعالى فهو ارحم بكم فاختار لهم الطاعون وأمرهم ان يتجهزوا له ويلبسوا اكفانهم ويخرجوا نساءهم واماءهم واولادهم امامهم وهم خلفهم على الصخرة والصعيد الذي بنى عليه مسجد بيت المقدس وهو يومئذ صعيد واحد ففعلوا ثم نادوا يا رب اللهم انك أمرتنا بالصدقة وأنت تحب المتصدقين فتصدق علينا برحمتك اللهم انك أمرتنا بعتق الرقاب فنسألك برحمتك ان تعتقنا اليوم اللهم وقد أمرتنا ان لا نرد السائل اذا وقف على أبوابنا وقد جئناك سائلين فلا تردنا ثم خروا سجدا من

حين طلوع الصبح فسلط الله عليهم الطاعون من ذلك الوقت الى ان زالت
الشمس ثم رفعه عنهم ثم أوحى الله الى داود عليه السلام ان ارفعوا رؤسكم
فقد شفعتك فيهم فرفع داود رأسه ثم نادى ان ارفعوا رؤسكم فرفعوا رؤسهم
وقد مات منهم مائة ألف وسبعون ألفا اصابهم الطاعون وهم سجود
فنظروا الى الملائكة يمشون بينهم بأيديهم الخناجر ثم عمد داود عليه
السلام وارتقى الصخرة رافعا يديه يحدث لله شكرا ثم انه جمع بني اسرائيل
بعد ذلك وقال ان الله سبحانه وتعالى قد رحمكم وعفا عنكم فأحدثوا لله
شكرا بقدر ما ابتلاكم فقالوا له مرنا بما شئت قال انى لا أعلم امرا أبلغ فى
شكركم من بناء مسجد على هذا الصعيد الذى رحمكم الله عليه فنبنيه
مسجدا تعبدوا الله فيه وتقدسوه أنتم ومن بعدكم قالوا نفعل وسأل داود ربه
فاذن له وأقبلوا على بنائه * وروى ان الله تعالى لما أمر داود عليه السلام
ان يبنى مسجد بيت المقدس قال يارب وأين ابنيه قال حيث ترى الملك
شاهرا سيفه قال فرآه داود فى ذلك المكان فاسس قواعده ورفع حائطه
فلما ارتفع انهدم فقال داود يارب امرتنى ان ابنى لك بيتا فلما ارتفع هدمته
فقال ياداود انما جعلتك خليفتى فى خلقى فلم اخذت المكان من صاحبه
بغير ثمن انه سيبنيه رجل من ولدك * وحكى فى معنى هذا الاثر أن المكان
كان لجماعة من بنى اسرائيل ولكل واحد منهم فيه حق فطلبه
داود منهم فأنعم به البعض باللفظ والبعض بالسكوت ففهم داود من
الساكتين الرضا وكان بعضهم غير راض فى الباطن فحمل داود الامر
على ظاهره فبناه فجاء بعض أصحاب الحق الى بنى اسرائيل وقال لهم انكم
تريدون ان تبنوا على حقى وانا مسكين وانه موضع بيدرى اجمع فيه
طعامى فأرتفق بحمله الى منزلى لقربه فان بنيتم عليه أضر رتم بى فانظروا فى
أمرى فقالوا له كل من بنى اسرائيل له مثل حقك وأنت ابخلهم فان
اعطيته طوعا والا أخذناه على كره منك فقال اتجدون هذا فى حكم داود ثم
انطلق وشكاهم اليه فدعاهم وقال لهم تريدون ان تبنوا بيت الله بالظلم

ما أراكم يا بني اسرائيل تستكينون لله عز وجل ولا أرى الآن البلاء يضغطكم ثم قال له داود أتطيب نفسك على حقك فتبيعه بحكمك فقال ما تعطيني قال أملأه لك ان شئت غنما وان شئت بقرا وان شئت ابلا فقال يا نبي الله زدني فانما تشتريه لله عز وجل فلا تبخل عليّ فقال داود احتكم فانك لا تسئلني شيئا الا أعطيتك فقال ابن لي حائطا قدر قامتي ثم املأه لي ذهبا فقال له داود عليه السلام نعم وهو في الله قليل فالتفت الرجل الى بني اسرائيل فقال هذا والله التائب الصادق المخلص ثم قال يا نبي الله قد علم الله عز وجل مني لمغفرة ذنب من ذنوبي وذنوب هؤلاء أحب اليّ من ملء الارض ذهبا فكيف يظن هؤلاء اني أبخل عليهم وعلى نفسي بما ارجو به المغفرة لذنوبي وذنوبهم ولكني جربتهم رحمة لهم وشفقة عليهم وقد جعلته لله فأقبلوا على عمل مسجد بيت المقدس وباشر داود العمل بنفسه وجعل ينقل الحجر على عاتقه ويضعه بيده في موضعه ومعه احبار بني اسرائيل وروى ان داود لما ابتدأه ورفعه قامة رجل أوحى الله اليه اني لم اقض ذلك على يديك ولكن ابن لك أملكه بعدك اسمه سليمان أقضي اتمامه على يديه وتوفي داود عليه السلام قبل اتمامه وله سبعون سنة وقيل غير ذلك وأنزل الله عليه الزبور وهو مائة وخمسون سورة بالعبرانية في خمسين منها ما يلقونه من بخت نصر وفي خمسين منها ما يلقونه من الروم وفي خمسين مواعظ وحكم ولم يكن فيه حلال ولا حرام ولا حدود ولا أحكام وكانت وفاته في يوم السبت أواخر سنة خمس وثلاثين وخمسمائة لوفاة موسى عليه السلام وملك داود أربعين سنة وأوصى قبل موته بالملك الى سليمان ولده واوصاه بعمارة بيت المقدس وعين لذلك عدة بيوت أموال تحتوي على جمل كثيرة من الذهب * وعن كعب ووهب أن داود عليه السلام أعد لبناء بيت المقدس مائة ألف بدرة ذهبا وألف ألف بدرة ورقا وثلاثمائة ألف دينار لطلاء البيت وذكر أن هذا مال لا تفي به المعادن * قال وهب دفن داود بالكنيسة المعروفة بالجيسمانية شرقي بيت المقدس في الوادي

ويقال ان قبر داود عليه السلام بكنيسة صهيون وهى التى بظاهر القدس من جهة القبلة بأيدى طائفة الافرنج لانها كانت داره وفى كنيسة صهيون المذكورة موضع تعظمه النصارى ويقال ان قبر داود فيه وهذا الموضع هو الآن بأيدى المسلمين وسنذكر ماوقع فى ذلك فى عصرنا من التنازع بين المسلمين والنصارى فيما بعد فى حوادث سنة خمس وتسعين وثمانمائة ان شاء الله تعالى *ملك سليمان عليه السلام* لما توفى داود ملك ابنه سليمان وعمره اثنتا عشرة سنة ومولد سليمان بغزة وآتاه الله من الحكمة والعلم والملك مالم يؤته لاحد سواه على ماأخبر الله عز وجل به فى محكم كتابه العزيز فأطاع الله له الانس والجن والشياطين والرياح والطيور والوحوش والهوام وكل المخلوقات على اختلاف أجناسها فسبحان المتفضل بما شاء على من شاء *بناء سليمان عليه السلام مدينة بيت المقدس ومسجدها* لما كان فى السنة الرابعة من ملكه فى شهر أيار وهى سنة تسع وثلاثين وخمسمائة لوفاة موسى عليه السلام ابتدأ سليمان عليه السلام فى عمارة بيت المقدس حسبما تقدم به وصية أبيه اليه *وكانت مدينة بيت المقدس فى زمن بنى اسرائيل عظيمة البناء متسعة العمران وكانت اكبر من مصر ومن بغداد على مايوصف فيقال ان العمارة والمنازل كانت متصلة من جهة القبلة الى القرية المعروفة يومئذ بدير السنة ومن جهة الشرق الى جبل طور زيتا واستمرت العمارة بطور زيتا الى حين الفتح العمرى ومن جهة الغرب الى ماء ملا ومن جهة الشمال الى القرية التى بها قبر النبى شمويل صلى الله عليه وسلم واسمها عند اليهود رامة ومسافتها عن بيت المقدس تقرب من ربع بريد فعمارة داود وسليمان عليهما السلام لمدينة القدس انما هى تجديد البناء القديم وتقدم فى أول الكتاب ذكر أول من بنى المدينة وعمرها واختطها وانه سام بن نوح عليهما السلام وكان محل المسجد بين عمران المدينة وهو صعيد واحد والصخرة الشريفة قائمة فى وسطه حتى بناه داود ثم سليمان عليهما

السلام

السلام * وكان من خبر ذلك ما روى أن الله عز وجل لما أوحى الى
سليمان عليه السلام ان ابن بيت المقدس جمع حكماء الانس والجن
وعفاريت الارض وعظماء الشياطين وجعل منهم فريقا يبنون وفريقا
يقطعون الصخور والعمد من معادن الرخام وفريقا يغوصون فى البحر
فيخرجون منه الدر والمرجان وكان فى الدر ما هو مثل بيضة النعامة
وبيضة الدجاجة وأخذ فى بناء بيت المقدس وأمر ببناء المدينة بالرخام
والصفاح وجعلها اثنى عشر ربضا وأنزل كل ربض منها سبطا من الاسباط
وكانوا اثنى عشر سبطا فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ فى بناء المسجد
فلم يثبت البناء فأمر بهدمه ثم حفر الارض حتى بلغ الماء فاسسه على الماء
والقوا فيه الحجارة فكان الماء يلفظها فدعا سليمان عليه السلام الحكماء
الاحبار ورئيسهم آصف بن برخيا واستشارهم فقالوا انا نرى ان تتخذ قلالا
من نحاس ثم نملأها حجارة ثم نكتب عليها الكتاب الذى فى خاتمك
ثم نلقى القلال فى الماء وكان الكتاب الذى على الخاتم لا اله الا الله وحده
لا شريك له محمد عبده ورسوله ففعلوا فثبتت القلال فالقوا المؤن والحجارة
عليها وبنى حتى ارتفع بناؤه وفرق الشياطين فى أنواع العمل فدأبوا فى عمله
وجعل فرقة منهم يقطعون معادن الياقوت والزمرد ويأتون بأنواع
الجواهر وجعل الشياطين صفا مرصوصا من معادن الرخام الى حائط
المسجد فاذا قطعوا من المعادن حجرا أو اسطوانة تلقاه الاول منهم ثم الذى
يليه ثم الذى يليه ويلقيه بعضهم الى بعض حتى ينتهى الى المسجد وجعل
فرقة لقطع الرخام الابيض الذى منه ما هو مثل بياض اللبن بمعدن يقال
له السامور والذى دلهم على معدن السامور عفريت من الشياطين كان
فى جزيرة من جزائر البحر فدلوا سليمان عليه السلام عليه فأرسل اليه
بطابع من حديد وكان خاتمه يرسخ فى الحديد والنحاس فيطبع الى الجن
بالنحاس والى الشياطين بالحديد ولا يجيبه اقصاهم الا بذلك وكان خاتما
نزل عليه من السماء حلقته بيضاء وطابعه كالبرق لا يستطيع أحد أن يملأ

بصره منه فلما وصل الطايع الى العفريت وجىء به قال له هل عندك من حيلة
أقطع بها الصخر فانى اكره صوت الحديد فى مسجدنا هذا والذى أمرنا الله
به من ذلك هو الوقار والسكينة فقال له العفريت انى لا أعلم فى السماء طيرا
أشد من العقاب ولا اكثر حيلة منه وذهب يبتغى وكر عقاب فوجد وكرا
فغطى عليه بترس غليظ من حديد فجاء العقاب الى وكره فوجد الترس فجثه
برجله ليزيحه أو ليقطعه فلم يقدر عليه فحلق فى السماء ولبث يومه وليلته ثم
أقبل ومعه قطعة من السامور فتفرقت عليه الشياطين حتى أخذوها
منه وأتوا بها الى سليمان عليه السلام وكان يقطع بها الصخرة العظيمة
وكان عدد من عمل معه فى بناء بيت المقدس ثلاثين ألف رجل وعشرة
آلاف يتراوحون عليهم قطع الخشب فى كل شهر عشرة آلاف خشبة
وكان الذين يعملون فى الحجارة سبعين ألف رجل وعدد الامناء عليهم ثلثمائة
غير المسخرين من الجن والشياطين وعمل فيه سليمان عليه السلام عملا
لا يوصف وزينه بالذهب والفضة والدر والياقوت والمرجان وأنواع
الجواهر فى سمائه وارضه وأبوابه وجدرانه وأركانه مما لم ير مثله وسقفه
بالعود اليلنجوج وصنع له مائتى سكرة من الذهب وزن كل سكرة عشر
ارطال وأولج فيه تابوت موسى وهارون عليهما السلام ولما فرغ سليمان
عليه السلام من بناء بيت المقدس أنبت الله شجرتين عند باب الرحمة
احداهما تنبت الذهب والاخرى تنبت الفضة فكان فى كل يوم ينزع
من كل واحدة مائتى رطل ذهبا وفضة وفرش المسجد بلاطة من ذهب
وبلاطة من فضة فلم يكن يومئذ فى الارض بيت أبهى ولا أنور من ذلك
المسجد كان يضىء فى الظلمة كالقمر ليلة البدر * وكانت صخرة بيت المقدس
أيام سليمان عليه السلام ارتفاعها اثنى عشر ذراعا وكان الذراع ذراع
الامان ذراعا وشبرا وقبضة وكان ارتفاع القبة التى عليها ثمانية عشر ميلا
وروى اثنى عشر ميلا وفوق القبة غزال من ذهب بين عينيه درة أو ياقوتة
حمراء تغزل نساء البلقاء على ضوئها بالليل وهى فوق مرحلتين من القدس

وكان أهل عمواس يستظلون بظل القبة اذا طلعت الشمس من المشرق وعمواس بفتح الميم وسكونها وهي التي سمي بها الطاعون على الراجح لانه منها ابتدأ وكان في سنة ثماني عشرة من الهجرة وهي بالقرب من رملة فلسطين مسافتها عن بيت المقدس نحو بريد ونصف واذا غربت الشمس استظل بها أهل بيت الرامة وغيرهم من الغور ومسافتها عن بيت المقدس ابعد من عمواس * قال بعض المؤرخين وعمل خارج البيت سورا محيطا امتداده خمسمائة ذراع في خمسمائة ذراع وأقام سليمان في عمارة بيت المقدس سبع سنين * وفرغ منه في السنة الحادية عشر من ملكه فيكون الفراغ من عمارة بيت المقدس في أواخر سنة ست وأربعين وخمسمائة لوفاة موسى عليه السلام وكان من هبوط آدم عليه السلام الى ابتداء سليمان بناء بيت المقدس أربعة آلاف وأربعمائة واربعة عشر سنة * وبين عمارة بيت المقدس والهجرة الشريفة النبوية المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ألف وثمانمائة سنة كاملة وقريب ستين فيكون الماضي من عمارة بيت المقدس على يد سليمان الى عصرنا هذا وهو اواخر ذي الحجة ختام عام تسعمائة الفين وسبعمائة سنة وقريب ستين * واما بناء مدينة القدس الاول فقد تقدم ان أول من بناها سام بن نوح وكانت وفاته بعد الطوفان بخمسمائة سنة ومن وفاة سام الى بناء سليمان بيت المقدس الف وستمائة واثنان وسبعون سنة وبين الطوفان والهجرة الشريفة ثلاثة آلاف وتسعمائة واربع وسبعون سنة فيكون الماضي من وفاة سام الى آخر سنة تسعمائة من الهجرة الشريفة أربعة آلاف وثلثمائة وأربعا وسبعين سنة فيعلم من ذلك تاريخ بناء بيت المقدس الاول تقريبا والله أعلم * وملخص القول ان من هبوط آدم عليه السلام الى الطوفان ألفين ومائتين واثنتين وأربعين سنة ومن الطوفان الى وفاة سام بن نوح خمسمائة سنة ومن وفاة سام الى بناء سليمان بيت المقدس ألفا وستمائة واثنين وسبعين سنة ومن بناء سليمان الى الهجرة الشريفة ألفا وثلثمائة وقريب ستين ومن الهجرة

الشريفة الى عصرنا هذا تسعمائة سنة فهذه المدة التى تقدم ذكر تفصيلها قبل ذلك فى اماكن متفرقة وجملتها من هبوط آدم الى آخر سنة تسعمائة من الهجرة الشريفة سبعة آلاف سنة ومائة سنة وستة عشر سنة على اختيار المؤرخين كما تقدم عند ذكر سيدنا آدم عليه السلام والخلاف فى ذلك كثير ويأتى ذكر بناء مدينة سيدنا الخليل عليه السلام وأول من اختطها فيما بعد ان شاء الله * ولما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس سأل الله ثلاثا سأله حكما يوافق حكمه وسأله ملكا لا ينبغى لاحد من بعده وسأله ان لا يأتى هذا المسجد أحد لا يريد الا الصلاة فيه الا خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه ولهذا كان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يأتى بيت المقدس فيدخل فيصلى ركعتين ثم يخرج ولا يشرب فيه كانه يطلب دعوة سليمان وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان سليمان ابن داود عليهما السلام سأل ربه ثلاثا فأعطاه اثنتين ونحن نرجو ان يكون قد أعطاه الثالثة سأله حكما يصادف حكمه فأعطاه اياه وسأله ملكا لا ينبغى لاحد من بعده فأعطاه وسأله ايما رجل يخرج من بيته لا يريد الا الصلاة فى هذا المسجد ان يخرج من خطيئته كيوم ولدته امه فنحن نرجو أن يكون قد أعطاه اياه *ولما رفع سليمان عليه السلام يده من البناء بعد الفراغ منه واحكامه جمع الناس واخبرهم انه مسجد لله تعالى وهو أمره ببنائه وان كل شئ فيه لله تعالى من انتقصه أو شيئا منه فقد خان الله تعالى وان داود عهد اليه ببنائه وأوصاه بذلك من بعده ثم اتخذ طعاما وجمع الناس جمعا لم ير مثله قط ولا طعاما اكثر منه ثم أمر بالقرابين فقربت الى الله تعالى وجعل القربان فى رحبة المسجد ومنز ثورين واوقفهما قريبا من الصخرة ثم قام على الصخرة فدعا بدعائه المتقدم ذكره وزاد عليه زيادة وهى * اللهم انت وهبت لى هذا الملك منا منك وطولا علىّ وعلى والدى وأنت ابتدأتنى واياه بالنعمة والكرامة وجعلته حكما بين عبادك وخليفة فى أرضك وجعلتنى وارثه من بعده وخليفة

فى قومه وأنت الذى خصصتنى بولاية مسجدك هذا واكرمتنى به قبل ان تخلقنى فلك الحمد على ذلك ولك المن ولك الطول اللهم انى أسألك لمن دخل هذا المسجد خمس خصال * أن لا يدخل اليه مذنب لا يعمده الا لطلب التوبة أن تتقبل منه توبته وتغفرله * ولا يدخله خائف لا يعمده الا لطلب الأمن ان تؤمنه من خوفه وتغفرله ذنبه * ولا يدخله سقيم لم يعمده الا لطلب الشفاء ان تشفى سقمه وتغفرله ذنبه * ولا يدخله مقحط لا يعمده الا للاستسقاء أن تسقى بلاده * وان لا تصرف بصرك عن من دخله حتى يخرج منه * اللهم ان اجبت دعوتى وأعطيتنى مسألتى فاجعل علامة ذلك أن تتقبل قربانى فتقبل القربان ونزلت نار من السماء فامتدت ما بين الافقين ثم امتد عنق منها فأخذ القربان وصعد به الى السماء * وروى ان نبى الله سليمان عليه السلام لما فرغ من بنائه ذبح ثلاثة آلاف بقرة وسبعة آلاف شاة ثم أتى الى المكان الذى فى مؤخر المسجد مما يلى باب الاسباط وهو الموضع الذى يقال له كرسى سليمان وقال * اللهم من أتاه من ذى ذنب فاغفرله أوذى ضر فاكشف ضره فلا يأتيه أحد الا أصاب من دعوة سليمان عليه السلام وهذا الموضع الذى هو معروف بكرسى سليمان من الاماكن المعروفة باجابة الدعاء وهو داخل القبة المعروفة بقبة سليمان عند باب الدويدارية ورتب له سليمان عشرة آلاف من قراء بنى اسرائيل خمسة آلاف بالليل وخمسة آلاف بالنهار حتى لا تأتى ساعة من ليل ولا نهار الا والله تعالى يعبد فيه وكان سليمان عليه السلام اذا دخل مسجد بيت المقدس وهو ملك الارض يقلب بصره ليرى أين يجلس المساكين من العمى والخرس والمجذومين فيدع الناس ويجلس معهم متواضعا لا يرفع طرفه الى السماء ثم يقول مسكين مع المساكين * وروى ان مفتاح بيت المقدس كان يكون عند سليمان عليه السلام لا يأمن عليه أحدا فقام ذات ليلة ليفتحه فصعب عليه فاستعان عليه بالانس فعسر عليهم ثم استعان عليه بالجن فعسر عليهم فجلس كئيبا حزينا

نطق ان ربه قد منعه منه فبينا هو كذلك اذ أقبل شيخ يتكئ على عصا له وقد طعن فى السن وكان من جلساء داود عليه السلام فقال يانبى الله أراك حزينا فقال قمت الى هذا الباب لافتحه فعسر على فاستعنت عليه بالانس والجن فلم ينفتح فقال الشيخ الا اعلمك كلمات كان أبوك يقولهن عند كربه فيكشف الله عنه قال بلى قال قل اللهم بنورك اهتديت وبفضلك استغنيت وبك اصبحت وامسيت ذنوبى بين يديك استغفرك وأتوب اليك ياحنان يامنان * فلما قالها فتح له الباب فيستحب أن يدعو الزائر وغيره بهذا الدعاء اذا دخل من باب الصخرة وكذلك من باب المسجد * ومن العجائب التى كانت ببيت المقدس * السلسلة التى جعلها سليمان بن داود عليهما السلام معلقة من السماء الى الارض شرقى الصخرة مكان قبة السلسلة الموجودة الآن وفيها يقول الشاعر

لقد مضى الوحى ومات العلا * وارتفع الجود مع السلسلة

وكانت هذه السلسلة لا يأتيها رجلان الا نالها المحق منهما ومن كان مبطلا ارتفعت عنه فلم ينلها * وملخص حكايتها مع اختلاف فيه ان رجلا يهوديا كان قد استودعه رجل مائة دينار فلما طلب الرجل وديعته جحد ذلك اليهودى فترافعا الى ذلك المقام عند السلسلة فأخذ اليهودى بمكره ودهائه فسبك تلك الدنانير وحفر جوف عصاه وجعلها فيها فلما أتى ذلك المقام دفع العصا الى صاحب الدنانير وقبض على السلسلة ثم حلف بالله لقد أعطاه دنانيره ثم دفع اليه صاحب الدنانير العصا وأقبل حتى أخذ السلسلة فحلف انه لم يأخذها منه ومس كلاهما السلسلة فعجب الناس من ذلك فارتفعت السلسلة من ذلك اليوم لخبث الطويات وحكى غير ذلك وجعل سليمان عليه السلام تحت الارض بركة وجعل فيها ماء وجعل على وجه ذلك الماء بساطا ومجلس رجل جليل أو قاض جليل فمن كان على الباطل اذا وقع فى ذلك الماء غرق ومن كان على الحق لم يغرق * ومن العجائب التى كانت أيضا فى بيت المقدس فى الزمان الاول ما حكاه صاحب مثير الغرام

ان

ان الضحاك بن قيس صنع به عجائب * الاولى انه صنع به فى ذلك الزمان
نارا عظيمة اللهب فمن عصى الله فى تلك الليلة أحرقته تلك النار حين ينظر
اليها والثانية من رمى بيت المقدس بنشابة رجعت النشابة اليه * والثالثة
وضع كلبا من خشب على باب بيت المقدس فمن كان عنده شئ من السحر
اذا مر بذلك الكلب نبح عليه فاذا نبح عليه نسى ما عنده من السحر والرابعة
وضع بابا فمن دخل منه اذا كان ظالما من اليهود ضغطه ذلك الباب حتى
يعترف بظلمه * والخامسة وضع عصا فى محراب بيت المقدس فلم يقدر
أحد يمس تلك العصا الا من كان من ولد الانبياء ومن كان سوى ذلك
أحرقت يده والسادسة كانوا يحبسون أولاد الملوك عندهم فى محراب بيت
المقدس فمن كان من أهل المملكة اذا أصبح أصابع يديه مطلية بالدهن
وكان ولدا هارون يجيئون الى الصخرة ويسمونها الهيكل بالعبرانية وكانت
تنزل عليهم عين زيت من السماء فتدور فى القناديل فتملأها من غير ان
تمس وكان ينزل نار من السماء فتدور على مثال سبع على جبل طور زيتا
ثم تمتد حتى تدخل من باب الرحمة ثم تصير على الصخرة فيقول ولدا هارون
تبارك الرحمن لا اله الا هو فغفلوا ذات ليلة عن الوقت الذى كانت تنزل
النار فيه فنزلت وليس هم حضور ثم ارتفعت النار فجاؤا فقال الكبير
للصغير يا أخى قد كتبت الخطيئة أى شئ ينجينا من بنى اسرائيل ان تركنا
هذا البيت الليلة بلا نور ولا سراج فقال الصغير للكبير تعال حتى نأخذ
من نار الدنيا فنسرج القناديل لئلا يبقى هذا البيت فى هذه الليلة بلا نور
ولا سراج فأخذا من نار الدنيا واسرجا فنزلت عليهما النار فى ذلك الوقت
فأحرقت نار السماء نار الدنيا واحرقت ولدى هارون فناجى نبى ذلك
الزمان فقال يا رب احرقت ولدى هارون وقد علمت مكانهما فأوحى الله
تعالى اليه هكذا أفعل باوليائى اذا عصونى فكيف افعل باعدائى * طلسم
الحيات * قال الحافظ ابن عساكر قرأت فى كتاب قديم فيه وفى بيت
المقدس حيات عظيمة قاتلة الا ان الله تعالى قد تفضل على عباده بمسجد

على ظهر الطريق أخذه عمر بن الخطاب رضي الله عنه من كنيسة هناك تعرف بقمامة وفيه اسطوانتان كبيرتان من حجارة على رأسهما صور حيات يقال انها طلسم لها فتى لسعت انسانا حية في بيت المقدس لم تضره شيئا وان خرج عن بيت المقدس شبرا من الارض مات في الحال ودواؤه من ذلك ان يقيم في بيت المقدس ثلاثمائة وستين يوما فان خرج منه وقد بقي من العدة يوم واحد هلك وذكر الهروي أيضا نحو هذا في كتاب الزيارات له قال صاحب مثير الغرام رحمه الله وقد أخبرني الفقيه شمس الدين محمد بن علي بن عقبة وهو عدل فاضل ثقة أن ذلك اتفق لشخص سماه هو وانسيت اسمه كان يلعب بالحيات فلدغته حية فخرج من المقدس فمات وهذا يؤيد ماذكراه قلت وهذا المسجد معروف وهو بحارة النصارى بالقدس الشريف بجوار كنيسة قمامة من جهة الغرب عن يمنة السالك من درج القمامة الى الخانقاه الصلاحية والذي يظهر ان طلسم الحيات بطل منه والله أعلم * ولما انتهت عمارة مسجد بيت المقدس شرع سليمان في بناء دار مملكته بالقدس الشريف واجتهد في عمارتها وتشييدها وفرغ منها في مدة ثلاث عشرة سنة وانتهت عمارتها في السنة الرابعة والعشرين من ملكه ﴿قصة بلقيس﴾ وفي السنة الخامسة والعشرين من ملكه جاءته بلقيس ملكة اليمن ومن معها وقصتها معه مشهورة وملخصها ان سيدنا سليمان عليه السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج الى مكة فتجهز للسير واستصحب من الجن والانس والشياطين والطيور والوحوش ما بلغ معسكره مائة فرسخ فحملتهم الريح فلما وافى الحرم أقام به ما شاء الله ان يقيم وكان ينحر كل يوم طول مقامه بمكة خمسة آلاف ناقة ويذبح خمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة وقال لمن حضره من اشراف قومه هذا مكان يخرج منه نبي عربي صفته كذا وكذا يعطى النصر على من عاداه وتبلغ هيبته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده في الحق سواء لا تأخذه في الله لومة لائم قالوا فبأي دين يدين يا نبي الله قال يدين بدين

الحنيفية فطوبى لمن آمن به وادركه فقالوا كم بيننا و بين خروجه يا نبي الله
قال مقدار ألف عام فليبلغ الشاهد منكم الغائب فانه سيد الانبياء وخاتم
الرسل فأقام بمكة حتى قضى نسكه ثم خرج من مكة صباحا وسار حتى لحق
اليمن فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى ارضا حسناء تزهو
خضرتها فاحب النزول بها ليتغدى و يصلى وكان الهدهد دليل سليمان
على الماء فانه كان يعرف موضع الماء ويراه تحت الارض كما يرى فى الزجاجة
فيعرف قربه من بعده فينقر الارض حتى تجىء الشياطين فيسلخونها
و يستخرجون الماء فلما نزل سليمان قال الهدهد ان سليمان قد اشتغل
بالنزول فارتفع نحو السماء حتى نظر الى طول الدنيا وعرضها فنظر يمينا
وشمالا فرأى بستانا لبلقيس فمال الى الخضرة فوقع فيه فاذا هو بهدهد
فهبط عليه وكان اسم هدهد سليمان يعفور واسم هدهد اليمن عنيفر فقال
عنيفر اليمن ليعفور سليمان من أين اقبلت وأين تريد قال اقبلت من الشأم
مع صاحبى سليمان بن داود فقال ومن سليمان قال ملك الانس والجن
والشياطين والوحوش والطيور والرياح فقال يعفور لعنيفر فمن أين أنت
قال أنا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امرأة يقال لها بلقيس وان
لصاحبكم ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها ملكة اليمن
كلها وتحت يدها اثنا عشر ألف قائد تحت يد كل قائد مائة ألف مقاتل فهل
أنت منطلق معى حتى تنظر الى ملكها قال أخاف ان يتفقدنى سليمان
فى وقت الصلاة اذا احتاج الماء قال الهدهد اليمانى ان صاحبكم يسره ان
تأتيه بخبر هذه الملكة فانطلق معه حتى نظر الى بلقيس وملكها وما رجع
الى سليمان الا وقت العصر فلما نزل ودخل عليه وقت الصلاة وكان نزل
على غير ماء فسأل الجن والانس والشياطين عن الماء فلم يعلموا فتفقد
الطير ففقد الهدهد فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عن الهدهد
فقال اصلح الله الملك ما ادرى أين هو وما ارسلته مكانا فغضب عند ذلك
سليمان وقال لاعذبنه عذابا شديدا أو لاذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين

واختلف فى العذاب الذى توعده به فاظهر الاقوال ان عذابه ان ينتف ريشه وذنبه ويلقيه فى الشمس ممعطا لايمتنع من النمل ولا من هوام الارض أو لاذبحنه أى لاقطعن حلقه أوليأتينى بسلطان مبين بحجة بينة فى غيبته وعذر ظاهر ثم دعا العقاب سيد الطيور فقال علىّ بالهدهد الساعة فرفع العقاب نفسه دون السماء حتى التصق بالهواء فنظر الى الدنيا كالقصعة بين يدى أحدكم ثم التفت يمينا وشمالا فاذا هو بالهدهد مقبلا من ناحية اليمن فانقض العقاب نحوه يريده فلما رأى الهدهد ذلك علم ان العقاب يقصده بسوء فناشده فقال بالذى قواك وأقدرك علىّ الارحمتنى ولم تتعرض لى بسوء فولى العقاب وقال ويلك ثكلتك امك ان نبى الله حلف ان يعذبك أو يذبحك ثم طارا متوجهين نحو سليمان فلما انتهى الى العسكر تلقاه النسر والطير فقالوا له ويلك أين غبت فى يومك هذا القدر توعدك سليمان نبى الله وأخبروه بما قال فقال الهدهد وما استثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا بلى قال أوليأتينى بسلطان مبين قال نجوت اذا ثم انطلق العقاب والهدهد حتى أتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد أتيتك به يانبى الله فلما قرب الهدهد منه رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا لسليمان فلما دنا منه أخذ برأسه فمده اليه فقال أين كنت لاعذبنك عذابا شديدا فقال له الهدهد يانبى الله اذكر وقوفك بين يدى الله عز وجل فلما سمع سليمان ذلك ارتعد وعفا عنه ثم سأله ما الذى ابطأك عنى فقال الهدهد ما اخبر به الله تعالى فى قوله فمكث غير بعيد أى غير طويل فقال احطت بما لم تحط به والاحاطة العلم بالشئ من جميع جهاته يقول علمت مالم تعلمه وبلغت مالم تبلغه أنت ولا جنودك وجئتك من سبأ بنبأ يقين واختلف فى سبأ فقيل اسم البلد وقيل اسم رجل فقال سليمان وماذاك قال انى وجدت امرأة تملكهم اسمها بلقيس بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان وكان أبوها ملكا عظيم الشان وقد ولد له أربعون ملكا وهى

آخرهم وكان يملك أرض اليمن كلها وكان يقول للملوك الاطراف ليس أحد
منكم كفؤالى وأبى ان يتزوج منهم فزوجوه امرأة من الجن يقال لها
ريحانه بنت اليسكن فولدت له بلقيس ولم يكن له ولد غيرها وجاء
فى الحديث ان احد أبوى بلقيس كان جنيا فلما مات أبو بلقيس طمعت
فى الملك فطلبت من قومها ان يبايعوها فاطاعها قوم وعصاها آخرون
فملكوا عليهم رجلا فافترقوا فرقتين كل فرقة استولت على طرف من أرض
اليمن ثم ان الرجل الذى ملكوه اساء السيرة فى أهل مملكته حتى كان يمد
يده الى حريم رعيته فيفجر بهن فاراد قومه خلعه فلم يقدروا عليه فلما رأت
بلقيس ذلك ادركتها الغيرة فارسلت اليه تعرض نفسها عليه فاجابها
الملك وقال مامنعنى ان ابتدئك بالخطبة الا الاياس منك فقالت
لا أرغب عنك كفؤكريم فاجمع رجال قومى واخطبنى اليهم فجمعهم
وخطبها اليهم فقالوا الانراها تفعل هذا فقال لهم انها طلبت ذلك وانا أحب
ان تسمعوا قولها فجاؤها فذكروا لها ذلك فقالت نعم احببت الولد فزوجوها
منه فلما زفت اليه خرجت باناس كثيرة من حشمها فلما جاءته سقته الخمر
حتى سكر ثم حزت رأسه وانصرفت من الليل الى منزلها فلما اصبحوا ورأوا
الملك قتيلا ورأسه منصوب على باب دارها علموا ان تلك المناكحة كانت
مكرا وخديعة منها فاجتمعوا اليها وقالوا أنت بهذا الملك احق من غيرك
فملكوها وقد جاء فى الحديث الشريف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما بلغه ان أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال لا أفلح قوم ولوا
أمرهم امرأة قال الله تعالى واوتيت من كل شئ أى تحتاج اليه الملوك من
الآلة والعدة ولها عرش عظيم سرير ضخم كان مضروبا من الذهب مكللا
بالدر والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر وقوائمه من الياقوت ومن
الزمرد وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب يغلق قال ابن عباس كان عرش
بلقيس ثلاثين ذراعا فى ثلاثين ذراعا وطوله فى السماء ثلاثون ذراعا
وقيل غير ذلك وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم

الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون الا يسجدوا لله الذى
يخرج الخبء فى السموات والارض خبء السماء المطر وخبء الارض
النبات ويعلم ما يخفون وما يعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم أى
هو المستحق للعبادة والسجود لا غيره وعرش ملكة سبأ وان كان عظيما
فهو صغير حقير فى جنب عرشه عز وجل فلما فرغ الهدهد من كلامه قال له
سليمان سننظر أصدقت فيما أخبرت ام كنت من الكاذبين فدلهم
الهدهد على الماء فاحتفروا الركايا وروى الناس والدواب ثم كتب
سليمان كتابا * من عند سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ بسم الله
الرحمن الرحيم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا علىّ وائتونى
مسلمين * ولم يزد سليمان على ما قص الله فى كتابه وكذلك الانبياء كانت
تكتب جملا لا يطيلون ولا يكثرون فلما كتب الكتاب طبعه بالمسك وختمه
بخاتمه وقال للهدهد اذهب بكتابى هذا فالقه اليهم ثم تول تنح عنهم وكن
قريبا منهم فانظر ماذا يرجعون يردون من الجواب فأخذ الهدهد الكتاب
وأتى به الى بلقيس وكانت بأرض اليمن بأرض يقال لها مأرب بأرض
صنعاء على ثلاثة أيام فوافاها فى قصرها وقد اغلقت الابواب وأخذت
المفاتيح فوضعتها تحت رأسها فأتاها وهى نائمة مستلقية على قفاها فألقى
الكتاب على نحرها فأخذت بلقيس الكتاب وكانت قارئة فلما رأت
الخاتم ارتعدت وخضعت لانّ ملك سليمان كان فى خاتمه وعرفت ان
الذى أرسل الكتاب أعظم ملكا منها فقرأت الكتاب وتأخر الهدهد غير
بعيد فجاءت حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت الملأ من قومها وهم
اثنا عشر ألف قائد مع كل قائد مائة ألف مقاتل فجاؤا وأخذوا مجالسهم
فقالت لهم بلقيس يا أيها الملأ وهم اشراف الناس وكبراؤهم انى ألقى الىّ
كتاب كريم سمته كريما لانه كان مختوما وروى عن النبىّ صلى الله عليه
وسلم انه قال كرامة الكتاب ختمه ثم بينت ممن الكتاب وقالت انه من
سليمان وبينت المكتوب فقالت وانه بسم الله الرحمن الرحيم ان لا تعلوا

على

عليّ * قال ابن عباس لا تتكبروا على وائتوني مسلمين طائعين قيل هو من الاسلام وقيل هو من الاستسلام قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري اشيروا عليّ فيما عرض لي واجيبوني ما كنت قاطعة قاضية وفاصلة أمرا حتى تشهدون أي تحضرون قالوا مجيبين لها نحن أولوا قوة في المال وأولوا بأس شديد عند الحرب والقتال ثم قالوا والامر اليك ايتها الملكة في القتال وتركه فانظري من الرأي ماذا تأمرين تجدينا لأمرك مطيعين قالت بلقيس مجيبة لهم عند التعريض بالقتال ان الملوك اذا دخلوا قرية عنوة أفسدوها خربوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة أي اهانوا أشرافها وكبراءها كي يستقيم لهم الامر تحذرهم مسير سليمان اليهم ودخوله بلادهم وتناهى الخبر عنها هاهنا فصدق الله قولها فقال وكذلك يفعلون أي كما قالت هي يفعلون ثم قالت واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون والهدية هي العطية على ظهر الملاطفة وذلك ان بلقيس كانت امرأة لبيبة قد سيست وساست فقالت للملأ حولها من قومها اني مرسلة الى سليمان وقومه بهدية اصانعه بها عن ملكي وأختبره بها أملك هو أم نبي فان يكن ملكا قبل الهدية وانصرف وان يكن نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضه منا الا ان نتبعه على دينه وذلك قوله تعالى فناظرة بم يرجع المرسلون فاهدت له وصفاء ووصائف وألبستهم لباسا واحدا كي لا يعرف ذكرهم من انثاهم وقيل ألبست الغلمان لباس الجواري وعكسه وكان في لباسهم ماهو مرصع بانواع الجواهر وأركبتهم الخيول بلجم الذهب مرصعة بالجواهر وجعلت الغواشي من الديباج الملوّن وبعثت اليه خمسمائة لبنة من الذهب وخمسمائة لبنة من الفضة مكللة بالدر واليواقيت وأرسلت اليه المسك والعنبر والعود اليلنجوج وعمدت الى حقة فجعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة وخرزة جزعية صغيرة مثقوبة معوجة الثقب ودعت رجلا من أشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت اليه رجالا من قومها أصحاب رأي وعقل وكتبت اليه كتابا بنسخة الهدية وقالت له ان كنت

نبيا فيز بين الوصفاء والوصائف واخبر بما فى الحقة قبل ان تفتحها واثقب الدرة ثقبا مستويا وأدخل خيطا فى الخرزة المثقوبة من غير علاج انس ولا جن وأمرت بلقيس الغلمان وقالت لهم اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام تأنيث وتخنث يشبه كلام النساء وأمرت الجوارى أن يكلمنه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ثم قالت لرسولها انظر الى الرجل اذا دخلت عليه فان نظر اليك نظر غضب فاعلم انه ملك ولا يهولنك منظره فانا اعز منه وان رأيت الرجل بشاشا لطيفا فاعلم انه نبى مرسل فافهم قوله ورد الجواب فانطلق رسولها بالهدية وأتى الهدهد مسرعا الى سليمان فاخبره الخبر كله فأمر سليمان الجن ان يضربوا لبنات الذهب ولبنات الفضة ففعلوا ثم أمرهم ان يبسطوا من موضعه الذى هو فيه وكان تسع فراسخ ميدانا واحدا بلبنات الذهب والفضة وان يتركوا على طريقهم موضعا على قدر اللبنات خاليا وباقى الارض مفروشة وان يجعلوا حول الميدان حائطا شرافاتها من الذهب والفضة * ثم قال أى الدواب خير ما رأيتم فى البر والبحر قالوا يانبى الله انا رأينا دواب فى بحر كذا وكذا منطقة مختلفة ألوانها على صفات الخيل ولها اجنحة وأعراف ونواصى فقال سليمان على بها الساعة فاتوا بها فقال شدوها عن يمين الميدان وعن يساره على لبنات الذهب والفضة وألقوا لها علفها فيها * ثم قال سليمان للجن على باولادكم فاجتمع عنده خلق كثير فأقامهم عن يمين الميدان ويساره ثم قعد سليمان فى مجلسه على سريره ووضع له أربعة آلاف كرسى عن يمينه ومثلها عن يساره وأمر الشياطين أن يصطفوا صفوفا فاصطفوا فراسخ * عن يمينه ويساره وأمر الانس أن يصطفوا مثلهم فاصطفوا فراسخ ثم أمر الطيور والوحوش والهوام ان يصطفوا فاصطفوا فراسخ عن يمين سليمان وعن يساره وهو جالس على كرسيه والجميع حوله وعن يمينه وشماله فلما دنا القوم من الميدان ورأوا سليمان ونظروا الى ملكه ونظروا الدواب البحرية التى لم ترأعينهم مثلها على وجه

الارض وهم يبولون على لبن الذهب والفضة ويروثون عليها تقاصرت أنفسهم ورموا جميع مامعهم من الهدايا فى ذلك المكان خوفا من ان يتهموا بذلك * ولما نظروا الى الشياطين ورأوا منظرا عجيبا فزعوا وخافوا فقال لهم الشياطين جوزوا فلا بأس عليكم فكانوا يمرون على كردوس كردوس من الجن والانس والوحوش والطير والسباع والهوام حتى وقفوا بين يدى سليمان عليه السلام فنظر اليهم منظرا حسنا بوجه طلق وبشاشة وقال ماوراكم فاخبره رئيس القوم بما جاؤا به وأعطاه كتاب الملكة فنظر فيه ثم قال أين الحقة فاتوه بها فحركها وجاء جبريل عليه السلام وأخبره بما فيها فقال سليمان ان فيها درة ثمينة غير مثقوبة وخرزة مثقوبة معوجة الثقب فقال له الرسول صدقت فاثقب لنا الدرة وأدخل الخيط فى الخرزة فقال سليمان من لى بثقبها وسأل سليمان الانس والجن فلم يكن عندهم علم من ذلك ثم سأل الشياطين فقالوا ارسل الى الارضة فجاءت فأخذت شعرة فى فيها ودخلت الخرزة بها حتى خرجت من الجانب الآخر فقال سليمان للارضة ما حاجتك وما الذى تريدين قالت يانبى الله اريد أن تصير رزقى فى الشجر فقال لها لك ذلك ثم قال سليمان من لهذه الخرزة يسلكها الخيط * فقالت دودة بيضاء أنا لها يارسول الله * فأخذت الدودة الخيط فى فيها ودخلت من جانب ثم خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ماتريدين قالت تجعل رزقى فى الفواكه فقال لها لك ذلك ثم ميز الجوارى والغلمان بأن أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم فجعلت الجارية تاخذ الماء من الآنية باحدى يديها ثم تجعله على اليد الاخرى ثم تضرب به الوجه وجعل الغلام كلما أخذ من الآنية يضرب به وجهه وكانت الجارية تصب الماء صبا والغلام يحدر الماء على يديه حدرا فميز بينهما بذلك ثم رد سليمان الهدية كما قال الله تعالى عنه فلما جاء سليمان قال أتمدوننى بمال فما آتانى الله من الدين والنبوة والحكمة والملك خير أفضل مما آتاكم بل أنتم بهديتكم

تفرحون لانكم أهل مفاخرة فى الدنيا ومكاثرة بها تفرحون باهداء بعضكم الى بعض * واما أنا فلا أفرح بها وليست الدنيا من حاجتى لان الله تعالى قد مكننى فيها وأعطانى منها مالم يعطه لاحد ومع ذلك اكرمنى بالدين والنبوة ثم قال للمنذر بن عمرو وهو أمير القوم ارجع اليهم بالهدية فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها أى لا طاقة لهم بها ولنخرجنهم منها أى من أرضهم وبلادهم وهى سبأ اذلة وهم صاغرون أى ذليلون ان لم يأتونى مسلمين فلما رجع رسول بلقيس اليها قالت قد عرفت والله ما هذا بملك ولا لنا به من طاقة ثم بعثت الى سليمان انى قادمة عليك بملوك قومى انظر ما أمرك وما تدعوا اليه من دينك * ثم أمرت بعرشها فجعلته فى آخر سبعة أبيات بعضها فى بعض فى آخر قصر من سبعة قصور ثم غلقت دونه الابواب ووكلت به حراسا يحفظونه ثم قالت لمن خلفت على سلطانها احتفظ بما قبلك وسرير ملكى لا تخلص اليه أحدا ولا تدنيه حتى آتيك ثم أمرت مناديا ينادى فى أهل مملكتها تؤذنهم بالرحيل ثم شخصت الى سليمان فى اثنى عشر ألف قيل من ملوك اليمن تحت يد كل قيل الوف كثيرة وكان سليمان رجلا مهابا لا يبتدأ بشئ حتى يكون هو الذى يسأل عنه فخرج يوما فجلس على سرير ملكه فرأى رهجا قريبا منه فقال ما هذا قالوا والله هذه بلقيس وقد نزلت بهذا المكان وكانت على مسيرة فرسخ من سليمان فأقبل سليمان حينئذ على جنوده وقال لهم يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين مؤمنين * وقال ابن عباس مسلمين أى طائعين واختلفوا فى السبب الذى لاجله أمر سليمان باحضار عرشها فقال اكثرهم لان سليمان علم أنها ان أسلمت حرم عليه مالها فأراد أن يأخذ سريرها قبل ان يحرم عليه أخذه باسلامها وقيل أراد أن يريها قدرة الله عز وجل وعظيم سلطانه فى معجزة يأتى بها عرشها قال قتادة لانه أعجبه صفته حيث وصفه الهدهد فاحب ان يراه وقال زيد أراد أن يبدأ بتنكيره وتغييره فيختبر بذلك عقلها قال عفريت من الجن وهو المارد

القوى

القوى قيل اسمه كودى وقيل اسمه دوكان وقيل هو صخر الجنى وكان بمنزلة
جبل يضع قدمه عند منتهى طرفه انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك
أى مجلسك الذى تحكم فيه وكان له كل غداة مجلس يقضى فيه الى فراغ
النهار وانى عليه أى على حمله لقوى امين على ما فيه من الجواهر والمعادن
فقال سليمان اريد شيئا يكون أسرع من ذلك * فقال الذى عنده علم من
الكتاب انا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك واختلفوا فيه فقيل هو جبريل
عليه السلام وقيل هو ملك من الملائكة أيد الله به سليمان عليه السلام
وقال الاكثرون هو آصف بن برخيا وكان صديقا يعرف اسم الله الاعظم
الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به اعطى * وروى عن ابن عباس انه قال
انّ آصف قال لسليمان حين صلى مدّ عينيك حتى ينتهى طرفك فمدّ عينيه
أى بصره فنظر نحو اليمن فدعا آصف بين يدى سليمان فبعث الله الملائكة
فحملوا السرير من تحت الارض وهم يخدون خدا حتى انخرقت الارض
بالسرير بين يدى سليمان وقيل غير ذلك وقيل كانت المسافة مقدار شهرين
واختلف فى الدعاء الذى دعا به آصف فقيل انه قال ياذا الجلال والاكرام
وقيل ياحى ياقيوم * وعن الزهرى قال الذى عنده علم من الكتاب
ياالهنا واله كل شئ الها واحدا لا اله الا أنت ائتنى بعرشها وقيل انما هو
سليمان قال له عالم من بنى اسرائيل آتاه الله علما وفهما انا آتيك به قبل أن
يرتد اليك طرفك قال سليمان هات قال أنت النبى ولیس أحد عند الله
أوجه منك فاذا دعوت اليه وطلبته كان عندك قال صدقت ففعل ذلك
فجىء بالعرش فى الوقت وقوله قبل أن يرتد اليك طرفك * قال سعيد بن
جبير يعنى من قبل أن يرجع اليك اقصى من ترى وهو ان يصل اليك
من كان منك على مدّ بصرك وقيل غير ذلك فلما رآه يعنى سليمان العرش
مستقرا عنده محمولا اليه من هذه المسافة البعيدة فى قدر ارتداد الطرف
قال هذا من فضل ربى ليبلونى الشكر نعمته ام اكفر فلا أشكرها
ومن شكر فانما يشكر لنفسه أى يعود نفع شكره عليه وهو أن

يستوجب به تمام النعمة ودوامها لان الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة ومن كفر فان ربي غني عن شكره وكريم بالافضال على من يكفر نعمته * قال سليمان نكروا لها عرشها أى سريرها الى حال تنكره اذا رأته فقيل جعل اسفله اعلاه وعكسه وجعل مكان الجوهر الاحمر الاخضر وعكسه ننظر اتهتدى الى عرشها فتعرفه ام تكون من الجاهلين الذين لا يهتدون اليه وانما حمل سليمان على ذلك ان الشياطين خافت ان يتزوجها سليمان فتفشي اليه أمر الجن لان امها كانت جنية واذا ولدت ولدا لسليمان لا ينفكوا من تسخيرهم لسليمان وذريته من بعده فاساؤا الثناء عليها ليزهدوه فيها وقالوا ان في عقلها شيئا وان برجلها شعرا وان رجلها كحوافر الحمار وانها مشعرة الساقين فأراد سليمان ان يختبرها في عقلها فنكر عرشها وينظر الى قدميها ببناء الصرح فلما جاءت قيل لها اهكذا عرشك قالت كأنه هو عرفته ولكن شبهت عليهم كما شبهوا عليها لم تقل نعم خوفا من التكذيب فقالت كأنه هو فعرف سليمان كمال عقلها حيث لم تقر ولم تنكر * وحكى غير ذلك فقالت وأوتينا العلم بصحة نبوة سليمان بالآيات المتقدمة من أمر الهدية والرسل من قبلها ومن قبل الآية في العرش وكنا مسلمين منقادين طائعين لامر سليمان وقيل غير ذلك قال الله تعالى وصدها ما كانت تعبد من دون الله أى منعها ما كانت تعبد من دون الله وهي الشمس ان تعبد الله أى صدها عبادة الشمس عن التوحيد وعن عبادة الله تعالى وقيل غير ذلك وقوله تعالى قيل لها ادخلي الصرح الآية وذلك ان سليمان عليه السلام أراد ان ينظر الى قدميها وساقيها من غير ان يسلها اثوابها او ينظر ما قالت الشياطين عنها ان رجلها كحوافر الحمار وهي مشعرة الساقين فأمر سليمان الشياطين فبنوا له صرحا أى قصرا من زجاج وقيل بيتا من زجاج كانه الماء بياضا وقيل الصرح صحن الدار واجرى تحته الماء والقى فيه كل شيء من دواب البحر حتى السمك والضفدع وغيرهما ثم وضع سريره في صدره وجلس عليه

فعكفت عليه الطير والجن والانس وانما بنى الصرح ليختبر فهمها كما فعلت هى بالوصائف والوصفاء فلما جلس سليمان على السرير دعا بلقيس فلما جاءت قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وهى معظم الماء وكشفت عن ساقيها لتخوضه الى سليمان فنظر سليمان فاذا هى أحسن الناس قدما وساقا الا انها مشعرة الساقين فلما رأى سليمان ذلك صرف بصره عنها ثم ناداها انه صرح ممرد أى مملس من قوارير ثم دعاها للاسلام وكانت قد رأت حال العرش وعلمت ان ملك سليمان من الله تعالى فاجابت وقالت رب انى ظلمت نفسى بالكفر وعبادة غيرك واسلمت مع سليمان لله رب العالمين أى اخلصت له التوحيد واختلف فى أمرها هل تزوجها سليمان عليه السلام فقال بعضهم تزوجها ولما أراد ان يتزوجها كره مارأى من كثرة شعر ساقيها فسأل الانس ما يذهب هذا قالوا الموسى فقال انها تجرح ساقيها وسأل الجن فقالوا لا ندرى ثم سأل الشياطين فقالوا نحتال لك بحيلة حتى يصير كالسبيكة الفضة من غير اذى فقال افعلوا فاتخذوا النورة والحمام وكانت النورة والحمام من ذلك اليوم ويقال ان الحمام كان بباب الاسباط بالقدس الشريف وهو الحمام الذى بجوار المدرسة الصلاحية وهو من جملة أوقاف المدرسة من الملك صلاح الدين وانما بنى لبلقيس وانه أول حمام وضع على وجه الارض والله أعلم ولما تزوجها سليمان أحبها حبا شديدا واقرها على ملكها وأمر الجن فابتنوا بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا ثم كان سليمان يزورها فى كل شهر مرة بعد ان ردها الى ملكها ويقيم عندها ثلاثة أيام وولدت له فيما يذكر والله اعلم ﴿ذكر فتنة سليمان عليه السلام﴾ قال الله تعالى ولقد فتنا سليمان أى اختبرناه وابتليناه بسلب ملكه وسبب ذلك ماروى عن وهب بن منبه قال سمع سليمان بمدينة فى جزيرة من جزائر البحر يقال لها صدوف ولها ملك عظيم الشان لم يكن للناس عليه سبيل لمكانه بالبحر وكان الله عز وجل قد آتى سليمان فى ملكه سلطانا

لا يمتنع عليه شئ فى بر ولا بحر بما يركب اليه الريح فخرج سليمان الى تلك
المدينة تحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل بها بجنوده من الجن والانس
فقتل ملكها واستقام فيها فاصاب فيما أصاب ابنة الملك تسمى جرادة
لم ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها للاسلام فاسلمت
على جفاء منها وقلة موافقة واحبها حبا لم يحبه أحدا من نسائه فكانت
على منزلة عظيمة عنده فكانت لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها فشق ذلك
على سليمان فقال لها ويلك ما هذا الحزن الذى لم يذهب والدمع الذى
لا يرقأ قالت انى اذكر أبى واذكر ملكه وما كان فيه وما أصابه فيحزننى
ذلك قال سليمان قد أبدلك الله ملكا هو أعظم من ملك ابيك وسلطانا
هو أعظم من سلطانه وهداك الله للاسلام وهو خير لك من ذلك كله قالت
ان ذلك كذلك ولكنى اذا تذكرته اصابنى ماترى من الحزن فلو أنك
أمرت الشياطين فيصور واصورته فى دارى التى انا فيها فاراها بكرة
وعشية لرجوت أن يذهب ذلك حزنى وان يسلبنى بعض ما أجد فى نفسى
فامر سليمان الشياطين ان يمثلوا لها صورة أبيها فى دارها حتى لا تنكر
منه شيئا فمثلوها حتى نظرت الى أبيها بعينه الا أنه لا روح فيه فعمدت
اليه حين وضعوه فازرته وقمصته وعممته وردته بمثل ثيابه التى كانت
عليه فى حال حياته ثم انها كانت اذا خرج سليمان عليه السلام من دارها
تغدو اليه فى ولائدها ومن يلوذ بها ثم تسجد له ويسجدون له كما كانت
تصنع له فى ملكه واستمرت تفعل ذلك بكرة وعشية وسليمان لا يعلم
بشئ من ذلك مدة أربعين صباحا فبلغ ذلك آصف ابن برخيا وكان صديقا
وكان لا يرد عن أبواب سليمان وأى ساعة أراد أن يدخل دار سليمان دخل
حاضرا كان سليمان أو غائبا فأتى سليمان وقال له يا نبى الله كبر سنى ورق
عظمى ونفد عمرى وقد حان منى ذهابه وقد أحببت ان أقوم مقاما قبل
الموت اذكر فيه من مضى من أنبياء الله تعالى واثنى عليهم بعلمى فيهم وأعلم
الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير أمورهم فقال له سليمان افعل

فجمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيبا فحمد الله تعالى وذكر من مضى من أنبياء الله تعالى واثنى على كل نبي بما فيه وذكر ما فضله الله به حتى انتهى الى سليمان فقال ما كان احلمك فى صغرك واورعك فى صغرك وأفضلك فى صغرك وأبعدك من كل ما يكره فى صغرك ثم انصرف فوجد سليمان فى نفسه من ذلك حتى امتلأ غيظا فلما دخل سليمان داره أرسل اليه فقال يا آصف ذكرت من مضى من أنبياء الله تعالى وأثنيت عليهم خيرا فى زمانهم وفى كل حال من امورهم فلما ان ذكرتني جعلت تثني علي بخير فى صغري وسكت عن ما سوى ذلك من أمرى فى كبرى فما الذى أحدثت فى آخر أمرى فقال له ان غير الله يعبد فى دارك مدة أربعين صباحا فى هوى امرأة فقال سليمان فى دارى قال فى دارك فقال سليمان انا لله وانا اليه راجعون لقد عرفت انك ما قلت الذى قلت الا عن شئ بلغك ثم رجع سليمان الى داره وكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة وولائدها ثم أمر بثياب الطهرة فأتى بها وهى ثياب لا يغزلها الا البنات الابكار ولا يمسها امرأة قد رأت الدم ولا ينسجها الا البنات الابكار ولا يغسلها الا الابكار فلبسها ثم خرج الى فلاة من الارض وحده وأمر برماد ففرش له ثم أقبل تائبا الى الله تعالى حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك فيه بثيابه تذللا لله تعالى وتضرعا اليه وجعل يبكى ويدعو ويستغفر مما كان فى داره فلم يزل كذلك يومه حتى امسى ثم رجع الى داره وكانت له ام ولد تسمى الامينة كان اذا دخل مذهبه أو أراد اصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها ثم دخل حتى يتطهر وكان لا يلبس خاتمه الا طاهرا وكان ملكه فى خاتمه فوضعه يوما عندها ثم دخل الى مذهبه فأتاها الشيطان صاحب البحر وكان اسمه صخر على صورة سليمان لم تنكر منه شيئا فقال خاتمى يا امينة فناولته اياه فجعله فى يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان فعكف عليه الطير والجن والانس فخرج سليمان وأتى الامينة وقد تغيرت حالته وهيئته عند كل من يراه فقال خاتمى يا أمينة فقالت له

من أنت قال سليمان بن داود نبي الله قالت له كذبت قد جاء سليمان وأخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان ان الخطيئة قد أدركته فخرج وجعل يقف على الدار من دور بني اسرائيل فيقول انا سليمان بن داود فيكذبوه ويحثون عليه التراب ويسبونه ويقولون انظروا الى هذا المجنون أى شئ يقول يزعم انه سليمان فلما رأى سليمان ذلك عمد الى البحر وكان ينقل الحيتان لاصحاب البحر الى السوق فيعطونه كل يوم سمكتين فاذا امسى باع احدى سمكتيه برغيفين وشوى السمكة الاخرى واكلها فمكث كذلك أربعين صباحا بعدد ما كان عبد الوثن فى داره فانكر آصف وكبراء بني اسرائيل حكم عدو الله الشيطان فى تلك الاربعين يوما فقال آصف يا معشر بني اسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم سليمان بن داود ما رأيت قالوا نعم قال آصف أمهلوني حتى أدخل على نسائه واسألهن هل ينكرن منه شيئا فى خاصة امره كما انكرنا فى عامة أمر الناس فدخل على نسائه فقال ويحكن هل انكرتن من أمر ابن داود ما انكرناه فقلن اشد ما يدع امرأة منا فى دمها ولا يغتسل من الجنابة فقال انا لله وانا اليه راجعون ان هذا هو البلاء المبين ثم خرج آصف على بني اسرائيل فقال ما فى الخاصة اعظم مما فى العامة فاجتمع قراء بني اسرائيل وعلماؤهم فاقبلوا حتى احدقوا به ونشروا التوراة فقرؤها فطار من بين ايديهم حتى وقع على شرفة والخاتم معه ثم طار حتى ذهب الى البحر فوقع الخاتم منه فى البحر وابتلعه حوت فأخذه بعض الصيادين وكان سليمان قد عمل لذلك الصياد من صدر النهار حتى اذا كانت العشية أعطاه سمكتين فاعطى السمكة التى فيها الخاتم من جملة السمكتين فخرج سليمان بسمكتيه فباع التى ليس فى بطنها الخاتم بالرغيفين ثم عمد الى السمكة الاخرى فبقرها ليشويها فاستقبله خاتمه فى جوفها فأخذه وجعله فى يده فرد الله تعالى عليه ملكه وبهاءه فوقع ساجدا شكرا فعكفت عليه الطير والوحوش والانس والجن وأقبل عليه الناس وعرف الذى كان دخل

عليه لما أحدث فى داره فرجع الى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه وأمر الشياطين فقال ائتونى بصخر فطلبته الشياطين حتى أخذته فأتى به فجاءله بصخرة فادخله فيها ثم سد عليه باخرى ثم اوثقها بالحديد والرصاص ثم أمر به فقذف فى البحر هذا حديث وهب وحكى غير ذلك واشهر الاقاويل ان الجسد الذى التى على كرسيه هو صخر الجنى فذلك قوله عز وجل والقينا على كرسيه جسدا ثم أناب أى رجع الى ملكه بعد أربعين يوما فلما رجع قال رب اغفرلى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى يريد هب لى ملكا لا تسلبنيه فى باقى عمرى وتعطيه غيرى كما سلبتنيه فيما مضى انك أنت الوهاب قيل سأل ذلك ليكون آية لنبوته ودلالة على رسالته ومعجزة له وقيل سأل ذلك ليكون علما على قبول توبته حيث أجاب الله دعاءه ورد اليه ملكه وزاد فيه وقال مقاتل كان سليمان ملكا ولكنه أراد بقوله لا ينبغى لاحد من بعدى تسخير الرياح والطير والشياطين بدليل ما بعده * وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان عفريتا من الجن تفلت البارحة ليقطع على صلاتى فامكننى الله منه فأخذته فأردت ان أربطه الى سارية من سوارى المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة أخى سليمان رب اغفرلى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى فرددته خاسئا ولما رد الله على سليمان ملكه وبهاءه وحامت عليه الطير وعرف الناس انه سليمان قاموا يعتذرون اليه مما صنعوا فقال ما أحمدكم على عذركم ولا الومكم على ما كان منكم هذا أمر كان لا بد منه ثم جاء حتى أتى ملكه واطاعه جميع ملوك الارض وحملوا اليه نفائس أموالهم واستمر سليمان على ذلك حتى توفى

﴿ذكر وفاته عليه السلام﴾

وقد روى فى وفاة سليمان عليه السلام ما قاله أهل العلم انه كان يتحنث فى بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين واقل من ذلك واكثر يدخل فيه طعامه وشرابه فادخله فى المرة التى مات فيها وكان بدأ ذلك انه لا يصبح يوما الا نبتت فى محرابه ببيت المقدس شجرة فيسألها ما اسمك

فتقول اسمى كذا فيقول لاى شئ أنت فتقول لكذا وكذا فيأمر بها فتقطع
فان كانت نبتت لغرس يغرسها وان كانت لدواء كتبها حتى نبتت الخروبة
فقال لها ما أنت قالت الخروبة قال لاى شئ نبت قالت لخراب مسجدك
فقال سليمان ما كان الله ليخربه وأنا حى أنت التى على وجهك هلاكى
وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها فى حائط ثم قال اللهم عم على الجن
موتى حتى تعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس
انهم يعلمون من الغيب أشياء ويعلمون ما فى غد ثم دخل المحراب فقام يصلى
متكئا على عصاه * نقل انه نحتها من الخروب فمات قائما وكان للمحراب
كوى بين يديه وخلفه فكان الجن يعملون تلك الاعمال الشاقة التى كانوا
يعملونها فى حياته وينظرون اليه يحسبون انه حى ولا ينكرون احتباسه
عن الخروج الى الناس لطول صلاته قبل ذلك فمكثوا يدأبون له بعد موته
حولا كاملا حتى اكلت الأرضة عصا سليمان فخر ميتا فعلموا بموته
فشكرت الجن الارضة فهم يأتونها بالماء والطين فى جوف الخشب فذلك
قول الله تعالى ما دلهم على موته الا دابة الارض وهى الارضة تأكل
منسأته يعنى عصاه فلما خر أى سقط على الارض تبينت الجن أن لو كانوا
يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين أى علمت الجن وايقنت ان
لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين أى فى التعب والشقاء
مسخرين لسليمان وهو ميت يظنون حياته أراد الله بذلك ان يعلم الجن
انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يظنون انهم يعلمون الغيب لغلبة الجهل
وقيل ان معنى تبينت الجن أى ظهرت وانكشفت الجن للانس أى ظهر
أمرهم انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا قد شبهوا على الانس ذلك وتوفى
سليمان وعمره ثلاث وخمسون سنة فكانت مدة ملكه أربعين سنة
فتكون وفاته فى أواخر سنة خمس وسبعين وخمسمائة لوفاة موسى عليه
السلام وذلك بعد فراغ بناء بيت المقدس بتسع وعشرين سنة فيكون
الماضى من وفاته الى عصرنا وهو أواخر سنة تسعمائة من الهجرة الشريفة

النبوية ألفين وستمائة وثلاثا وسبعين سنة والله أعلم ونقل ان قبره بالبيت المقدس عند الجيسمانية وانه هو وأبوه داود فى قبر واحد واستمر بيت المقدس على العمارة السليمانية أربعمائة وثلاثا وخمسين سنة ﴿ذكر خراب بيت المقدس على يد بخت نصر﴾ لما توفى سليمان عليه السلام ملك بعده ابنه * رحبعم بضم الراء والحاء المهملتين وسكون الباء الموحدة وفتح العين المهملة ثم ميم وفى ايامه اختل نظام الملك وخرج عن طاعته عشرة أسباط ولم يبق تحت طاعته سوى سبطين وصار الاسباط العشرة ملوكا تعرف بملوك الاسباط واستمر الحال على ذلك نحو مائتين واحدى وستين سنة وكان ولد سليمان فى بنى اسرائيل بمنزلة الخلفاء للاسلام لانهم أهل الولاية وكان الاسباط مثل ملوك الاطراف والخوارج وارتحل الاسباط الى جهات فلسطين وغيرها بالشام واستقر ولد داود بالبيت المقدس واستمر رحبعم على ما استقر له من الملك وزاد فى عمارة بيت لحم وغزة وصور وغير ذلك وعمر ايلة وجددها وملك سبعة عشر سنة ومات ثم ملك بعده ابنه * افيا بفتح الهمزة وكسر الفاء التى هى بين الالف والياء على مقتضى اللغة العبرانية وتشديد الياء المثناة من تحتها ثم ألف وكان مدة ملكه ثلاث سنين ومات ثم ملك بعده ابنه * اسا بفتح الهمزة والسين ثم ألف وكانت مدة ملكه احدى وأربعين سنة ومات ثم ملك بعده ابنه * يهوشافاط بفتح المثناة من تحتها وضم الهاء وسكون الواو وفتح الشين المعجمة وبعدها الف ثم فاء والف وطاء مهملة وكان رجلا صالحا كثير العناية بعلماء بنى اسرائيل وكانت مدة ملكه خمسا وعشرين سنة ومات ثم ملك بعده ابنه * يهورام بفتح الياء المثناة من تحتها وضم الهاء وسكون الواو ثم راء مهملة ثم الف وميم وكانت مدة ملكه ثمانى سنين ثم ملك بعده ابنه * احزياهو بفتح الهمزة والحاء المهملة وسكون الزاى المعجمة ثم مثناة من تحتها ثم الف وهاء ثم واو وكانت مدة ملكه سنتين ومات ثم كان بعد أحزياهو فترة بغير ملك وحكمت فى الفترة المذكورة

امرأة ساحرة اصلها من جوارى سليمان عليه السلام واسمها * عثليا هو
بفتح العين المهملة والثاء المثلثة وسكون اللام وفتح الياء المثناة من تحتها
وبعدها ألف ثم هاء مضمومة ثم واو ويقال عثليا بغير هاء ولا واو وتتبعت
بنى داود فافنتهم وسلم منها طفل أخفوه عنها وكان اسم ذلك الطفل يواش
ابن احزيا واستولت عثلياهو سبع سنين فيكون آخر الفترة وعدم
عثلياهو فى اواخر سنة ثمان وسبعين وستمائه لوفاة موسى عليه السلام ثم
ملك بعد عثلياهو * يؤاش وهو ابن سبع سنين ويؤاش بضم الياء المثناة
من تحتها ثم همزة والف وشين معجمة وفى السنة الثالثة والعشرين من
ملكه رمم بيت المقدس وجدد عمارته وملك أربعين سنة ومات ثم ملك
بعده ابنه * امصياهو بفتح الهمزة والميم وسكون الصاد المهملة ومثناة
من تحتها ثم الف وهاء ثم واو وملك تسعا وعشرين سنة وقيل خمس عشرة
سنة وقيل ثم ملك بعده ابنه * عزياهو بضم العين المهملة وتشديد الزاى
المعجمة ثم مثناة من تحتها ثم ألف وهاء ثم واو وملك اثنين وخمسين سنة
ولحقه البرص وتنغصت عليه ايامه وضعف أمره فى آخر وقته وتغلب
عليه ولده يوثم ومات ثم ملك بعده ابنه * يوثم بضم المثناة من تحتها وسكون
الواو وفتح الثاء المثلثة ثم ميم وفى ايامه كان يونس النبى عليه السلام وملك
ستة عشر سنة ومات ثم ملك بعده ابنه * آحز بهمزة ممدودة ممالة أيضا
وحاء مهملة مفتوحة ثم زاى معجمة ملك ستة عشر سنة ومات ثم ملك
بعده ابنه * حزقيا بكسر الحاء المهملة وسكون الزاى المعجمة وكسر القاف
وتشديد الياء المثناة من تحتها ثم ألف وكان رجلا صالحا مظفرا
ولما دخلت السنة السادسة من ملكه انقرضت دولة الخوارج ملوك
الاسباط الذين نبهنا عليهم عند ذكر رحبعم بن سليمان وانضم من بقى من
الاسباط الى حزقيا ودخلوا تحت طاعته وكان من الصلحاء الكبار وكان
قد خرج عليه سنحاريب ملك بابل والموصل ونزل حول بيت المقدس
فى ستمائة راية فنصره الله وأهلك عسكر سنحاريب ووقع سنحاريب فى

أسره ثم أطلقه وسيره الى بلاده وكان قد فرغ عمر حزقيا قبل موته بخمسة
عشر سنة فزاد الله فى عمره خمسة عشر سنة وأمره ان يتزوج واخبره بذلك
نبى كان فى زمانه * وهو اشعيا عليه السلام واشعيا هو الذى بشر بالنبى
صلى الله عليه وسلم وبشر بعيسى عليه السلام وملك حزقيا تسعا وعشرين
سنة ومات ثم ملك بعده ابنه * منشا بميم ونون مفتوحتين وشين معجمة
مشددة وألف وملك خمسا وخمسين سنة ومات ثم ملك بعده ابنه * يوشيا
بضم المثناة من تحتها وسكون الواو وكسر الشين المعجمة وتشديد المثناة
من تحتها ثم ألف ولما ملك أظهر الطاعة والعبادة وجدد عمارة بيت
المقدس واصلحه وملك يوشيا احدى وثلاثين سنة ومات ثم ملك بعده
ابنه * يهو ياخين بياء مثناة من تحتها مفتوحة وهاء مضمومة وبعدها
واو ثم ياء مثناة من تحتها مفتوحة وبعدها ألف ثم خاء معجمة مكسورة ثم
ياء مثناة من تحتها ساكنة ثم نون ولما ملك غزاه فرعون مصر وهو الاعرج
فأخذ يهو ياخين اسيرا الى مصر فمات بها وكانت مدة ملكه ثلاثة أشهر
ولما أسر يهو ياخين ملك بعده أخوه * يهو ياقيم بفتح المثناة من تحتها وضم
الهاء ثم واو ساكنة وياء مثناة من تحتها والف وقاف مكسورة وياء مثناة
من تحتها ساكنة وميم وفى السنة الرابعة من ملكه تولى بخت نصر على بابل
وكان ابتداء ولايته فى سنة تسع وسبعين وتسعمائة لوفاة موسى عليه
السلام وتفسير بخت نصر بالعبرانية عطارد وهو سطو سمى بذلك لتقريبه
العلماء والحكماء وحبه أهل العلم واختلف المؤرخون فيه هل كان ملكا
مستقلا بنفسه ام كان نائبا للفرس والاصح عند الاكثر انه كان نائبا لملك
اسمه لهراسف وبين ولاية بخت نصر والهجرة الشريفة الف وثلثمائة وتسع
وستون سنة ومائة وسبعة عشر يوما وقد مضى من الهجرة الشريفة الى
عصرنا تسعمائة سنة فيكون الماضى من ولاية بخت نصر الى آخر سنة تسعمائة
من الهجرة الشريفة الفين ومائتين وتسعا وستين سنة وأياما وفى السنة
الرابعة من ملكه وهى السابعة من ملك يهو ياقيم سار بخت نصر بالجيوش

الى الشام وغزا بنى اسرائيل لما حصل منهم من التغيير والتبديل وفعل القبيح فلم يحاربه يهوياقيم ودخل تحت طاعته فأبقاه بخت نصر على ملكه ورجع بنو اسرائيل الى الله تعالى وتابوا عن المعاصى فرد الله عنهم بخت نصر وبقى يهوياقيم تحت طاعة بخت نصر ثلاث سنين ثم خرج عن طاعته وعصاه فأرسل بخت نصر وامسك يهوياقيم وأمر باحضاره اليه فمات يهوياقيم فى الطريق من الخوف فكانت مدته نحو احدى عشرة سنة وانقضى ملكه فى اوائل سنة ثمان لابتداء ملك بخت نصر ولما أخذ يهوياقيم المذكور الى العراق استخلف مكانه ابنه * يخنيو بفتح المثناة من تحتها والخاء المعجمة وسكون النون وضم المثناة من تحتها ثم واو فأقام موضع ابيه مائة يوم ثم أرسل بخت نصر من أخذه الى بابل وأخذ معه أيضا جماعة من علماء بنى اسرائيل من جملتهم * دانيال النبى * وحزقيل النبى * وهو من نسل هارون عليه السلام وحال وصول يخنيو سجنه بخت نصر ولم يبرح مسجونا حتى مات بخت نصر ولما أمسك بخت نصر يخنيو نصب مكانه على بنى اسرائيل عم يخنيو المذكور وهو * صدقيا بكسر الصاد المهملة وسكون الدال المهملة وكسر القاف وفتح الياء المثناة من تحتها مع التشديد وبعدها ألف واستمر صدقيا تحت طاعة بخت نصر * وكان ارميا النبى عليه السلام فى أيام صدقيا فبقى يعظه ويعظ بنى اسرائيل لما أحدثوا من المعاصى والطغيان ونقض التوبة وتهددهم بخت نصر وهم لا يلتفتون الى وعظه وفى السنة التاسعة من ملك صدقيا عصى على بخت نصر وكان ارميا عليه السلام قد رأى بخت نصر قديما وهو صبى اقرع ورآه يأكل ويتغوط ويقتل القمل فقال له ما هذا فقال اذى يخرج ومنفعة تدخل وعدو يقتل فقال له سيكون لك شأن فأخذ ارميا من بخت نصر امانا لبيت المقدس ومن فيها وكتب له الامان فى جلد فلما صار الملك الى بخت نصر وعصى عليه صدقيا كما تقدم قصد بخت نصر بيت المقدس فلما بلغ سهول الرملة وأعلم ارميا بذلك سار اليه وأعطاه الامان فنظره وقال هو امانى ولكنى

مبعوث وقد أمرت أن أرمى سهمى فحيثما وقع سهمى طلبت الموضع فرمى بسهمه فوقع فى قبة بيت المقدس فرجع ارميا الى أهل بيت المقدس واخبرهم بذلك ثم سار بخت نصر بالجيوش وكان معه ستمائة راية ودخل بيت المقدس بجنوده ووطئ الشام وقتل بنى اسرائيل حتى افناهم وخرب بيت المقدس وأمر جنوده ان يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه فى بيت المقدس ففعلوا حتى ملؤه هكذا نقل البغوى فى تفسيره والذى نقله الملك المؤيد صاحب حماه انه جهز العساكر وبعث الجيش مع وزيره واسمه نبوزراذان بفتح النون وضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح الراى والراء المهملة وسكون الالف وفتح الذال المعجمة وسكون الالف وبعدها نون الى حصار صدقيا بالقدس فسار الوزير بالجيش وحاصر صدقيا مدة سنتين ونصف أولها عاشر تموز من السنة التاسعة لملك صدقيا وأخذ بعد حصاره المدة المذكورة القدس بالسيف وأخذ صدقيا اسيرا وأخذ معه جملة كثيرة من بنى اسرائيل واحرق القدس وخربه وطرح فيه الجيف وهدم البيت الذى بناه سليمان واحرقه واحتمل منه ثمانين عجلة ذهبا وفضة وطرحه برومية وأباد بنى اسرائيل قتلا وتشديدا واعانه على خرابه الروم بغضا لبنى اسرائيل فكانت مدة ملك صدقيا نحو احدى عشرة سنة وهو آخر ملوك بنى اسرائيل واما من تولى بعده من بنى اسرائيل بعد اعادة عمارة بيت المقدس فانما كان له الرياسة ببيت المقدس فقط فيكون انقضاء ملوك بنى اسرائيل وخراب بيت المقدس على يد بخت نصر سنة عشرين من ولايته تقريبا وهى السنة التاسعة والتسعون وتسعمائة لوفاة موسى عليه السلام وهى أيضا سنة ثلاث وخمسين واربعمائة مضت من عمارة بيت المقدس وهى مدة لبثه على العمارة وهذه المرة التى ذكرها الله تعالى فقال وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار

وكان وعدا مفعولا أى قضاء كائنا لا خلف فيه وبين خراب بيت المقدس والهجرة الشريفة الف وثلثمائة وخمسون سنة وقد مضى من الهجرة الشريفة تسعمائة سنة فيكون الماضى من خراب بيت المقدس الى عصرنا هذا وهو آخر سنة تسعمائة الفين ومائتين وخمسين سنة ولما غزا بخت نصر القدس وخربه وفعل ما تقدم ذكره هرب من بنى اسرائيل جماعة وأقاموا بمصر عند فرعون الاعرج وأرسل بخت نصر اليه يطلبهم منه وقال هؤلاء عبيدى هربوا اليك فلم يسلمهم فرعون مصر وقال ليس هم بعبيدك وانما هم احرار وكان هذا هو السبب لقصد بخت نصر غزو مصر وقتل فرعون الاعرج وهرب منه جماعة الى الحجاز واقاموا مع العرب واستمر بيت المقدس خرابا سبعين سنة * وعن قتادة فى قوله عز وجل ومن أظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها قال هو بخت نصر وأصحابه خربوا بيت المقدس واعانهم على ذلك الروم قال الله تعالى أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين قال وهم النصارى لا يدخلون المسجد الا مسارقة ان قدر عليهم عوقبوا لهم فى الدنيا خزى قال يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون *(ذكر عمارة بيت المقدس الثانية)* لما جرى ما ذكر من تخريب بيت المقدس ولبثه على التخريب سبعين سنة عمره بعد ذلك بعض ملوك الفرس واسمه عند اليهود * كورش وقد اختلف فيه فقيل هو دارا بن بهمن وقيل بل هو بهمن المذكور وهو الاصح وكان كريما متواضعا علامته على كتبه من ازدشير بهمن عبد الله وخادم الله والسائس لأموركم وتفسير بهمن بالعبرانية الحسن النية وكان قد أمره الله على لسان عبده ارميا النبى صلى الله عليه وسلم ان يبنى بيت المقدس ففعل ذلك واصعد اليها من بنى اسرائيل أربعين الفا وقربوا القرابين على رسومهم الاولى ورجعت اليهم دولتهم وعظم محلهم عند الامم قال الله تعالى ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها وعاد البلد أحسن مما كان * وحكى بعض

المؤرخين ان الله أوحى الى اشعيا النبي عليه السلام ان كورش يعمر بيت
المقدس وذكر لفظ اشعيا الذي ذكر في الفصل الثاني والعشرين من كتابه
حكاية عن الله عز وجل وهو ان القائل لكورش راعي الذي يتمم جميع
محياي ويقول لاوروشلم عودي مبنية وهيكلها كن زخرفا مزينا هكذا
قال الرب لمسيحه كورش الذي أخذ بيمينه لتدبير الامم ويحيي ظهور الملوك
سائرا بفتح الابواب امامه ولا تغلق واسهل لك الوعر واكسر أبواب
النحاس واحبوك بالذخائر التي في الظلمات انتهى ولما عادت عمارة بيت
المقدس تراجع اليه بنو اسرائيل من العراق وغيره وكانت عمارته في أوائل
سنة تسعين لابتداء ولاية بخت نصر ولما رجع بنو اسرائيل الى القدس
كان من جملتهم عزير عليه السلام وكان بالعراق وقدم معه من بني اسرائيل
ما يزيد على الفين من العلماء وغيرهم ورتب مع عزير في القدس مائة
وعشرين شيخا من علماء بني اسرائيل وكانت التوراة قد عدمت منهم
اذ ذاك فتلها الله في صدر العزير ووضعها لبني اسرائيل يعرفونها بحلالها
وحرامها فاحبوه حبا شديدا وأصلح العزير امرهم واقام بينهم على ذلك
ولبث مع بني اسرائيل في القدس يدبر أمرهم حتى توفي بعد مضي لربعين
سنة لعمارة بيت المقدس فتكون وفاته سنة ثلاثين ومائة لابتداء ولاية
بخت نصر واسم العزير بالعبرانية عزرا وهو من ذرية هارون بن عمران * ثم
تولى رياسة بني اسرائيل ببيت المقدس بعد العزير شمعون الصديق وهو
أيضا من نسل هارون ولما تراجع بنو اسرائيل الى القدس بعد عمارته
صار لهم حكام منهم وكانوا تحت حكم ملوك الفرس واستمروا كذلك حتى
ظهر الاسكندر ملك اليونان في سنة خمس وثلاثين واربعمائة لولاية
بخت نصر وغلب اليونان على الفرس ودخل حينئذ بنو اسرائيل تحت
حكم اليونان وبين غلبة الاسكندر على ملك الفرس وبين الهجرة الشريفة
النبوية تسعمائة واربع وثلاثون سنة ومات الاسكندر بعد غلبته لقريب
سبع سنين فيكون بين موته وبين الهجرة الشريفة تسعمائة وقريب ثمان

وعشرين سنة وقد مضى من الهجرة الشريفة الى عصرنا تسعمائة سنة فيكون الماضى من وفاة الاسكندر الى آخر سنة تسعمائة من الهجرة الشريفة ألفا وثمانمائة وقريب ثمان وعشرين سنة * وهذا الاسكندر ليس هو ذو القرنين الذى ذكره الله تعالى فى القرآن فان ذاك ملك قديم كان على زمن ابراهيم الخليل عليه السلام وتقدم ذكره ولما دخل بنو اسرائيل تحت حكم اليونان اقام اليونان من بنى اسرائيل ولاة عليهم وكان يقال للمتولى عليهم هردوس * واستمر بنو اسرائيل على ذلك حتى خرب بيت المقدس الخراب الثانى وتشتت منه بنو اسرائيل على ما سنذكره ان شاء الله تعالى

(قصة ارميا عليه السلام)

قد تقدم عند ذكر صدقيا الذى هو آخر ملوك بنى اسرائيل ان أرميا النبى عليه السلام كان فى أيامه وكان يأمر بنى اسرائيل بالتوبة ويهددهم ببخت نصر وهم لا يلتفتون اليه فلما رأى انهم لا يرجعون عما هم فيه فارقهم أرميا واختفى حتى غزاهم بخت نصر وخرب القدس كما تقدم ذكره ثم ان الله تعالى أوحى الى أرميا انى عامر بلدة بيت المقدس فاخرج اليها فخرج أرميا وقدم الى القدس وهى خراب فقال سبحان الله أمرنى الله ان أنزل هذه البلدة واخبرنى انه عامرها فمتى يعمرها ومتى يحييها الله بعد موتها ثم وضع رأسه فنام ومعه حماره وسلة فيها طعام وهو تين وركوة فيها عصير عنب وكان من قصته بما أخبر الله تعالى به فى محكم كتابه العزيز فى قوله تعالى اوكالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال انى يحيى هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه أى لم يتغير وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم ان الله على كل شئ قدير وقد قيل ان صاحب القصة هو العزير والاصح انه أرميا وقد أهلك الله بخت نصر ببعوضة دخلت دماغه ونجى الله من بقى من بنى اسرائيل ولم يمت ببابل وردهم جميعا الى بيت المقدس ونواحيه *

قال

قال البغوي في تفسيره وعمر الله أرميا فهو الذي يرى في الفلوات فذلك قوله تعالى فأماته الله مائة عام ثم بعثه أي احياه وبعثه الله على السن الذي توفاه عليه بعد مائة سنة وهو أربعون سنة ولابنه عشر ومائة سنة ولابن ابنه تسعون سنة وأنشد في ذلك

واسود رأس شاب من قبل ابنه * ومن قبله ابن ابنه فهو اكبر
ترى ابن ابنه شيخا يجيء على عصا * ولحيته سوداء والرأس أشقر
ومالابنه حيل ولا فضل قوة * يقوم كما يمشي الصبي فيعثر
يعد ابنه في الناس تسعين حجة * وعشرين لايخوى ولا يتجبر
وعمر ابن أربعين أمرها * ولابن ابنه في الناس تسعون غبر
فما هو في المعقول ان كنت داريا * وان كنت لاتدري فبالجهل تعذر

(فصل) ولما ملك الاسكندر وقهر الفرس وعظمت مملكة اليونان صار بنو اسرائيل وغيرهم تحت طاعتهم وتوالت ملوك اليونان بعد الاسكندر وكان يقال لكل واحد منهم بطليوس فلما مات الاسكندر ملك بعده بطليوس بن الاعوش عشرين سنة ثم ملك بعده بطليوس تحت أخيه واسمه عند اليهود تلماي بثاء مثلثة من فوقها ثم لام ساكنة ثم ميم مفتوحة وبعدها ياء آخر الحروف وهو الذي نقلت اليه التوراة وغيرها من كتب الانبياء من اللغة العبرانية الى اللغة اليونانية وكان نقل التوراة بعد عشرين سنة مضت من موت الاسكندر * ولما تولى بطليوس الثاني تحت أخيه المسمى عند اليهود ثلماي وجد جماعة من الاسارى منهم نحو ثلاثين ألفا من اليهود فأعتقهم كلهم وأمرهم بالرجوع الى بلادهم ففرحوا بذلك وأكثروا له بالدعاء والشكر فأرسل رسولا وهدايا الى بني اسرائيل المقيمين بالقدس الشريف وطلب منهم أن يرسلوا له عدة من علماء بني اسرائيل لنقل التوراة وغيرها الى اللغة اليونانية فسارعوا الى امتثال أمره ثم ان بني اسرائيل تزاحموا على الرواح اليه وبقي كل منهم يختار ذلك واختلفوا ثم اتفقوا على أن يبعثوا اليه من كل سبط من

اسباطهم ستة فبلغ ذلك من عددهم اثنين وسبعين رجلا * فلما وصلوا الى بطليوس المذكور المسمى عندهم ثلماى أحسن قراهم وصيرهم ستا وثلاثين فرقة وخالف بين اسباطهم وأمرهم فترجموا له ستا وثلاثين نسخة من التوراة وقابل بعضها ببعض فوجدها مستوية لم تختلف اختلافا يعتد به وفرق النسخ المذكورة فى بلاده وبعد فراغهم من الترجمة أكثر لهم الصلات وجهزهم الى بلادهم وسأله المذكورون فى نسخة من تلك النسخ فاسعفهم بنسخة فأخذها المذكورون وعادوا بها الى بنى اسرائيل ببيت المقدس فنسخة التوراة المنقولة لبطليوس المسمى ثلماى أصح نسخ التوراة وأثبتها وهى التوراة اليونانية التى عليها عمل المؤرخين وأما التوراة العبرانية التى بأيدى اليهود والتوراة السامرية فكل واحدة منهما مبدلة لا عمل عليها والله أعلم * ذكر سيدنا يونس بن متى عليه السلام * ومتى أبو يونس وقيل أمه والذى عليه أكثر العلماء أنه أبوه وقد ورد فى الحديث الشريف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينبغى لاحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى ونسبه الى أبيه ولكن نقل الملك المؤيد صاحب حماه فى تاريخه ان متى أمه قال ولم يشتهر نبى بأمه غير عيسى ويونس عليهما السلام وقيل ان يونس من بنى اسرائيل وانه من سبط بنيامين وتزوج بنت رجل من الاولياء اسمه زكريا وكان زكريا مقيما بالرملة فأقام يونس عنده ثم بعد وفاة زكريا توجه الى بيت المقدس يعبد الله وكانت بعثته فى أيام يوثم بن عذيا هو أحد ملوك بنى اسرائيل وتقدم ذكره عند ذكر يوثم المذكور وبعث الله يونس الى أهل نينوى وهى قبالة الموصل بينهما دجلة وكانوا يعبدون الاصنام فنهاهم وأوعدهم العذاب فى يوم معلوم ان لم يتوبوا وضمن ذلك عن ربه عز وجل فلما أظلهم العذاب آمنوا فكشف الله عنهم وجاء يونس ذلك اليوم فلم ير العذاب حل ولا علم بايمانهم فذهب مغاضبا ودخل فى سفينة من سفن الدجلة فوقفت السفينة ولم تتحرك فقال رئيسها فيكم

من له ذنب فتساهموا على من يلقونه في البحر فوقعت المساهمة على يونس فرموه في البحر فالتقمه الحوت وهو مليم وساربه الآية وكان من شأنه ما أخبر الله عنه في كتابه العزيز وملخص قصته ان الحوت التقمه وكان يونس يسبح على قلب الحوت والحوت يقول يا يونس أسمعني تسبيح المغمومين وهو يقول لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين فتقول الملائكة الهنا وسيدنا انا نسمع تسبيح مكروب كان لك شاكرا * اللهم فارحمه في غربته وكربته قال الله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين يعني ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت قال الله تعالى فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون * وروى انه ما قرأ هذه الآية مكروب الا زال كربه وهي في سورة الانبياء واختلفوا في مدة لبثه فمنهم من قال أربعين يوما وقيل ثلاثة أيام فلما انقضت المدة التي قدرها الله له أمر الحوت أن يرده الى الموضع الذي أخذه منه فشق ذلك على الحوت لاستئناسه بذكر الله تعالى فقيل له اقذفه فقذفه في الساحل فذلك قوله تعالى فنبذناه بالعراء وهو سقيم واسم الحوت النون وخرج يونس مثل الفرخ المنتوف وقد ذهب بصره وهو لا يقدر على القيام فأنبت الله شجرة من يقطين لها أربعة آلاف غصن فكانت فراشه وغطاءه وأمر الله الظبية فجاءته وارضعته حتى قوى وهبط عليه جبريل عليه السلام فسلم عليه وأمر يده على رأسه وجسده فأنبت الله لحيته ورد عليه بصره وأوحى الله اليه بايمان قومه حين رأوا العذاب ثم هبط اليه ملك ودفع اليه حلتين وقال سر الى قومك فانهم يتمنونك فاتزر بواحدة وارتدى بالاخرى وسار يونس عليه السلام واجتمع بزوجته وولديه قبل وصوله الى قومه ثم وصل الخبر الى قومه بوصوله فوثب الملك عن سريره وخرجوا كلهم الى يونس عليه السلام وسلموا عليه وفرحوا به وحملوه الى المدينة فأقام فيهم يأمرهم بالمعروف وينهاهم

من المنكرفات الملك وماتت زوجته وأولاده * وكانت وفاة يونس في سنة خمسة عشر وثمانمائة لوفاة موسى عليه السلام وقبره في قرية بالقرب من بلد سيدنا الخليل عليه السلام وهذه القرية تسمى حلحول وهي على طريق بيت المقدس وصار على قبره مسجد ومنارة والذي بنى المنارة الملك المعظم عيسى بولاية الامير رشيد الدين فرج بن عبد الله المعظم في شهر رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة وقد اشتهر أمره والناس يقصدونه للزيارة صلى الله عليه وسلم ومتى مدفون بالقرب منه بقرية يقال لها بيت امر وكان رجلا صالحا من أهل بيت النبوة

﴿ذكر سيدنا زكريا ويحيي وعيسى عليهم السلام﴾ وما وقع لسيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام وصعوده الى السماء وملخص ما وقع لزكريا ويحيي عليهما السلام أقول وبالله التوفيق ان سيدنا زكريا من ولد سليمان بن داود عليهما السلام وكان نبيا وقد ذكره الله في القرآن وكان نجارا وهو الذي كفل مريم بنت عمران بن ماثان من ولد سليمان بن داود وكانت أم مريم اسمها حنة وكان زكريا متزوجا بأخت حنة واسمها ايساع وكانت زوجة زكريا خالة مريم ولذلك كفل زكريا مريم وسنذكر ذلك وأرسل الله جبريل عليه السلام فبشر زكريا بيحيي مصدقا بكلمة من الله يعني عيسى ابن مريم ثم أرسل الله تعالى جبريل عليه السلام فنفخ في جيب مريم فحملت بعيسى عليه السلام وكانت قد حملت خالتها ايساع بيحيي وولد يحيي قبل عيسى بستة أشهر ثم ولدت مريم عيسى فلما علمت اليهود أن مريم ولدت من غير بعل اتهموا زكريا بها وطلبوه فهرب واختفى في شجرة عظيمة فقطعوا الشجرة وقطعوا زكريا معها وكان عمر زكريا حينئذ نحو مائة سنة وكان قتله بعد ولادة المسيح وكانت ولادة المسيح لمضي ثلثمائة وثلاث سنين للاسكندر ويأتي تحرير تاريخ مولده قريبا فيكون مقتل زكريا بعد ذلك بيسير * وأما يحيي ابنه فانه نبئ وهو صغير ودعا الناس الى عبادة الله تعالى ولبس الشعر

واجتهد فى العبادة حتى نحل جسمه وكان عيسى ابن مريم قد حرم نكاح بنت الاخ وكان لهردوس وهو الحاكم على بنى اسرائيل بنت أخ وأراد أن يتزوجها كما هو جائز فى ملة اليهود فنهاه يحيي عن ذلك فطلبت أم البنت من هردوس أن يقتل يحيي فلم يجبها الى ذلك فعاودته وسألته البنت أيضا وألحت عليه فأجابهما الى ذلك وأمر بيحيي فذبح ووضع رأسه بين يدى هردوس * فكان الرأس يتكلم و يقول لاتحل لك واستمر غليان دمه فأمر بتراب فألقى عليه فما ازداد الا انبعاثا فبعث الله عليهم ملكا من جهة المشرق يقال له خردوس فقتل منهم على دم يحيي سبعين ألفا الى أن سكن دمه وزعم قوم ان بخت نصر هو الذى غزاهم وقتلهم على دم يحيي وليس بصحيح لان بخت نصر خرب بيت المقدس من قبل ولادة يحيي بنحو خمسمائة سنة وكان قتل يحيي قبل رفع المسيح بمدة يسيرة لان عيسى عليه السلام انما ابتدأ بالدعوة لما صار له ثلاثون سنة ولما أمره الله تعالى ان يدعو الناس الى دين النصارى غمسه يحيي فى نهر الاردن ولعيسى نحو ثلاثين سنة وخرج من نهر الإردن وابتدأ بالدعوة وجميع مالبث عيسى بعد ذلك ثلاث سنين فذبح يحيي كان قبل رفع المسيح بسنة ونصف * قال قتادة وكان رفعه بعد نبوته بثلاث سنين والنصارى تسمى سيدنا يحيي يوحنا المعمدان لكونه عمد المسيح كما ذكر وكان يحيي عليه السلام لا يأتى النساء لانه لم يكن له ما للرجال فلذلك سماه الله تعالى سيدا وحصورا كذا قيل وهو غير مرضى وقد تكلم القاضي عياض فى الشفاء على معنى كون يحيي حصورا بما حاصله ان هذا الذى قيل نقيصة وعيب لا يليق بالانبياء وانما معناه انه معصوم عن الذنوب لا يأتيها كأنه حصر عنها أو أنه حصر نفسه عن الشهوات فمنعها و يأتى ذكر الخلاف فى محل قبره وقبر والده زكريا عند ذكر قبر مريم عليهم السلام * وأما مريم فاسم أمها حنه زوج عمران وكانت حنة لا تلد واشتهت الولد فدعت بذلك ونذرت ان رزقها الله ولدا جعلته من خدمة

بيت المقدس فحملت حنة وهلك زوجها عمران وهي حاملة فولدت بنتا وسمتها مريم ومعناها العابدة قال الله تعالى مخبرا عن أمها وليس الذكر كالانثى أي لخدمة بيت المقدس لما يلحقها من الحيض والنفاس وعدم الصيانة عن التبرج للناس ثم حملتها وأتت بها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه المنذورة فتنافسوا فيها لانها بنت عمران وكان من أئمتهم فقال زكريا أنا أحق بها لان خالتها زوجتي فأخذها زكريا وضمها الى ايساع خالتها * ولما كبرت مريم بنى لها زكريا غرفة في المسجد وانقطعت في تلك الغرفة للعبادة وكان لا يدخل على مريم غير زكريا فقط قال الله تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف قال يامريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب * وأرسل الله جبريل فنفخ في جيب مريم فحملت بعيسى وولدته في بيت لحم وهي قرية قريبة من بيت المقدس سنة أربع وثمانمائة لغلبة الاسكندر وبين مولد سيدنا عيسى عليه السلام والهجرة الشريفة النبوية المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ستمائة واحدى وثلاثون سنة وقد مضى من الهجرة الشريفة الى عصرنا هذا تسعمائة سنة فيكون الماضي من مولد المسيح الى آخر سنة تسعمائة من الهجرة الشريفة ألفا وخمسمائة واحدى وثلاثين سنة ولما جاءت مريم بعيسى تحمله قال لها قومها لقد جئت شيئا فريا وأخذوا الحجارة ليرجموها فتكلم عيسى وهو في المهد معلقا في منكبها قال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة * فلما سمعوا كلام ابنها تركوها ثم ان مريم أخذت عيسى وسارت به الى مصر وسار معها ابن عمها يوسف بن يعقوب ابن ماثان النجار وكان حكيما ويزعم بعضهم أن يوسف المذكور قد تزوج بمريم لكنه لم يقربها وهو أول من أنكر حملها ثم علم وتحقق براءتها وسار معها

الى

الى مصر وأقاما هناك اثنى عشر سنة ثم عاد عيسى وأمه الى الشأم ونزلا
الناصرة وبها سميت النصارى وأقام بها عيسى حتى بلغ ثلاثين سنة *
فأوحى الله اليه وأرسله للناس وسار الى الاردن وهو نهر الغور المسمى
بالشريعة فاعتمد وابتدأ بالدعوة وكان يحيى بن زكريا هو الذى
عمده كما تقدم وكان ذلك لستة أيام مضت من كانون الثانى لمضى سنة
ثلاث وثلاثين وثلثمائة للاسكندر وأظهر عيسى عليه السلام
المعجزات وأحيا ميتا يقال له عازر بعد ثلاثة أيام من موته وجعل
من الطين طائرا قيل هو الخفاش وابرأ الاكمه والابرص وكان يمشى
على الماء صلى الله عليه وسلم *(نزول المائدة)* وأنزل الله عليه المائدة
وأوحى اليه الانجيل وكان عيسى عليه السلام يلبس الصوف
والشعر ويأكل من نبات الارض وربما تقوت من غزل امه وكان
الحواريون الذين اتبعوه اثنى عشر رجلا وهم شمعون الصفا وبطرس
وأخوه أندراوس ويعقوب بن زبدى وفيلبس وبرطولوماوس
واندريوس ومرقص ويوحنا ولوقا وتوما ومتى * وهؤلاء الذين سألوه
نزول المائدة فلما سألوه ذلك قام عيسى فالقى الصوف عنه ولبس الشعر
ووضع يمينه على شماله ووضعهما على صدره وصف بين قدميه وألصق
الكعب بالكعب والابهام بالابهام وخفض رأسه خاشعا ثم أرسل
عينيه بالبكاء حتى سالت الدموع على لحيته وجعلت تقطر على صدره *
وقال اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا
أى تكون عطية منك لنا وعلامة بيننا وبينك وارزقنا عليها طعاما
نأكله وأنت خير الرازقين فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة
فوقها وغمامة تحتها وهم ينظرون اليها تهوى منقضة فى الهواء وعيسى
عليه السلام يبكى ويقول اللهم اجعلنا لك من الشاكرين اللهم اجعلها
رحمة ولا تجعلها عذابا الهى كم أسئلك من العجائب فتعطينى اللهم انى أعوذ
بك أن يكون انزالها غضبا ورجزا اللهم اجعلها عافية وسلامة ولا تجعلها

فتنة ولا مثلة حتى استقرت بين يدى عيسى عليه السلام والناس حوله
يجدون رائحة طيبة لم يجدوا مثلها وخر عيسى عليه السلام ساجدا لله تعالى
وخر الحواريون معه فبلغ اليهود ذلك فاقبلوا غتوا وكفرا ينظرون فرأوا
أمرا عجبا فاذا منديل مغطى على السفرة وجاء عيسى وجلس وهو يقول
من أجرؤنا وأوثقنا بنفسه وأخشانا عند ربه فليكشف عن هذه الآية
حتى ننظر ونأكل ونسمى باسم ربنا ونحمد الهنا قال الحواريون أنت
أولى بذلك يا روح الله وكلمته فتوضأ عيسى عليه السلام وضوءا جديدا
وصلى صلاة جديدة ودعا ربه دعاء كثيرا وبكا بكاء شديدا طويلا ثم قام
حتى جاء عند السفرة فاذا سمكة مشوية ليس عليها فلوس وليس لها
شوك تسيل دسما وقد نصب حولها من البقول خلا الكراث واذا عند
رأسها خل وعند ذنبها ملح وخمسة أرغفة على كل واحد منها زيتون
وخمس رمانات وخمس تمرات قال شمعون رأس الحواريين يا روح الله
وكلمته أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة * فقال عيسى ما أخوفني ان
تعاقبوا قال لا واله بنى اسرائيل ما أردت بما سألتك سوأ يا ابن الصديقة
قال نزلت وما عليها من السماء ليس شئ مما ترون عليها من طعام الدنيا
ولا من طعام الآخرة وهى وما عليها شئ ابتدعه الله بالقدرة الغالبة
انما قال له كن فكان فكلوا مما سألتم واحمدوا الله ربكم يمددكم ويزدكم
فانه القادر البديع لما يشاء اذا شاء أمرا فانما يقول له كن فيكون * قال
الحواريون يا روح الله وكلمته لو أريتنا اليوم آية من هذه السمكة * فقال
عيسى عليه السلام يا سمكة احيى باذن الله تعالى فاضطربت السمكة طرية
تدور عيناها لها بصيص تتلمظ بفيها كما يتلمظ السبع وعاد عليها فلوسها
ففزع القوم فقال عيسى ما لكم تسألون الشئ فاذا اعطيتموه كرهتموه
فما أخوفني ان تعذبوا بهذه السمكة * ثم قال عودى كما كنت باذن الله
تعالى فعادت مشوية على حالها قالوا فكن أنت يا روح الله أول من
يأكل ثم نأكل بعدك قال عيسى معاذ الله ان يأكل منها الا من طلبها

وسألها

وسألها فعرق الحواريون أن تكون انما نزلت سخطة فيها مثلة فلم يأ كلوا ودعا لها عيسى عليه السلام بأهل الفاقة والزمانة من العميان والمجذومين والبرصى والمقعدين وأصحاب الماء الاصفر والمجانين فقال كلوا من رزق الله ودعوة نبيكم فانه رزق ربكم فتكون المهنأة لكم والبلاء لغيركم واذكروا اسم ربكم وكلوا من رزق الله ربكم ففعلوا وصدر عن تلك السمكة والارغفة والرمانات والثمرات والبقول ألف وثلاثمائة من رجل وامرأة بين فقير جائع وزمن ومبتلى بآفة كلهم شبعان يتجشى فنظر عيسى فاذا ما عليها كهيئته حين نزل من السماء ورفعت السفرة الى السماء وهم ينظرون اليها واستغنى كل فقير أكل منها يومئذ فلم يزل غنيا حتى مات وبرئ كل زمن من زمانته فلم يزل بريئا حتى مات وندم الحواريون وسائر الناس ممن أبي ان يأكل منها حسرة وشابت منها شعورهم وكانت اذا نزلت بعد ذلك أقبلوا اليها حبورا من كل مكان يركب بعضهم بعضا الاغنياء والفقراء والرجال والنساء فلما رأى عيسى ذلك جعلها نوبا بينهم وكانت تنزل غبا تنزل يوما وتغيب يوما كناقة ثمود ترعى يوما وترد يوما فلبثت كذلك أربعين صباحا تغيب يوما وتنزل يوما حتى اذا فاء الفيء طارت صعدا ينظرون اليها والى ظلها فى الارض حتى توارت عنهم * فأوحى الله الى عيسى أن اجعل مائدتى رزقا لليتامى والزمنى دون الاغنياء من الانس فلما فعل ذلك عظم على الاغنياء وأذاعوا القبيح حتى شكوا وشككوا فيه الناس فوقعت فيه الفتنة فى قلوب المرتدين قال قائلهم يا روح الله وكلمته ان المائدة لحق أنها تنزل من عند الله قال عيسى ويحكم هلكتم ان لم يرحمكم الله فأوحى الله الى عيسى انى آخذ بشرطى من المكذبين قد اشترطت عليهم انى معذب من كفر منهم عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين بعد نزولها * قال عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم فسخ الله منهم ثلثمائة وثلاثين خنازير من ليلتهم

فأصبحوا يأكلون العذرات فى الحشوش ويتبعون مافى الكناسة والطرق وكانوا قدباتوا أول الليل على فراشهم عند نسائهم فى ديارهم بأحسن صورة وأوسع رزق فأصبح الناس يفرون الى عيسى فزعا وخوفا من عقوبة الله تعالى وعيسى يبكى عليهم ويبكون معه عليهم * وجاءت الخنازير بين يديه تسعى اليه حتى أبصرته ينظرون اليه ويشمون رائحته ويسجدون له وأعينهم تسيل دموعا لا يستطيعون الكلام * ثم قام عيسى يناديهم بأسمائهم فيقول يافلان فيقول برأسه نعم يافلان ابن فلان قد كنت خوفتكم عذاب الله وعقوبته وكانى قد كنت أنظر اليكم ممثلا بكم فى غير صوركم * قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وقال الله تعالى لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * فسأل عيسى عليه السلام ربه أن يميتهم فأماتهم بعد ثلاثة أيام فما وارى أحد من الناس منهم جيفة فى الارض نسأل الله تعالى العافية فى ذلك والله أعلم

﴿ ذكر صعود سيدنا عيسى الى السماء ﴾ ولما أعلم الله سبحانه وتعالى المسيح انه خارج من الدنيا جزع من ذلك فدعا الحواريين ووضع لهم طعاما وقال احضرونى الليلة فان لى اليكم حاجة فلما اجتمعوا بالليل عشاهم وقام يخدمهم فلما فرغوا من الطعام أخذ يغسل أيديهم ويمسحها بثيابه فتعاظموا ذلك فقال من ردّ على شيئا مما أصنع فليس منى فتركوه فلما فرغ قال لهم انما فعلت هذا ليكون لكم اسوة بى فى خدمة بعضكم بعضا وأما حاجتى اليكم فأن تجتهدوا فى الدعاء الى الله تعالى ان يؤخر أجلى فلما أرادوا ذلك ألقى الله عليهم النوم حتى لم يستطيعوا الدعاء وجعل المسيح يوقظهم وينبههم فلا يزدادون الا نوما وتكاسلا وأعلموا أنهم مغلوبون على ذلك فقال المسيح سبحان الله يذهب بالراعى وتتفرق الغنم ثم قال لهم الحق أقول لكم ليكفرن بى أحدكم قبل أن يصيح

الديك

الديك وليبعني أحدكم بدراهم يسيرة و يأكل ثمني * وكان اليهود قد جدوا في طلبه فحضر بعض الحواريين الى هردوس الحاكم على اليهود والى جماعة من اليهود وقال ماتجعلون لي اذا دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فأخذها ودلهم عليه فرفع الله عيسى اليه وألقى شبهه على الذي دلهم عليه فان اليهود لما قصدوه اظلمت الدنيا حتى صارت كالليل واظلمت الشمس وظهرت الكواكب وانشقت الصخور فلذلك لم يحققوا المشبه به من شدة الظلمة وحصول الارجاف * وقد اختلف العلماء في موته قبل رفعه فقيل رفع ولم يمت وقيل بل توفاه الله ثلاث ساعات وقيل سبع ساعات ثم أحياه الله وتأول قائل هذا قوله تعالى اني متوفيك ورافعك الي * ولما أمسك اليهود الشخص المشبه به ربطوه وجعلوا يقودونه بحبل و يقولون له أنت كنت تحيي الموتى أفلا تخلص نفسك من هذا الحبل و يقبضون يديه و يبصقون في وجهه و يلقون عليه الشوك وصلبوه على الخشب فمكث عليه ست ساعات ثم استوهبه يوسف النجار من الحاكم الذي على اليهود وكان اسمه فيلاطوس ولقبه هردوس ودفنه في قبر كان يوسف المذكور قد أعده لنفسه وأنزل الله المسيح من السماء الى أمه مريم وهي تبكي عليه فقال لها ان الله رفعني اليه ولم يصبني الا الخير وأمرها فجمعت له الحواريين فبثهم في الارض رسلا عن الله وأمرهم أن يبلغوا عنه ما أمره الله به ثم رفعه الله اليه وتفرق الحواريون حيث أمرهم وكان رفع المسيح لمضي ثلاثمائة وست وثلاثين سنة من غلبة الاسكندر على دارهم ثم ان أربعة من الحواريين وهم متى ولوقا ومرقس ويوحنا اجتمعوا وجمع كل واحد منهم انجيلا وخاتمة انجيل متى أن المسيح قال اني أرسلتكم الى الامم كما أرسلني ربي اليكم فاذهبوا وادعوا الامم باسم الأب والابن وروح القدس * وكان بين رفع المسيح ومولد النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة وخمس وأربعون سنة تقريبا * وعاش المسيح الى أن رفع ثلاثا وثلاثين سنة و بين رفعه والهجرة

الشريفة خمسمائة وثمان وتسعون سنة وقد مضى من الهجرة الشريفة
الى عصرنا تسعمائة سنة فيكون الماضى من رفعه الى آخر سنة تسعمائة
من الهجرة الشريفة ألفا وأربعمائة وثمانى وتسعين سنة ونزل عليه
جبريل عليه السلام عشر مرات وأمته النصارى على اختلافهم
* وأما أمه مريم فانها عاشت نحو ثلاث وخمسين سنة لانها حملت به
لما صار لها من العمر ثلاثة عشر سنة وعاشت معه مجتمعة ثلاثا وثلاثين
سنة ورفع وبقيت بعد رفعه ست سنين والله أعلم ويأتى ذكر قبرها
فيما بعد ان شاء الله تعالى وكان رفع المسيح من طور زيتا جبل شرقى بيت
المقدس * وروى أنه دعا الله وقت رفعه تعالى بهذا الدعاء وهو دعاء
مستجاب * اللهم أنت القريب فى علوك المتعالى فى دنوك الرفيع على كل
شىء من خلقك أنت الذى نفذ بصرك فى خلقك وحسرت الابصار دون
النظر اليك وغشيت دونك وسبح لك الفلق فى النور أنت الذى جليت
الظلم بنورك فتباركت اللهم أنت خالق الخلق بقدرتك مقدر الامور
بحكمتك مبدع الخلق بعظمتك القاضى فى كل شىء بعلمك الذى خلقت
سبعا طباقا فى الهواء بكلماتك مستويات الطباق مذعنات لطاعتك
سماعين لعلو سلطانك فأجبن وهن دخان من خوفهن فأتين طائعين بأمرك
فيهن الملائكة يسبحونك ويقدسونك وجعلت فيهن نورا يجلو الظلام
وضياء أضوء من الشمس وجعلت فيهن مصابيح يهتدى بها فى ظلمات
البر والبحر ورجوما للشياطين فتباركت اللهم فى مفطور سمواتك وفيما
دحيت من الارض ودحوتها على الماء فاذللت لها الماء الطاهر فذل
لطاعتك وأذعن لامرك وخضع لقوتك أمواج البحار ففجرت فيها بعد
البحار الانهار وبعد الانهار العيون الغزار والينابيع ثم أخرجت منها
الاشجار بالثمار ثم جعلت على ظهرها الجبال أوتادا فأطاعتك اطوادها
فتباركت اللهم صفاتك ومن يبلغ صفة قدرتك ومن ينعت بنعتك تنزل
الغيث وتنشئ السحاب وتفك الرقاب وتقضى الحق وأنت خير الفاصلين

لا اله

لااله الاأنت انما يخشاك من عبادك العلماء وأشهد أنك لست باله استحدثناك ولارب لنا سوالك تذكره ولا كان لك شركاء يقضون معك فندعوهم وندعك ولا أعانك أحد على خلقك فنشك فيك أشهد أنك أحد صمد لم تلد ولم تولد ولم يكن لك كفوا أحد ولم تتخذ صاحبة ولا ولدا اجعل لى من أمرى فرجا ومخرجا * فلما أتم دعاءه رفعه الله اليه ولما ماتت أمه مريم عليها السلام دفنت بالكنيسة المعروفة بالجيسمانية خارج باب الاسباط فى ذيل جبل طور زيتا وهو مكان مشهور يقصده الناس للزيارة من المسلمين والنصارى واستمر بيت المقدس عامرا بعد رفع عيسى أربعين سنة فيكون لبثه على عمارته الثانية التى عمرها كورش سبعمائة واحدى وعشرين سنة والله سبحانه وتعالى أعلم *ذكر خراب بيت المقدس الخراب الثانى وهلاك اليهود وزوال دولتهم زوالا لارجوع بعده* لما جرى ما تقدم شرحه من رفع المسيح الى السماء استمر بيت المقدس عامرا بعده أربعين سنة وتولى على بنى اسرائيل جماعة من الملوك واحدا بعد واحد الى أن ملك طيطوس الرومى وكان محل ملكه مدينة روميا من بلاد الافرنج ففى السنة الاولى من ملكه قصد بيت المقدس وأوقع باليهود وقتلهم وأسرهم عن آخرهم الا من اختفى وخرب بيت المقدس ونهبه وأحرق الهيكل وأحرق كتبهم واخلى القدس من بنى اسرائيل كأن لم تغن بالامس ولم يعد لهم بعد ذلك رياسة ولا حكم وكان ذلك بعد رفع المسيح بنحو أربعين سنة كما تقدم وهى لمضى ثلثمائة وست وسبعين سنة من غلبة الاسكندر ولثمانمائة واحدى عشرة سنة مضت لابتداء ملك بخت نصر وهذه المرة الذى ذكرها الله تعالى فقال فاذا جاء وعد الآخرة من افسادكم وذلك قصدهم قتل عيسى عليه السلام حين رفع وقتلهم يحيى عليه السلام فسلط الله عليهم الفرس والروم وخردوش وطيطوس حتى قتلوهم وسبوهم ونفوهم عن ديارهم فذلك قوله تعالى ليسوؤا وجوهكم بادخال الهم والغم والحزن وليدخلوا المسجد

كما دخلوه أوّل مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم أن يرحمكم بعد انتقامه منكم فيرد الدولة اليكم وان عدتم الى المعصية عدنا الى العقوبة * قال قتادة فعادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وبين هذا التخريب الثاني والهجرة خمسمائة وثمان وخمسون سنة بالتقريب وقد مضى من الهجرة الشريفة الى عصرنا هذا تسعمائة سنة فيكون الماضي من خراب بيت المقدس الثاني الى آخر سنة تسعمائة من الهجرة الشريفة ألفا وأربعمائة وثماني وخمسين سنة بالتقريب وهو تاريخ تشتت اليهود في البلاد والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿ذكر عمارة بيت المقدس الشريف المرّة الثالثة﴾ لما جرى ما ذكر من تخريب طيطوس بيت المقدس وما فعله في اليهود تراجع الى العمارة قليلا قليلا وترمم شعثه واستمر عامرا حتى سارت هيلانة أمّ قسطنطين المظفر الى القدس وابنها قسطنطين كان ملكا في رومية ثم انتقل منها الى قسطنطينية وبنى سورها وتنصر وكان اسمها البزنطية فسماها القسطنطينية وزعمت النصارى أنه بعد ست سنين خلت من ملكه ظهر له من السماء شبه الصليب فأمر بالنصرانية وكان قبل ذلك هو ومن تقدمه على دين الصابئة يعبدون أصناما على أسماء الكواكب السبعة ولمضي عشرين سنة من ملك قسطنطين المذكور اجتمع ألفان وثمانمائة وأربعون اسقفا ثم اختار منهم ثلثمائة وثمانية عشر اسقفا فحرموا ارنيوس الاسكندري لكونه يقول انّ المسيح كان مخلوقا واتفقت الاساقفة المذكورون لدى قسطنطين ووضعوا شرائع النصرانية بعد ان لم تكن وكان رئيس هذه البطارقة بطريق الاسكندرية ومن هنالك كان أصل النصرانية في الروم * وكان قبل ذلك في سنة احدى عشرة خلت من ملكه سارت أمّه هيلانة المتقدّم ذكرها الى القدس في طلب خشبة المسيح التي تزعم النصارى أن عيسى عليه السلام صلب عليها ولما وصلت الى القدس أخرجت خشبة الصليب وأقامت لذلك عيد

الصليب وبنت كنيسة قامة على القبر الذى تزعم النصارى أن عيسى دفن فيه وبنت المكان المقابل للقمامة المعروف يومئذ بالدركاه وكنيسة بيت لحم والكنيسة بطور زيتا بمصعد سيدنا عيسى عليه السلام وكنيسة الجيسمانية التى بها قبر مريم عليها السلام وغير ذلك وخربت هيكل بيت المقدس الى الارض وهو الذى كان فى المسجد وأمرت أن يلقى فى موضعه قامات البلد وزبالته فصار موضع الصخرة الشريفة مزبلة وبقى الحال على ذلك حتى قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفتح بيت المقدس الشريف على ماسنذكره عند ذكر الفتح العمرى ان شاء الله تعالى * قال المشرف عن كعب قال كانت قبة صخرة بيت المقدس طولها فى السماء اثنى عشر ميلا وكان أهل أريحا وعمواس يستظلون بظلها وكان عليها ياقوتة تضىء بالليل كضوء الشمس فاذا كان النهار طمس الله ضوءها فلم تزل كذلك حتى أتت الروم فغلبوا عليها * فلما صارت فى أيديهم قالوا تعالوا نبن عليها أفضل من البناء الذى كان عليها فبنوا عليها على قدر طولها فى السماء وزخرفوه بالذهب والفضة فلما فرغوا من البناء دخله سبعون ألفا من رهبانهم وشمامستهم فى أيديهم مجامر الذهب والفضة وأشركوا فيها فانقلبت عليهم فما خرج منهم أحد * فلما رأى ملك الروم ذلك جمع البطارقة والشمامسة ورؤساء الروم فقال لهم ماترون قالوا نرى انا لم نرض الهنا فلذلك لم يقبل بناءه * قال فأمر به الثانية فبنوها وأضعفوا فيها النفقة ودخلوها سبعين ألفا مثل مادخلوا أول مرة ففعلوا كفعلهم فلما أشركوا انقلبت عليهم ولم يكن الملك معهم فلما رأى ذلك جمعهم ثالثة وقال لهم ماترون قالوا لم نرض ربنا كما ينبغى فلذلك خربت ونحب أن تبنى ثالثة * فبنوا الثالثة حتى اذا رأوا انهم قد اتقنوها وفرغوا منها جمع النصارى وقال هل ترون من العيب شيئا قالوا الا فوكللها بصليب الذهب والفضة ثم دخلها قوم بعد ان اغتسلوا وتطيبوا فلما دخلوا أشركوا كما أشرك أصحابهم نخرت عليهم الثالثة

فجمعهم ملكهم رابعة واستشارهم وكثر خوضهم فى ذلك * فبينما هم على ذلك اذ اقبل عليهم شيخ كبير عليه برانس سود وعمامة سوداء قد انحنى ظهره يتوكأ على عصى وقال يا معشر النصارى الى فانى أكبركم سنا وقد خرجت من متعبدى لأخبركم ان هذا المكان قد لعن أصحابه وان القدس قد نزع وتحول الى هذا المكان وأشار الى الموضع الذى بنوا فيه كنيسة القمامة وأنا أريكم الموضع ولستم ترونى بعد هذا اليوم أبدا اقبلوا منى ما أقول لكم واغواهم وزادهم طغيانا وأمرهم أن يقلعوا الصخرة ويبنوا بحجارتها الموضع الذى أمرهم به * فبينما هو يكلمهم ويقول لهم ذلك اذ خفى فلم يروه وازدادوا كفرا وقالوا فيه قولا عظيما فخربوا بيت المقدس وحملوا العمد وغيرها وبنوا به كنيستهم والكنيسة التى فى وادى جهنم * وقال لهم اذا فرغتم من هذه فأفرغوه واتخذوه مزبلة لعذراتكم ففعلوا ذلك حتى كانت المرأة تطرح خرق حيضها عليه من القسطنطينية واكبوا على ذلك حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وأسرى به اليها وذكر فضلها حكى ذلك صاحب مثير الغرام قال وقد تقدم أن بخت نصر هو الذى خرب عمارة سليمان وهذا الذى رواه المشرف عن كعب الاحبار يقتضى أن الذى خرب عمارة سليمان وتغلب عليها انما هم الروم وهذا غير مستقيم اللهم الا أن نجعل ملك الفرس المتقدم البانى لها بعد تخريب بخت نصر بنى المكان على نعت بناء سليمان والله سبحانه وتعالى أعلم *(قصة الفيل)* وهى أن الحبشة ملكوا اليمن بعد حمير * فلما صار الملك الى أبرهة منهم بنى كنيسة عظيمة وقصد أن يصرف حج العرب اليها ويبطل الكعبة الحرام فجاء شخص من العرب فأحدث فى تلك الكنيسة فغضب ابرهة لذلك وسار بجيشه ومعه الفيل وقيل كان معه ثلاثة عشر فيلا ليهدم الكعبة المشرفة * فلما وصل الى الطائف بعث الاسود بن مقصود الى مكة فساق أموال أهلها وأحضرها الى ابرهة وأرسل أبرهة الى قريش قال لهم لست أقصد الحرب بل جئت لأهدم

الكعبة فقال عبد المطلب والله ماتريد حربه هذا بيت الله فان منع عنه فهو
بيته وحرمه وان خلى بينه وبينه فوالله ماعندنا من دافع * ثم انطلق مع
رسول أبرهة اليه فلما استأذن عبد المطلب قالوا لأبرهة هذا سيد قريش
فأذن له أبرهة وأكرمه ونزل عن سريره وجلس معه وسأله عن حاجته
فذكر عبد المطلب أباعره التي أخذت له فقال له أبرهة انى كنت أظن انك
تطلب منى انى لا أخرب الكعبة التى هى دينك فقال عبد المطلب أنا رب
الاباعر فأطلبها وللبيت رب يمنعه فأمر أبرهة برد الاباعر عليه فأخذها
عبد المطلب وانصرف الى قريش * ولما قرب أبرهة من مكة وتهيأ لدخولها
بقى كلما أقبل فيله على مكة ينام ويرمى بنفسه الارض ولم يسر فاذا قبلوه
غير مكة قام يهرول * وكان اسم الفيل محمودا فبينما هم كذلك اذ أرسل
الله عليهم طيرا أبابيل أمثال الخطاطيف مع كل طائر ثلاثة أحجار
فى منقاره ورجليه فقذفتهم بها * وهى مثل الحمص والعدس فلم تصب
منهم أحدا الا هلك وليس كلهم أصابت ثم أرسل الله سيلا فألقاهم
فى البحر * والذى سلم منهم ولى هاربا مع أبرهة الى اليمن يستبدل الطريق
وصاروا يتساقطون بكل منهل وأصيب أبرهة فى جسده وسقطت
اعضاؤه ووصل الى صنعاء كذلك ومات * ولما جرى ذلك خرجت
قريش الى منازلهم وغنموا من أموالهم شيئا كثيرا والله أعلم

ذكر سيد الاولين والآخرين وخاتم الانبياء والمرسلين وحبيب رب العالمين البشير النذير الداعى الى الله باذنه السراج المنير

هو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن
قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر * ففهر المذكور
هو قريش وكل من كان من ولده فهو قرشى ومن لم يكن من ولده فليس
قرشيا وقيل سمى قريشا لشدة شبهه بدابة من دواب البحر يقال لها
القرش تأكل دواب البحر وتقهرهم وقيل ان قصى بن كلاب لما استولى
على البيت وجمع أشتات بنى فهر سموا قريشا لانه قرش بنى فهر أى جمعهم

حول الحرم فقيل لهم قريش فعلى هذا يكون لفظ قريش اسما لبنى فهر لا لفهر نفسه * وفهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان هذا هو النسب المتفق على صحته من غير خلاف * وعدنان من ولد اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام من غير خلاف ولكن الخلاف فى عدة الآباء الذين بين عدنان واسماعيل فعد بعضهم بينهما نحو أربعين رجلا وعد بعضهم سبعة والمختار أن عدنان ابن أدد ابن اليسع ابن الهميسع بن سلاط بن بنت بن حمل بن قيدار بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام بن تارخ وهو آزر بن ناخور ابن ساروع بن راعون بن فالغ بن عابر بن سالح بن قينان بن ارفخشد بن سام ابن نوح عليهما السلام بن لامخ ويقال لامك ابن متوشلخ بن أخنوخ وهو ادريس عليه السلام بن بارد بن مهلاييل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام * قال علماء السير كانت آمنة بنت وهب ابن عبد مناف فى حجر عمها وهيب فمشى اليه عبد المطلب بن هاشم بابنه عبد الله وخطب منه آمنة وعقد عليها نكاحه ودخل بها فحملت بسيد العالم وأشرف بنى آدم * ثم خرج عبد الله الى الشأم وعاد فمر بالمدينة وهو مريض فأقام عند اخواله بنى عدى ابن النجار مدة شهر * وتوفى ودفن فى دار النابغة وهو رجل من بنى عدى بن النجار ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ابن شهرين * وقيل كان حملا وولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لعشر ليال خلون من ربيع الاول * وقيل لاثنى عشر عام الفيل وكان قدوم أصحاب الفيل قبل ذلك فى نصف المحرم وتقدمت قصتهم * وبين الفيل وبين مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس وخمسون ليلة وهى سنة ستة آلاف ومائة وثلاث وستين سنة من هبوط آدم عليه السلام على حكم التوراة اليونانية المعتمدة عند المؤرخين * وولد صلى الله عليه وسلم مختونا مسرورا ففرح به عبد المطلب وحظى عنده وقال ليكونن لابنى هذا شأن عظيم وكان له شأن وأى شأن صلى الله عليه وسلم * وخلق الله

من الانبياء أربعة عشر مختونين وهم آدم وشيث ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب ويوسف وموسى وسليمان وزكريا ويحيى وحنظلة ابن صفوان من أصحاب الرس ونبينا صلى الله عليه وسلم * وأولوا العزم من الرسل خمسة وهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقيل غير ذلك * وأول الرسل عليهم السلام آدم وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم * ومن الانبياء أربعة سريانيون وهم آدم وشيث وحنوخ وهو ادريس وهو أول من خط بالقلم ونوح * وأربعة من العرب * هود وشعيب وصالح ومحمد صلى الله عليه وسلم * وأول أنبياء بنى اسرائيل موسى وآخرهم عيسى * وأما أسماؤه صلى الله عليه وسلم فهى ثلاثة وعشرون اسما محمد وأحمد والماحى والحاشر والعاقب والمقفى ونبى الرحمة ونبى التوبة ونبى الملاحم والشاهد والبشير والنذير والضحوك والقتال والمتوكل والفاتح والامين والخاتم والمصطفى والرسول والنبى الامى والقثم * قاله ابن الجزرى وذكر غيره اسماء كثيرة منها طه ويس والمزمل والمدثر والرسول وله اسماء غير ذلك وفيما ذكرته كفاية طلبا للاختصار * وأول من أرضعته صلى الله عليه وسلم ثويبة بلبن ابن لها يقال له مسروح أياما وكانت أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب فهو عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخوه من الرضاعة * ثم قدمت حليمة الى مكة فأخذته ومضت به الى بلادها وهى بادية بنى سعد وأتاه الملكان هناك فشقا بطنه واستخرجا علقة سوداء فطرحاها وغسلا بطنه بماء الثلج فى طست من ذهب والقصة مشهورة فلما علمت حليمة بذلك رجعت به الى مكة لاهله وهو ابن خمس وتوفيت امه آمنة وله ست سنين * ولما صار لرسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر سنة وشهران ارتحل به أبو طالب الى الشأم * فلما نزل ببصرى من أرض الشأم وبها راهب يقال له بحيرا فى صومعة فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغمامة تظلله من بين القوم ورأى فيه أمارات النبوة بشربه وقال لابى طالب ان لابن أخيك شأنا عظيما

* وشب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ وكان أعظم الناس مروءة وحلما وأحسنهم جوابا وأصدقهم حديثا وأعظمهم أمانة حتى صار اسمه في قومه الامين لما جمع الله فيه من الامور الصالحة وفي سنة خمس وعشرين من مولده تزوج خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ولها أربعون سنة ولم يتزوج غيرها حتى ماتت * ولم يتزوج بكرا غير عائشة * وولدت له خديجة أولاده كلهم الا ابراهيم فانه من مارية القبطية ويأتي ذكر مولده ووفاته وبقية أولاده من خديجة * وهم زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة الزهراء والقاسم وبه كان يكنى * توفي بمكة وله من العمر سنة * والطاهر وهو عبد الله * توفي بمكة بعد النبوة قبل الهجرة * والطيب توفي بمكة وأما بناته فكلهن أدركن الاسلام فأسلمن وهاجرن معه * فرقية ماتت في سنة اثنين من الهجرة * وزينب في سنة ثمان من الهجرة * وأم كلثوم ماتت بعد مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع * وفاطمة ماتت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بستة أشهر وقيل أقل من ذلك * وروى أن عائشة رضي الله عنها أسقطت سقطا اسمه عبد الله وفي سنة خمس وثلاثين من مولده صلى الله عليه وسلم هدمت قريش الكعبة * وكان سبب هدمها أنها كانت قصيرة البناء فأرادوا رفعها وسقفها فهدموها ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الحجر الاسود فاختصموا فيه لان كل قبيلة أرادت رفعه الى موضعه ثم اتفقوا على أن يحكموا أول داخل من باب الحرم * وكان أول من دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا الامين رضينا به وأخبروه الخبر فقال هلموا الى ثوبا فأتى به فأخذ الحجر فوضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة ناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا فلما بلغوا به موضعه وضعه بيده الشريفة صلى الله عليه وسلم ثم أتموا بناء الكعبة والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ ذكر مبعثه صلى الله عليه وسلم وابتداء الوحي اليه ﴾

بعث رسول الله

صلى الله عليه وسلم ونزل عليه الوحي وهو ابن أربعين سنة وكان يوم الاثنين لثماني عشرة ليلة خلت من رمضان وأوّل مابدأ به من الوحي الرؤيا الصالحة فكان لايرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتعبد فيه فجاءه الملك واقرأه كما في الحديث الشريف والقصة مشهورة فعاد الى خديجة وأخبرها الخبر فانطلقت به حتى أتت ورقة بن نوفل فأخبرته خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي أنزله الله على موسى ياليتني فيها جذعا ليتني أكون حيا اذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أومخرجيّ هم قال نعم لم يأت رجل بمثل ماجئت به الا عودي وان يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا ثم لم يلبث ورقة أن توفي وفتر الوحي * ثم كان أوّل مانزل عليه من القرآن بعد اقرأ باسم ربك نون والقلم وما يسطرون ويا أيها المدثر والضحى وأوّل من آمن به من النساء خديجة زوجته * ثم أوّل شئ فرض الله عليه من شرائع الاسلام بعد الاقرار بالتوحيد والبراءة من الاوثان الصلاة أتاه جبريل فعلمه الوضوء والصلاة * ورميت الشياطين بالشهب لمبعثه * وأسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان عمره احدى عشرة سنة * ثم أسلم زيد بن حارثة * ثم أسلم أبو بكر رضي الله عنه * وقيل انه أوّل من أسلم وأسلم على يده عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله فجاءهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا وصلوا وكان هؤلاء النفر هم الذين سبقوا الى الاسلام فأسلم بعدهم من أسلم وأمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بعد مبعثه بثلاث سنين أن يصدع بما يؤمر وان يظهر دعوته وكان قبل ذلك في السنين الثلاث مستترا بدعوته لا يظهرها الا الى من يثق به وكان أصحابه اذا أرادوا الصلاة ذهبوا الى الشعاب فاستخفوا ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صدع بأمر الله تعالى وأمر قومه بالاسلام فكان المشركون يحصل منهم الضرر

للمستضعفين من المسلمين فمن لا عشيرة له تمنعه يعذبونه بالقائه فى الرمضاء على ظهره وقت الظهيرة وبالقاء الصخرة العظيمة على صدره ويقال له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى وكانوا يفعلون بهم غير ذلك من أنواع التعذيب ومن المسلمين من مات من فعل المشركين وكان بعض المشركين يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستهزئ به * ثم أسلم حمزة عمّ النبىّ صلى الله عليه وسلم فعرفت قريش أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز وامتنع فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه * ثم أسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأعز الله باسلامه الدين وقال يا رسول الله ألسنا على الحق قال اى والذى بعثنى بالحق قال اما والذى بعثك بالحق نبيا لا يعبد الله بعد اليوم الا جهرا فأظهر الله الدين بايمانه *(الهجرة الاولى)* لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء أمرهم أن يخرجوا الى أرض الحبشة فخرج جماعة منهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدموا على النجاشى وكان ملكا عادلا اسمه أصحمة ومعناه بالعربى عطية فأكرمهم وأقاموا عنده بخير * ثم أسلم النجاشى بعد ذلك وكان السبب فى ولايته عليهم بعد قتل أمير الحبشة أنّ أباه كان أميرا عليهم فكرهوه وكان له أخ فقصدوا ولايته عليهم بعد قتل أخيه فقتلوه وقصدوا قتل النجاشى فقال لهم عمه أنتم قتلتم أباه وتقتلوه أخرجوه من بلادكم فأخذوه الى البحر فرأوا سفينة فباعوه ورجعوا الى بلادهم فوجدوا عمه مات فقالوا ذلك من خطيئة النجاشى فأدركوه وأتوا به ليكون أميرا مكان أبيه فجاؤا به أميرا مكان أبيه فأول ما حكم ان الذين اشتروه قالوا ان هؤلاء باعونا عبدا وأخذوه منا فقال لهم اما ان تعطوهم ما أخذتم منهم واما ان تسلموهم عبدهم فهذا أول حكمه فيهم * ثم بعد ذلك وقع من الحبشة تعصب على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له ان هؤلاء لهم دين غير ديننا فأرسل وراءهم وقال لهم

ماتقولون في عيسى ابن مريم فقالوا نؤمن به ونصدقه فيما جاء به فقال الحبشة ماتقولون في نبيهم فلم يؤمنوا به فقال لهم هؤلاء يؤمنون بنبيكم وأنتم لا تؤمنون بنبيهم فأنتم الآن ظلمة فكل منكم على دينه ولا أحد منكم يعارض هؤلاء فاستمروا في بلاده مدة وعادوا الى أوطانهم * ومات النجاشي فقال النبي صلى الله عليه وسلم مات اليوم رجل صالح فصلوا على أخيكم اصحمة فصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه *(امر الصحيفة)* ولما رأى المشركون ان الاسلام ينمو ويزيد ائتمروا ان يكتبوا بينهم كتابا يتعاقدون فيه على ان لا ينكحوا بني هاشم وبني المطلب ولا ينكحوا منهم ولا يبيعوهم ولا يبتاعوا منهم فكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة الشريفة واقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا هذا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس سرا وجهرا والوحي يتتابع * ثم قام نفر من قريش وتعاهدوا على نقض الصحيفة ووقع بينهم الخلاف فقام مطعم ابن عدي الى الصحيفة ليشقها فوجد الارضة قد أكلتها الا ما كان باسمك اللهم كانت قريش تستفتح بها كتابها وأكلت الارضة ما فيها من ظلم وقطع رحم وتركت ما فيها من اسم الله تعالى * وكان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر بذلك فاجتمع قريش واحضروا الصحيفة فوجدوا الامر كما قاله فنكسوا رؤسهم واتفق جماعة من قريش ونقضوا ما تعاهدوا عليه في الصحيفة من قطيعة بني هاشم وبني عبد المطلب والله أعلم

(قصة المعراج وما وقع لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء بالمسجد الاقصى)

لما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم وانزل عليه الوحي وأمره باظهار دينه وايده بالمعجزات الظاهرات والآيات الباهرات أسرى به ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وهو بيت المقدس من ايليا * وقد فشا الاسلام في قريش وفي القبائل كلها * وكان الاسراء ليلة سبع عشرة من ربيع الاول قبل الهجرة بسنة وقال ابن الجوزي وقد قيل كان في ليلة سبع

وعشرين من شهر رجب واختلف الناس فى الاسراء برسول الله صلى الله
عليه وسلم * فقيل انما كان جميع ذلك فى المنام والحق الذى عليه الناس
ومعظم السلف وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين انه
اسري بجسده صلى الله عليه وسلم يقظة لان قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا
التى أريناك الافتنة للناس تدل على ذلك ولوكانت رؤيا نوم ماافتتن بها
الناس حتى ارتد كثير ممن كان اسلم * وقال الكفار يزعم محمد انه أتى بيت
المقدس ورجع الى مكة فى ليلة واحدة والعير تطرد اليه شهرا مقبلة
وشهرا مدبرة فلوكانت رؤيا نوم لم يستبعد ذلك منه * قال ابن عباس رضى
الله عنهما هى رؤيا عين رآها النبى صلى الله عليه وسلم لا رؤيا منام قال
الله تعالى مازاغ البصر وما طغى اضاف الامر للبصر وقال تعالى ما كذب
الفؤاد مارأى اى لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها *
واختلف السلف والخلف هل رأى نبينا صلى الله عليه وسلم ربه ليلة
الاسراء فانكرته عائشة رضى الله عنها وروى عن ابن عباس رضى الله
عنهما انه قال رآه بعينيه ومثله عن أبى ذر وكعب والحسن وكان يحلف على
ذلك وحكى مثله عن ابن مسعود وأبى هريرة والامام أحمد بن حنبل *
وحكى النقاش عن الامام أحمد انه قال أنا اقول بحديث ابن عباس بعينيه
رآه رآه رآه حتى انقطع نفس الامام احمد * واختلفوا فى ان نبينا محمدا صلى
الله عليه وسلم هل كلم ربه عزوجل ليلة الاسراء فذكر عن جعفر بن
محمد الصادق انه قال أوحى الله اليه بلا واسطة والى هذا ذهب بعض
المتكلمين وقال ان محمدا كلم ربه فى ليلة الاسراء وحكوه عن ابن عباس
وابن مسعود * واختلف فى المكان الذى اسرى به ربه منه فروى عنه صلى
الله عليه وسلم انه قال بينا أنا نائم فى بيت ام هانئ بنت أبى طالب وفى
رواية بينما أنا فى الحطيم وربما قال فى الحجر مضطجعا ومنهم من قال بينما
أنا بين النائم واليقظان وكانت ليلة الاثنين اذ هبط على الامين
جبريل عليه السلام وذكر القصة * وكان من حديث المعراج الشريف

ما روى

ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أتيت بالبراق وهو دابة
ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال
فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التى تربط بها الانبياء
ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين * وفى رواية فلما دخلت المسجد
اذا أنا بالانبياء والمرسلين قد حشروا الىّ من قبورهم ومثلوا الى وقد قعدوا
صفوفا صفوفا ينتظرونى فسلموا علىّ فقلت يا جبريل من هؤلاء القوم قال
اخوانك الانبياء والمرسلون * زعمت قريش ان لله شريكا وزعمت
النصارى ان لله ولدا اسأل هؤلاء النبيين هل كان لله شريك ثم قرأ واسئل
من أرسلنا قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون * قال
أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب المفسر فى كتاب التنزيل له ان هذه الآية
نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم ببيت المقدس ليلة الاسراء وقد عدها
غيره من العلماء فى الشامى والذى قاله أبو القاسم اخص مما ذكروه * فلما نزلت
وسمعها الانبياء عليهم السلام اقروا لله عز وجل بالوحدانية * قال عليه
الصلاة والسلام ثم جمعهم جبريل وقدمنى فصليت بهم ركعتين * قال
صلى الله عليه وسلم ثم خرجت فجاءنى جبريل باناء من خمر واناء من لبن
فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة * ثم عرج بنا الى السماء
فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى
الله عليه وسلم قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا بآدم عليه
السلام فرحب بى ودعا لى بخير * ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح
جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه
وسلم قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بابنى الخالة
عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام فرحبا بى ودعوا لى بخير
ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا أنا بيوسف
عليه السلام واذا هو قد اعطى شطر الحسن فرحب بى ودعا لى بخير * ثم
عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا أنا بادريس فرحب بى ودعا لى

بخير * ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا أنا بهارون فرحب بي ودعالي بخير * ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا أنا بموسى فرحب بي ودعالي بخير * ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا أنا بابراهيم مسند اظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه * ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى واذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها فأوحى الله الى ما أوحى * ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة * فنزلت الى موسى فقال مافرض ربك عليك وعلى أمتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاسئله التخفيف فان امتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يارب خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا قال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسئله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين ربي تعالى وبين موسى حتى صارت خمس صلوات قال ان أمتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال يا محمد انهن خمس صلوات في اليوم والليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت سيئة واحدة * قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فأخبرته فقال ارجع الى ربك فاسئله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه * وفي رواية ياموسى قد والله استحييت من ربي مما اختلف اليه قال بسم الله فاهبط * قال صلى الله عليه وسلم ثم حملني جبريل حتى أنزلني على جبل بيت المقدس واذا أنا بالبراق واقف على حاله في موضعه فسميت الله واستويت على ظهره فما كان باسرع من أن أشرفت على مكة ومعي جبريل * قال صلى الله عليه وسلم لما كان صبيحة ليلة الاسراء اصبحت

بمكة متحيرا في امري وعلمت ان الناس يكذبوني فقعدت معتزلا حزينا
الى ناحية من نواحي المسجد فمر بي أبوجهل عدو الله فجاء حتى جلس
الى فقال كالمستهزئ هل كان من شئ يا محمد فقلت نعم قال وماهو قلت انى
اسرى بي الليلة قال الى أين قلت الى بيت المقدس قال ثم اصبحت بين
اظهرنا قلت نعم فقال أبوجهل يامعشر قريش يامعشر بني كعب يامعشر
بني لؤى هلموا فانقضت المجالس وجاؤا حتى جلسوا الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال أبوجهل حدث قومك يا محمد بما حدثتني فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انى أسرى بي الليلة قالوا الى أين قال الى بيت
المقدس قالوا ثم أصبحت بين أظهرنا قال نعم فبقي منهم المتعجب ومنهم
المصفق ومنهم الواضع يده على ام رأسه * ثم قالوا هل تستطيع ان تنعت
لنا بيت المقدس قلت نعم قال فذهبت انعته حتى التبس على بعض
النعت لكوني دخلته ليلا فجيئ بالمسجد انظر اليه حتى وضع دون دار
عقيل فجعلت انظر اليه واخبرهم عن آياته قال صلى الله عليه وسلم وآية
ذلك أني مررت بعير بني فلان بوادي كذا وكذا فنفرهم حس الدابة
فندلهم بعير فدللتهم عليه * ثم أقبلت حتى اذا كنت بضجنان
مررت بعير بني فلان فوجدت القوم نياما ولهم اناء فيه ماء قد
غطوا عليه بشئ فكشفت غطاءه وشربت مافيه ثم غطيت عليه
كما كان وان عيرهم الآن تصوب من البيضاء ثنية التنعيم يقدمها جمل
أورق عليه غرارتان احداهما سوداء والاخرى برقاء فابتدر القوم الثنية
فلم يلقهم أولا الا الجمل الذى وصف لهم وسألوهم عن الاناء فاخبروهم
انهم وضعوه مملوءا ماء ثم غطوه وانهم انتبهوا من الليل فوجدوه كما غطوه
ولم يجدوا فيه ماء وسألوا القوم الذين ندلهم البعير فقالوا صدق والله لقد
ند لنا بعير بالوادي الذى ذكره فسمعنا صوت رجل يدعونا اليه وانه لأشبه
الاصوات بصوت محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فجئنا حتى اخذناه
وذهب الناس الى أبي بكر فقالوا هل لك يا أبا بكر في صاحبك انه يزعم انه

قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع الى مكة فقال أبو بكر رضى الله عنه والله لئن كان قال لكم ذلك لقد صدق فما يعجبكم من ذلك فوالله انه ليخبرنا عن الوحى من الله يأتيه من السماء الى الارض فى ساعة واحدة من ليل أو نهار فنصدقه فهذا ابعد مما تعجبون منه ثم أقبل حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبى الله أحدثت هؤلاء انك جئت بيت المقدس هذه الليلة قال نعم قال صدقت فصفه لى يا نبى الله فانى جئته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع لى حتى نظرت اليه وجعل يصفه لأبى بكر وهو يقول صدقت أشهد أنك رسول الله حتى انتهى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت يا أبا بكر الصديق فسمى من ذلك اليوم صديقا قال الله تعالى والذى جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون ثم أنزل الله سورة النجم تصديقا له صلى الله عليه وسلم ثم توفى أبو طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخديجة رضى الله عنها قبل الهجرة الشريفة وماتت خديجة قبل أبى طالب بخمسة وثمانين يوما وقيل بخمسة وعشرين يوما وقيل بثلاثة أيام فعظمت المصيبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بموتهما وقال ما نالتنى قريش بشئ اكرهه حتى مات أبو طالب وذلك ان قريشا وصلوا من ايذائه بعد موت أبى طالب الى ما لم يكونوا يصلون اليه فى حياته وتزوج بعد خديجة عائشة رضى الله عنها ولها ست سنين وتزوج بسودة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قبائل العرب يلتمس منهم نصرته والقيام معه على من يخالفه ويدعوهم الى الله فلم يجيبوه *(ابتداء أمر الانصار)* ولما أراد الله اظهار دينه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الموسم فعرض نفسه على القبائل كما كان يفعل فبينما هو عند العقبة اذ لقى رهطا من الخزرج فدعاهم الى الله تعالى فأجابوه وصدقوه وانصرفوا راجعين الى بلادهم فلما قدموا المدينة ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوا قومهم الى الاسلام حتى فشا فيهم *(بيعة العقبة الاولى)* فلما كان العام المقبل وافى الموسم من الانصار

اثنا عشر رجلا فلقوه بالعقبة فبايعوه أن لا يشركوا بالله شيئا ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم مصعب ابن عمير وامرهم أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام فنزل بالمدينة ﴿بيعة العقبة الثانية﴾ ولما فشا الاسلام في الانصار اتفق جماعة منهم على المسير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفين فساروا في ذي الحجة مع كفار قومهم واجتمعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ووعدوه أوسط ايام التشريق بالعقبة فلما كان الليل خرجوا حتى اجتمعوا بالعقبة وهم سبعون رجلا معهم امرأتان وجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعوه فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلا القرآن ثم قال أبايعكم على ان تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأولادكم ودار الكلام بينهم واستوثق كل فريق من الآخر ثم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان قتلنا دونك مالنا قال لكم الجنة قالوا فابسط يدك فبسط يده فبايعوه ثم رجعوا الى المدينة وكان قدومهم في ذي الحجة فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقية ذي الحجة والمحرم وصفر والله أعلم

﴿ذكر الهجرة الشريفة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام﴾

وهي ابتداء التاريخ الاسلامي أما لفظة التاريخ فانها محدثة في لغة العرب لانه لفظ معرب من ماه روز لان عمر رضي الله عنه قصد التوصل الى الضبط من رسوم الفرس فاستحضر الهرمزان وسأله عن ذلك فقال ان لنا به حسابا نسميه ماه روز ومعناه حساب الشهور والايام فعربوا الكلمة فقالوا مؤرخ ثم جعلوا اسمه التاريخ واستعملوه ثم طلبوا وقتا يجعلونه أولا لتاريخ دولة الاسلام واتفقوا على ان يكون المبدأ سنة هذه الهجرة فكانت هذه الهجرة من مكة الى المدينة شرفها الله تعالى وقد تصرم من شهور هذه السنة وايامها المحرم وصفر وثمانية أيام من ربيع الاول فلما عزموا على تأسيس الهجرة رجعوا القهقرى ثمانية وستين يوما وجعلوا مبدأ التاريخ اول المحرم من هذه السنة ثم أحصوا من أول

يوم المحرم الى آخر يوم من عمر النبي صلى الله عليه وسلم فكان عشر ستين وشهرين واياما واذا احسب عمره من الهجرة فيكون قد عاش بعدها تسع سنين واحد عشر شهرا واثنين وعشرين يوما * واما التواريخ القديمة فكانت الامم السالفة تؤرخ بالاحداث العظام وتملك الملوك فأرخوا بهبوط آدم ثم بعث نوح ثم بالطوفان وأرخ بنو اسحاق بنار ابراهيم الى يوسف ومن يوسف الى مبعث موسى الى ملك سليمان بن داود ثم بما كان من الكوائن ومنهم من أرخ بوفاة يعقوب عليه السلام ثم بخروج موسى من مصر ببني اسرائيل ثم بخراب بيت المقدس واما بنو اسماعيل فأرخوا ببناء الكعبة ولم يزالوا يؤرخون بذلك حتى تفرقوا وكان كل من خرج منهم من تهامة يؤرخ بخروجه ثم أرخوا بعام الفيل ثم ارخوا بايام الحروب وكانت حمير يؤرخون بملوكهم التبابعة واما اليونان والروم فأرخوا بظهور الاسكندر واما النبط فكانوا يؤرخون بملك بخت نصر واما المجوس فكانوا يؤرخون بقتل دارا وظهور الاسكندر ثم بظهور ازدشير ثم بملك يزدجرد وولد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والعرب تؤرخ بعام الفيل ولم يزل التاريخ كذلك الى ان ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة فقرر الامر على أن يؤرخوا بهجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة فجعلوا التاريخ من المحرم أول عام الهجرة وقد ورد في حديث المعراج الشريف ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم حين اسرى به انزل فصل هنا ففعل فقال أتدري أين صليت صليت بطيبة واليها المهاجرة * واما ما كان من حديث الهجرة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر الى المدينة في شهر ربيع الاول وأمر أصحابه بالمهاجرة الى المدينة فخرج جماعة وتتابع الصحابة ثم هاجر عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر ما يؤمر به وتخلف معه أبو بكر وعلي رضي الله عنهما وأجمعت قريش على مكيدة يفعلونها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنجاه الله من مكرهم وأنزل عليه

في ذلك

فى ذلك واذ يمكر بك الذين كفروا الآية وأمره بالهجرة فأمر عليا
ان يتخلف عنه ويؤدى ما عنده من الودائع لاربابها ثم خرج هو وأبو بكر
الى غار ثور وهو جبل أسفل مكة فاقاما فيه ثم خرجا بعد ثلاثة أيام وتوجها
الى المدينة وقدماها لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول سنة احدى
وكان يوم الاثنين الظهر فنزل بقباء وأقام بها الاثنين والثلاثاء والاربعاء
وأسس مسجد قباء وهو الذى نزل فيه لمسجد اسس على التقوى من أول
يوم أحق ان تقوم فيه فيه رجال ثم خرج من قبا يوم الجمعة وادركته الجمعة
فى بنى عمرو بن عوف فصلاها فى المسجد الذى ببطن الوادى وكانت أول
جمعة صلاها بالمدينة * فولد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وهاجر يوم
الاثنين * وقبض صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين واختلف العلماء فى مقامه
بمكة بعد ان أوحى الله اليه فقيل عشر سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وهو
الصحيح ولعل الذى قال عشر سنين أراد بعد اظهار الدعوة فانه بقى ثلاث
سنين يسرها والله أعلم * ذكر بناء المسجد الشريف النبوى * على
صاحبه افضل الصلاة والسلام ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحل
من قباء يريد المدينة فامر على دار من دور الانصار الا قالوا هلم يا رسول الله
الى العدد والعدة ويعترضون ناقته فيقول خلوا سبيلها فانها مأمورة حتى
انتهت الى موضع مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فبركت هنالك فنزل
عنها النبى صلى الله عليه وسلم وأخذ أبو أيوب الانصارى الناقة الى بيته
* وكان موضع المسجد مربدا للتمر لسهل وسهيل ابنى عمرو يتيمين فى
حجر اسعد بن زرارة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت
ناقته هذا ان شاء الله المنزل ثم دعا الغلامين فساومهما المربد ليتخذه
مسجدا فقالا لا بل نهبه لك يا رسول الله فأبى ان يقبله منهما هبة حتى
ابتاعه منهما ثم بناه مسجدا * وطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل
معهم اللبن فى بنائه * وقيل بل كان الموضع لبنى النجار وكان فيه قبور
المشركين وخرب ونخل فأراد النبى صلى الله عليه وسلم ان يشتريه من

بنى النجار فقال لهم يا بنى النجار ثامنونى حائطكم فقالوا لا نطلب ثمنه الا الى الله فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبور المشركين فنبشت وبالخرب فسويت وبالنخل فقطع * قال فصفوا النخل قبلة المسجد وجعلوا عضادتيه حجارة وجعلوا ينقلون ذلك الصخر وهم يرتجزون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول * اللهم لاعيش الا عيش الآخرة * فانصر الانصار والمهاجره * وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أبى أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه * وكان قبله يصلى حيث أدركته الصلاة وبناه هو والمهاجرون والانصار رضوان الله عليهم أجمعين * وكان المسجد الشريف على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنيا باللبن وسقفه الجريد وعمده خشب النخل فلم يزد أبو بكر فيه شيئا وزاد فيه عمر وبناه على بنيانه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم باللبن والجريد وأعاد عمده خشبا ثم غيره عثمان بن عفان رضى الله عنه فى خلافته فزاد فيه زيادة كثيرة وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج * ثم لما صارت الخلافة الى الوليد بن عبد الملك الذى عمر مسجد دمشق استعمل على المدينة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وكتب اليه فى سنة سبع وثمانين من الهجرة الشريفة يأمره بهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدم بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنهن وأن يدخل البيوت فى المسجد بحيث تصير مساحة المسجد مائتى ذراع فى مائتى ذراع وان يضع اثمان البيوت من بيت المال فأجابه أهل المدينة الى ذلك وقدم الصناع من عند الوليد لعمارة المسجد وتجرد لذلك عمر بن عبد العزيز وشيد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدخل فيه ما حوله من المنازل * ثم لما صارت الخلافة لبنى العباس ووليها المهدى أبو عبد الله محمد بن أبى جعفر المنصور وسع المسجد الشريف وزاد فيه وحمل اليه العمد الرخام ورفع سقفه والبس خارج القبر الشريف الرخام * وذلك فى سنة سبع وستين ومائة

وامر

وأمر بتقصير المنابر فى البلاد وجعلها بمقدار منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عمر فى المسجد الشريف جماعة من ملوك الاسلام من الخلفاء والسلاطين وجددوا فيه اشياء من المحاسن * وكان قد احترق المسجد الشريف فى زمن الملك الظاهر بيبرس رحمه الله فاهتم بعمارته ووضع الدرابزينات حول الحجرة الشريفة وعمل فيه منبرا وسقفه بالذهب * ثم فى عصرنا جرت حادثة وهى فى ليلة الثالث عشر من شهر رمضان سنة ست وثمانين وثمانمائة وقعت صاعقة بالليل فى المدينة الشريفة احترق منها المسجد الشريف النبوى والحجرة الشريفة وجميع ما بالمسجد الشريف من المصاحف والكتب وغير ذلك ووردت الاخبار بذلك الى السلطان الملك الاشرف قايتباى وكتب أهل المدينة الشريفة محضرا بما وقع وجهزوه الى القاهرة فى اسرع وقت وجزع الناس لذلك ثم اهتم السلطان بعمارته وأقام فى ذلك اعظم قيام وأنشأه وجدد عمارته فجاءت فى غاية الحسن ولله الحمد والمنه * واما المسجد الشريف فله أربعة أبواب من جهتى المشرق والمغرب فمن جهة المشرق باب جبريل وباب النساء ومن جهة المغرب باب السلام وباب الرحمة * وعليه خمس منابر أربعة قديمة والخامسة مستجدة بمدرسة السلطان الملك الاشرف قايتباى * وقد وقف السلطان المشار اليه على المدينة الشريفة أوقافا كثيرة أكثرها عقارات بالقاهرة ورتب قمحا يحمل اليها فى كل سنة يصرف لاهلها والواردين اليها وكان ذلك فى سنة ثمان وثمانين وثمانمائة عند انتهاء عمارة المسجد الشريف * وانما ذكرت هذه الحوادث هنا استطرادا على وجه الاختصار لتعلقها بالمسجد الشريف * ولنرجع الى ذكر أخبار الهجرة الشريفة * فأقول وبالله التوفيق ولما أقام النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة الشريفة فى السنة الاولى من هجرته صلى الله عليه وسلم بنى بعائشة رضى الله عنها فى شهر ذى القعدة وهى بنت تسع سنين وفيها كانت المواخاة بين المسلمين آخى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

فاتخذ هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه أخا وصار أبو بكر وخارجة بن زيد بن أبي زهير الانصاري اخوين وتواخى أبو عبيدة بن الجراح وسعد ابن معاذ وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك وطلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك وسعيد ابن زيد وأبي بن كعب الانصاري رضي الله عنهم * وفيها كانت غزوة الابواء وهي أول غزواته ثم غزوة بواط ثم غزوة العشيرة * ثم دخلت السنة الثانية من الهجرة الشريفة على صاحبها افضل الصلاة والسلام وكان تحويل القبلة من صخرة بيت المقدس الشريف الى المسجد الحرام قال الله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره * وروى الليث عن يونس عن الزهري قال لم يبعث الله منذ هبط آدم الى الارض نبيا الا جعل قبلته صخرة بيت المقدس وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان أول ما نسخ من القرآن القبلة وذلك ان محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يصلون بمكة الى الكعبة فلما هاجر الى المدينة أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلي نحو صخرة بيت المقدس ليكون اقرب الى تصديق اليهود اياه اذا صلى الى قبلتهم مع ما يجدون من نعته في التوراة فصلى بعد الهجرة الشريفة ستة عشر أو سبعة عشر شهرا الى بيت المقدس وكان يحب ان يوجه الى الكعبة لانها كانت قبلة أبيه ابراهيم عليه السلام فانزل الله عليه الآية وأمره باستقبال الكعبة ولما حولت القبلة كان النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد القبلتين في بني سلمة وكان يصلي فيه الظهر الى بيت المقدس وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين وعن البراء ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الى بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا وكان يعجبه ان تكون قبلته البيت فانه صلى الله عليه وسلم أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلوا معه

فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال اشهد بالله لقد صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم قبل مكة فداروا كلهم وجوههم قبل البيت * وكانت اليهود قد اعجبهم اذ كان يصلي قبل بيت المقدس ولما ولى وجهه قبل البيت انكروا ذلك * وقال البراء في حديثه هذا انه مات على القبلة قبل ان تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله عز وجل وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤف رحيم * وكان تحويل القبلة في يوم الثلاثاء منتصف شهر شعبان * وقيل في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين من السنة الثانية من الهجرة الشريفة على صاحبها افضل الصلاة والسلام * وفيها اعني في السنة الثانية في شعبان فرض صوم شهر رمضان وأمر الناس باخراج زكاة الفطر قبل الفطر بيوم أو يومين فصام صلى الله عليه وسلم تسع رمضانات اجماعا * وفيها رأى عبد الله بن زيد بن عبد ربه الانصاري صورة الاذان في النوم وورد الوحي به * وفيها تزوج علي رضي الله عنه بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله سبحانه وتعالى عقد عقد فاطمة لعلي في السماء فنزل الوحي بذلك فجمع الصحابة لذلك وأرسل وراء علي بن أبي طالب وأخبره بالخبر فعقد النبي صلى الله عليه وسلم عقد علي على فاطمة فقيل لعلي أولم يا علي فنزل بدرعه يبيعه فعرفه عبد الرحمن فاشتراه بألف درهم ودفعها لعلي ثم أوهبه الدرع * وفيها كانت غزوة بدر الكبرى التي اظهر الله بها الدين وسببها قتل عمرو بن الحضرمي واقبال أبي سفيان بن حرب في عير لقريش عظيمة من الشأم * وفيها اموال كثيرة فانتدب المسلمون بأمر النبي صلى الله عليه وسلم وخرجوا اليهم فبلغ أبا سفيان ذلك فبعث الى مكة وأعلم قريشا بذلك فخرج المشركون من مكة وكانت عدتهم تسعمائة وخمسين رجلا فيهم مائة فرس وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة ومعه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا لم يكن فيهم الا فارسان وكانت الابل سبعين يتعاقبون عليها ونزل في بدر وبني له

عريش وجلس فيه ومعه أبو بكر وأقبلت قريش فلما رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تكذب رسولك * اللهم فنصرك الذي وعدتني به ولم يزل كذلك والتقى الصفان وتزاحف القوم ورسول الله صلى الله عليه وسلم معه أبو بكر في العريش وهو يدعو ويقول * اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض * اللهم أنجز لي ما وعدتني به ولم يزل كذلك حتى سقط رداؤه فوضعه أبو بكر عليه وخفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انتبه فقال ابشر يا أبا بكر فقد أتى نصر الله ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من العريش يحرض المسلمين على القتال وأخذ حفنة من الحصا ورمى بها قريشا وقال شاهت الوجوه وقال لاصحابه شدوا عليهم فكانت الهزيمة على المشركين * وكانت الوقعة صبيحة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان * وحمل عبد الله بن مسعود رأس أبي جهل بن هشام الى النبي صلى الله عليه وسلم فسجد شكر الله تعالى * ونصر الله نبيه بالملائكة قال تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بألف من الملائكة مردفين وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم وكانت عدة قتلى بدر من المشركين سبعين رجلا والاسرى كذلك وكان من جملة الاسرى العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما انقضى القتال أمر النبي صلى الله عليه وسلم بسحب القتلى الى القليب وكانوا أربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش فقذفوا فيه وجميع من استشهد من المسلمين أربعة عشر رجلا وعاد النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكانت غيبته تسعة عشر يوما وماتت ابنته رقية زوجة عثمان في غيبته وكان عثمان تخلف في المدينة بأمره صلى الله عليه وسلم لسببها * وفيها هلك أبو لهب ثم كانت غزوة بني قينقاع من اليهود وأمر باجلائهم * ثم كانت غزوة السويق ثم غزوة قرقرة الكدر وقرقرة الكدر ماء مما يلي جادة العراق الى مكة وقتل كعب بن الاشرف اليهودي

بأمر النبي صلى الله عليه وسلم * ثم دخلت السنة الثالثة من الهجرة
الشريفة وفيها كانت غزوة بني النضير من اليهود وكانت على رأس ستة
اشهر من بدر قبل احد فأجلاهم النبي صلى الله عليه وسلم وحرق نخيلهم *
وفيها كانت غزوة احد وسببها وقعة بدر فاجتمع المشركون وكانوا ثلاثة
آلاف فيهم سبعمائة دارع ومائتا فارس وقائدهم أبوسفيان وساروا من
مكة حتى نزلوا ذا الحليفة مقابل المدينة يوم الاربعاء لأربع مضين من
شوال وخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ألف من الصحابة الى ان صار
بين المدينة وأحد ونزل الشعب من احد * ثم كانت الوقعة يوم السبت
لسبع مضين من شوال وعدة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبعمائة وفيهم مائة دارع ولم يكن معهم من الخيل سوى فرسين والتقى
الناس ودنا بعضهم من بعض وقامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتى
معها وضربن بالدفوف خلف الرجال يحرضن المشركين على القتال
وحرب المسلمين * وقاتل حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ قتالا
شديدا الى ان قتل ضربه وحشي عبد جبير بن مطعم وكان حبشيا بحربة
فقتله * وقتل مصعب حامل لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ظن
قاتله انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقريش انى قتلت محمدا *
ولما قتل مصعب أعطى النبي صلى الله عليه وسلم الراية لعلي بن أبي طالب
رضي الله عنه وانهزم المشركون فطمعت الرماة في الغنيمة وفارقوا المكان
الذى أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بملازمته ووقع الصراخ ان محمدا
قتل وانكشف المسلمون وأصاب منهم العدو وكان يوم بلاء على المسلمين
* وكان عدة الشهداء منهم سبعين رجلا وعدة قتلى المشركين اثنين
وعشرين رجلا * ووصل العدو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصابته حجارتهم حتى وقع واصيبت رباعيته وشج وجهه وجعل الدم
يسيل على وجهه وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو
يدعوهم الى ربهم فنزل في ذلك قوله تعالى ليس لك من الامر شيء أو يتوب

عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون ودخلت حلقتان من المغفرفى وجهه الشريف من الشجة ونزع أبوعبيدة بن الجراح أحد الحلقتين من وجهه فسقطت ثنيته الواحدة ثم نزع الاخرى فسقطت ثنيته الاخرى * ومثلت هند وصواحبها بالقتلى من الصحابة بجدعن الآذان والانوف وبقرت هند عن كبد حمزة ولاكتها وصعد زوجها أبوسفيان الجبل وصرخ بأعلى صوته الحرب سجال يوم بيوم بدر أعل هبل أى اظهر دينك فأجابه المسلمون الله اعلى واجل ونادى ان موعدكم بدر العام القابل فقال النبى صلى الله عليه وسلم لواحد قل هو بيننا وبينكم * ثم التمس رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة فوجده وقد بقر بطنه وجدع انفه واذناه فقال لئن أظهرنى الله عزوجل على قريش لأمثلن بثلاثين منهم وجاءه جبريل فأخبره ان حمزة مكتوب فى أهل السموات السبع حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله ثم أمر النبى صلى الله عليه وسلم به فسجى ببردة ثم صلى عليه وكبر سبع تكبيرات * ثم أتى بالقتلى يوضعون الى حمزة فصلى عليهم وعليه ثنتين وسبعين صلاة * وهذا دليل لأبى حنيفة فانه يرى الصلاة على الشهيد خلافا للشافعى واحمد رحمهم الله تعالى ثم أمر بحمزة فدفن واحتمل اناس من المسلمين الى المدينة فدفنوا بها ثم نهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ادفنوهم حيث صرعوا * واصيبت عين قتادة فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وكانت أحسن عينيه * واستشهد انس بن النضر عم انس بن مالك وقد بلى بلاء حسنا وفيه نزلت من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية * وفيها تزوج النبى صلى الله عليه وسلم حفصة بنت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وبنى بها وكانت تحت خنيس بن حذافة السهمى * ثم دخلت السنة الرابعة من الهجرة الشريفة وفيها كانت غزوة بدر الثانية وهى فى شعبان * وفيها خرج النبى صلى الله عليه وسلم الى بدر لميعاد أبى سفيان وخرج أبوسفيان فى أهل مكة ثم رجع ورجعت قريش معه وانصرف رسول الله

صلى الله عليه وسلم الى المدينة * ثم دخلت السنة الخامسة من الهجرة الشريفة وفيها كانت غزوة الخندق وهي غزوة الاحزاب وكانت في شوّال وسببها ان نفرا من اليهود حزبوا الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدموا على قريش بمكة يدعونهم الى حربه فلما بلغ النبيّ صلى الله عليه وسلم ذلك أمر بحفر الخندق حول المدينة وعمل فيه بنفسه وفرغ من الخندق * واقبلت قريش ومن تبعهما من بني قريظة واشتدّ البلاء حتى ظنّ المؤمنون كل الظنّ * وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركون بضعا وعشرين ليلة لم يكن بين القوم حرب الا الرمي ثم نصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم على المشركين وخذلهم واختلفت كلمتهم وأهب الله ريح الصبا كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها فجعلت الريح تقلب ابنيتهم وتكفأ قدورهم وانقلبوا خاسرين فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الآن نغزوهم ولا يغزوننا وكان كذلك حتى فتح مكة * وفيها أي في ذي القعدة كانت غزوة بني قريظة عقب عود النبيّ صلى الله عليه وسلم الى المدينة من غزوة الخندق بوحي من الله تعالى نزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فسار اليهم وحاصرهم خمسا وعشرين ليلة وقذف في قلوبهم الرعب ونزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فردّ الحكم فيهم الى سعد بن معاذ فحكم بقتل المقاتلة وسبي الذرية والنساء وقسم الاموال * ثم رجع النبيّ صلى الله عليه وسلم الى المدينة وضرب اعناقهم وكانوا ستمائة أو تسعمائة * وقيل ما بين الثمانمائة والسبعمائة ثم قسم الاموال والسبايا * واصطفى لنفسه ريحانة بنت شمعون فكانت في ملكه حتى مات ولم يستشهد في هذه الغزوة سوى خلاد بن زيد بن ثعلبة ألقت عليه امرأة من بني قريظة رحا شدخت رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له اجر شهيدين وقتلها به ثم دخلت السنة السادسة من الهجرة الشريفة وفيها في شعبان كانت

غزوة بني المصطلق وهي غزوة المريسيع وكان في جملة السبي جويرية بنت
الحارث كان اسمها برة فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم جويرية
وكانت احدى ازواجه وفيها كانت قصة الافك فرميت السيدة ام
المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالافك مع صفوان بن المعطل * وكان
صفوان حصورا لا يأتي النساء والقصة مشهورة في الحديث الشريف
وفيها نزلت آية التيمم * وفيها كانت غزوة الحديبية وهي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة في ذي القعدة سنة ست معتمرا لا يريد
حربا وساق الهدى وأحرم بالعمرة وسار حتى وصل الى ثنية الزمار مهبط
الحديبية أسفل مكة والحديبية بئر * ووقع من معجزاته نبع الماء في ذلك
المكان * وتأهبت قريش للقتال وبعثوا رسولهم الى النبي صلى الله عليه
وسلم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان اليهم يعلمهم انه
لم يات لحرب وانما جاء زائرا ومعظما لهذا البيت فلما وصل اليهم
أمسكوه وحبسوه وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله فدعا الناس
الى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة فبايع الناس على الموت
ثم أتاه الخبر أن عثمان لم يقتل ثم وقع الصلح بين رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبين قريش فانهم بعثوا سهيل بن عمرو في الصلح فأجاب النبي صلى
الله عليه وسلم ثم دعا علي بن أبي طالب فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم
فقال سهيل لا أعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اكتب باسمك اللهم * ثم قال اكتب هذا ما صالح
عليه محمد رسول الله فقال سهيل لو شهدت انك رسول الله لم اقاتلك
ولكن اكتب اسمك واسم ابيك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو على وضع الحرب
عن الناس عشر سنين وانه من أحب ان يدخل في عقد محمد وعهده دخل
فيه ومن أحب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه وأشهدوا في
ذلك الكتاب على الصلح رجالا من المسلمين والمشركين * ولما فرغ رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم من ذلك نحر هديه وحلق رأسه وفعل الناس كذلك ثم عاد الى المدينة حتى اذا كان بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما * ودخل فى الاسلام فى هذه السنة مثل ما دخل فيه قبل ذلك واكثر والقصة مبسوطة مشهورة ولكن المراد هنا الاختصار * ثم دخلت السنة السابعة من الهجرة الشريفة وفيها كانت غزوة ذى قرد وذو قرد موضع على ميلين من المدينة على طريق خيبر وهى الغزوة التى أغاروا فيها على لقاح النبى صلى الله عليه وسلم قبل خيبر بثلاث * وفيها كانت غزوة خيبر فى منتصف المحرم سار النبى صلى الله عليه وسلم الى خيبر وهى على ثمان برد من المدينة فاشرف عليها وقال لاصحابه قفوا ثم قال اللهم رب السموات وما اظللن ورب الارضين وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها اقدموا بسم الله ونزل على خيبر ليلا ولم يعلم أهلها فلما أصبحوا خرجوا الى أعمالهم فلما رأوه عادوا وقالوا محمد والخميس يعنون الجيش فقال النبى صلى الله عليه وسلم * الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين ثم حاصرهم وضيق عليهم وأخذ الاموال وفتح الحصون وأصاب سبايا منهن صفية بنت حيى فاصطفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه وتزوجها وجعل عتقها صداقها * وهذا مذهب الامام أحمد رضى الله عنه وهو من مفردات مذهبه * وكان على بن أبى طالب رضى الله عنه قد تخلف بالمدينة لرمد لحقه فلما أصبحوا جاء على فتفل النبى صلى الله عليه وسلم فى عينيه فما اشتكى رمدا بعدها ثم أعطاه الراية فنهض بها وأتى خيبر فأشرف عليه رجل من يهود خيبر وقال من أنت قال أنا على بن أبى طالب فقال اليهودى غلبتم يا معشر اليهود فخرج مرحب من الحصن وعليه مغفر يمانى وعلى رأسه بيضة عادية وهو يقول

قد علمت خيبر اني مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب
أطعن أحيانا وحينا اضرب * اذا الليوث أقبلت تلتهب

فخرج اليه علي رضي الله عنه وهو يقول

أنا الذي سمتني أمي حيدره * اكيلكم بالسيف كيل السندره
ليث بغابات شديد قسوره

واختلف بينهما ضربتان فسبقه علي رضي الله عنه فقد البيضة والمغفر ورأسه فسقط عدو الله ميتا * وكان فتح خيبر في صفر على يد علي رضي الله عنه ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وادي القرى فحاصره ليلة وفتحه عنوة * ثم سار الى المدينة وكان قد كتب الى النجاشي يطلب منه بقية المهاجرين ويخطب ام حبيبة بنت أبي سفيان فزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ابن عمها خالد بن سعيد وأصدقها النجاشي عن النبي صلى الله عليه وسلم أربعمائة دينار * وفي غزوة خيبر اهديت للنبي صلى الله عليه وسلم الشاة المسمومة فأخذ منها قطعة ولاكها ثم لفظها وقال تخبرني هذه الشاة انها مسمومة * ثم بعد غزوة خيبر كانت غزوة ذات الرقاع فتفارق الناس ولم يكن بينهم حرب * قال أبو موسى سميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب على أرجلنا من الخرق * وفي هذه السنة أرسل النبي صلى الله عليه وسلم الى ملوك الارض * وأرسل الى كسرى فمزق كتاب النبي صلى الله عليه وسلم فلما بلغه ذلك قال مزق الله ملكه فسلط الله عليه ابنه برويز فقتله * وأرسل الى قيصر وهو هرقل وكان اذ ذاك ببيت المقدس فانه مشى من حمص الى ايليا شكرا لما كشف الله عنه جنود فارس * وكان على الصخرة الشريفة مزبلة قد حاذت محراب داود مما القته النصارى عليها مضارة لليهود حتى كانت المرأة تبعث بخرق حيضها من رومية فتلقى عليها * فلما قرأ قيصر كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انكم يا معشر الروم لحقيق ان تقتلوا على هذه المزبلة بما انتهكتم من حرمة هذا المسجد كما قتلت بنو اسرائيل على دم يحيى بن زكريا عليهما السلام فأمر بكشفها

فأخذوا

فأخذوا فى ذلك فقدم المسلمون الشأم ولم يكشفوا منها الا ثلثها فلما قدم
عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى بيت المقدس وفتحه ورأى ما عليها من
المزبلة أعظم ذلك فأمر بكشفها وسخر لها انباط فلسطين * وأكرم هرقل
قاصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دحية الكلبى ووضع كتاب النبى
صلى الله عليه وسلم على فخذه وقصد أن يسلم فمنعه بطارقته فخاف على
نفسه واعتذر ورد دحية ردا جميلا * وأرسل الى المقوقس صاحب مصر
فاكرم القاصد وقبل كتاب النبى صلى الله عليه وسلم واهدى اليه أربع
جوار احداهن مارية أم ولده ابراهيم واهدى اليه بغلته دلدل وحماره
يعفور وكسوة وأرسل الى النجاشى بالحبشة فقبل كتاب النبى صلى الله
عليه وسلم وآمن به واتبعه وأسلم * وأرسل الى الحارث الغسانى بدمشق
فلما قرأ الكتاب قال ها أنا سائر اليه فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
قوله قال باد ملكه * وارسل الى هوذة ملك اليمامة وكان نصرانيا فقال
ان جعل الامر لى من بعده سرت اليه وأسلمت ونصرته والا قصدت حربه
فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا ولا كرامة اللهم اكفنيه فمات بعد قليل *
وأرسل الى المنذر ملك البحرين فاسلم واسلم جميع العرب بالبحرين *(عمرة
القضاء)* ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة سنة سبع
معتمرا عمرة القضاء وساق معه سبعين بدنة فأبى أهل مكة ان يدعوه يدخل
مكة حتى قاضاهم على ان يقيم بها ثلاثة أيام فلما كتبوا الكتاب كتبوا هذا
ما قاضى عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لا نقر بهذا ولو نعلم انك
رسول الله ما منعناك شيئا ولكن أنت محمد بن عبد الله فقال أنا رسول الله
وأنا محمد بن عبد الله ثم قال لعلى امح رسول الله فقال على والله لا امحوك ابدا
فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن ان يكتب
فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله لا يدخل مكة السلاح الا
السيف فى القراب وانه لا يخرج من أهلها بأحد ان أراد ان يتبعه وان
لا يمنع من أصحابه أحدا ان أراد ان يقيم بها فلما دخل المسجد اضطبع

برداثه ورمل فى أربعة اشواط من الطواف ثم خرج الى الصفا والمروة
فسعى بينهما وتزوج فى سفره هذا ميمونة بنت الحارث وهو محرم وهذا
من خصائصه صلى الله عليه وسلم وهى آخر امرأة تزوجها وأقام بمكة ثلاثا
فأرسل المشركون اليه مع على بن أبى طالب ليخرج عنهم فخرج بميمونة
وانصرف الى المدينة صلى الله عليه وسلم * ثم دخلت السنة الثامنة من
الهجرة الشريفة فيها اسلم عمرو بن العاص وخالد بن الوليد رضى الله عنهما
* وفيها كانت غزوة مؤته وهى أوّل الغزوات بين المسلمين والروم * ومؤتة
من أرض الشام وهى قبل الكرك * وفيها اتخذ رسول الله صلى الله عليه
وسلم المنبر وكان يخطب الى جذع نخلة فلما كان يوم الجمعة خطب على المنبر
فأنّ الجذع الذى كان يقوم عليه انين الصبى فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان هذا بكى لما فقده من الذكر فنزل يمسحه بيده حتى سكن فلما
هدم المسجد وتغير أخذ ذلك الجذع أبىّ بن كعب فكان عنده فى داره حتى
بلى * (نقض الصلح وفتح مكة) * وسبب ذلك ان بنى بكر بن عبد مناف عدت
على خزاعة وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له الوتير وكانت خزاعة فى
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنو بكر فى عهد قريش فى صلح
الحديبية وكانت بينهم حروب فى الجاهلية فكلمت بنو بكر اشراف
قريش ان يعينوهم على خزاعة بالرجال والسلاح فوعدوهم ووافوهم
متنكرين فبيتوا خزاعة ليلا فقتلوا منهم عشرين ثم ندمت قريش على ما فعلوا
وعلموا ان هذا نقض للعهد الذى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم
وخرج عمرو بن سالم الخزاعى فى طائفة من قومه فقدموا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم مستغيثين به فوقف عمرو عليه وهو جالس فى المسجد
وانشده ابياتا يسأله ان ينصره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت
يا عمرو بن سالم ثم قدم بديل بن ورقاء الخزاعى فى نفر من خزاعة على النبى
صلى الله عليه وسلم فقال كأنكم بأبى سفيان قد جاءكم يشد العقدة ويزيد فى
المدة فكان كذلك * ثم قدم أبو سفيان المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة

ام

أم المؤمنين زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه فقال ما أدري ارغبت لى عن هذا الفراش أم رغبت به عني قالت بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك نجس قال والله لقد أصابك بعدي يا بنية شر ثم خرج وأتى النبيّ صلى الله عليه وسلم فكلمه فلم يردّ عليه شيئا فذهب الى أبي بكر ثم الى عمر ثم الى علي رضوان الله عليهم أجمعين على ان يكلموا النبيّ صلى الله عليه وسلم فى أمره وتشفع بهم فلم يفعلوا فقال لعلي يا أبا الحسن انى أرى الامور قد اشتدت عليّ فانصحنى فقال والله لا اعلم شيئا يغنى عنك ولكنك سيد بنى كنانة فقم فأجر بين الناس والحق بأرضك قال له أوترى ذلك يغنى عنى شيئا قال لا والله ما اظنه ولكن لا اجد لك غير ذلك فقام أبو سفيان فى المسجد فقال أيها الناس انى قد اجرت بين الناس ثم ركب بعيره وانطلق فلما قدم على قريش قالوا ما وراءك فقص شأنه وانه قد اجار بين الناس قالوا فهل اجاز محمد ذلك قال لا قالوا والله ان زاد الرجل على أن لعب بك ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد وأمر أهله أن يجهزوه ثم علم الناس بانه يريد مكة وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتهم فى بلادهم ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره واستخلف على المدينة كلثوم بن الحصين الغفارى وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لعشر مضين من رمضان ومعه المهاجرون والانصار وطوائف من العرب * فكان جيشه عشرة آلاف فصام وصام الناس معه حتى اذا كان بالكديد وهو الماء الذى بين قديد وعسفان أفطر * وبلغ ذلك قريشا فخرج أبو سفيان بن حرب وحكيم ابن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون الاخبار * وكان العباس رضى الله عنه اسلم قديما وكان يكتم اسلامه فخرج بعياله مهاجرا فلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحفة وقيل بذى الحليفة ثم حضر أبو سفيان بن حرب على يد العباس الى النبى صلى الله عليه وسلم بعد ان استأمن له فاسلم واسلم

معه حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء ومن اسلم يومئذ معاوية بن أبي سفيان وأخوه يزيد وامه هند بنت عتبة * وكان معاوية يقول انه اسلم يوم الحديبية فكتم اسلامه عن أبيه وأمه * وقال العباس يا رسول الله ان أبا سفيان يحب الفخر فاجعل له شيئا يكون في قومه فقال من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن * ومن أغلق عليه بابه فهو آمن * ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن * وكان فيمن خرج والتقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطرق أبو سفيان بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بالابواء فاعرض عنهما فجاء اليه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله فقبلا وجهه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين وقبل منهما اسلامهما فانشده أبو سفيان معتذرا اليه أبياتا فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال أنت طردتني كل مطرد وكان أبو سفيان بعد ذلك ممن حسن اسلامه ويقال انه ما رفع رأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اسلم حياء منه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه ويشهد له بالجنة ويقول ارجو ان يكون خلفا من حمزة ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن تركز راية سعد بن عبادة بالحجون لما بلغه انه قال اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة فقال كذب سعد ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة وأمر خالد بن الوليد ان يدخل من اعلا مكة من كداء في بعض الناس وكل هؤلاء الجنود لم يقاتلوا لان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن القتال الا ان خالد بن الوليد لقيه جماعة من قريش فرموه بالنبل ومنعوه من الدخول فقاتلهم خالد فقتل من المشركين ثمانية وعشرين رجلا فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك قال الم انهكم عن القتال فقالوا له ان خالدا قوتل فقاتل وقتل من المسلمين رجلان * ودخل النبي صلى الله عليه وسلم من كدا وهو على ناقته يقرأ سورة الفتح ويرجع * وكان فتح مكة يوم الجمعة

لعشر بقين من رمضان ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وملكها عنوة بالسيف والى ذلك ذهب مالك وأصحابه وهو الصحيح من مذهب أحمد رضي الله عنهم * وقال أبو حنيفة والشافعي رضي الله عنهما انها فتحت صلحا والله أعلم * ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة كان على الكعبة ثلاثمائة وستون صنما قد شد لهم ابليس اقدامها برصاص فجاء ومعه قضيب فجعل يومى الى كل صنم منها فيخر لوجهه فيقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا حتى مر عليها كلها وأتى النبي صلى الله عليه وسلم وحشي بن حرب قاتل حمزة رضي الله عنه وهو يقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوحشي قال نعم قال أخبرني كيف قتلت عمي فأخبره فبكى وقال غيب وجهك عني * ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة كانت عليه عمامة سوداء فوقف على باب الكعبة وقال لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده * ثم قال يا معشر قريش ماترون انى فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم * وكان الله تعالى قد أمكنه منهم فكانوا له فيئا فبذلك سمى أهل مكة الطلقاء * ولما اطمأن الناس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطواف فطاف بالبيت سبعا على راحلته واستلم الركن بمحجن كان في يده ودخل الكعبة ورأى فيها الشخوص على صورة الملائكة وصورة ابراهيم وفي يده الازلام يستقسم بها فقال قاتلهم الله جعلوا شيخنا يستقسم بالازلام ماشأن ابراهيم والازلام ثم أمر بتلك الصور فطمست وصلى في البيت ثم جلس صلى الله عليه وسلم على الصفا واجتمع الناس لبيعته على الاسلام فكان يبايعهم على السمع والطاعة لله ولرسوله فبايع الرجال ثم النساء * ولما جاء وقت الظهر يوم الفتح اذن بلال على ظهر الكعبة فقال الحارث ابن هشام ليتني مت قبل هذا وقال خالد بن أسيد لقد أكرم الله أبي فلم ير

هذا اليوم فخرج عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر لهما ما قالاه فقال الحارث بن هشام أشهد أنك رسول الله ما اطلع على هذا أحد فنقول أخبرك وقام على رضي الله عنه ومفتاح الكعبة في يده فقال يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أين عثمان بن طلحة فدعى له فقال هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء وقال خذوها تالدة خالدة لا ينزعها منكم الا الظالم يا عثمان ان الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف وذكر ان فضالة ابن عمير اراد قتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح فلما دنا منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضالة قال نعم فضالة يا رسول الله ثم قال ماذا كنت تحدث به نفسك قال لا شيء كنت اذكر الله تعالى فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال استغفر الله ووضع يده على صدره فسكن قلبه قال فضالة والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله تعالى شيئا أحب الي منه وبعث النبي صلى الله عليه وسلم السرايا الى الاصنام التي حول مكة فكسروها ونادى مناديه بمكة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنما الا كسره ولما بعث السرايا حول مكة الى الناس يدعوهم الى الاسلام ولم يأمرهم بقتال وكان من السرايا سرية خالد بن الوليد فنزل على ماء لبني خزيمة فاقبلوا بالسلاح فقال لهم خالد ضعوا السلاح فان الناس قد أسلموا فوضعوه فدعاهم الى الاسلام فلم يحسنوا ان يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون صبأنا صبأنا فقتل منهم من قتل فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم رفع يديه وقال اللهم اني ابرأ اليك مما صنع خالد مرتين ثم أرسل علي بن أبي طالب بمال وأمره ان يؤدي لهم الدماء والاموال ففعل ذلك ثم سألهم هل بقي لكم دم أو مال فقالوا لا وكان قد فضل مع علي رضي الله عنه قليل مال فدفعه اليهم زيادة تطييب لقلوبهم وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فأعجبه * وفيها كانت غزوة حنين وهوازن * وكانت في شوال سنة

ثمان من الهجرة الشريفة وحنين واد بينه وبين مكة ثلاثة أميال * ولما فتحت مكة تجمعت هوازن بخيولهم وأموالهم لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقدمهم مالك بن عوف النضري وانضمت اليه ثقيف وهم أهل الطائف وبنو سعد وهم الذين كان النبيّ صلى الله عليه وسلم مرتضعا عندهم فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم باجتماعهم خرج من مكة لست خلون من شوّال وخرج معه اثنا عشر ألفا ألفان من أهل مكة وعشرة آلاف كانت معه وحضرها جماعة كثيرة من المشركين وهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتهى الى حنين وركب بغلته الدلدل وقال رجل من المسلمين لما رأى كثرة من مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يغلب هؤلاء من قلة وفى ذلك نزل قوله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ولما التقوا انهزم المسلمون لا يلوى أحد على أحد وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من المهاجرين والانصار وأهل بيته واستمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابتا وتراجع المسلمون واقتتلوا قتالا شديدا وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم لبغلته البدى فوضعت بطنها على الارض وأخذ حفنة من تراب فرمى بها فى وجه المشركين فكانت الهزيمة عليهم ونصر الله المسلمين واتبع المسلمون المشركين يقتلونهم ويأسرونهم * ولما فرغ النبيّ صلى الله عليه وسلم من حنين بعث أبا عامر على جيش لغزوة أوطاس فاستشهد رضى الله عنه وانهزمت ثقيف الى الطائف وأغلقوا باب مدينتهم فسار النبيّ صلى الله عليه وسلم وحاصرهم نيفا وعشرين يوما وقاتلهم بالمنجنيق وأمر بقطع أعناقهم ثم رحل عنهم فنزل بالجعرانة وأتى اليه بعض هوازن ودخلوا عليه فرد عليهم نصيبه ونصيب بنى عبد المطلب وردّ الناس أبناءهم ونساءهم ثم لحق مالك ابن عوف مقدم هوازن برسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم وحسن اسلامه واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعلى من أسلم من تلك القبائل وكان عدة السبى الذى أطلقه ستة آلاف ثم

قسم الاموال وكانت عدة الابل أربعة وعشرين الف بعير والغنم اكثر من أربعين ألف شاة ومن الفضة أربعة آلاف أوقية وأعطى المؤلفة قلوبهم مثل أبي سفيان وابنيه يزيد ومعاوية وسهل بن عمرو وعكرمة ابن أبي جهل والحارث بن هشام أخي أبي جهل وصفوان بن أمية وهؤلاء من قريش وأعطى الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن ومالك بن عوف مقدم هوازن وأمثالهم فأعطى لكل من الاشراف مائة من الابل وأعطى الآخرين أربعين أربعين وأعطى العباس بن مرداس السلمي أباعر لم يرضها وقال في ذلك أبياتا

فاصبح نهبي ونهب العبيد بين عيينة والاقرع
وما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس في مجمع
وما كنت دون امرئ منهما * ومن تضع اليوم لم يرفع

فروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اقطعوا عني لسانه فأعطى حتى رضي * ولما فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم لم يعط الانصار شيئا فوجدوا في أنفسهم فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان قريشا حديث عهد بجاهلية ومصيبة واني أردت ان أجبرهم وأتألفهم اما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا وترجعون برسول الله الى بيوتكم قالوا بلى قال والله لو سلك الناس واديا وسلكت الانصار شعبا لسلكت وادي الانصار وشعب الانصار ثم اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاد الى المدينة واستخلف على مكة عتاب بن أسيد وهو شاب لم يبلغ عشرين سنة وترك معه معاذ بن جبل يفقه الناس وحج بالناس في هذه السنة عتاب بن اسيد على ما كانت تحج عليه العرب وفي ذي الحجة سنة ثمان ولد ابراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم من مارية القبطية وفي السنة المذكورة مات حاتم الطائي وكان يضرب بجوده وكرمه المثل وكان من الشعراء المجيدين * ثم دخلت السنة التاسعة من الهجرة الشريفة فيها فرض الله الحج على الصحيح وفيها ترادفت وفود العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ووفد

كعب بن زهير بن أبي سلمى بعد ان كان النبيّ صلى الله عليه وسلم اهدر دمه ومدحه بقصيدته المشهورة وهي * بانت سعاد فقلبي اليوم متبول * وأعطاه النبيّ صلى الله عليه وسلم بردته فلما كان زمن معاوية أرسل الى كعب ان بعنا بردة النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال ما كنت لأوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا فلما مات كعب اشتراها معاوية من أولاده بعشرة آلاف درهم * ونقل الملك المؤيد صاحب حماه في تاريخه انه اشتراها بأربعين ألف درهم ثم توارثها الخلفاء الامويون والعباسيون حتى أخذها التتر * وفيها كانت غزوة تبوك وهي غزوة العسرة لوقوعها في زمن الحر والبلاد مجدبة والناس في عسرة فانفق أبوبكر جميع ماله وانفق عثمان نفقة عظيمة وسار النبيّ صلى الله عليه وسلم الى تبوك واستخلف عليا رضي الله عنه فقال عليّ اتخلفني في الصبيان والنساء قال الا ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه ليس نبي بعدي وتخلف عبد الله بن أبي المنافق ومن تبعه من أهل النفاق وتخلف ثلاثة من الصحابة وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال ابن أمية ولم يكن لهم عذر ثم رجع النبيّ صلى الله عليه وسلم الى المدينة بعد أن أقام بتبوك بضع عشرة ليلة لم يجاوزها وكان اذا قدم من سفره بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله تعالى ثم جاءه كعب وكان تقدمه مرارة وهلال فسألهم عن سبب تخلفهم فاعترفوا ان لا عذر لهم فأمرهم بالمضي حتى يقضي الله فيهم ونهى النبيّ صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامهم من بين من تخلف عنه فاجتنبهم الناس فلبثوا على ذلك خمسين ليلة * ولما مضت أربعون ليلة من الخمسين أمرهم النبيّ صلى الله عليه وسلم باعتزال نسائهم وجاءت امرأة هلال الى النبي صلى الله عليه وسلم تستأذنه في خدمته فأذن لها

من غير أن يقربها * فلما كملت لهم خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامهم اذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله عليهم وذهب الناس يبشرونهم وجاء كعب الى النبيّ صلى الله عليه وسلم وسلم عليه فقال له وهو يبرق وجهه من السرور أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك فقال أمن عندك يارسول الله أم من عند الله قال لا بل من عند الله وانزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال كعب فوالله ما انعم الله عليّ بنعمة قط بعد ان هدانى للاسلام اعظم فى نفسى من صدقى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أكون كذبته فاهلك كما هلك الذين كذبوه فان الله قال للذين كذبوا حين انزل الوحى شر ما قال لاحد فقال تبارك وتعالى سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين وفى ذى القعدة من سنة تسع هلك رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول والله أعلم *(حج أبي بكر الصديق رضى الله عنه بالناس)* بعث النبيّ صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله عنه فى سنة تسع ليحج بالناس ومعه عشرون بدنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ثلثمائة رجل فلما كان بذى الحليفة أرسل النبي صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب رضى الله عنه وأمره بقراءة آيات من أوّل سورة براءة على الناس وان ينادى ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فسار أبو بكر رضى الله عنه أميرا على الموسم وعلى بن أبي طالب رضى الله عنه يوذن ببراءة يوم الاضحى

وان

وان لا يحج مشرك ولا يطوف عريان * ثم دخلت السنة العاشرة من الهجرة الشريفة وفيها كان قدوم الوفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وجاءته وفود العرب قاطبة ودخل الناس فى الدين افواجا كما قال الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فقدم عليه وفد بنى تميم ووفد عبد القيس ووفد بنى حنيفة وغيرهم وفشا الاسلام فى جميع القبائل وفيها توفى ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثا لعشر ليال خلت من ربيع الاول ﴿حجة الوداع﴾ خرج النبى صلى الله عليه وسلم حاجا لخمس بقين من ذى القعدة وقد اختلف فى حجه هل كان قرانا أم تمتعا ام افرادا قال صاحب حماه والاظهر الذى اشتهر انه كان قارنا وحج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس ولقى على بن أبى طالب رضى الله عنه محرما فقال حل كما حل أصحابك * فقال انى اهللت بما اهل به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبقى على احرامه ونحر رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدى عنه وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس مناسك الحج والسنن ونزل قوله تعالى اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا فبكى أبو بكر رضى الله عنه لما سمعها وكانه استشعر بان ليس بعد الكمال الا النقصان وانه قد نعيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس بعرفة خطبة بين فيها الاحكام منها أيها الناس انما النسىء زيادة فى الكفر وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا وتمم حجه وسميت حجة الوداع لانه لم يحج بعدها ولم يحج من المدينة الى مكة غير حجة الوداع ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وأقام بها حتى خرجت السنة وكانت غزواته صلى الله عليه وسلم تسعة عشر غزوة قاتل فى تسع منها وهذه

الغزوات غير السرايا * ثم دخلت السنة الحادية عشر من الهجرة الشريفة والنبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وكان قد قدم من حجة الوداع فأقام بها حتى حرجت سنة عشر والمحرم ومعظم صفر من سنة احدى عشرة والله سبحانه وتعالى اعلم *(ذكر وفاته صلى الله عليه وسلم)* قال تعالى انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون * وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه ياعائشة ماازال أجد ألم الطعام الذي اكلت بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع ابهري من ذلك السم بدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم مرضه الذي مات فيه يوم الاربعاء لليلتين بقيتا من صفر سنة احدى عشرة في بيت ميمونة ثم انتقل حين اشتد وجعه الى بيت عائشة رضي الله عنها * وعن ابن عباس قال لما احتضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلموا اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده ابدا فقال بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ثقل عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله ثم اختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا له يكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده ابدا ومنهم من يقول غير ذلك فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا فكان ابن عباس يقول ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ان يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم * وعن عائشة رضي الله عنها قالت دعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة عليها السلام في شكواه الذي قبض فيه فسارّها بشيء فبكت ثم دعاها فسارّها بشيء فضحكت فسألناها عن ذلك فقالت سارّني النبي صلى الله عليه وسلم انه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت ثم سارّني فأخبرني اني أول أهله لحوقا به فضحكت * ولما ثقل وجع النبي صلى الله عليه وسلم جاءه بلال يؤذنه بالصلاة فقال مروا أبا بكر أن يصلي بالناس فقالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله ان أبا بكر رجل أسيف وانه

متى يقوم مقامك لا يسمع الناس فلو أمرت عمر فقال مروا أبا بكر أن
يصلي بالناس فقالت عائشة لحفصة قولي له ان أبا بكر رجل اسيف وانه
متى يقوم مقامك لا يسمع الناس فلو امرت عمر قال انكن لأنتن صواحب
يوسف مروا أبا بكر أن يصلي بالناس فلما دخل في الصلاة وجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم في نفسه خفة فقام يتهادى بين رجلين ورجلاه
يخطان في الارض حتى دخل المسجد فلما سمع أبو بكر رضي الله عنه حسه
ذهب أبو بكر يتأخر فأومأ اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس عن يساره فكان أبو بكر يصلي قائما
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي قاعدا يقتدى أبو بكر رضي الله
عنه بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس يقتدون بصلاة أبي بكر
رضي الله عنه * وعن عائشة رضي الله عنها كانت تقول ان من نعم الله علي
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي في بيتي وبين سحري ونحري وان الله
جمع بين ريقي وريقه عند موته دخل عبد الرحمن وبيده السواك وانا
مسندة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته ينظر اليه وعرفت أنه يحب
السواك فقلت آخذه لك فأشار برأسه ان نعم فناولته له فاشتد عليه
فقلت ألينه لك فأشار برأسه ان نعم فلينته وبين يديه ركوة أو علبة
وفيها ماء فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول لا اله الا الله
ان للموت سكرات ثم نصب يده الكريمة فجعل يقول في الرفيق الاعلى
حتى قبض ومالت يده * وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى
الله عليه وسلم يقول وهو صحيح انه لم يقبض نبي حتى يرى مقامه في الجنة ثم
يخير فلما نزل به ورأسه على فخذي غشي عليه ثم أفاق فأشخص بصره الى
سقف البيت ثم قال اللهم الرفيق الاعلى فقلت اذا لا يختارنا فعرفت انه
الحديث الذي كان يحدثنا به وهو صحيح قالت وكانت آخر كلمة تكلم بها
اللهم الرفيق الاعلى * وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث
وستين سنة * ونزل عليه جبريل عليه السلام أربعا وعشرين ألف مرة *

وتوفى ودرعه مرهون عند يهودى على ثلاثين وسقا من شعير * ولما مات قالت فاطمة رضى الله عنها واأبتاه أجاب ربا دعاه واأبتاه من جنة الفردوس مأواه واأبتاه أتى جبريل ينعاه فلما دفن قالت يا انس أطابت نفوسكم أن تحثوا على نبيكم التراب * ولما توفى دهش الناس وطاشت عقولهم واختلفت أحوالهم فى ذلك * فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه من قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات علوت رأسه بسيفى هذا وانما ارتفع الى السماء فقرأ أبو بكر رضى الله عنه وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين فرجع القوم الى قوله وبادروا الى سقيفة بنى ساعدة فبايع عمر أبا بكر ثم بايعه الناس خلا جماعة * وغسله صلى الله عليه وسلم علىّ والعباس وابناه الفضل وقثم وغسلوه وعليه قميصه لم ينزع وكان علىّ بن أبى طالب يحضنه الى صدره والعباس يصب الماء * وكفن فى ثلاثة أثواب بيض سحولية وصلى عليه المسلمون أفرادا لم يؤمهم أحد وحفر له أبو طلحة الانصارى ودفن فى الموضع الذى توفاه الله فيه * وكانت وفاته يوم الاثنين وفرغ من جهازه يوم الثلاثاء * ودفن فى ليلة الاربعاء فى شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة من الهجرة الشريفة وكان مرضه ثلاثة عشر ليلة * قال انس بن مالك رضى الله عنه لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى المدينة أضاء منها كل شئ فلما كان اليوم الذى مات فيه أظلم منها كل شئ * ورثاه جماعة منهم أبو بكر وعلى وفاطمة وعمته صفية رضى الله عنهم أجمعين والله سبحانه وتعالى اعلم * ذكر صفاته صلى الله عليه وسلم ونبذة من معجزاته * كان صلى الله عليه وسلم مليح الوجه حسن الخلق معتدل القامة ليس بالقصير ولا بالطويل أبيض اللون مشربا بحمرة يتلألأ وجهه كتلألؤ القمر ليلة البدر كث اللحية واسع الجبين بعيد ما بين المنكبين لم يبلغ الشيب فى رأسه ولحيته عشرين شعرة

ان صمت فعليه الوقار وان تكلم سما وعلاه البهاء أجمل الناس وابهاهم
من بعيد واحلاهم واحسنهم من قريب بين كتفيه خاتم النبوة ريح عرقه
أطيب من ريح المسك الاذفر يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله * واما
معجزاته صلى الله عليه وسلم فأفضلها القرآن الكريم الذى أعجز الفصحاء
وأخرس البلغاء ومنها انشقاق الصدر والتئامه ومنها انشقاق القمر
فرقتين ومنها نبع الماء من بين أصابعه وتكثير الطعام ببركته وكلام
الشجرة وشهادتها له بالنبوة واجابتها دعوته وسلام الحجر والشجر عليه
وحنين الجذع اليه وتسبيح الحصا فى كفه وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى
ولا يحاط به ولا يستقصى ومن ذا يحيط بالبحر الزاخر ولو أجهد نفسه آناء
الليل واطراف النهار وكان صلى الله عليه وسلم لا ينتقم لنفسه ولا يغضب
لها الا أن تنتهك حرمات الله تعالى فينتقم لله وكان أحسن الناس خلقا
وارجحهم حلما وأعظمهم عفوا وأسخاهم كفا وأوسعهم صدرا وأصدقهم
لهجة وكان أشد حياء من العذراء فى خدرها واذا كره شيئا عرف فى وجهه
ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وكان يخصف النعل ويرقع
الثوب ويخدم فى مهنة أهله ويجيب الدعوة ويقبل الهدية ويكافئ عليها
ويأكل منها ولا يأكل الصدقة ويعود المريض ويشهد الجنائز
متواضعا يمزح ولا يقول الا حقا يضحك من غير قهقهة وما خير بين شيئين
الا اختار أيسرهما الا أن يكون فيه اثم أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس
عن ذلك * مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام أرأف الناس وخيرهم
لا ترتفع فى مجلسه الاصوات اذا قام من مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك
أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك طويل الصمت لا يتكلم فى
غير حاجة وأحب الطعام اليه ما كثرت عليه الايدى واذا وضعت المائدة
قال بسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة نصل بها الى نعيم الجنة واذا فرغ قال
اللهم لك الحمد أطعمت وأسقيت وآويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع
ولا مستغنى عنه ربنا * وكان يشرب فى ثلاث دفعات له فيها ثلاث تسميات

وفى آخرها ثلاث تحميدات وكان يعجبه الثياب الخضر وأكثر ثيابه البياض ويقول ألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم وكان صلى الله عليه وسلم تنام عيناه ولا ينام قلبه وكان زاهدا فى الدنيا مات ولم يخلف دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا وعرض عليه أن تجعل له بطحاء مكة ذهبا فقال لا يا رب أجوع يوما وأشبع يوما فأما اليوم الذى اجوع فيه فأتضرع اليك وأدعوك واما اليوم الذى اشبع فيه فأحمدك واثنى عليك وكان صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وسيد المرسلين وآتاه الله علم الاولين والآخرين وفضله على سائر الخلق أجمعين ولا يحصى أحد مناقبه من العالمين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين وعلى أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين صلاة دائمة الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين ﴿ذكر أزواجه صلى الله عليه وسلم﴾ أول من تزوج خديجة بنت خويلد رضى الله عنها ثم سودة بنت زمعة ثم عائشة بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنهما ثم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ثم زينب بنت خزيمة وكانت تدعى أم المساكين لرأفتها بهم ومكثت عنده ثمانية أشهر وتوفيت وقد بلغت ثلاثين سنة ودفنت بالبقيع ولم يمت من أزواجه فى حياته الا هى وخديجة رضى الله عنهما ثم ام سلمة واسمها هند بنت أبي أمية بن المغيرة ثم زينب بنت جحش وكان اسمها برة فسماها النبى صلى الله عليه وسلم زينب وكانت قبله عند زيد بن حارثة مولاه فطلقها فلما حلت زوجها الله تعالى اياه من السماء وهى التى قال الله تعالى فيها فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها وأولم عليها وأطعم المساكين خبزا ولحما وفيها نزلت آية الحجاب وكانت كثيرة الصدقة والايثار رضى الله عنها ثم جويرية بنت الحارث وكان اسمها برة فسماها جويرية ثم أم حبيبة واسمها رملة بنت أبي سفيان أصدقها عنه النجاشى كما تقدم ثم صفية بنت حيي من سبى خيبر اصطفاها لنفسه وتزوجها وجعل عتقها صداقها كما تقدم ثم ميمونة بنت الحارث وكان اسمها برة فسماها ميمونة وهى التى وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم فهؤلاء نساؤه

المدخول بهن احدى عشر امرأة ومات عن تسع منهن وتزوج وخطب صلى الله عليه وسلم نساء غير هؤلاء لكن لم يدخل بهن * فنهن اسماء بنت النعمان الجونية تزوج بها ثم فارقها فقيل ان سبب فراقها انه لما دخلت عليه قالت أعوذ بالله منك فقال لها قد عذت بعظيم أو بمعاذ الحق بأهلك وطلقها فكانت تسمى نفسها الشقية وقيل ان صاحبة هذه القصة امرأة غير اسماء هذه * وخولة بنت الهذيل تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فماتت فى الطريق قبل وصولها اليه *وام شريك هى عرفة بنت دودان تزوجها ولم يدخل بها * وصفية بنت هشام العبدية * وشراف الكلبية أخت دحية * والعالية الكلابية روى انها مكثت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشاء الله ثم طلقها * وسبا السلمية ماتت قبل أن يصل اليها * وقتيلة بنت قيس الكندية قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجها اليه من اليمن * وعمرة بنت يزيد الكلابية طلقها وضباعة بنت عامر القشيرية خطبها ثم أمسك * وليلى بنت الحطيم الاوسية تخطت منكبيه وهو غافل فقال من هذه اكلها لاسد فقالت انا ليلى بنت الحطيم بن مطعم الطير قد جئتك أعرض عليك نفسي فقال قد قبلتك فرجعت الى أهلها فقالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير الضرائر وأنت امرأة غيورة ولسنا نأمن ان تغيظيه فيدعو عليك فاستقيليه فأتته فأقالها فدخلت بعد ذلك حيطان المدينة فشد عليها الاسد فأكلها * واما سراريه فكن أربعا * مارية بنت شمعون القبطية أهداها له المقوقس صاحب مصر * وريحانة بنت شمعون النضرية واخرى جميلة أصابها فى السبي * وجارية وهبتها له زينب بنت جحش * وتقدم ذكر أولاده صلى الله عليه وسلم

﴿ ذكر الاسود العنسي ومسيلمة وسجاح وطليحة وماجرى منهم ﴾

أما الاسود فاسمه عبهلة وهو ممن ارتد وتنبأ وكان من الكذابين وكان باليمن وادعى النبوة قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بأربعة أشهر فلما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك أرسل الى نفر من اليمن

يأمرهم بقتله فقتلوه وأرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبره فسبق خبر السماء اليه فأخبر الناس بذلك قبل وفاته صلى الله عليه وسلم بقليل ووصل الكتاب بقتل الاسود فى خلافة أبي بكر رضي الله عنه فكان كما أخبر به صلى الله عليه وسلم وكان قتله قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بيوم وليلة *واما مسيلمة فانه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد بنى حنيفة ثم ارتد وادّعى النبوة وتسمى رحمان اليمامة وخاف ان لا يتم له مراده فقال ان محمدا قد أشركني معه وشرع يسجع لقومه ويضاهى القرآن وذلك فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم وكانت له فتنة فاحشة وقتله أبو بكر رضي الله عنه في خلافته وكان وحشي قاتله بالحربة التى قتل بها حمزة عمّ النبيّ صلى الله عليه وسلم وشاركه فى قتله رجل من الانصار *واما سجاح بنت الحارث التميمية كانت قد ادّعت النبوة فى الردة وتبعها جماعة وقصدت قتال أبي بكر ثم ذهبت الى اليمامة واجتمعت بمسيلمة وتزوجت به وتنقلت بها الاحوال الى زمن معاوية فاسلمت وحسن اسلامها وانتقلت الى البصرة وماتت بها *واما طليحة الاسدى فانه ادعى النبوة وتبعه جماعة وقوى أمره وقاتله خالد بن الوليد فى الردة ثم أسلم وخرج نحو مكة معتمرا فى خلافة أبي بكر رضي الله عنه وقاتل فى الفتوحات فقتل يوم وقعة نهاوند مع الاعاجم فى سنة احدى وعشرين فى خلافة عمر رضي الله عنه

(فضل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيفيتها)

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ فانه من صلى عليّ مرة واحدة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الى الوسيلة فانها منزلة لا تنبغى الا لعبد واحد وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لى الوسيلة حلت له الشفاعة *وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان الدعاء موقوف بين السماء والارض لا يصعد منه شئ حتى تصلى على نبيك محمد صلى الله عليه وسلم فاذا فعلت انخرقت الحجب ودخل الدعاء وان لم تفعل ذلك رجع ذلك الدعاء

وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان انجاكم يوم القيامة من أهوالها ومواطنها اكثركم على صلاة * وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدهن فى يدى قال عدهن فى يدى جبريل عليه السلام وقال جبريل هكذا أنزلت بهن من عند رب العزة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد * اللهم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد * اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد * اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد * وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه انه قال الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم أمحق للذنوب من الماء البارد للنار والسلام عليه أفضل من عتق الرقاب * قال ابن الفاكهانى قلت وانما كان أفضل من عتق الرقاب والله أعلم لان عتق الرقاب فى مقابلة العتق من النار ودخول الجنة والسلام عليه فى مقابلة سلام الله تعالى وسلام من الله أفضل من مائة ألف ألف جنة فنا هنيك بها من منة فنسأل الله تعالى أن يرزقنا مرافقته فى الجنة بمنه وكرمه وجوده واحسانه آمين

(ذكر آداب زيارة النبى صلى الله عليه وسلم وما يستحب ان يفعله الزائر ويدعو به) يستحب لمن قدم المدينة الشريفة ان يغتسل قبل دخوله اليها ويتطيب ويلبس أحسن ثيابه ويدخل بسكينة ووقار ويقول بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا * ويكره له الركوب فى ازقتها الا لعذر فاذا وصل الى أحد أبواب المسجد الشريف قال * اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك وكف عنى أبواب سخطك الحمد لله الذى بلغنى هذا الموضع

الشريف وجعلني أهلا لحضور هذا المسجد العظيم وزيارة قبر رسوله الكريم فالحمد لله على ذلك عدد نعمه التي لا تحصى وافضاله الذي لا يستقصى ولا يفنى * ثم يقدم رجله اليمنى قليلا ويقول بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله وبالله ومن الله والى الله وفى سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا وكذا يتلو اذا خرج ويصلى على النبي صلى الله عليه وسلم * ثم يأتى المنبر مستديما للذكر والثناء والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصلى عنده ركعتين تحية المسجد ويتحرى لصلاته جانب المنبر تجاه صندوق المصاحف ويجعل عمود المنبر حذاء منكبه الايمن ويستقبل السارية التي الى جانبها الصندوق وتكون المدائرة التي فى قبلة المسجد بين عينيه فذلك موقف النبيّ صلى الله عليه وسلم للذى كان يؤم الناس فيه * ثم يقول بعد فراغهما الحمد لله الذى بلغنى هذا المكان ووفقنى لاتيانه وأوصلنيه فى يسر وعافية * اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت وتعاليت ياذا الجلال والاكرام والطول والانعام فلك الحمد ملء السموات والارض وملء ماشئت من شئ بعد * ويأتى القبر الشريف من باب المقصورة القبلى فاذا وصل المقصورة استقبل وجهه الكريم صلى الله عليه وسلم وذلك بأن يستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر الشريف على نحو أربعة أذرع من السارية التي فى زاوية المقصورة ويجعل القنديل على رأسه ولا يمس الجدار بيده ولا بشئ من بدنه ويقف متأدبا بين يديه كما لو كان حيا مظهرا لاحترامه ويستحضر فى نفسه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عالم بحضوره وقيامه تجاهه وسلامه عليه وانه يجيب من سلم عليه من بعيد فكيف من قريب ويسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويصلى عليه * وقد ورد أشياء كثيرة فى صفة السلام عليه فأيها فعل أجزأه * ثم يتقدم يسيرا فيقف ويسلم على خليفته سيدنا أبي بكر الصديق رضى الله عنه * ثم يتقدم يسيرا

فيسلم

فيسلم على أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه * ثم يأتي الروضة فيصلي فيها ما يسر الله له * ويصلي عند المنبر أيضا ثم يدعو عند انصرافه فيقول * اللهم اني أتيت قبر نبيك صلى الله عليه وسلم متقربا اليك بزيارته متوسلا لديك به وأنت قلت وقولك الحق ولا تخلف الميعاد ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما * اللهم اجعلها زيارة مقبولة وسعيا مشكورا وعملا متقبلا مبرورا ودعاء تدخلنا به جنتك وتسبغ به علينا رحمتك * اللهم اجعل سيدنا محمدا انجح السائلين واكرم الاولين والآخرين * اللهم كما آمنا به ولم نره وصدقناه ولم نلقه فأدخلنا مدخله واحشرنا محشره وأوردنا حوضه واسقنا بكاسه مشربا رويا سائغا هنيا لا نظمأ بعدها أبدا * ويستحب له زيارة البقيع فيبدأ بقبر سيدنا ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيزوره ويزور قبر العباس وعثمان بن عفان والحسن بن علي وبنات رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم * ويستحب زيارة ما بتلك الارض الشريفة من الاماكن المشهورة * ثم اذا قصد الذهاب الى وطنه اغتسل ولبس أحسن ثيابه وأتى المسجد الشريف مكررا للصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأتي القبر الشريف ويسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ضجيعيه ويكثر من الصلاة عليه وعليهما ويدعو بما أحب من خيري الدنيا والآخرة * ثم يخرج غير مستدبر القبر الشريف ويبدأ برجله اليسرى قائلا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وافتح لي ابواب فضلك وحط عني أوزاري بزيارة نبيك وأحسن منقلبي الى أهلي ووطني ببركته صلى الله عليه وسلم يا رب العالمين يا ارحم الراحمين أدخلنا في شفاعته اجمعين * ذكر فضائل المسجد الاقصى الشريف وما ورد في ذلك من الآيات والاحاديث * قد تقدم في أول الكتاب الكلام على أول سورة الاسراء فلو لم يكن له من الفضيلة غير هذه الآية لكانت كافية فيه لانه اذا بورك حوله فالبركة فيه مضاعفة وقال تعالى اخبارا عن نبيه موسى

عليه السلام واذ قال موسى لقومه يا قوم ادخلوا الارض المقدسة أى المطهرة والتقديس هو التطهير وسمى البيت المقدس مقدسا لانه يتطهر فيه من الذنوب وتقدم ذلك عند اسماء بيت المقدس * قال ابن عباس بيت المقدس عليه الطل والمطر مذ خلق الله السنين والايام * وروى فى قوله تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين قال هى الارض المقدسة بارك الله فيها للعالمين لأن كل ماء فى الارض عذب يخرج منها من أصل الصخرة الشريفة ثم يتفرق فى الارض * وقال تعالى أن الارض يرثها عبادى الصالحون قيل فى أحد الاقوال انها الارض المقدسة ترثها امة محمد صلى الله عليه وسلم * وقال تعالى وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين * قال ابن عباس هى بيت المقدس وهو قول قتادة وكعب * وقال كعب هى أقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا يعنى لأن الربوة المكان المرتفع من الارض * وقال تعالى واستمع يوم ينادى المنادى من مكان قريب المنادى هو اسرافيل عليه السلام ينادى من صخرة بيت المقدس بالحشر وهى وسط الارض * روى ان المكان القريب هو صخرة بيت المقدس * وقال تعالى فى بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يعنى به بيت المقدس * وقال تعالى فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب يعنى بين المؤمنين والمنافقين وهو حائط بين الجنة والنار له أى لذلك السور باب فيه الرحمة وهى الجنة وظاهره أى من خارج ذلك السور من قبله أى من قبل ذلك الظاهر العذاب * وعن أبى العوام قال سمعت عبد الله بن عمر يقول ان السور الذى ذكره الله فى القرآن بقوله فضرب بينهم بسور له باب هو سور بيت المقدس الشرقى باطنه فيه الرحمة المسجد وظاهره من قبله العذاب وادى جهنم * وروى الامام أحمد رضى الله عنه فى مسنده من حديث أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من امتى على الحق ظاهرين لعدوهم قاهرين لا يضرهم من خالفهم ولا ما أصابهم من اللأواء

حتى

حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك قالوا يا رسول الله وأين هم قال بيت المقدس
واكناف بيت المقدس * وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أربع من مدائن الجنة مكة والمدينة ودمشق وبيت
المقدس * وعن معاذ رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى ياشأم انت صفوتي من بلادي وأنا سائق اليك صفوتي من
عبادي من كان مولده فيك فاختار عليك غيرك فبذنب يصيبه ومن كان
مولده في غيرك فاختارك فبرحمة مني ياشأم اتسعي لاهلك بالرزق كما يتسع
الرحم للولد وعيني عليك بالطل والمطر منذ خلقت السنين والايام * من
يعدم فيك المال لا يعدم فيك الخير * يا روشلم انت مقدسة بنوري وفيك
المحشر والمنشر أزفك يوم القيامة كما تزف العروس الى بعلها * ومن دخلك
استغنى عن الزيت والقمح * وعن معاذ قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا معاذ ان الله عز وجل سيفتح عليكم الشأم من بعدي من العريش
الى الفرات رجالهم ونساؤهم واماؤهم مرابطون الى يوم القيامة فمن
اختار منكم ساحلا من سواحل الشأم أو بيت المقدس فهو في جهاد الى
يوم القيامة * وعن كعب الاحبار قال قال الله تعالى لبيت المقدس انت
جنتي وقدسي وصفوتي من بلادي من يسكنك فبرحمة مني ومن خرج
منك فبسخط مني عليه *(فضل الصلاة في بيت المقدس)* روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ان سليمان عليه السلام سأل ربه ثلاثا فأعطاه
اثنتين ونحن نرجو ان يكون قد اعطاه الثالثة سأله حكما يصادف حكمه
فأعطاه اياه وسأله ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فأعطاه اياه وسأله
ايما رجل يخرج من بيته لا يريد الا الصلاة في هذا المسجد أن يخرج من
خطيئته كيوم ولدته امه فنحن نرجو ان يكون قد اعطاه اياه * وعن
مكحول قال من خرج الى بيت المقدس لغير حاجة الا الصلاة فصلى فيه
خمس صلوات صبحا وظهرا وعصرا ومغربا وعشاء خرج من خطيئته
كيوم ولدته أمه * وعن كعب قال شكا بيت المقدس الى ربه الخراب

فأوحى الله اليه لاملأنك خدوداسجدا يزفون اليك زفيف النسور الى أوكارها ويحنون اليك حنين الحمام الى بيضها فقال رجل اتق الله يا كعب وان له لسانا قال نعم وقلبا كقلب أحدكم * وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زار بيت المقدس محتسبا أعطاه الله أجر ألف شهيد * وعنه صلى الله عليه وسلم من زار عالما فكأنما زار بيت المقدس ومن زار بيت المقدس محتسبا حرم الله لحمه وجسده على النار * وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى فى بيت المقدس غفرت ذنوبه كلها * وعن كعب الاحبار من أتى بيت المقدس فصلى عن يمين الصخرة وعن شمالها ودعا عند موضع السلسلة وتصدق بما قل أو كثر استجيب لدعاؤه وكشف الله حزنه وخرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وان سأل الله الشهادة اعطاه الله اياها والله أعلم * مضاعفة الصلاة فى مسجد بيت المقدس روى عن أبي الدرداء رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فضلت الصلاة فى المسجد الحرام على غيره بمائة ألف صلاة وفى مسجدى بألف صلاة وفى مسجد بيت المقدس بخمسمائة صلاة رواه الامام أحمد رضى الله عنه * مضاعفة الحسنات والسيئات فى مسجد بيت المقدس * روى عن جرير بن عثمان وصفوان بن عمرو أنهما قالا الحسنة فى بيت المقدس بألف والسيئة بألف * وعن الليث بن سعد عن نافع قال قال لى ابن عمر ونحن ببيت المقدس يا نافع اخرج بنا من هذا البيت فان السيئات تضاعف فيه كما تضاعف الحسنات وأحرم وخرج من بيت المقدس * قال العلماء معنى ذلك ان عقوبة من اقترف ذنبا فى احد المساجد الثلاثة أعظم عقوبة ممن اقترفه فى غيرها الشرف هذه المساجد وفضلها والذنب الواحد فى أحدها أعظم من ذنوب كثيرة فى غيرها من المواضع ولذلك تضاعف فيه السيئات ومعناه تغليظ عقوبتها الا أن الانسان يعمل ذنبا واحدا فيكتب عليه عشرة ذنوب والله تعالى يقول فى كتابه العزيز من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها

ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها فقد غلظت الدية على من قتل فى الحرم أو فى الاحرام أو فى الاشهر الحرم أو قتل ذا رحم محرم لحرمة هذه الاشياء وعظم محلها فالتعدد فى المعنى من حيث انه انتهك حرمة بيوت الله وقد قال الله تعالى فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله * وقد ارتكب المعصية فيها فهذا معنى التضعيف *(شد الرحال اليه)*

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدى هذا *(كراهية استقبال الصخرة ببول أو غائط)*

روى أبو داود رحمه الله فى سننه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان تستقبل القبلتان ببول أو غائط * وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تستقبلوا واحدة من القبلتين ببول أو غائط وروى تحريم ذلك عن الشعبى *فضل الاهلال بالحج والعمرة من بيت المقدس* عن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أهل بحج أو عمرة من المسجد الاقصى الشريف الى المسجد الحرام غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ووجبت له الجنة * وقد أحرم منه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثم قال لوددت انى ما جئت بيت المقدس * واحرم منه ابنه عبد الله رضى الله عنه أيضا * والماء والرياح يخرجان من تحت صخرة بيت المقدس روى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال المياه العذبة والرياح اللواقح تخرج من تحت صخرة بيت المقدس * وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الانهار اربعة سيحان وجيحان والنيل والفرات فاما سيحان فنهر بلخ واما جيحان

فدجلة واما النيل فنيل مصر واما الفراة ففراة الكوفة وكل ماء يشربه ابن آدم فهو من هذه الاربعة ويخرج من تحت الصخرة ببيت المقدس وقد نقل فى فضل ماء بيت المقدس ومافيه من المنفعة وان من أراد أن يشرب ماء فى جوف الليل فليقل ياماء ماء بيت المقدس يقرئك السلام ثم يشرب فانه أمان باذن الله عزوجل *(بيت المقدس أرض المحشر والمنشر)* عن أبي ذر رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله الصلاة فى مسجدك أفضل من الصلاة فى بيت المقدس قال صلاة فى مسجدى هذا أفضل من أربع صلوات فيه ولنعم المصلى هو أرض المحشر والمنشر * وعن كعب قال ان الكعبة بميزان البيت المعمور فى السماء السابعة الذى تحجه ملائكة الله تعالى لو وقعت منه احجار لوقعت على احجار البيت الحرام وان الجنة فى السماء السابعة بميزان بيت المقدس لو وقع منها حجر لوقع على الصخرة الشريفة ولذلك دعيت أورشلم ودعيت الجنة دار السلام * وقال مقاتل بن سليمان عن بيت المقدس مافيه موضع شبر الا وقد صلى عليه نبى مرسل أو قام عليه ملك مقرب * وقال وهب بن منبه أهل بيت المقدس جيران الله وحق على الله ان لا يعذب جيرانه * وعن عبد الله بن عمر انه قال ان الحرم لمحرم فى السموات السبع بمقداره فى الارض وان بيت المقدس مقدس فى السموات السبع بمقداره فى الارض *(توكل الملائكة بالمسجد الحرام ومسجد المدينة والمسجد الاقصى)* عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة املاك ملك موكل بالكعبة وملك موكل بمسجدى وملك موكل بالمسجد الاقصى * فاما الموكل بالكعبة فينادى فى كل يوم من ترك فرائض الله خرج من أمان الله واما الموكل بمسجدى هذا فينادى فى كل يوم من ترك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرد حوضه ولا تدركه شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم واما الملك الموكل بالمسجد الاقصى فينادى فى كل يوم من كانت طعمته حراما كان عمله مضروبا به وجهه *(فضل اسراج بيت المقدس الشريف عند

العجز عن الوصول اليه فانه يقوم مقام الصلاة فيه وفضل عمارته * روى عن ميمونة بنت سعد مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم انها قالت يا رسول الله أفتنا فى بيت المقدس فقال أرض المحشر والمنشر ائتوه فصلوا فيه فان كل صلاة فيه كألف صلاة قلنا يا رسول الله فمن لم يستطع أن يصل اليه قال فمن لم يستطع أن يأتيه فليهد اليه زيتا يسرج فى قناديله فان من أهدى اليه زيتا كان كمن أتاه * وقال صلى الله عليه وسلم من أسرج فى بيت المقدس سراجا لم تزل الملائكة تستغفر له مادام ضوؤه فى المسجد وفى كتاب يحيى عليه السلام من بنى فى بيت المقدس بناء أو أثر فيه اثرا حسنا أو عمر فيه شيئا زاد الله فى عمره خمسة عشر سنة وزاد الله له من المال والولد وان كان ملكا ملكه الله ايا ها يعنى الارض (صفة الدجال) قاتله الله تعالى الدجال لا يدخل بيت المقدس * روى عن الضحاك انه قال الدجال ليس له لحية وافر الشارب طول وجهه ذراعان وقامته فى السماء ثمانون ذراعا وعرض ما بين منكبيه ثلاثون ذراعا ثيابه وخفاه وسرجه ولجامه بالذهب والجواهر على رأسه تاج مرصع بالذهب والجوهر فى يده طبرزن هيئته هيئة المجوس ترسه فارسية وكلامه الفارسية تطوى له الارض ولأصحابه طيا طيا يطأ مجامعها ويرد مناهلها الا المساجد الاربع مسجد مكة ومسجد المدينة ومسجد بيت المقدس ومسجد الطور * وعن عبد الله ابن مسعود قال يدخل الدجال الارض كلها الا أربعة مساجد وأربع قرى مكة والمدينة وبيت المقدس وطور سيناء * وروى نحوه عن عبد الله بن عمرو بن العاص * وروى ثور عن خالد بن صفوان قال عصمة المؤمنين من المسيخ الدجال بيت المقدس * وعن ربيعة بن يزيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزالون تقاتلون الكفار حتى تقاتل بقيتكم جنود الدجال ببطن الاردن بينكم النهر أنتم غربيه وهم شرقيه * قال ربيعة فقال المحدث من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما سمعت بنهر الاردن الا من رسول الله صلى الله عليه وسلم * وروى ان نبى الله عيسى عليه

السلام يأخذ من حجارة بيت المقدس ثلاثة أحجار الاول منها يقول بسم الله ابراهيم والثانى يقول بسم الله اسحاق والثالث يقول بسم الله يعقوب ثم يخرج بمن معه من المسلمين الى الدجال فاذا رآه انهزم عنه فيدركه عند باب لد فيرميه بأول حجر فيصيبه بين عينيه ثم الثانى ثم الثالث فيقع فيضربه سيدنا عيسى عليه السلام فيقتله ويقتل اليهود حتى ان الحجر والشجر ليقولان يا مؤمن تحتي يهودي فأته فاقتله قال صلى الله عليه وسلم يوشك ان ينزل فيكم ابن مريم اماما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير *(فضل الاذان فى بيت المقدس)* روى عن جابر رضي الله عنه أن رجلا قال يا رسول الله أى الخلق أول دخولا الى الجنة قال الانبياء قال ثم من قال الشهداء قال ثم من قال مؤذنو بيت المقدس قال ثم من قال مؤذنو المسجد الحرام قال ثم من قال مؤذنو مسجدى قال ثم من قال سائر المؤذنين * وعن العلاء بن هارون قال بلغني ان الشهداء يسمعون أذان مؤذنى بيت المقدس لصلاة الغداة يوم الجمعة * وعن كعب قال لم يستشهد عبد قط فى بر ولا بحر الا وهو يسمع أذان مؤذنى بيت المقدس وانه يسمع أذان مؤذنى بيت المقدس من السماء *(فضل الصدقة فى بيت المقدس)* روى عن الحسن البصرى رضى الله عنه أنه قال من تصدق فى بيت المقدس بدرهم كان له براءة من النار ومن تصدق برغيف كان كمن تصدق بجبال الارض ذهبا *(فضل الصيام فيه والاستغفار)* روى عن كعب أنه قال من صام يوما ببيت المقدس أعطاه الله براءة من النار ومن استغفر للمؤمنين والمؤمنات فى بيت المقدس ثلاث مرات كتب له مثل جميع حسنات المؤمنين والمؤمنات ودخل على كل مؤمن ومؤمنة من دعائه فى كل يوم وليلة سبعون مغفرة *(فضل الدفن فى بيت المقدس)* قد سأل موسى عليه السلام ربه أن يدنيه من الارض المقدسة رمية حجر وتقدم ذكر ذلك عند ذكره عليه السلام * وعن كعب ان ببيت المقدس ألف قبر من قبور الانبياء عليهم السلام * وعن أبي هريرة رضي الله عنه

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من مات ببيت المقدس فكأنما مات في السماء *(فضل الصخرة)* روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال صخرة بيت المقدس من صخور الجنة وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صخرة بيت المقدس على نخلة والنخلة على نهر من انهار الجنة وتحت النخلة آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران ينظمان سموط أهل الجنة الى يوم القيامة * وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيد البقاع بيت المقدس وسيد الصخور صخرة بيت المقدس * وعن أم عبد الله ابنة خالد بن سعدان عن أبيها لا تقوم الساعة حتى تزف الكعبة الى الصخرة فيتعلق بها جميع من حجها واعتمرها فاذا رأتها الصخرة قالت مرحبا بالزائرة والمزورة * وروى ان الله عز وجل يجعل الصخرة يوم القيامة مرجانة بيضاء ثم يبسطها عرض السماء والارض *(فضل الصلاة عن يمين الصخرة)* عن أبي هريرة رضي الله عنه عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صليت ليلة اسرى بي الى بيت المقدس عن يمين الصخرة قال المشرف ولم يختلف اثنان انه عرج به من عند القبة التي يقال لها قبة المعراج (البلاطة السوداء) وهي التي من داخل الباب الشامي من ابواب الصخرة ويعرف هذا الباب بباب الجنة * حكى انه رؤى الخضر عليه السلام يصلي هناك والله أعلم ويقال ان قبر سليمان عليه السلام بهذا الباب وتقدم عند ذكر وفاته ما قيل ان قبره ببيت المقدس عند الجيسمانية وانه هو وأبوه داود في قبر واحد *(اليمين عند الصخرة)* حكى عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه انه أمر ان يحمل عمال سليمان بن عبد الملك يستحلفون عند الصخرة فحلفوا الا رجلا واحدا فدى يمينه بألف دينار يقال له أهيب بن جندب فما حال عليهم الحول حتى ماتوا والله أعلم *(فضل الصخرة ليلة الرجفة)* روى أبو عمير بن جندب عن رستم الفارسي قال أتت الرجفة فقيل لي قم فأذن فاستهنت بذلك ثم أتت الثانية فقيل لي

قم فأذن فاستهنت بذلك ثم أتت الثالثة فانتهزت انتهازة شديدة وقيل لى
قم فأذن فأتيت المسجد فاذا الدور قد تهدمت قال فخرج لى بعض حراس
الصخرة فقال لى اذهب فأتنى بخبر أهلى وتعال حتى اخبرك بالعجب قال
فأتيت منزله فاذا هو قد هدم فرجعت فاعلمته فقال لى لما كان من الامر
ماكان أتى اليها فحملت حتى نظرنا الى السماء والنجوم ثم اعيدت
فسمعنا هم يقولون ساووها عدلوها حتى أعيدت على حالها ورواه
عبيد الله بن محمد القرمانى عن ضمرة عن رستم بنحوه وفيه ان الذى خرج
اليه رجل من حراس الصخرة الشريفة وكان على كل باب عشرة وفيه لما
أخبره عن أهله قال لم نعلم فى أول الليل الا وقد قلعت القبة من موضعها
حتى بدت لنا الكواكب فلما كان قبل مجيئك سمعنا حفيفا وحبكة ثم
سمعنا قائلا يقول ساووها عدلوها ثلاث مرات فاعيدت على حالها*
وروى الوليد بن حماد عن عبد الرحمن بن محمد بن منصور بن ثابت قال
حدثنى أبي عن أبيه عن جده ان أبا عثمان الانصارى كان يحيى الليل بعد
انصرافه من القيام فى شهر رمضان على البلاطة السوداء قال فبينما هو
قائم فى الصلاة حتى سمع صوت الهدة فى المدينة وصراخ الناس
واستغاثتهم وكانت ليلة باردة مظلمة كثيرة الرياح والامطار قال سمعت
قائلا يقول أسمع الصوت ولا أرى الشخص ارفعوها رويدا بسم الله
فقلعت القبة قلعا حتى تبدى لنا بياض السماء والنجوم فأصاب وجهه
من رش المطر حتى أذن رستم الفارسى فسمع قائلا يقول ردوها رويدا
بسم الله ساووها عدلوها فردت القبة على ما كانت عليه وكان هذا فى
الرجفة الاولى وكانت هذه الرجفة فى شهر رمضان سنة ثلاثين
ومائة والله سبحانه وتعالى اعلم *نبذة مما ذكر من فضائل بيت المقدس
الشريف المعظم* قد تقدم ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال أربع من مدائن الجنة مكة والمدينة
ودمشق وبيت المقدس وروى المشرف بسنده عن عمران بن الحصين

قال قلت يارسول الله ما أحسن المدينة قال لو رأيت بيت المقدس قال قلت أهي أحسن منها فقال كيف لا تكون أحسن منها وكل من فيها يزار ولا يزور وتهدي اليه الارواح ولا يهدى روح بيت المقدس لغيرها الا ان الله أكرم المدينة الشريفة وطيبها بي وانا فيها حي وأنا فيها ميت ولولا ذلك ما هاجرت من مكة فاني ما رأيت القمر في بلاد قط الا وهو بمكة أحسن * وروى أن موسى عليه السلام نظر وهو ببيت المقدس الى نور رب العزة ينزل ويصعد الى بيت المقدس * وعن كعب قال باب مفتوح من السماء من أبواب الجنة ينزل منه النور والرحمة على بيت المقدس كل صباح حتى تقوم الساعة والطل الذى ينزل على بيت المقدس شفاء من كل داء لانه من الجنة * وعن مقاتل بن سليمان ان كل ليلة ينزل سبعون ألف ملك من السماء الى مسجد بيت المقدس يهللون الله ويسبحونه ويقدسونه ويحمدونه لا يعودون اليه حتى تقوم الساعة * وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أراد ان ينظر الى بقعة من بقع الجنة فلينظر الى بيت المقدس * وقال كعب ان الله ينظر الى بيت المقدس كل يوم مرتين * وقال أنس بن مالك رضي الله عنه ان الجنة لتحن شوقا الى بيت المقدس وبيت المقدس من جنة الفردوس والفردوس بالسريانية البستان وقيل الكرم * وعن خالد بن معدان ان حذو بيت المقدس باب من السماء يهبط منه كل يوم سبعون ألف ملك يستغفرون لمن يجدونه يصلي فيه * وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بيت المقدس بنته الانبياء وعمرته وما فيه موضع شبر الا وقد سجد عليه نبي أو قام عليه ملك وقال مقاتل ان الله تعالى تكفل لمن سكن بيت المقدس بالرزق ان فاته المال * ومن مات مقيما محتسبا في بيت المقدس فكانما مات في السماء ومن مات حول بيت المقدس فكانما مات في بيت المقدس وأول أرض بارك الله فيها بيت المقدس والارض المقدسة التي ذكرها الله في القرآن فقال الى الارض التي باركنا فيها للعالمين هي أرض

بيت المقدس * وكلم الله موسى فى أرض بيت المقدس * وتاب الله على داود وسليمان عليهما السلام فى أرض بيت المقدس * ورد الله على سليمان ملكه فى بيت المقدس * وبشر الله زكرياء بيحيى فى بيت المقدس * وسخر الله لداود الجبال والطير فى بيت المقدس وكانت الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم يقربون القرابين بيت المقدس * وتتغلب يأجوج ومأجوج على الارض كلها غير بيت المقدس ويهلكهم الله فى أرض بيت المقدس وينظر الله فى كل يوم بخير الى بيت المقدس وأوصى ابراهيم واسحاق عليهما السلام لما ماتا ان يدفنا بأرض بيت المقدس وأوصى آدم عليه السلام لما مات بأرض الهند ان يدفن ببيت المقدس * وأوتيت مريم عليها السلام فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء فى بيت المقدس * وولد عيسى عليه السلام وتكلم فى المهد فى بيت المقدس * وانزلت عليه المائدة فى أرض بيت المقدس * ورفعه الله الى السماء من بيت المقدس وينزل من السماء الى الارض ببيت المقدس * وماتت مريم عليها السلام ببيت المقدس * وهاجر ابراهيم عليه السلام من كوثا الى بيت المقدس * وصلى النبى صلى الله عليه وسلم زمانا الى بيت المقدس * واسرى به الى بيت المقدس * وتكون الهجرة فى آخر الزمان الى بيت المقدس * والمحشر والمنشر الى بيت المقدس * والحساب يوم القيامة ببيت المقدس * وينصب الصراط على جهنم الى الجنة ببيت المقدس * وينفخ اسرافيل فى الصور ببيت المقدس * والحوت الذى الارضون على ظهره رأسه فى مطلع الشمس وذنبه بالمغرب ووسطه تحت بيت المقدس * ومن صلى فى بيت المقدس فكأنما صلى فى سماء الدنيا وتخرب الارض كلها وتعمر بيت المقدس * ومن صبر فى بيت المقدس سنة على لأوائها وشدتها جاءه الله برزقه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن تحته ومن فوقه يأكل رغدا ويدخل الجنة ان شاء الله تعالى وأول بقعة بنيت من الارض كلها موضع صخرة بيت المقدس * وتطهر عين موسى

فى آخر الزمان بيت المقدس * وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان خيار
امتى من هاجر هجرة بعد هجرة الى بيت المقدس ومن صلى ببيت المقدس
بعد ان توضأ واسبغ الوضوء ركعتين أو أربعا غفر له ما كان قبل ذلك
* وقال النبى صلى الله عليه وسلم لابى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه النجاء
النجاء الى بيت المقدس اذا ظهرت الفتن قال يا رسول الله فان لم أدرك
بيت المقدس قال فابذل واحرز دينك وفى لفظ آخر فابذل مالك واحرز دينك
وقال على رضى الله عنه لصعصعة نعم المسكن عند ظهور الفتن بيت
المقدس القائم فيه كالمجاهد فى سبيل الله وليأتين على الناس زمان يقول
أحدهم ليتنى تبنة فى لبنة من لبنات بيت المقدس * أحب الشام الى الله
تعالى بيت المقدس أحب جبالها اليه الصخرة وهى آخر الارض خرابا بأربعين
عاما قال وهى روضة من رياض الجنة * وروى عن يحيى بن أبى عمرو
الشيبانى انه قال لا تقوم الساعة حتى يضرب على بيت المقدس سبعة
احياط حائط من فضة وحائط من ذهب وحائط من لؤلؤ وحائط من
ياقوت وحائط من زمرد وحائط من نور وحائط من غمام * واما ما يقال
ان بيت المقدس طشت من ذهب مملوء عقارب وانه كأجمة الاسد فداخله
اما ان يسلم واما أن يدركه العطب فقد حمل ذلك على زمان بنى اسرائيل
الذين كانوا يعملون فيه بمعاصى الله تعالى فان اللفظ المذكور قيل انه
مكتوب فى التوراة قال بعض العلماء وظاهر الخطاب يدل على انهم يعنى
العقارب كانوا موجودين فى ذلك الوقت ولو أراد قوما من هذه الامة قال
أملؤها عقارب حتى يكون للمستقبل والله أعلم وأما اليوم فالحمد لله فانما به
وبأفنائه الطائفة المنصورة كما تقدم * وعن أبى عمرو الشيبانى قال ليس
بعد من الخلفاء الا من ملك المسجدين المسجد الحرام ومسجد بيت المقدس
الشريف وقد أجمعت الطوائف كلها على تعظيم بيت المقدس ماعدا
السامرة فانهم يقولون ان القدس جبل نابلس وخالفوا جميع الامم فى
ذلك * وقد كان بنو اسرائيل اذا نزل بهم خوف من عدو أو أجدبوا صوروا

القدس وجعلوه هيكلا وصوروا ابوابه ومحاريبه واستقبلوا به العدو فهزمه الله تعالى وكذلك فى الجدب اذا صوروه واستقبلوا به فلا تزال السماء تمطر عليهم حتى يرفعوا الهيكل وكانوا يفعلون ذلك فى كل أمر مهم يدهمهم والله سبحانه وتعالى اعلم *ذكر ما يستحب ان يدعى به عند دخول المسجد الشريف والصخرة الشريفة وآداب دخولها ومن أى باب يدخلها* يستحب لمن أراد دخول المسجد ان يبدأ برجله اليمنى ويؤخر اليسرى ويقول اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك واذا خرج صلى على النبى صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب فضلك *ويستحب لمن أراد الدخول للصخرة الشريفة أن يجعلها عن يمينه حتى يكون بخلاف الطواف حول البيت الحرام ويقدم النية ويعقد التوبة بالاخلاص مع الله تعالى وان أحب ان ينزل تحت الصخرة الشريفة فى المغارة فليفعل فاذا نزل يكون بأدب وخشوع ويصلى مابدا له ويدعو بدعاء سليمان عليه السلام الذى دعا به لما فرغ من بنائه وقرب القربان وهو قوله اللهم من أتاه من ذى ذنب فاغفر ذنبه أو ذى ضر فاكشف ضره ثم يدعو بما شاء من خيرى الدنيا والآخرة ويجتهد فى الدعاء تحت الصخرة فان الدعاء فى ذلك الموضع مقطوع له بالاجابة ان شاء الله تعالى *وحكى جماعة من العلماء ان الادعية التى يدعى بها ليس فيها خصوصية بهذا الموضع فان الانسان مأمور بالدعاء موعود عليه بالاستجابة لقوله تعالى وقال ربكم ادعونى استجب لكم وقوله تعالى واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان والمراد من الادعية ما وردت به السنة الشريفة النبوية *فمن ذلك ما رواه أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لابى عياش زيد بن الصامت الزرقى حين رآه يصلى ويقول اللهم انى اسألك يا ذا الحمد لا اله الا أنت المنان بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد دعا الله باسمه الاعظم الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به

اعطى

أعطى * ومن ذلك ماروا عبد الله بن زيد عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول اللهم انى أسألك بأنك أنت الله الاحد الصمد الذى لم تلد ولم تولد ولم يكن لك كفوا أحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد دعا الله باسمه الاعظم الذى اذا سئل به أعطى واذا دعى به أجاب * ومن ذلك ماروى عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يدعو به ويقول انه لن يدعو به ملك مقرب ولا نبى مرسل ولا عبد صالح الا كان من الدعاء المستجاب اللهم بعلمك الغيب وبقدرتك على الخلق احينى ماعلمت ان الحياة خيرلى وتوفنى ماعلمت أن الوفاة خيرلى واسألك خشيتك فى الغيب والشهادة وكلمة الحق فى الغضب والرضى والقصد فى الفقر والغنى واسألك نعيما لاينفد وقرة عين لاتنقطع وبرد العيش بعد الموت واسألك النظر الى وجهك والشوق الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين * وروى ان ادريس النبى صلى الله عليه وسلم كان يدعو بهذه الدعوة ويأمر ان لايعلموها السفهاء فيدعوا بها فكان يقول ياذا الجلال والاكرام ياذا الطول لا اله الا أنت ظهر اللاجين وجار المستجيرين ومأمن الخائفين اللهم ان كنت كتبتنى عندك فى أم الكتاب شقيا أومحروما أو مقترا على فى رزقى فامح اللهم بفضلك شقاوتى وحرمانى واقتار رزقى وأثبتنى عندك فى أم الكتاب سعيدا مرزوقا موفقا للخيرات مستورا مكفيا مؤنة من يؤذينى انك قلت وقولك الحق فى كتابك المنزل على لسان نبيك المرسل يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وقد رأيت منقولا انه يستحب الدعاء بهذا فى ليلة النصف من شعبان وقد ورد فى الاخبار والاحاديث غير ذلك والمراد هنا الاختصار والله الموفق المهدى للصواب

(ذكر الفتح العمرى) الذى يسره الله سبحانه وتعالى على يد أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعمارة المسجد الاقصى الشريف على يده * روى عوف بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

اعدد ستا بين يدى الساعة موتى قال فوجمت عند ها وجمة قال قل احدى ثم فتح بيت المقدس ثم موتان يكون فيكم كقعاص الغنم واستفاضة المال فيكم حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل لها ساخطا ثم تكون فيكم فتنة فلا يبقى بيت من بيوت العرب الا دخلته ثم هدنة تكون بين بنى الاصفر فيغدرون بكم ثم يأتونكم فى ثمانين غاية كل غاية اثنا عشر الفا * قوله فوجمت وجمة قال الجوهرى الوجم الذى اشتد حزنه حتى امسك عن الكلام * والموتان بضم الميم وسكون الواو وهو الموت الكثير السريع وقوعه ولذلك شبهه النبى صلى الله عليه وسلم بقعاص الغنم فهو داء يأخذها لا يلبثها ان تموت * والقعص أن يضرب الانسان فيموت مكانه سريعا فقيل لهذا الداء قعاص لسرعة الموت ثم شبه به الموتان وعن عوف قال اتيت النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك وهو فى قبة من ادم فقال لى يا عوف أعدد ستا بين يدى الساعة موتى ثم فتح بيت المقدس * وروى انه صلى الله عليه وسلم قال لشداد بن أوس الا ان الشام ستفتح وبيت المقدس سيفتح ان شاء الله تعالى وتكون أنت وولدك من بعدك ائمة بها ان شاء الله تعالى ثم ان الست المذكورة قد وقع بعضها فموته صلى الله عليه وسلم وفتح بيت المقدس قد وجد ووقع الطاعون وهم بالجابية ويقال انه طاعون عمواس الواقع فى سنة ثمانية عشر من الهجرة الشريفة ثم استفاض المال فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه قال الوليد بن مسلم قال سعيد بن عبد العزيز زاد عثمان للناس عامة الديوان مائة دينار بزيادة دينار فى عطائهم وكانت الفتنة وهى قتل الوليد وما وقع بين الناس بالشأم والعراق وخراسان من الفرقة والعصبة ولا تزال متتابعة حتى تقع هدنة الروم * ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم استقر الامام أبو بكر الصديق رضى الله عنه بعده فى الخلافة * واسمه عبد الله ولقبه عتيق الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى التيمى يلتقى مع

رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرة بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى *وهو أول خليفة فى الاسلام وكان يدعى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم له المواقف الرفيعة فى الاسلام * ثم ختم ذلك بمهم من أحسن مناقبه واجل فضائله وهو استخلافه على المسلمين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فهدبه الاسلام واعزبه الدين وذلك أنه لما حضرته الوفاة شاور الصحابة فى ذلك فأشاروا به * ثم دعا أبو بكر عثمان بن عفان رضى الله عنهما فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عاهد عليه أبو بكر بن أبى قحافة فى آخر عهده بالدنيا خارجا منها وعند أول عهده بالآخرة داخلا فيها حين يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب انى مستخلف عليكم عمر بن الخطاب فاسمعوا له واطيعوا فان عدل فذلك ظنى به وعلى فيه وان بدل فلكل امرئ ما اكتسب والخير أردت ولا أعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم أمره فختم الكتاب وخرج به الى الناس فبايعوا عمر ورضوا به ولما أراد أبو بكر أن يقلد عمر الخلافة قال له عمر اعفنى يا خليفة رسول الله فانى غنى عنها قال بل هى فقيرة اليك قال ليس لى بها حاجة قال هى محتاجة اليك فقلده الخلافة على كره منه ثم أوصاه بما أوصاه فلما خرج رفع أبو بكر يديه وقال اللهم انى لم أرد بذلك الا اصلاحهم وخفت عليهم الفتنة فوليت عليهم خيارهم وقد حضرنى من أمرك ما حضرنى فاخلفنى فيهم فهم عبادك ونواصيهم فى يدك وأصلح لهم ولاتهم واجعله من خلفائك الراشدين يتبع هدى نبى الرحمة وأصلح له رعيته * ثم توفى أبو بكر الصديق رضى الله عنه ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاثة عشر من الهجرة الشريفة وله ثلاث وستون سنة ودفن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت خلافته سنتين وثلاثة اشهر وعشر ليالى وبويع عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالخلافة فى اليوم الذى مات فيه أبو بكر رضى الله عنه وهو أول من سمى بأمير المؤمنين * واما

نسبه فهو أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن
عبد الله بن قرط بن رواح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب وفى كعب يجتمع
نسبه مع نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم القرشى العدوى * وأول
خطبة خطبها قال يا أيها الناس والله ما فيكم أحد أقوى من الضعيف
عندى حتى آخذ الحق له ولا أضعف عندى من القوى حتى آخذ الحق
منه * ثم أول شئ أمر به ان عزل خالد بن الوليد عن الامرة وولى أبا عبيدة
ابن الجراح على الجيش والشأم وأرسل بذلك اليهما فانهما كانا قبل وفاة
أبي بكر رضى الله عنه فى وقعة اليرموك وفرغا منها وقصدا دمشق فلما ورد
عليهما كتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه سار أبو عبيدة ونزل دمشق
الشأم من جهة باب الجابية ونزل خالد بن الوليد من جهة الباب الشرقى
ونزل عمرو بن العاص من جهة باب توما ويزيد بن أبي سفيان من جهة
الباب الصغير الى باب كيسان وحاصروها قريبا من سبعين ليلة وفتح
خالد ما يليه بالسيف فخرج أهل دمشق وبذلوا الصلح لابي عبيدة من
الجانب الآخر وفتحوا له الباب فأمنهم ودخل والتقى مع خالد فى وسط
البلد * وبعث أبو عبيدة بالفتح الى عمر ثم بعد دمشق بيسير فتح حمص بعد
حصار طويل ثم فتح حماه صلحا وكذلك المعرة ثم فتح اللاذقية عنوة وفتح
جبلة والطرطوس ثم فتح حلب وانطاكية وفتح بلادا أخر منها قيسارية
وسبسطية ويقال ان بها قبر يحيى وزكرياء ونابلس واللد ويافا وتلك
البلاد جميعها حتى دخلت سنة خمسة عشر من الهجرة الشريفة *
ثم سار أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه حتى أتى الاردن فعسكر بها
وبعث الرسل الى أهل ايليا وكتب اليهم بسم الله الرحمن الرحيم من أبي
عبيدة بن الجراح الى بطارقة أهل ايليا وسكانها سلام على من اتبع
الهدى وآمن بالله وبالرسول * أما بعد فانا ندعوكم الى شهادة أن لا اله
الا الله محمد رسول الله وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من
فى القبور فان شهدتم بذلك حرمت علينا دماؤكم وأموالكم وذراريكم

وكنتم لنا اخوانا وان ابيتم فاقروا لنا باداء الجزية عن يد وأنتم صاغرون وان أنتم أبيتم سرت اليكم بقوم هم أشد حبا للموت منكم لشرب الخمر وأكل لحم الخنزير ثم لا أرجع عنكم ان شاء الله أبدا حتى اقتل مقاتليكم وأسبي ذراريكم * وكتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عمر أمير المؤمنين من أبي عبيدة بن الجراح سلام عليك فاني أحمد الله تعالى اليك الذي لا اله الا هو أما بعد فالحمد لله الذي أهلك المشركين و نصر المسلمين وقد نما ماتولى الله أمرهم واظهر فلاحهم وأعز دعوتهم فتبارك الله رب العالمين أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أنا لقينا الروم وهم جموع لم تلق العرب مثلها جموعا فأتونا وهم يرون لا غالب لهم من الناس أحد فقاتلوا المسلمين قتالا شديدا ما قوتل المسلمون مثله في موطن قط ورزق الله المؤمنين النصر وأنزل عليهم الصبر فقتلهم الله تعالى في كل قرية وفي كل شعب وواد وجبل وسهل وغنم الله المسلمين عسكرهم وما كان فيهم من أموالهم ومتاعهم ثم اني تبعتهم بالمسلمين حتى بلغت أقصى بلاد الشأم وقد بعثت الى أهل الشأم عمالي وقد بعثت الى أهل ايليا أدعوهم الى الاسلام فان قبلوا والا فليؤدوا الجزية الينا عن يد وهم صاغرون فان أبوا سرت اليهم حتى أنزل بهم ثم لا أزايلهم حتى يفتح الله تعالى على المسلمين ان شاء الله تعالى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته * فكتب اليه عمر بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة بن الجراح سلام عليك فاني أحمد الله اليك الذي لا اله الا هو أما بعد فقد أتاني كتابك وفهمت ماذكرت فيه من اهلاك الله المشركين ونصره المؤمنين وما صنع باوليائه وأهل طاعته والحمد لله على حسن صنيعه الينا وسيتم الله تعالى ذلك بشكره ثم اعلموا انكم لم تظهروا على عدوكم بعدد ولا قوة ولا حول ولكن بعون الله ونصره ومنه وفضله فلله الطول والمنة والفضل العظيم فتبارك الله احسن الخالقين والحمد لله رب العالمين والسلام عليك * ثم ان أبا عبيدة انتظر أهل ايليا فأبوا

ان يأتوه وان يصالحوه فاقبل سائرا اليهم حتى نزل بهم وحاصرهم حصارا
شديدا وضيق عليهم فخرجوا اليه ذات يوم فقاتلوا المسلمين ساعة ثم ان
المسلمين شدوا عليهم من كل جانب ومكان فقاتلوهم ساعة ثم انهزموا
فدخلوا حصنهم * وكان الذى ولى قتالهم يومئذ خالد بن الوليد ويزيد بن
أبي سفيان كل رجل منهما بجانب فبلغ ذلك سعيد بن زيد وهو على أهل
دمشق فكتب الى أبي عبيدة ابن الجراح بسم الله الرحمن الرحيم الى ابى عبيدة
ابن الجراح من سعيد بن زيد سلام عليك فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو
اليك أما بعد فانى لعمرى ما كنت لأوثرك وأصحابك بالجهاد على نفسى
وعلى مايدنيني من مرضاة ربي فاذا أتاك كتابي هذا فابعث الى عملك
من هو ارغب فيه فليله مابدالك فانى قادم اليك وشيكا ان شاء الله
تعالى والسلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال أبو عبيدة حين جاءه
الكتاب ليتركنها خلوفا ثم دعا بيزيد بن أبي سفيان وقال اكفنى دمشق
فقال له يزيد اكفيكها ان شاء الله تعالى وسار اليها فولاها له ولما حصر
أبو عبيدة أهل ايليا وأوجب على نفسه انه غير مقلع عنهم ولم يجدوا لهم
طاقة بحربه قالوا انصالحك قال وانى قابل منكم قالوا فأرسل الى خليفتكم
فيكون هو الذى يعطينا هذا العهد ويكتب لنا الامان فقبل أبو عبيدة
ذلك وهم ان يكتب وكان أبو عبيدة رضى الله عنه قد بعث معاذ بن جبل
على الاردن ولم يكن سار فقال معاذ لابى عبيدة أتكتب لامير المؤمنين
تأمره بالقدوم عليك فلعله يقدم ثم يأبى هؤلاء الصلح فيكون مجيئه
فضلا وعناء فلا تكتب حتى يوثقوا اليك واستحلفهم بالايمان المغلظة
والمواثيق المؤكدة ان أنت بعثت الى أمير المؤمنين فقدم عليهم
وأعطاهم امانا على أنفسهم وأموالهم وكتب عليهم بذلك كتابا
ليقبلن وليؤدن الجزية وليدخلن فيما دخل فيه أهل الشأم فبعث
بذلك اليهم أبو عبيدة فأجابوه اليه فلما فعلوا ذلك كتب أبو عبيدة الى عمر
ابن الخطاب رضى الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عمر أمير

المؤمنين

المؤمنين من ابي عبيدة ابن الجراح سلام عليك فانى أحمد الله اليك الذى
لا اله الا هو أما بعد فانا أقمنا على أهل ايليا فظنوا ان لهم فى مطاولتهم فرجا
فلم يزدهم الله بهذا الا ضيقا ونقصا وهزالا وذلا فلما رأوا ذلك سألوا
ان يقدم عليهم أمير المؤمنين فيكون هو الموثق لهم والكاتب فخشينا
ان يقدم أمير المؤمنين فيغدر القوم ويرجعوا فيكون مسيرك أصلحك
الله عناء وفضلا فأخذنا عليهم المواثيق المغلظة بأيمانهم ليقبلن وليؤدن
الجزية وليدخلن فيما دخل فيه أهل الذمة ففعلوا فان رأيت أن تقدم
فافعل فان فى مسيرك أجرا وصلاحا آتاك الله رشدك ويسر أمرك والسلام
عليك ورحمة الله وبركاته وبعث المسلمون اليه وفدا وبعث الروم وفدا
مع المسلمين حتى أتوا المدينة فجعلوا يسألون عن أمير المؤمنين فقال
الروم لترجمانهم عمن يسألون فقال عن أمير المؤمنين فاشتد عليهم
وقالوا هذا الذى غلب فارس والروم وأخذ كنوز كسرى وقيصر ليس
له مكان معروف بهذا غلب الامم فوجدوه وقد ألقى نفسه حين أصابه
الحر نائما فازدادوا تعجبا فلما قدم الكتاب على عمر رضى الله عنه دعا
برؤساء المسلمين اليه وقرأ عليهم كتاب أبى عبيدة رضى الله عنه
واستشارهم فى الذى كتب اليه فقال له عثمان رضى الله عنه ان الله تعالى
قد أذلهم وحصرهم وضيق عليهم وهم فى كل يوم يزدادون نقصا وهزالا
وضعفا ورعبا فان أنت أقمت ولم تسر اليهم رأوا أنك بأمرهم مستخف
ولشأنهم حاقر غير معظم فلا يلبثون الا قليلا حتى ينزلوا على الحكم ويعطوا
الجزية فقال عمر ماترون هل عند أحد منكم رأى غير هذا فقال على بن
أبى طالب رضى الله عنه نعم عندى غير هذا الرأى قال ما هو قال انهم قد
سألوا المنزلة التى فيها الذل لهم والصغار وهو على المسلمين فتح ولهم فيه عز
وهم يعطونكها الآن فى العاجل فى عافية ليس بينك وبين ذلك الا أن
تقدم عليهم ولك فى القدوم عليهم الاجر فى كل ظمأ ومخمصة وفى قطع كل
واد وفى كل نفقة حتى تقدم عليهم فاذا أنت قدمت عليهم كان الامن

والعافية والصلاح والفتح ولست آمن ان ايسوا من قبولك الصلح منهم ان يتمسكوا بحصنهم فيأتيهم عدولنا أو يأتيهم منهم مدد فيدخل على المسلمين بلاء و يطول بهم حصار فيصيب المسلمين من الجهد والجوع ما يصيبهم ولعل المسلمين يدنون من حصنهم فيرشقونهم بالنشاب أو يقذفونهم بالمناجيق فان أصاب بعض المسلمين تمنيتم انكم افتديتم قتل رجل من المسلمين بمسيرك الى منقطع التراب وكان المسلم لذلك من اخوانه أهلا فقال عمر رضي الله عنه قد أحسن عثمان النظر في مكيدة العدو وأحسن علي بن أبي طالب النظر لاهل الاسلام سيروا على اسم الله تعالى فاني سائر فخرج فعسكر خارج المدينة ونودي في الناس بالعسكر والمسير فعسكر العباس بن عبد المطلب بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ووجوه قريش والانصار والعرب رضي الله عنهم حتى اذا تكامل عنده الناس استخلف على المدينة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وسار فقل غداة الا وهو يقبل على المسلمين بوجهه ويقول * الحمد لله الذي أعزنا بالاسلام واكرمنا بالايمان ورحمنا بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فهدانا به من الضلالة وجمعنا به من بعد الشتات وألف بين قلوبنا ونصرنا به على الاعداء ومكن لنا في البلاد وجعلنا اخوانا متحابين فاحمدوا الله عباد الله على هذه النعمة واسألوه المزيد منها والشكر عليها وتمام ما أصبحتم متقلبين فيه منها فان الله يزيد المزيدين من الراغبين ويتم نعمته على الشاكرين وكان لا يدع هذا القول في كل غداة في سفره كله فلما دنا من الشأم عسكر حتى قدم اليه من تخلف من العسكر فاهو الا أن طلعت الشمس فاذا الرايات والرماح والجنود قد أقبلوا على الخيول يستقبلون عمر بن الخطاب رضي الله عنه * قال الراوي فكان أول مقنب لقينا من الناس سألنا عن المدينة وأخبرناه بصلاح الناس فنادوا اهل لكم بأمير المؤمنين من علم فسكتنا ومضوا فاقبل مقنب آخر فسلموا ثم سألوا عن أمير المؤمنين هل لنا به علم فقال لنا الا تخبرون القوم عن صاحبكم

فقلنا هذا أمير المؤمنين فذهبوا يرجعون ويقتحمون عن خيولهم فاذاهم عمر رضي الله عنه لا تفعلوا ورجع الآخرون الذين مضوا فساروا معنا وأقبل المسلمون يصفون الخيل ويشرعون الرماح فى طريق عمر حتى طلع أبو عبيدة فى عظيم الناس فاذا هو على قلوص ا كفها بعباءة خطامها من شعر لابس سلاحه متنكب قوسه فلما نظر الى أمير المؤمنين أناخ قلوصه وأناخ أمير المؤمنين بعيره فنزل أبو عبيدة وأقبل الى عمر وأقبل عمر الى أبي عبيدة فلما دنا عمر من أبي عبيدة مد أبو عبيدة يده الى عمر ليصافحه فمد عمر يده فأخذها أبو عبيدة وأهوى ليقبلها يريد أن يعظمه فى العامة فأهوى عمر الى رجل أبي عبيدة ليقبلها فقال أبو عبيدة مه يا أمير المؤمنين وتنحى فقال عمر مه يا أبا عبيدة فتعانقا الشيخان ثم ركبا يتسايران وسارا وسار الناس امامهما * وحكى انهم تلقوا عمر ببرذون وثياب بيض وكلموه أن يركب البرذون ليراه العدو فهو أهيب له عندهم وان يلبس الثياب البيض ويطرح الفروة عنه فابى ثم لجوا عليه فركب البرذون بفروته وثيابه فهملج به البرذون وخطام ناقته بيده بعد فنزل وركب راحلته وقال لقد غيرني هذا حتى خفت ان اتكبر وأنكر نفسي فعليكم يا معشر المسلمين بالقصد وانما أعزكم الله عز وجل به * وروى عن طارق بن شهاب قال لما قدم عمر الشام عرضت له مخاضة فنزل عن بعيره ونزع جرموقيه فامسكهما بيده وخاض الماء ومعه بعيره فقال أبو عبيدة لقد صنعت اليوم صنعا عظيما عند أهل الارض فصكه عمر فى صدره وقال له لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة انكم كنتم اذل الناس وأحقر الناس وأقل الناس فأعزكم الله بالاسلام ومهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله تعالى * وروى أنه لما قدم عمر من المدينة ناهضوهم القتال بعد قدومه فظهر المسلمون على اماكن لم يكونوا ظهروا عليها قبل ذلك وظهروا يومئذ على كرم كان فى أيديهم لرجل من النصارى له ذمة مع المسلمين فى كرمه عنب فجعلوا يأكلونه فأتى الذمي عمر بن الخطاب

رضى الله عنه فقال له يا أمير المؤمنين كرمى كان فى أيديهم فلم يستبيعوه ولم يتعرضوا له وأنا رجل لى ذمة مع المسلمين فلما ظهر عليه المسلمون وقعوا فيه فدعا عمر رضى الله عنه ببرذون له فركبه عريانا من العجلة ثم خرج يركض فى اعراض المسلمين فكان أول من لقيه أبو هريرة يحمل فوق رأسه عنبا فقال له وأنت أيضا يا أبا هريرة فقال يا أمير المؤمنين أصابتنا مخمصة شديدة فكان أحق من اكلنا من ماله من قاتلنا فتركه عمر ثم أتى الكرم فنظره فاذا هو قد اسرعت الناس فيه فدعا عمر رضى الله عنه الذمى فقال له كم كنت ترجو من غلة كرمك هذا فقال له شيئا قال نخل سبيله ثم أخرج عمر رضى الله عنه ثمنه الذى قال له فأعطاه اياه ثم أباحه للمسلمين * وعن سيف عن أبى حازم وأبى عثمان عن خالد وعبادة قالا صالح عمر بن الخطاب رضى الله عنه أهل ايليا بالجابية وكتب لهم فيها الصلح لكل كورة كتابا واحدا ما خلا أهل ايليا بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبد الله أمير المؤمنين عمر أهل ايليا من الامان أعطاهم امانا لانفسهم وأموالهم ولكنائسهم ولصلبانهم ومقيمها وبريها وسائر ملتها انها لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حدها ولا من صليبهم ولا شئ من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بايليا معهم أحد من اليهود وعلى أهل ايليا أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن وعلى أن يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل ايليا من الجزية ومن أحب من أهل ايليا ان يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعتهم وصليبهم فانهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعتهم وصليبهم حتى يبلغوا مأمنهم ومن كان فيها من أهل الارض فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل ايليا من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع الى أرضه فانه لا يؤخذ منه شئ حتى يحصد حصادهم وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمته وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا أعطوا الذى عليهم من الجزية شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان * وعن عبد الرحمن بن غنم قال كتب لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين صالح نصارى أهل الشام بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين من نصارى مدينة كذا وكذا انكم لما قدمتم علينا سألناكم الامان لانفسنا وذرارينا وأموالنا واهل ملتنا وشرطنا لكم على أنفسنا أن لا نحدث فى مدينتنا ولا فيما حولها ديرا ولا كنيسة ولا قلاية ولا صومعة راهب ولا نحيي منها ما كان فى خطط المسلمين ولا نمنع كنائسنا ان ينزلها أحد من المسلمين فى ليل ولا نهار وأن نوسع أبوابها للمارة وابن السبيل وان ننزل من مر من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم ولا نوارى فى كنائسنا ولا فى منازلنا جاسوسا ولا نكتم غشا للمسلمين ولا نعلم أولادنا القرآن ولا نظهر شركا ولا ندعو اليه أحدا ولا نمنع أحدا من ذوى قرابتنا الدخول فى الاسلام ان أراده وان نوقر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا اذا أرادوا الجلوس ولا نتشبه بهم فى شئ من لباسهم فى قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ولا نتكلم بكلامهم ولا نتكنى بكناهم ولا نركب السروج ولا نتقلد السيوف ولا نتخذ شيئا من السلاح ولا نحمله معنا ولا ننقش على خواتمنا بالعربية ولا نبيع الخمور وان نجز مقادم رؤسنا وان نلزم زينا حيثما كنا وان نشد زنانير على أوساطنا ولا نظهر الصليب على كنائسنا ولا نظهر صلباننا ولا كتبنا فى شئ من طرق المسلمين ولا فى أسواقهم ولا نضرب نواقيسنا فى كنائسنا الا ضربا خفيفا ولا نرفع اصواتنا مع موتانا ولا نتخذ من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين ولا نطلع عليهم فى منازلهم قال فلما اتيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالكتاب زاد فيه ولا نضرب بأحد من المسلمين شرطنا لكم ذلك على انفسنا وأهل ملتنا وقبلنا عليه الامان فان نحن خالفنا شيئا مما شرطناه لكم وضمناه على أنفسنا فلا ذمة لنا وقد حل لكم منا ما حل من أهل المعاندة والشقاق *

رواه الامام البيهقي وغيره وقد اعتمد أئمة الاسلام هذه الشروط وعمل بها الخلفاء الراشدون * وروى أن عمر رضي الله عنه أمر في أهل الذمة ان تجز نواصيهم وان يركبوا على الاكف عرضا ولا يركبوا كما يركب المسلمون وان يوثقوا المناطق أي الزنانير * ولما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيت المقدس نزل على الجبل الشرقي وهو طور زيتا وأتى رسول بطريقها اليه بالترحيب وقال انا سنعطي بحضورك مالم تكن نعطيه لاحد دونك وسأله أن يقبل منه الصلح والجزية وأن يعطيه الامان على دمائهم وأموالهم وكنائسهم فأنعم له عمر بذلك فسأله الرسول الامان لصاحبه ليتولى مصالحته ومكاتبته فأنعم وخرج اليه بطريقها في جماعة فصالحهم واشهد على ذلك والبطريق هو الامير وأما البطرك فهو الكاهن وكان اسم البطرك يوم ذلك صفريوس وكان قد أخبر النصارى ان الله يفتح البيت المقدس على يد عمر من غير قتال فلما فرغ عمر من كتاب الصلح بينه وبين أهل بيت المقدس قال لبطريقها دلني على مسجد داود فقال نعم وخرج عمر مقلدا بسيفه في أربعة آلاف من الصحابة الذين قدموا معه متقلدين بسيوفهم وطائفة ممن كان عليها ليس عليهم من السلاح الا السيوف والبطريق بين يدي عمر في أصحابه حتى دخلوا بيت المقدس فادخلهم الكنيسة التي يقال لها القمامة وقال هذا مسجد داود فنظر عمر وتأمل وقال له كذبت ولقد وصف لي رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد داود بصفة ما هي هذه فمضى به الى كنيسة يقال لها صهيون وقال له هذا مسجد داود فقال له كذبت فمضى به الى مسجد بيت المقدس حتى انتهى به الى الباب الذي يقال له باب محمد صلى الله عليه وسلم وقد انحدر ما في المسجد من الزبالة على درج الباب حتى خرج الى الزقاق الذي فيه الباب وكثر على المدرج حتى كاد أن يلصق بسقف الرواق فقال له لا تقدر أن ندخل الاحبوا فقال عمر ولو حبوا فحبا بين يدي عمر وحبا عمر ومن معه خلفه حتى ظهروا الى صحنه واستووا فيه قياما فنظر عمر وتأمل مليا ونظر

يمينا وشمالا ثم قال الله أكبر هذا والذى نفسي بيده مسجد داود عليه السلام الذى أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أسرى به اليه ووجد على الصخرة زبلا كثيرا مما طرحته الروم غيظا لبنى اسرائيل فبسط عمر رداءه وجعل يكنس ذلك الزبل وجعل المسلمون يكنسون معه الزبل ومضى نحو محراب داود وهو الذى على باب البلد فى القلعة فصلى فيه ثم قرأ سورة ص وسجد * وروى أنه لما جلا المزبلة عن الصخرة قال لا تصلوا فيها حتى يصيبها ثلاث مطرات * وروى أنه لما فتح عمر رضي الله عنه بيت المقدس قال لكعب يا أبا اسحاق أتعرف موضع الصخرة فقال اذرع من الحائط الذى يلي وادى جهنم كذا وكذا ذراعا ثم احفر فانك تجدها وكانت يومئذ مزبلة فحفروا فظهرت لهم فقال عمر لكعب أين ترى أن نجعل المسجد أو قال القبلة فقال اجعله خلف الصخرة فتجتمع القبلتان قبلة موسى وقبلة محمد صلى الله عليه وسلم فقال له ضاهيت اليهودية يا أبا اسحاق خير المساجد مقدمها فبناها فى مقدم المسجد * وروى ان عمر قال لكعب أين ترى نجعل المصلى قال الى الصخرة فقال ضاهيت والله يا كعب اليهودية بل نجعل قبلته صدره كما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلة مساجدنا صدورها اذهب اليك فانا لم نؤمر بالصخرة ولكن أمرنا بالكعبة ولما فرغ عمر من فتح ايليا وعزل الصخرة من القمامة وأبقى النصارى على حالهم بأداء الجزية فسمى المسلمون كنيسة النصارى العظمى عندهم قمامة تشبيها بالمزابل وتعظيما للصخرة الشريفة ثم ارتحل من القدس الى أرض فلسطين * وكان هذا الفتح فى سنة خمسة عشر من الهجرة الشريفة قاله ابن الجوزى وغيره من المؤرخين وقيل كان فى سنة ستة عشر فى ربيع الاول وقيل لخمس خلون من ذى القعدة والله أعلم * ووجد على رأس بعض التصاوير التى كانت فى المسجد الاقصى عقب ما استنقذه المسلمون منهم هذه الابيات ويقال انها لابن ضامر الضبعي بعكا

أدمى الكنائس ان تكن عبثت بكم * ايدى الحوادث أو تغير حال
فلطالما سجدت لكن شمامس * شم الانوف ضراغم أبطال
بعدا على هذا المصاب لانه * يوم بيوم والحروب سجال

وروى أن أمير المؤمنين عمر لما فتح بيت المقدس وكتب كتاب الامان والصلح وقبضوا كتابهم وأمنوا دخل الناس بعضهم فى بعض وأقام عمر أياما ثم قال لابى عبيدة لم يبق أمير من امراء الاجناد غيرك الا استزارنى فقال أبو عبيدة يا أمير المؤمنين انى أخاف ان استزيرك فتعصب عينيك فى بيتى قال فاستزرنى قال فزرنى فلما أتاه عمر فى بيته فاذا ليس فيه شئ الا لبد فرسه واذا هو فراشه وسرجه واذا هو وسادته واذا كسر يابسة فى كوة بيته فجاء بها فوضعها على الارض بين يديه وأتاه بملح جريش وكوز خزف فيه ماء فلما نظر عمر الى ذلك بكى ثم التزمه وقال أنت أخى وما من أحد من أصحابى الا وقد نال من الدنيا ونالت منه غيرك فقال له أبو عبيدة ألم أخبرك انك ستعصب عينيك ثم ان عمر قام فى الناس فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال يا أهل الاسلام ان الله تعالى قد صدقكم الوعد ونصركم على الاعداء وأورثكم البلاد ومكن لكم فى الارض فلا يكونن جزاؤه منكم الا الشكر واياكم والعمل بالمعاصى فان العمل بالمعاصى كفر للنعم وقلما كفر قوم بما أنعم الله عليهم ثم لم يفزعوا الى التوبة الا سلبوا عزهم وسلط عليهم عدوهم ثم نزل وحضرت الصلاة فقال يا بلال ألا تؤذن لنا رحمك الله قال بلال يا أمير المؤمنين والله ما أردت أن أؤذن لاحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن سأطيعك اذ أمرتنى فى هذه الصلاة وحدها فلما أذن بلال وسمعت الصحابة صوته ذكروا نبيهم صلى الله عليه وسلم فبكوا بكاء شديدا ولم يكن من المسلمين يومئذ أطول بكاء من أبى عبيدة ومعاذ بن جبل حتى قال لهما عمر حسبكما رحمكما الله فلما قضى صلاته انصرف أمير المؤمنين راجعا الى المدينة واجتهد فيما هو بصدده من اقامة شعائر الاسلام والنظر فى

مصالح

مصالح المسلمين والجهاد فى سبيل الله ولم يزل كذلك حتى توفى رضى الله
عنه ونفعنا به وجمع بيننا وبينه فى دار كرامته انه ولى الحسنات وغافر
السيئات بمنه وكرمه * وقد حكى المصنفون لفضائل بيت المقدس قصة
الفتح من طرق كثيرة بروايات وألفاظ مختلفة فأحسن ما رأيته منها
مانقلته هنا والله الموفق

ذكر وفاة الامام عمر رضى الله عنه

روى انه خرج لصلاة الصبح فى جماعة فضربه أبولؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة
لما وقف يصلى بخنجر برأسين وطعنه ثلاث طعنات احداها تحت سرته
وهى التى قتلته وطعن اثنى عشر رجلا من أهل المسجد فمات منهم ستة
ثم نحر نفسه بخنجره فمات لعنه الله ولما طعنه أبولؤلؤة وقع على الارض ثم
قال أفى الناس عبد الرحمن بن عوف قالوا نعم قال مروه يصل بالناس وقال
لولده عبد الله انظر من الذى قتلنى فقال يا أمير المؤمنين ذلك أبولؤلؤة
غلام المغيرة بن شعبة فقال الحمد لله الذى لم يجعل قتلى على يد رجل سجد لله
سجدة واحدة ثم بعث ابنه عبد الله الى عائشة رضى الله عنها فقال قل لها
يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل أمير المؤمنين فانى لست اليوم أمير
المؤمنين ويقول لك انه لاحق بربه أفتأذنين له أن يدفن مع صاحبيه فجاء
عبد الله الى عائشة فاستأذن عليها فأذنت له فبلغها رسالة أمير المؤمنين
عمر رضى الله عنه فتأوهت وبكت وقالت لقد كنت أشم رائحة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى أبى بكر فلما مات أبو بكر كنت أشم رائحته
فى أمير المؤمنين عمر مالى والدنيا أفقد فيها الاحباب واحدا بعد واحد
ثم قالت له بلغ أمير المؤمنين منى السلام وقل له الا انها كانت قد ادخرت
ذلك لنفسها ولكنها آثرتك اليوم على نفسها فلما رجع عبد الله قال له عمر
ماوراءك يا عبد الله قال الذى تحب قد أذنت لك عائشة قال الحمد لله
ما كان شئ أهم الى من ذلك فاذا انا قبضت فارجع الى عائشة فاستأذنها
ثانيا فربما تكون استحيت منى وانا حى فلا تستحى منى وانا ميت وأوصاهم
أن يقتصروا فى كفنه ولا يتغالوا وتوفى يوم السبت سلخ ذى الحجة سنة

ثلاث وعشرين من الهجرة الشريفة ودفن يوم الاحد هلال المحرم سنة أربع وعشرين وغسله ابنه عبد الله وحمل على سرير رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى عليه فى مسجده وصلى بهم عليه صهيب وكبر عليه أربعا ونزل فى قبره ابنه عبد الله وعثمان بن عفان وسعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف وكانت خلافته رضى الله عنه عشر سنين وستة أشهر وثمانية أيام وتوفى وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح المشهور والصحيح ان عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر أبى بكر رضى الله عنه وعمر وعلى وعائشة ثلاث وستون سنة وكان عمر رضى الله عنه طويلا أصلع أبيض تعلوه حمرة وقيل كان آدم شديد الأدمة كث اللحية وعليه اكثر أهل العلم وفضائله أشهر من أن تذكر وا كثر من أن تحصر جاهد فى الله حق جهاده فجيش الجيوش وفتح البلاد ومصر الامصار وأعز الاسلام واذل الكفر وأجلى اليهود والنصارى من بلاد الحجاز وفى أيامه فتح العراق والموصل ومصر والاسكندرية وغيرها وهو الذى اختط الكوفة ووسع فى المسجد الحرام وعمر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسجد الاقصى وهو اول من جمع الناس لصلاة التراويح وأول من كتب التاريخ وأرخ من السنة التى هاجر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول من عس بالليل وأول من نهى عن بيع أمهات الاولاد وأول من جمع الناس فى صلاة الجنازة على أربع تكبيرات وكانوا يكبرون أربعا وخمسا وستا وأول من حمل الدرة وضرب بها ودون الدواوين ولو لم يكن من فضائله الا فتح هذا البيت المقدس وتطهيره من الشرك لكفاه رضى الله عنه ونفعنا ببركته وبركات علومه فى الدنيا والآخرة * واما من دخل بيت المقدس من الصحابة رضى الله عنهم فهم خلق كثير لا يحصيهم الا الله سبحانه وتعالى ولنذكر جماعة من اعيانهم تبركا بذكرهم ونجعل ترتيب اسمائهم على الوفيات من غير استقصاء فى ذكر تراجمهم فأقول وبالله التوفيق * أبو عبيدة بن الجراح واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح

الفهرى أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وتقدم ذكره عند ابتداء ذكر الفتح توفى فى طاعون عمواس فى سنة ثمانية عشر من الهجرة الشريفة وقبره فى قرية يقال لها عمتا تحت جبل عجلون بين فقارس والعادلية بزاوية دير علا من الغور الغربى و وفاته فى خلافة عمر وله ثمان وخمسون سنة * معاذ بن جبل الانصارى رضى الله عنه استخلفه أبو عبيدة على الناس عند موته فمات أيضا بالطاعون بناحية الاردن فى سنة ثمان عشرة وله ثمان وثلاثون سنة وقيل ثلاث وثلاثون سنة * وقبره بالقصر الذى من الغور ومات من العسكر فى هذا الطاعون خمسة وعشرون ألف نفس وطال مكثه شهرا وطمع العدو فى المسلمين * بلال بن رباح مولى أبى بكر الصديق وهو مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد فتح بيت المقدس مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولم يؤذن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى مرة واحدة لما أمره عمر بالاذان بعد الفتح كما تقدم توفى بدمشق فى سنة تسعة عشر من الهجرة ودفن عند الباب الصغير وهو ابن بضع وستين سنة وقيل مات بحلب سنة عشرين وقيل ثمانية عشر والله أعلم * عياض بن غنم رضى الله عنه ابن عم أبى عبيدة دخل بيت المقدس وبنى فيها حماما وله رواية عن النبى صلى الله عليه وسلم توفى فى سنة عشرين من الهجرة * خالد بن الوليد رضى الله عنه سيف الله المسلول توفى سنة احدى وعشرين من الهجرة الشريفة واختلف فى موضع قبره فقيل بحمص وقيل بالمدينة * أبو ذر الغفارى واسمه جندب بن جناده دخل بيت المقدس وكانت وفاته بالربذة فى سنة اثنين وثلاثين والله أعلم * أبو الدرداء عويمر رضى الله عنه توفى بدمشق فى سنة اثنتين وثلاثين وقيل احدى وثلاثين فى خلافة عثمان رضى الله عنه * عبادة بن الصامت الانصارى رضى الله عنه وجهه عمر الى الشأم قاضيا ومعلما وأقام بحمص ثم انتقل الى فلسطين وهو أول من ولى قضاها سكن بيت المقدس ومات بفلسطين ودفن ببيت المقدس وقيل بالرملة والاول

أشهر وكانت وفاته فى سنة أربع وثلاثين للهجرة والآن قبره لا يعرف بيت المقدس ولا بالرملة واندرس لاستيلاء الافرنج على تلك الناحية * سلمان الفارسى توفى فى سنة ست وثلاثين من الهجرة ودفن بالمدائن من مائتين وخمسين سنة ويقال اكثر ذكره النووى فى التهذيب والكرمانى وابن الجوزى فى صفوة الصفوة قال أهل العلم بالسير كان سلمان من المعمرين أدرك وصى عيسى بن مريم وردّ بعض العلماء هذا القول وقال انه لم يبلغ المائة والله أعلم * أبو مسعود الانصارى عقبة بن عمرو البدرى سكن بدرا ولم يشهدها على الراجح توفى فى سنة تسع وثلاثين من الهجرة وقيل سنة أربعين * تميم الدارى بن اوس رضى الله عنه وفد هو واخوه نعيم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع وأسلما وصحب تميم رسول الله صلى الله عليه وسلم وغزا معه وروى عنه ولم يزل بالمدينة حتى تحول الى الشام بعد قتل عثمان وكان أميرا على بيت المقدس وهو الذى أقطعه النبىّ صلى الله عليه وسلم أرض حبرون وسنذكر نسخة الاقطاع فيما بعد عند ذكر بلد سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام ان شاء الله تعالى توفى سنة أربعين من الهجرة الشريفة * عمرو بن العاص السهمى توفى سنة ثلاث وأربعين من الهجرة فى خلافة معاوية * عبد الله بن سلام أبو الحارث الامام الحبر الاسرائيلى المشهود له بالجنة قدم بيت المقدس من خواص الصحابة كان اسمه الحصين فغيره النبىّ صلى الله عليه وسلم بعبد الله شهد فتح بيت المقدس توفى سنة ثلاث وأربعين من الهجرة * سعيد بن زيد أحد العشرة المشهود لهم بالجنة قدم بيت المقدس زمن الفتح توفى سنة احدى وخمسين من الهجرة بالعقيق وقيل بالكوفة وله بضع وسبعون سنة * أبو اسحاق سعد بن أبى وقاص واسمه مالك بن وهب رضى الله عنه قدم بيت المقدس وأحرم منه بعمرة احد العشرة المشهود لهم بالجنة مات فى قصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة فحمل الى المدينة وصلت عليه أزواج النبىّ صلى الله عليه وسلم فى حجرهن ودفن بالبقيع

فى

فى سنة خمس وقيل ست وخمسين من الهجرة وهو ابن بضع وسبعين سنة * مرة بن كعب الفهرى رضى الله عنه نزل بالشام وتوفى سنة سبع وخمسين من الهجرة بالاردن * شداد بن أوس ابن أخى حسان بن ثابت نزل بالشام ناحية فلسطين وكان ممن أوتى العلم والحلم والحكمة * يروى أنه لما دنت وفاة النبى صلى الله عليه وسلم قام ثم جلس ثم قام ثم جلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا شداد ماسبب قلقك فقال يارسول الله ضاقت بى الارض فقال الاان الشأم ستفتح وبيت المقدس سيفتح ان شاء الله تعالى وتكون أنت وولدك من بعدك ائمتها ان شاء الله فكان كما أخبر صلى الله عليه وسلم وكان ذا عبادة واجتهاد توفى سنة ثمان وخمسين من الهجرة وله خمس وسبعون سنة وقيل مات سنة احدى وأربعين وقبره ظاهر بيت المقدس يزار فى مقبرة باب الرحمة تحت سور المسجد الاقصى رضى الله عنه * أبو هريرة رضى الله عنه واسمه عبد الرحمن بن صخر قدم بيت المقدس وشهد فتحه مات بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سنة تسع وخمسين من الهجرة وهو ممن لازم خدمة النبى صلى الله عليه وسلم وروى عنه الكثير وليس هو المدفون بقرية يبنى التى هى من اعمال مدينة غزة وانما بها بعض ولده * معاوية بن أبى سفيان أمير المؤمنين رضى الله عنه قدم بيت المقدس وقدم عليه عمرو بن العاص فبايعه على طلب دم عثمان وكتبا كتابا بينهما بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تعاهد عليه معاوية بن أبى سفيان وعمرو بن العاص ببيت المقدس بعد قتل عثمان وحمل كل واحد منهما صاحبه الامانة ان بيننا عهد الله على التناصر والتخالص والتناصح فى أمر الله والاسلام ولا يخذل أحدنا صاحبه بشئ ولا يتخذ من دونه وليجة ولا يحول بيننا ولد ولا والد أبدا ما حيينا فيما استطعنا توفى بدمشق فى النصف من رجب فى سنة ستين من الهجرة وله ثمان وسبعون سنة وقيل ست وثمانون سنة وقيل غير ذلك وصلى عليه الضحاك ودفن بمقبرة دمشق * عبد الله بن عمرو بن العاص أسلم قبل أبيه

ولم يكن أصغر من أبيه الا باثنتي عشرة سنة وكان يقرأ القرآن والتوراة
ويصوم يوما ويفطر يوما توفى فى سنة خمس وستين من الهجرة * عبد الله
ابن عباس رضى الله عنهما ولده قبل الهجرة بثلاث سنين ودعا له النبى
صلى الله عليه وسلم فقال اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل فكان كذلك
وكان يسمى الحبر لكثرة علومه وأهل من بيت المقدس فى الشتاء
توفى سنة ثمان وستين من الهجرة بالطائف بقرية تدعى السلامة وقبره
ظاهر معروف بها عليه قبة مبنية وحولها مسجد جامع * عبد الله بن عمر
ابن الخطاب رضى الله عنهما قدم بيت المقدس وأهل منه بعمرة توفى سنة
ثلاث وسبعين من الهجرة بعد قتل ابن الزبير بثلاثة أشهر وله سبع
وثمانون سنة * عوف بن مالك بن عوف الاشجعى أبو محمد شهد فتح بيت
المقدس ونزل بحمص وهو صحابى جليل توفى سنة ثلاث وسبعين من الهجرة
بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يعبد الله ولا يشرك به شيئا
والصلوات الخمس وان لا يسأل الناس شيئا * ابو جمعة الانصارى واسمه
جندب بن سباع وقيل جنيد بن سباع وقيل ابن وهب وقيل ابن فديك
قدم بيت المقدس ليصلى فيه يعد من الشاميين مات بالشام أول المحرم
سنة سبع وسبعين من الهجرة * واثلة بن الاسقع الهوازنى أسلم والنبى
صلى الله عليه وسلم متوجه الى تبوك ويقال انه خدمه ثلاث سنين
وهو من أهل الصفة سكن البصرة ثم الشام وشهد المغازى بدمشق
وحمص ثم تحول الى بيت المقدس ومات به وهو ابن مائة سنة وقيل مات
بدمشق فى آخر خلافة عبد الملك بن مروان سنة خمس أو ست وثمانين
من الهجرة رضى الله عنه * أبو أمامة صدى بن عجلان الباهلى سكن بيت
المقدس ودمشق الشأم وكان آخر من أتى الشأم من الصحابة رضى الله عنه
شهد حجة الوداع وهو ابن ثلاثين سنة توفى سنة ثمان وقيل ست وثمانين
من الهجرة * محمود بن الربيع أبو نعيم وقيل أبو محمد فى الصحيح من حديث
الزهرى عن محمود بن الربيع كان يزعم أنه ادرك رسول الله صلى الله عليه

وسلم وهو ابن خمس سنين وزعم أنه عقل مجة مجها رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى وجهه نزل بيت المقدس وأهل منه بحج وعمرة وهو ختن
عبادة بن الصامت مات سنة تسع وتسعين من الهجرة وهو ابن ثلاث
وتسعين سنة * يزيد بن أبي سفيان صخر بن حرب كان أميرا بالشام على جند
من الاجناد ولما مات أمر عمر مكانه أخاه معاوية بن أبي سفيان *
أبو ريحانة واسمه شمعون بشين معجمة وقيل بالمهملة شمعون القرظى
من بنى قريظة ويقال من بنى النضير ويقال له مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم كانت ابنته ريحانة سرية رسول الله صلى الله عليه وسلم وسكن
أبو ريحانة بيت المقدس وكان يعظ فى المسجد الاقصى * الشريد بن سويد
قدم بيت المقدس لانه كان قد نذر أن يصلى فيه ان فتح الله مكة على
رسول الله صلى الله عليه وسلم واستأذنه فى ذلك فاذن له * ابن أبي الجدعا
وهو عبد الله بن أبي الجدعا التميمى ويقال له الكنانى ويقال له العبدى *
فيروز الديلمى أبو عبد الله ويقال أبو عبد الرحمن ويقال أبو الضحاك ويقال
الحميرى لنزوله بحمير وهو من أبناء فارس من فرس صنعاء وفيروز من الذين
بعثهم كسرى الى اليمن فنفوا الحبشة منها وغلبوا عليها سكن بيت المقدس
ويقال انه مات بها وقبره به مات فى خلافة عثمان * ذو الاصابع التميمى
ويقال الخزاعى ويقال الجهنى سكن بيت المقدس وهو من أهل اليمن من
المدد الذين نزلوا الشام ببيت المقدس * أبو محمد النجارى بالجيم الانصارى
البدرى قال صاحب مثير الغرام أظنه مسعود بن أويس بن زيد بن أصرم
ابن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك النجارى كذا نسبه الواقدى وغيره وهو
الذى زعم ان الوتر واجب فقال عبادة بن الصامت كذب أبو محمد قيل توفى
فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقيل شهد صفين مع على * سلام
ابن قيصر وقيل سلامة له صحبة وكان واليا لمعاوية على بيت المقدس وله
عقب به وأنكر بعضهم صحبته والله أعلم * أبو أبي بن ام حرام ويقال أبي
ويقال عبد الله بن أبي وقيل عبد الله بن كعب وقيل عبد الله بن عمرو بن

شمعون بن خليفة بن قيس وأمه أم حرام بنت ملحان أخت أم سليم أسلم قديما ويعد في الشاميين سكن بيت المقدس وكان ربيب عبادة بن الصامت وهو آخر من مات من الصحابة ببيت المقدس * وقال الحافظ أبو بكر الخطيب فيمن ذكر أنه كان ببيت المقدس من الصحابة والتابعين ومات به عبادة بن الصامت وشداد بن أوس وأبو أبي بن أم حرام وأبو ريحانة وسلامة بن قيصر وفيروز الديلمي وذو الاصابع وأبو محمد النجاري هؤلاء من أهل بيت المقدس ماتوا به واعقب منهم عبادة بن الصامت وشداد وسلامة وفيروز وهؤلاء الذين اعقبوا وأولادهم ببيت المقدس وقبورهم به ولم يعقب أبو ريحانة ولا ذو الاصابع ولا أبو محمد النجاري والله أعلم * عصيف بن الحارث وهو الصواب في اسمه قدم بيت المقدس هو وأهله فصلى فيه وجماعة من الصحابة * صفية بنت حيي أم المؤمنين رضي الله عنها قدمت بيت المقدس فصلت فيه وصعدت على طور زيتا فصلت وقامت على طرف الجبل فقالت من هاهنا يتفرق الناس يوم القيامة الى الجنة والى النار توفيت في سنة خمسين وقيل اثنتين وخمسين وقيل ست وثلاثين ودفنت بالبقيع رضي الله عنها * وحكى صاحب مثير الغرام ان حبرا من أحبار بيت المقدس قدم المدينة بعد موت النبيّ صلى الله عليه وسلم وقال يروى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم لثنتي عشرة خلت من ربيع الاول فلما كانت صبيحة الخميس اذا نحن بشيخ أبيض الرأس واللحية متلثم بعمامة على قعود له فجاء فنزل فعقل بعيره بباب المسجد فنادى السلام عليكم ورحمة الله هل فيكم محمد رسول الله فقال عليّ ماتريد فقال انا حبر من أحبار بيت المقدس قرأت التوراة ثمانين سنة وتدبرتها أربعين سنة صفحا صفحا فوجدت فيها ذكر محمد وانه ليس بكاذب ولا قوال الكذب وقد جئت اطلب الاسلام على يديه فذكر أثرا طويلا لامع علي رضي الله عنه ﴿ذكر المهدي الذي يكون في آخر الزمان بالقدس الشريف﴾ روى صاحب مثير الغرام

عن

عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل بأمتي
في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم لم يسمع الناس ببلاء أشد
منه حتى تضيق عليهم الارض بما رحبت وحتى تملأ الارض جورا وظلما
ثم ان الله يبعث رجلا يملأبه الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا
يرضى عنه ساكن السماء وساكن الارض لا تدخر الارض من بذرها
شيئا الا أخرجته ولا السماء من قطرها شيئا الا صبه الله عليهم مدرارا
يعيش فيهم سبع سنين أو ثماني سنين أو تسعا يتمنى الاحياء الاموات
بما صنع الله بأهل الارض من الخير * ورواه أبو القاسم البغوي بنحوه
وفيه وينزل بيت المقدس * وروي عن علي قال المهدي يولد بالمدينة من
أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم واسمه اسم نبي ويهاجر بيت المقدس
وعن محمد بن الحنفية قال تخرج راية سوداء لبني العباس ثم تخرج من
خراسان اخرى سوداء وثيابهم بيض على مقدمتهم رجل يقال له شعيب
ابن صالح مولى بني تميم يهزمون أصحاب السفياني حتى ينزل بيت المقدس
يوطئ للمهدي سلطانه ويمد اليه ثلثمائة من الشام يكون بين خروجه وبين
ان يسلم اليه الامر ثلاثة وسبعون شهرا وعن شريح بن عبيد عن راشد
ابن سعد وضمرة بن حبيب ومشايخهم قالوا يخرج شعيب بن صالح مولى
بني تميم مختفيا الى بيت المقدس يوطئ للمهدي منزله اذا بلغه خروجه الى
الشام * وعن محمد بن علي قال اذا سمع العابد الذي بمكة بالخسف خرج
مع اثني عشر ألفا فيهم الابدال حتى ينزلوا بايليا يعني بيت المقدس الاثر *
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا رأيتم خليفتين خليفة بيت المقدس يقتل الذي هو دونه يعني بالخليفة
الذي ببيت المقدس المهدي والذي دونه السفياني * وعن سليمان بن
عيسى قال بلغني انه على يد المهدي يظهر تابوت السكينة من بحيرة
طبرية حتى يحمل فيوضع بين يديه في بيت المقدس فاذا نظرت اليه اليهود
أسلموا الا قليلا منهم ثم يموت المهدي * واما ما روي عن أنس بن مالك

عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يزداد الامر الا شدة ولا الناس الا شحا ولا الدنيا الا ادبارا ولا تقوم الساعة الا على شرار الخلق ولا مهدى الا عيسى بن مريم فقال الحافظ أبو محمد انه حديث واه جدا لا يعارض ما تقدم * وعن هشام بن عمار قال سمعت أن رجلا انتقل الى بيت المقدس فقيل له ما نقلك اليها قال بلغني انه لا يزال في بيت المقدس رجل يعمل عمل آل داود والله أعلم *(ذكر بناء عبد الملك بن مروان لقبة الصخرة الشريفة والمسجد الاقصى الشريف وما وقع في ذلك)* لما توفى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعهد بالخلافة الى النفر الذين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وهم عثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهم وشرط ان يكون ابنه عبد الله شريكا في الرأى ولا يكون له حظ في الخلافة بويع بعده بالخلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه واستقر فيها لثلاث مضت من المحرم سنة أربع وعشرين من الهجرة واستمر الى أن استشهد في يوم الاربعاء لثماني عشر ليلة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة وكانت خلافته اثنتى عشرة سنة الا اثنى عشر يوما وفضائله ومناقبه مشهورة * ثم استقر بعده في الخلافة * أمير المؤمنين على بن طالب رضى الله عنه وبويع له بالخلافة في يوم الجمعة لخمس بقين من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة ووقع بينه وبين معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه ما هو مشهور مما ليس في ذكره فائدة والسكوت عنه أولى واستمر الى ان استشهد بالكوفة وكانت وفاته ليلة الاحد تاسع عشر رمضان سنة أربعين من الهجرة وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر ثم استقر بعده في الخلافة ولده الحسن رضى الله عنه بويع له يوم وفاة والده واستمر في الخلافة نحو ستة أشهر وهي تمام ثلاثين سنة لوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تعود ملكا عضوضا وكان آخر ولاية الحسن تمام ثلاثين سنة

وسلم الامر لمعاوية فاستقر فى الخلافة فى شهر ربيع الاول سنة احدى
وأربعين من الهجرة الشريفة واستمر فى الخلافة نحو عشرين سنة الى أن
توفى بدمشق فى النصف من رجب سنة ستين من الهجرة وكان يلقب
بالناصر لحق الله تعالى فلما توفى استقر بعده فى الخلافة ولده يزيد ولقب
نفسه بالمنتصر على أهل الزيغ وكان قد بويع له بالخلافة قبل وفاة أبيه ثم
جددت له البيعة بعد وفاته فأساء السيرة وجار على الرعية وتجاهر
بالمعاصى فلما اشتهر جوره وكثر ظلمه وقتل آل الرسول صلى الله عليه وسلم
اجتمع أهل المدينة على اخراج عامله عثمان بن محمد بن أبي سفيان ومروان
ابن الحكم وسائر بنى أمية وذلك باشارة عبد الله بن الزبير فلما بلغ ذلك يزيد
ابن معاوية سير الجيوش الى اهل المدينة وجهز عليهم مسلم بن عقبة المزنى
فانتهب المدينة الشريفة وقتل أهلها ثم قصد مكة فمات قبل وصوله اليها
واستخلف مسلم على الجيش الحصين بن نمير فأتى مكة وحاصر ابن الزبير
أربعين يوما ونصب المناجيق وهدم الكعبة الشريفة وأحرقها وكان ذلك
قبل موت يزيد باحد عشر يوما فأهلك الله يزيد ومات وكان موته
بحوارين من عمل حمص لاربع عشرة ليلة خلت من ربيع الاول سنة أربع
وستين من الهجرة وهو ابن ثمان وثلاثين سنة وكانت مدة خلافته ثلاث
سنين وثمانية أشهر وكانت سيرته اقبح السير ولو لم يكن منها الا قتل الحسين
فى أيامه وما وقع منه فى حق ذرية النبى صلى الله عليه وسلم لكفاه ذلك فى
قبح السيرة واستقر بعده فى الخلافة بدمشق ولده معاوية بن يزيد بن معاوية
ولقب بالراجع الى الله وكان صالحا فلم يعتن بالخلافة ولا باشرها وأقام
ثلاثة أشهر وقيل دون ذلك وتوفى رحمه الله وكان الناس حين موت يزيد
بايعوا عبد الله بن الزبير بمكة وتلقب بخادم بيت الله وكان مروان بن الحكم
بالمدينة فقصد المسير الى عبد الله بن الزبير ومبايعته ثم توجه مع من توجه
من بنى أمية الى الشأم وبايع أهل البصرة ابن الزبير واجتمع له الحجاز
والعراق واليمن وبعث الى مصر فبايعه أهلها وبايع له فى الشام نمر الضحاك

ابن قيس وبايع له بحمص النعمان بن بشر الانصاري وبايع له بقنسرين
بشر بن دفر بن الحارث الكلابي وكاديتم له الامر بالكلية وشرع ابن الزبير
في بناء الكعبة شرفها الله تعالى وكان ذلك في سنة أربع وستين من الهجرة
الشريفة وكانت حيطانها قد مالت من ضرب المجنيق فهدمها وحفر
أساسها وشهد عنده سبعون من شيوخ قريش وذلك ان قريشا حين
بنوا الكعبة عجزت نفقتهم فنقصوا من سعة بناء البيت سبعة أذرع من
أساس ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام الذي أسسه هو واسماعيل
عليه السلام فبناه عبد الله بن الزبير وزاد فيه السبعة اذرع وأدخل الحجر
في الكعبة واعادها على ما كانت عليه اولا وجعل لها بابين بابا يدخل
منه وبابا يخرج منه فلم يزل البيت على ذلك حتى قتل الحجاج ابن الزبير
كما سنذكره ان شاء الله تعالى فلما مات معاوية بن يزيد بن معاوية بالشام
بويع بالخلافة لمروان بن الحكم ولقب بالمؤتمن بالله وافترق الناس فرقتين
فرقة تهوى بني أمية وفرقة تهوى ابن الزبير ووقع بينهم خلاف وجرى
بينهم وقائع وحروب ثم استقر أمر الشأم لمروان ودخلت مصر تحت طاعته
ثم أمر الناس بالبيعة لولده عبد الملك ومن بعده لاخيه عبد العزيز
فما كان باسرع من ان انقضت مدة مروان فمات بالطاعون بدمشق فجأة
لثلاث خلون من رمضان سنة خمس وستين من الهجرة وكانت مدة
ولايته تسعة أشهر وثمانية عشر يوما وعمره ثلاث وستون سنة
فلما مات بويع لولده عبد الملك بالخلافة في ثالث شهر رمضان سنة
خمس وستين ولقب بالموفق لامر الله وهو أوّل من سمى عبد الملك في
الاسلام وأوّل من ضرب الدراهم والدنانير في الاسلام وكان النقش
على الجانب الواحد الله أحد وعلى الآخر الله الصمد وكانت الدراهم
والدنانير قبل ذلك رومية وكسروية ولما ولى الخلافة وعد الناس يوم بويع
بخير ودعاهم الى احياء الكتاب والسنة واقامة العدل فلما دخلت سنة
ست وستين ابتدأ بناء قبة الصخرة الشريفة وعمارة المسجد الاقصى

الشريف

الشريف وذلك لانه منع الناس عن الحج اشلا يميلوا مع ابن الزبير فضجوا فقصد أن يشغل الناس بعمارة هذا المسجد عن الحج فكان ابن الزبير يشنع على عبد الملك بذلك * وكان من خبر البناء ان عبد الملك بن مروان حين حضر الى بيت المقدس وأمر ببناء القبة على الصخرة الشريفة بعث الكتب فى جميع عمله والى سائر الامصار وأن عبد الملك قد أراد أن يبنى قبة على صخرة بيت المقدس تقى المسلمين من الحر والبرد وان يبنى المسجد وكره ان يفعل ذلك دون رأى رعيته فلتكتب الرعية اليه برأيهم وما هم عليه فوردت الكتب عليه من سائر عمال الامصار نرى رأى أمير المؤمنين موافقا رشيدا ان شاء الله يتم له ما نوى من بناء بيته وصخرته ومسجده ويجرى ذلك على يديه ويجعله تذكرة له ولمن مضى من سلفه فجمع الصناع لعمله وأرصد للعمارة مالا كثيرا يقال انه خراج مصر سبع سنين ووضعه بالقبة الكائنة امام الصخرة من جهة الشرق بعد ان أمر ببنائها وهى من جهة الزيتون وجعلها حاصلا وشحنها بالاموال ووكل على صرف المال فى عمارة المسجد والقبة وما يحتاج اليه أبا المقدام رجاء بن حياة بن جود الكندى وكان من العلماء الاعلام ومن جلساء عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وضم اليه رجلا يدعى يزيد بن سلام مولى عبد الملك بن مروان من أهل بيت المقدس وولديه ويقال ان عبد الملك وصف ما يختاره من عمارة القبة وتكوينها للصناع فصنعوا له وهو ببيت المقدس القبة الصغيرة التى هى شرقى قبة الصخرة التى يقال لها قبة السلسلة فأعجبه تكوينها وأمر ببنائها كهيئتها وأمر رجاء ويزيد بالنفقة عليها والقيام بأمرها وأن يفرغا المال عليها افراغا دون أن ينفقاه انفاقا وأخذوا فى البناء والعمارة عند القبة من شرقى المسجد الى غربيه حتى اكملوا العمل وفرغ البناء ولم يبق للمتكلم فيه كلام وكان البناء الذى هو فى صدر المسجد عند القبلة من شرقى المسجد الى غربيه من السور الذى عند مهد عيسى الى المكان المعروف الآن بجامع المغاربة فكتب رجاء ويزيد الى عبد الملك بدمشق قد أتم

الله ما أمر به أمير المؤمنين من بناء قبة صخرة بيت المقدس والمسجد الاقصى
ولم يبق لمتكلم فيه كلام وقد بقى مما أمر به أمير المؤمنين من النفقة عليه
بعد ان فرغ البناء وأحكم مائة ألف دينار فيصرفها أمير المؤمنين فيما أحب
فكتب اليهما أمير المؤمنين قد أمرت بها لكما جائزة لما وليتما من عمارة
البيت الشريف المبارك فكتبا اليه نحن أولى ان نزيده من حلى نسائنا
فضلا عن أموالنا فاصرفها فى أحب الاشياء اليك فكتب اليهما بان
تسبك وتفرغ على القبة فسبكت وافرغت عليها فما كان أحد يقدر
ان يتأملها مما عليها من الذهب وهيأ لها جلالا من لبود وأدم توضع من
فوقها فاذا كان الشتاء ألبستها لتكنها من الامطار والرياح والثلوج ثم
بعد انتقال الخلافة الى المنتقم لله الوليد بن عبد الملك انهدم شرقى المسجد
ولم يكن فى بيت المال حاصل فأمر بضرب ذلك وانفاقه على ما انهدم منه
وكانت ولاية الوليد فى شوال سنة ست وثمانين ومات فى جمادى الآخرة
سنة ست وتسعين من الهجرة وكان رجاء بن حياة ويزيد بن سلام قد حفا
الصخرة بدرابزين ساسم ومن خلف الدرابزين ستور الديباج مرخاة بين
العمد وكان كل يوم اثنين وخميس يأمران بالزعفران فيدق أو يطحن ثم
يعمل من الليل بالمسك والعنبر والماورد الجورى ويخمر بالليل ثم
يأمر الخدم بالغداة فيدخلون حمام سليمان يغتسلون ويتطهرون
ثم يأتون الى الخزانة التى فيها الخلوق فيلقون أثوابهم عنهم ثم يخرجون
أثوابا جددا من الخزانة مروية وهروية وشيئا يقال له العصب ومناطق
محلاة يشدون بها اوساطهم ثم يأخذون الخلوق ويأتون به الى الصخرة
فيلطخون ما قدروا أن تناله أيديهم حتى يغمروه كله وما لا تناله
أيديهم غسلوا أقدامهم ثم يصعدون على الصخرة حتى يلطخوا ما بقى منها
وتفرغ آنية الخلوق ثم يأتون بمجامر الذهب والفضة والعود القمارى
والند مطرى بالمسك والعنبر فترخى الستور حول الاعمدة كلها ثم
يأخذون البخور ويدورون حولها حتى يحول البخور بينهم وبين القبة من

كثرته ثم تشمر الستور فيخرج البخور ويفوح من كثرته حتى يبلغ الى رأس
السوق فيشم الريح من يمر من هنالك وينقطع البخور من عندهم ثم ينادى
مناد فى صف البزازين وغيرهم ألا ان الصخرة قد فتحت للناس فمن أراد
الصلاة فيها فليأت فتقبل الناس مبادرين الى الصلاة فى الصخرة فأكثر
الناس من يدرك أن يصلى ركعتين وأقلهم أربعا فمن شم رائحته قال هذا ممن
دخل الصخرة ثم تغسل آثار اقدامهم بالماء وتمسح بالآس الاخضر وتنشف
بالمناديل وتغلق الابواب وعلى كل باب عشرة من الحجبة ولا تفتح الا يوم
الاثنين ويوم الخميس ولا يدخلها فى غيرهما الا الخدم * وعن أبى بكر بن
الحارث رضى الله عنه قال كنت أسرجها فى خلافة عبد الملك كلها
بالبان المدينى والزنبق الرصاصى قال وكانت الحجبة يقولون له يا أبا بكر
مر لنا بقنديل نذهن به ونتطيب فكان يجيبهم الى ذلك وكان يفعل بها ذلك
فى أيام خلافة عبد الملك بن مروان كلها * قال الوليد وحدثنا عبد
الرحمن بن محمد بن منصور بن ثابت قال حدثنى أبى عن أبيه عن جده قال
كان فى السلسلة التى فى وسط القبة على الصخرة درة ثمينة وقرنا كبش
ابراهيم وتاج كسرى معلقات فى أيام عبد الملك بن مروان فلما صارت
الخلافة الى بنى هاشم حولوها الى الكعبة حرسها الله تعالى * وكان الفراغ
من عمارة قبة الصخرة والمسجد الاقصى فى سنة ثلاث وسبعين من الهجرة
الشريفة وهى السنة التى قتل فيها عبد الله بن الزبير * وكان من خبره أن
عبد الملك بن مروان لما صفا له الوقت وثبت أمره فى الخلافة بعث الحجاج
ابن يوسف الثقفى الى حرب عبد الله بن الزبير بمكة فأتى الحجاج الطائف فأقام
بها شهرا ثم زحف الى مكة فحاصر ابن الزبير فى هلال ذى القعدة سنة اثنتين
وسبعين ودام الحصار حتى غلت الاسعار وأصاب الناس مجاعة
وزاد الحجاج فى الحصار والقتال ورمى الكعبة بالمجنيق فلما رمى به
أرعدت السماء وأبرقت وجاءت صاعقة تتبعها اخرى فقتلت من أصحاب
الحجاج اثنى عشر رجلا واشتد القتال وخرج ابن الزبير فقاتل قتالا شديدا

وتكاثرت أهل الشام ألوفا من كل جانب فشدخوه بالحجارة فانصرع فاكب عليه موليان له فقتلوا جميعا وتفرق أصحابه وأمر به الحجاج فصلب وكان ذلك فى يوم الثلاثا لاربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين من الهجرة الشريفة بعد قتال سبعة أشهر وكان له من العمر حين قتل نحو ثلاث وسبعين سنة وهو أول من ولد للمهاجرين بعد الهجرة لانه بويع له سنة أربع وستين وكان سلطانه بالحجاز والعراق وخراسان وأعمال الشرق وكان كثير العبادة مكث أربعين سنة لم ينزع ثوبه عن ظهره وكانت خلافته تسع سنين وكان رضى الله عنه له جمة مفروقة طويلة ولما صلب علق الحجاج الى جانبه كلبا ميتا ومنع والدته من دفنه وكان لها من العمر مائة سنة وهى اسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنها وكانت تدعى بذات النطاقين ثم كتب الحجاج الى عبد الملك يخبره بصلبه فكتب اليه يلومه ويقول هلا خليت بينه وبين أمه فأذن لها فدفنته وماتت بعده بقليل وبعث الحجاج الى عبد الملك يعلمه بما زاده ابن الزبير فى الكعبة فأمر عبد الملك بهدمه ورده الى ما كان عليه فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يجعل له بابا واحدا ففعل الحجاج ذلك وهو البناء الموجود فى عصرنا * وقد تقدم ذكر ما وقع من البناء والهدم فى الكعبة وخلاصة الامر أن سيدنا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام بنى الكعبة وهى بيت الله الحرام كما تقدم عند ذكره بعد مضى مائة سنة من عمره واستمر بناؤه نحو الفى سنة وسبعمائة وخمس وسبعين سنة الى ان هدمته قريش فى سنة خمس وثلاثين من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنوه كما تقدم وهو البناء الثانى واستمر نحو اثنتين وثمانين سنة ثم هدمه الحصين وأحرقه فى أيام يزيد بن معاوية كما تقدم وذلك فى سنة أربع وستين من الهجرة ثم بناه عبد الله بن الزبير على قواعد ابراهيم وهو البناء الثالث واستمر نحو تسع سنين ثم هدمه الحجاج وقتل ابن الزبير فى سنة ثلاث وسبعين من الهجرة ثم بناه الحجاج وأخرج الحجر من البيت

وجعله

وجعله على ما كان عليه فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو البناء الرابع وكان فى سنة أربع وسبعين من الهجرة واستمر على ما هو عليه الى هذا التاريخ وهو آخر سنة تسعمائة وكانت الكعبة تكسى القباطى ثم كسيت البرود وأول من كساها الديباج الحجاج بن يوسف * وأما ذرع جدران الكعبة الشريفة فطول جدارها الشرقى من أعلا الشاخص الى أرض المطاف ثلاثة وعشرون ذراعا وثلث ذراع بذراع الحديد وكذلك جدرانها الثلاث سوى الشامى فانه ينقص عن الشرقى ربع ذراع والجدار الغربى ينقص عن الجدار الشرقى ثمن ذراع والجدار اليمانى كالشرقى سواء بسواء ذكر ذلك الفارسى فى تاريخه المختصر وذكره وغيره من المؤرخين عرض البيت الشريف من كل جهة وحرروا ذلك وليس هذا المحل ذكره خشية الاطالة * واما أخبار توسعة المسجد الحرام وعمارته فأول من وسعه عمر بن الخطاب رضى الله عنه بدور اشتراها ودور هدمها على من ابى البيع وترك ثمنها لاربابها فى خزانة الكعبة وذلك فى سنة خمس عشرة من الهجرة وكذلك فعل عثمان فى سنة ست وعشرين من الهجرة ثم وسع عبد الله بن الزبير من جانبه الشرقى والشامى واليمانى ثم وسع المنصور العباسى من جانبيه الشمالى والغربى وكان ما زاده مثل ما كان من قبل وابتدأ فى العمل فى المحرم سنة سبع وثلاثين ومائة وفرغ فى ذى الحجة سنة أربعين ومائة * ثم ان الخليفة المهدى هو أبو عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور العباسى حج فى سنة ستين ومائة وجرد الكعبة وطلى جدرانها بالمسك والعنبر من أعلاها الى أسفلها ووسع المسجد من جانبيه اليمانى والغربى حتى صار على ما هو عليه اليوم خلا الزيادتين فانهما أحدثا بعده وكانت الكعبة الشريفة فى جانب المسجد ولم تكن متوسطة فهدم حيطان المسجد واشترى الدور والمنازل وأحضر المهندسين وصير الكعبة فى الوسط وكانت توسعته فى نوبتين الاولى فى سنة احدى وستين والثانية فى سنة سبع وستين ومائة وهى السنة التى

عمر فيهما مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس لاحد من الامراء فى عمارة المسجد الحرام من النفقة مثل ما للمهدى رحمه الله وممن عمره من غير توسعة عبد الملك بن مروان رفع جدرانه وسقفه بالساج وعمره ابنه الوليد وسقفه بالساج المزخرف وازره من داخله بالرخام وزيد فيه بعد المهدى زيادة دار الندوة بالجانب الشامى والزيادات المعروفة بزيادة باب ابراهيم بالجانب الغربى وكان انشاء زيادة دار الندوة فى زمن المعتضد العباسى وابتداء الكتابة اليه فيها فى سنة احدى وثمانين ومائتين وكان عمل الزيادة التى بباب ابراهيم فى سنة ست وسبعين وثلاثمائة ووقع فى المسجد الحرام بعد ذلك عمارات كثيرة * واما ذرع المسجد الحرام غير الزيادتين فذكره بعض المؤرخين باعتبار ذراع اليد وحرره بعضهم بذراع العمل الحديد فكان طوله من جداره الغربى الى جداره الشرقى المقابل له ثلثمائة ذراع وستة وخمسين ذراعا وثمن ذراع بالذراع الحديد فيكون ذلك بذراع اليد اربعمائة وسبعة أذرع وذلك من وسط جداره الغربى الذى هو جدار رباط الجوزى الى وسط جداره الشرقى عند باب الجنائز ثم يمر به فى الحجر ملاصقا جدار الكعبة الشامى وكان عرضه من جداره الشامى الى جداره اليمانى مائتى ذراع وستا وستين ذراعا بذراع الحديد فيكون بذراع اليد ثلثمائة ذراع وأربعة أذرع وذلك من وسط جداره القديم عند العقود الى وسط جداره اليمانى الذى فيما بين باب الصفا وباب أجياد يمر به فيما بين مقام ابراهيم والكعبة وهو الى المقام اقرب * واما ذرع زيادة دار الندوة فهو أربعة وسبعون ذراعا الا ربع ذراع بالحديد وذلك من جدار المسجد الحرام الكبير الى الجدار المقابل له الشامى منها وعنده باب منارتها هذا ذرعها طولا واما عرضها فسبعون ذراعا ونصف ذراع وذلك من وسط جدارها الشرقى الى وسط جدارها الغربى واما زيادة باب ابراهيم فذرعها طولا تسع وخمسون ذراعا الا سدس ذراع وذلك من الاساطين التى هى فى موازاة المسجد الكبير

الى العتبة التى هى فى باب هذه الزيادة واما ذرعها عرضا فاثنان وخمسون
ذراعا وربع ذراع وذلك من صدر باب الحوزى الى جدار رباط رامشت
* واما عدد أبواب المسجد الحرام فتسعة عشر بابا تفتح على ثمان
وثلاثين طاقة فمنها فى الجانب الشرقى * باب بنى شيبة بثلاث طاقات *
وباب السلام * وباب الجنائز طاقتان * وباب العباس ثلاث طاقات
وباب على ثلاث طاقات وفى الجانب اليمانى * باب بازان * وباب البغلة
* وباب الصفا * وباب أجياد الصغير * وباب المجاهدين * وباب مدرسة
الشريف عجلان * وباب أم هانئ وكل من أبواب هذا الجانب طاقتان
الا باب الصفا فخمسة وفى الجانب الغربى * باب غرورة وهو تصحيف لانها
الحزوره وهو طاقتان * وباب ابراهيم نسبه لابراهيم الخياط كان عندهم
وبعضهم نسبه لابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وهو بعيد وهو طاقة
واحدة * وباب العمرة طاقة واحدة وفى الجانب الشمالى * باب السدة *
وباب دار العجلة * وباب الزيادة واحدة * وباب السكينة وكل منها طاقتان
الا باب الزيادة فهو طاقة * وعدة ما فيه من المنائر خمس منارات وزيدت
منارة سادسة لمدرسة السلطان الملك الاشرف قايتباى نصره الله تعالى *
ومما وقع فى الكعبة الشريفة فى سنة سبع عشرة وثلثمائة فى أيام المهدى
بالله عبيد الله أول خلفاء الفاطميين وكان خليفة بغداد فى ذلك العصر
المقتدر بالله أبو الفضل جعفر العباسى أنّ أبا طاهر سليمان القرمطى
صاحب البحرين قصد مكة ودخلها يوم التروية وهو ثامن الحجة فنهب
أموال الحجاج وقتل الناس فى رحاب مكة وشعابها حتى فى المسجد الحرام
وفى جوف الكعبة ودفن القتلى فى بئر زمزم وفى المسجد الحرام وأمر
بقلع باب الكعبة ونزع كسوتها عنها وشققها بين أصحابه وهدم قبة زمزم
وأمر بقلع الحجر الاسود وأخذه الى هجر واستمر ببلادهم ثنتين وعشرين
سنة ولم يردّ الى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة ولما صنف الامام أبو القاسم
عمر بن الحسين الخرقى الحنبلى كتاب الخلاصة فى فقه مذهب الامام أحمد

رضى الله عنه قال فى كتاب الحج فى باب ذكر الحج ودخول مكة واذا دخل المسجد الحرام فالمستحب أن يدخل من باب بنى شيبة فاذا رأى البيت رفع يديه وكبر الله تعالى ثم أتى الحجر الاسود ان كان وانما قال ذلك لان تصنيفه الكتاب كان حال كون الحجر الاسود بأيدى القرامطة حين أخذوه من مكانه ولم يردوه الا بعد وفاة أبى القاسم الخرقى فى التاريخ المتقدم ذكره فان أبا القاسم رحمه الله توفى بدمشق المحروسة فى سنة أربع وثلاثين وثلثمائة قبل اعادة الحجر الى مكانه بخمس سنين ﴿ذكر صفة المسجد الاقصى وما كان عليه فى زمن عبد الملك وبعده﴾ روى الحافظ بهاء الدين بن عساكر انه كان فيه فى ذلك الوقت من الخشب المسقف سوى أعمدة خشب ستة آلاف خشبة وفيه من الابواب خمسون بابا قال القرطبى منها باب داود وباب سليمان وباب حطه وباب محمد عليه الصلاة والسلام وباب التوبة الذى تاب الله عز وجل على داود فيه وباب الرحمة وأبواب الاسباط ستة أبواب وباب الوليد وباب الهاشمى وباب الخضر وباب السكينة وكان فيه من العمد ستمائه عمود من رخام وفيه من المحاريب سبعة ومن السلاسل للقناديل اربعمائة سلسلة الا خمسة عشر منها مائتا سلسلة وثلاثون سلسلة فى المسجد الاقصى والباقى فى قبة الصخرة الشريفة وذرع السلاسل أربعة آلاف ذراع ووزنها ثلاثة وأربعون الف رطل بالشامى وفيه من القناديل خمسة آلاف قنديل وكان يسرج مع القناديل ألفا شمعة فى ليلة الجمعة وفى ليلة النصف من رجب وشعبان ورمضان وفى ليلتى العيدين وفيه من القباب خمسة عشر قبة سوى قبة الصخرة وعلى سطح المسجد من شقف الرصاص سبعة آلاف شقفة وسبعمائة ووزن الشقفة سبعون رطلا بالشامى غير الذى على قبة الصخرة وكل ذلك عمل فى أيام عبد الملك بن مروان ورتب له من الخدم القوام ثلثمائة خادم اشتريت له من خمس بيت المال كلما مات منهم واحد قام مكانه ولده أو ولد ولده أو من أهلهم يجرى عليهم ذلك أبدا

ماتناسلوا وفيه من الصهاريج أربعة وعشرون صهريجا كبارا وفيه من المنابر أربعة ثلاثة منها صف واحد غربي المسجد وواحدة على باب الاسباط وكان له من الخدم اليهود الذين لا يؤخذ منهم جزية عشرة رجال وتوالدوا فصاروا عشرين لكنس أوساخ المسجد الناشئ فى المواسم والشتاء والصيف ولكنس المطاهر التى حول الجامع وله من الخدم النصارى عشرة أهل بيت يتوارثون خدمته لعمل الحصر ولكنس حصر المسجد وكنس القناة التى يجرى فيها الماء الى الصهاريج وكنس الصهاريج أيضا وغير ذلك وله من الخدم اليهود جماعة يعملون الزجاج القناديل والاقداح والثريات وغير ذلك لا يؤخذ منهم جزية ولا من الذين يقومون بالقش لفتائل القناديل جاريا عليهم وعلى أولادهم أبدا ماتناسلوا من عهد عبد الملك بن مروان وهلم جرا * وتوفى عبد الملك بن مروان بدمشق فى يوم الخميس لخمس عشرة ليلة مضت من رمضان سنة ست وثمانين من الهجرة الشريفة وعمره ستون سنة وكانت خلافته منذ قتل ابن الزبير واجتماع الناس له ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر تنقص سبع ليال وكان بالشام وماوالاها قبل قتل ابن الزبير بسبع سنين ونحو تسعة أشهر ومات الحجاج فى شهر رمضان وقيل شوال سنة خمس وتسعين للهجرة وله ثلاث وخمسون سنة وكان موته بواسط وهو الذى بناها وأخفى قبره واجرى عليه الماء * ومات رجاء بن حياة الذى تولى بناء الصخرة والمسجد الاقصى فى سنة اثنتى عشرة ومائة وكان رأسه أحمر ولحيته حمراء * ولما ولى سليمان بن عبد الملك الاموى الخلافة بعد أخيه الوليد فى سنة ست وتسعين من الهجرة أتى بيت المقدس وأتته الوفود بالبيعة فلم ير وفادة كانت اهنى من الوفادة اليه فكان يجلس فى قبة فى صحن مسجد بيت المقدس مما يلى الصخرة ولعلها القبة المعروفة بقبة سليمان عند باب الدويدارية ويبسط البسط بين يدى قبته عليها النمارق والكراسى فيجلس ويأذن للناس فيجلسون على الكراسى والوسائد والى جانبه

الاموال وكتاب الدواوين وقد همّ بالاقامة ببيت المقدس واتخاذها منزلا وجمع الاموال والناس بها وكان رحمه الله تعالى يعظم العلماء قال ابن سيرين رحمه الله يرحم الله سليمان بن عبد الملك افتتح خلافته بخير فصلى الصلوات لمواقيتها وختمها بخير فاستخلف عمر بن عبد العزيز وكان يلقب بالمهدى بالله الداعى الى الله توفى سنة تسع وتسعين من الهجرة وله خمس وأربعون سنة رحمه الله * وعن عطاء عن أبيه قال كانت اليهود تسرج بيت المقدس فلما ولى عمر بن عبد العزيز أخرجهم وجعل فيه من الخمس فأتاه رجل من أهل الخمس وقال له اعتقنى فقال كيف اعتقك ولو ذهبت انظر ما كان لى شعرة من شعر جسدك وكانت ولاية عمر بن عبد العزيز فى صفر سنة تسع وتسعين من الهجرة وكان يلقب بالمعصوم بالله وخلافته سنتان وخمسة أشهر وتوفى بدير سمعان من أعمال حمص يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة احدى ومائة رضى الله عنه * وروى عن عبد الرحمن بن محمد بن منصور بن ثابت عن أبيه عن جده ان الابواب كلها كانت ملبسة بصفائح الذهب والفضة فى خلافة عبد الملك بن مروان فلما قدم أبو جعفر المنصور العباسى وكان شرقىّ المسجد وغربيه قد وقعا فقيل له يا أمير المؤمنين قد وقع شرقىّ المسجد وغربيه من الرجفة فى سنة ثلاثين ومائة ولو أمرت ببناء هذا المسجد وعمارته فقال ما عندى شئ من المال ثم أمر بقلع الصفائح الذهب والفضة التى كانت على الابواب فقلعت وضربت دنانير ودراهم وأنفقت عليه حتى فرغ وكانت خلافة المنصور فى سنة ست وثلاثين ومائة وهو ثانى الخلفاء من بنى العباس وهو الذى بنى مدينة بغداد وكان الابتداء فى بنائها فى سنة خمس وأربعين ومائة وتوفى يوم السبت لست ليال خلت من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة وله خمس وستون سنة ودفن بمكة ثم كانت الرجفة الثانية فوقع البناء الذى كان أمر به أبو جعفر ثم قدم المهدى من بعده وهو خراب فرفع ذلك اليه فأمر ببنائه وقال رث هذا المسجد وطال وخلا من الرجال

انقصوا من طوله وزيدوا فى عرضه فتم البناء فى خلافته وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور الملقب بالمهدى بويع بالخلافة لست خلون من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة بين الركن والمقام ولما قدم المهدى يريد بيت المقدس دخل مسجد دمشق ومعه أبو عبد الله الاشعرى كاتبه فقال له يا أبا عبد الله سبقنا بنو أمية بثلاث فقال وماهى يا أمير المؤمنين فقال بهذا البيت يعنى المسجد لا اعلم على ظهر الارض مثله وبنبل الموالى فان لهم موالى ليس لنا مثلهم وبعمر بن عبد العزيز لا يكونن فينا والله مثله أبدا ثم اتى بيت المقدس ودخل الصخرة فقال يا أبا عبد الله وهذه رابعة وتوفى المهدى فى يوم الخميس لثمان بقين من المحرم سنة تسع وتسعين ومائة وله ثمان وأربعون سنة * قال الحافظ ابن عساكر وطول المسجد الاقصى سبعمائة ذراع وخمسة وخمسون ذراعا بذراع الملك وعرضه أربعمائة ذراع وخمسة وستون ذراعا بذراع الملك وكذا قال أبو المعالى المشرف * قال صاحب مثير الغرام أتيت الى زيارة القدس والشام ولكن رأيت قديما بالحائط الشمالى التى فوق الباب مما يلى باب الدويدارية من داخل السور بلاطة فيها طول المسجد وعرضه وذلك مخالف لما ذكرناه فالذى فيها ان طوله سبعمائة ذراع وأربع وثمانون ذراعا وعرضه أربعمائة ذراع وخمسة وخمسون ذراعا قال ووصف فيها الذراع لكنى لم اتحقق ذلك هل هو الذراع المذكور ام غيره لتشعث الكتابة قال وقد ذرع بالحبال طوله وعرضه فى وقتنا هذا فجاء قدر طوله من الجهة الشرقية ستمائة ذراع وثلاثة وثمانين ذراعا ومن الغربية ستمائة ذراع وخمسين ذراعا وجاء قدر عرضه اربعمائة وثمانية وثلاثين ذراعا خارجا عن عرض سوره انتهى * واما طوله وعرضه فى عصرنا هذا وهو أواخر سنة تسعمائة فسأذكرهما مستوفيا فيما بعد عند ذكر صفة المسجد الاقصى وما هو عليه فى عصرنا فاذكر طوله من جهة القبلة الى جهة الشمال وعرضه من جهة الشرق الى جهة الغرب وكذلك داخل الجامع الاقصى من عند المحراب

المجاور للمنبر الى باب الدخول له وعرضه وصحن الصخرة الشريفة وارتفاع القبة وأستوفى ذكر ذلك طولا وعرضا بذراع العمل الذى تذرع به الابنية فى عصرنا وأحرر ذلك حسب الامكان ان شاء الله تعالى * ومما وجد فى بيت المقدس على بعض الصخرات مانقله أبو سليمان الخطابى فى كتاب العزلة عن ذى النون انه قال وجدت صخرة ببيت المقدس عليها أسطر مكتتبة فبحثت ترجمتها فاذا عليها مكتوب كل عاص مستوحش وكل مطيع مستأنس وكل خائف هارب وكل راج طالب وكل قانع غنى وكل محب ذليل * وعن أبي بكر الطرطوسى رحمه الله قال كنت ليلة قائما فى المسجد الاقصى فلم يرعنى الا صوت كاد يصدع القلب وهو يقول شعر

أخوف وأمن ان ذا لعجيب * ثكلتك من قلب فأنت كذوب
اما وجلال الله لو كنت صادقا * لما كان للاغماض فيك نصيب

فوالله لقد أبكى العيون وأشجى القلوب * وقال سهل بن حاتم وكان من العابدين حدثنى أبو سعيد رجل من الاسكندرية قال كنت أبيت فى بيت المقدس وكان قليلا ما يخلو من المتهجدين قال فقمت ذات ليلة بعد ما مضى من الليل طويل فنظرت فلم أر فى المسجد متهجدا وذكر انه سمع قائلا ينشد شعرا

ايا عجبا للناس لذت عيونهم * مطاعم غمض بعده الموت ينتصب

قال فسقطت على وجهى وذهب عقلى فلما افقت نظرت واذا لم يبق متهجد الا قام * وقيل انه دخل بيت المقدس فى زمن بنى اسرائيل خمسمائة عذراء لباسهن الصوف يتذاكرن ثواب الله تعالى وعقابه فمتن جميعا من الخوف وروى البيهقى عن ابن شهاب انه فى صبيحة قتل الحسين بن على رضى الله عنه لم يرفع حجر فى بيت المقدس الا وجد تحته دم وكذلك يوم قتل والده على رضى الله عنهما وكان قتل الحسين رضى الله عنه بكربلاء يوم عاشوراء سنة احدى وستين من الهجرة *(ذكر جماعة من أعيان التابعين) والعلماء والزهاد ممن دخلوا بيت المقدس بعد الفتح العمرى وعمارة عبد الملك بن مروان فمنهم من دخله زائرا ومنهم من دخله مستوطنا وذلك قبل استيلاء

الافرنج عليه فنهم جماعة لم أطلع على تاريخ وفاتهم * وهم أويس بن عامر القرني من بني قرن صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه أمر عمر أن يسأله أن يستغفر له * قيل انه اجتمع بعمر رضي الله عنه ببيت المقدس وقيل انما لقيه في الموسم فقال لعمر قد حججت واعتمرت وصليت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ووددت لواني صليت في المسجد الاقصى فجهزه عمر وأحسن جهازه وأتى المسجد الاقصى فصلى فيه ثم أتى الكوفة وخرج غازيا راجلا الى بغداد فأصابه البطن والتجأ الى أهل خيمة فمات عندهم ومعه جراب وقضيب فقالوا لرجلين منهم اذهبا فاحفرا له قبرا قالوا فنظرنا في جرابه فاذا فيه ثوبان ليسا من ثياب أهل الدنيا وجاء الرجلان فقالا أصبنا قبرا محفورا في صخرة كأنما رفعت عنه الايدي الساعة فكفنوه ثم دفنوه ثم التفتوا فلم يروا شيئا ويقال قتل بصفين سنة سبع وثلاثين من الهجرة الشريفة ويقال مات بدمشق ودفن بها والله أعلم * وعبيد عامل عمر رضي الله عنه على بيت المقدس لما وقع الطاعون في بيت المقدس كان عمر استعمله عليه فجعلت الجنائز تغسل وهو يصلي عليها وجعل لا يحمل الجنائز الا الشباب * وعمير بن سعد من عمال عمر بن الخطاب رضي الله عنه على حمص ويعلى بن شداد بن ثابت من الطبقة الثانية من تابعي أهل الشام حضر فتح بيت المقدس وكان ثقة روى عنه جماعة * وأبو نعيم المؤذن أول من اذن ببيت المقدس فكان عبادة بن الصامت والياعلى ايليا فابطأ بصلاة الصبح فأقام أبونعيم الصلاة فصلى فحضر عبادة وهو يصلي فصلى بصلاته * أبو الزبير المؤذن الدارقطني مؤذن بيت المقدس قال جاءنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال اذا اذنت فترسل واذا أقمت فاحذر * أبو سلام الجيشي واسمه محظور ويقال الباهلي الدمشقي كان يقدم بيت المقدس ويقرأ على عبادة بن الصامت ويروي عنه * أبو جعفر الجرشي روى عنه انه قال دخلت مع عبادة بن الصامت مسجد بيت المقدس فرأى رجلا يصلي واضعا نعله عن يمينه أو عن شماله فقال له لولا انك

تناجى ربك لعلوت رأسك بهذه العصا تفعل كفعل أهل الكتاب * وخالد بن معدان الكلاعى العبد الصالح الفقيه الكبير كان يسبح فى اليوم أربعين ألف تسبيحة أتى بيت المقدس ونزل من على ستة اميال ولم يصل فيه غير خمس صلوات * أم الدرداء هجيمة ويقال جهيمة خطبها معاوية بن أبى سفيان فأبت وقالت سمعت أبا الدرداء يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المرأة لآخر ازواجها فان اردت ان تكونى زوجتى فى الجنة فلا تتخذى من بعدى زوجا وكانت تأتى من دمشق الى بيت المقدس فاذا مرت على الجبال قالت لقائدها أسمع الجبال ماوعدها ربها فيقرأ ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا ولا امتا ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا وكانت تجالس المساكين ببيت المقدس وتقيم به نصف سنة وبدمشق نصف سنة * وأبو العوام مؤذن بيت المقدس روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان السور المذكور فى القرآن هو سور بيت المقدس الشرقى * وقبيصة بن دويب * وعبد الله بن محيريز * وهانى بن كلثوم كل هؤلاء كانوا عبادا زهادا فقبيصة كان عالما ربانيا مات سنة ثمان وستين من الهجرة وابن محيريز قرشى جمحى مكى نزل بيت المقدس قال رجاء بن حياة ان نفخر علينا أهل المدينة بعابدهم ابن عمر فانا نفتخر بعابدنا ابن محيريز انما كنت اعد بقاءه امانا لاهل الارض مات قبل المائة وهانئ عرضت عليه امارة فلسطين فامتنع وكان الثلاثة يقصرون الصلاة من الرملة الى بيت المقدس * ومحارب بن دثار وكان قاضيا وهو من العلماء الزهاد وحديثه مخرج فى كتب الاسلام قال صحبنا القاسم بن عبد الرحمن الى بيت المقدس فغلبنا على ثلاث على قيام الليل والبسط فى النفقة والكف عن الناس * وعبد الله بن فيروز الديلمى مقدسى ثقة خرج له أبو داود والنساءى وابن ماجه وله أخ يقال له الضحاك بن فيروز ثقة أيضا * وزياد بن أبى سودة مقدسى روى عن عبادة بن الصامت

وأبي هريرة وهو من الثقات * وأبو الحسن الزهري الاندلسي كان مقيما ببيت المقدس سمعه أبو عبد الله محمد الصوري في بقية بسمع محمد بن العباس العيني قال سمعت الشبلي وقد سأله رجل فقال له يا أبا بكر ما تقول في رجل كان له حظ في قيام الليل فتركه ثم عاد وهو مجتهد ان ينا له فلا يقدر قال فانشأ يقول

تشاغلتموا عنا بصحبة غيرنا * وأظهرتموا الهجران ما هكذا كنا

وروى عن جماعة * وابراهيم بن محمد بن يوسف العرباني نزل بيت المقدس وروى عن جماعة وروى عنه جماعة وحديثه في كتاب ابن ماجه * وأبو عتبة الخواص عباد بن عباد الارسوفي قدم بيت المقدس وكان ثقة قال رأيت ببيت المقدس شيخا كانه محترق بنار وعليه مدرعة سوداء وعمامة سوداء طويل الصمت كريه المنظر كثير الشعر شديد الحزن فقلت يرحمك الله لو غيرت لباسك هذا فقد علمت ما جاء في البياض فبكى وقال هذا أشبه بلباس المصاب وانما نحن في الدنيا في حداد وكأنا قد دعينا ثم غشى عليه * وعابد ببعض قرى بيت المقدس في زمن ثور بن يزيد قال محمد بن المعتصم سمعت أبي يقول سمعت منبه بن عثمان اللخمي يقول كان ثور بن يزيد قد سكن بيت المقدس وكان رجل متعبد في بعض قرى بيت المقدس يجلس الى ثور بن يزيد وكان يغدو من قريته مع الفجر فيصلي الصلوات كلها في بيت المقدس وينصرف بعد العشاء الآخرة الى قريته وقد سمع ثورا يحدث أن خالد بن معدان حدثه بحديث رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال من رأى شيئا يهوله او يفزعه فليقل ان الله هو الذي ليس كمثله شئ وهو الواحد القهار ما قالها أحد الا فرج الله عنه ولو كان بين يديه سور من حديد وانصرف ذلك الرجل ليلة من الليالي الى الطريق فاذا بأسود بين يديه قد منعه من المسير فذكر حديث خالد فقاله ففرج الله عنه فمضى فلقي حمار وحش فالتحافاه يريد ليأكل يده فذكر حديث ثور فقاله فولى الحمار وهو يقول لا يرحم الله ثورا كما علمك * وعبد الله بن عامر العامري قال

سألت راهبا ببيت المقدس فقلت له يا راهب ما أول الدخول في العبادة قال الجوع قلت وما دليل ذلك قال لان الجسد خلق من تراب والروح من ملكوت السموات فاذا شبع الجسد ركن الى الارض واذا لم يشبع اشتاق الى الملكوت قلت ما سبب الجوع قال ملازمة الذكر والخضوع *وأبو عبد الله بن خصيف خرج من شيراز الى مكة ثم أتى بيت المقدس ثم دخل الشام رحمه الله *وقاسم الزاهد قال رأيت راهبا على باب بيت المقدس كالولهان لا يرقأ له دمع فهالني أمره فقلت يا أيها الراهب أوصني وصية أحفظها عنك فقال كن كرجل احتوشته السباع والهوام فهو خائف مذعور يخاف ان يسهو فتفترسه او يلهو فتنهشه فليله ليل مخافة اذا أمن فيه المغترون ونهاره نهار حزن اذا فرح فيه البطالون ثم ولى وتركني فقلت لو زدتني شيئا عسى الله ان ينفعني به فقال يا هذا ان الظمآن يكفيه من الماء أيسره *ومحمد بن محمد بن حاتم بن محمد بن عبد الكريم الطائي أبو الحسن الطوسي تفقه على امام الحرمين وكان صدوقا خبيرا فقيها وفيا دخل بيت المقدس وسمع به الحديث *أبو محمد عبد الله بن الوليد بن سعد بن بكر الانصاري الفقيه المالكي سكن مصر وروى بها عن أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني وغيره قال ابن الوليد انبانا أبو محمد بن أبي زيد قال جماع آداب الخير وأزمته في أربعة احاديث قول النبي صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت وقوله من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وقوله للذي اختصر له في الوصية لا تغضب وقوله المؤمن يحب لاخيه ما يحب لنفسه توفي ابن الوليد ببيت المقدس ووفاة ابن أبي زيد في سنة ثمان وثمانين وثلثمائة فيعلم من ذلك العصر الذي كان فيه ابن الوليد *وجعفر بن محمد النيسابوري قدم بيت المقدس في سنة سبعين وثلثمائة وقال سمعت الحسن بن الصباغ البزار يقول سمعت الوليد بن مسلم يقول سمعت بلال بن سعد يقول لا تنظر الى صغر الخطيئة وانظر من عصيت والله سبحانه وتعالى اعلم *ومنهم

جماعة ارخت وفاتهم وذكرتهم على ترتيب الوفيات * وهم كعب الاحبار
ابن مانع الحميري أبو اسحاق كان يهوديا فأسلم في خلافة أبي بكر وقيل عمر
قال له العباس ما منعك الاسلام الى عهد عمر فقال ان أبي كتب لي كتابا من
التوراة ودفعه الي وقال اعمل بهذا وختم على سائر كتبه وأخذ علي بحق
الوالدين لا افض الخاتم فلما رأيت الاسلام يظهر قالت لي نفسي لعل اباك
غيب عنك علم كتبك فلو قرأته ففضضت الكتاب فوجدت فيه صفة محمد
صلى الله عليه وسلم وامته فأسلمت الآن سكن الشام وروى عن جماعة
من الصحابة كأبي هريرة وتقدم انه دخل بيت المقدس واستشاره عمر
في موضع القبلة توفي بحمص سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة في زمن خلافة
عثمان رضي الله عنه * وابراهيم بن أبي عبلة العقيلي المقدسي روى عن ابي
امامة وانس وروى عنه الامامان مالك وابن المبارك توفي سنة اثنتين
وخمسين من الهجرة * وجبير بن نصير الحضرمي الحمصي في الطبقة الاولى
من التابعين أدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم زمن أبي بكر
الصديق رضي الله عنه أتى بيت المقدس للصلاة وروى عن خالد بن الوليد
وأبي الدرداء وعبادة بن الصامت والنواس بن سمعان قال جبير خمس
خصال قبيحة الحدة في السلطان والحرص في العلماء والشره في الشيوخ
والشح في الاغنياء وقلة الحياء في ذوي الاحساب توفي جبير سنة خمس
وسبعين من الهجرة الشريفة * وعبد الرحمن بن غنم الاشعري كان
مسلما في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لم يفد اليه لكنه لازم
معاذ بن جبل منذ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن حتى
مات معاذ وسمع عمر بن الخطاب قال صاحب مثير الغرام اظنه قدم
بيت المقدس فانه هو الذي فقه عامة التابعين بالشام توفي سنة تسع
وسبعين من الهجرة الشريفة * وخالد كان بصخرة بيت المقدس فجاء
عمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين رضي الله عنه فأخذ بيده وقال يا خالد
ما علينا قال عليكم من الله اذن سميعة وعين بصيرة فارتعد عمر خوفا من الله

ونزع يده فقال خالد يوشك ان يكون هذا اما ما عادلا ولزم خالد بيته في آخر أمره وقال ما بقي من الناس الا حاسد أو شامت توفي سنة تسعين من الهجرة الشريفة * ومالك بن دينار من الائمة الاعلام روى عن انس واخرج له أصحاب السنن أبو داود والترمذي والنساءى وابن ماجه توفي سنة ثلاث وعشرين ومائة * ومحمد بن واسع ثقة زاهد من أهل البصرة من الازد روى عن انس بن مالك وغيره اخرج له مسلم وأبو داود والترمذي والنساءى وجمعته الطريق ومالك بن دينار وعبد الواحد بن زيد وساروا الى بيت المقدس توفي سنة تسع وعشرين ومائة * ام الخير رابعة بنت اسماعيل العدوية البصرية مولاة آل عقيل الصالحة المشهورة كانت من أعيان عصرها وأخبارها في الصلاح والعبادة مشهورة وكانت تقول في مناجاتها الهي أتحرق بالنار قلبا يحبك فهتف بها مرة هاتف ما كنا نفعل هذا فلا تظني بنا ظن السوء ومن وصاياها اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيآتكم وأوردها الشيخ شهاب الدين السهروردي في كتاب عوارف المعارف

انى جعلتك في الفؤاد محدثي * وأبحت جسمي من أراد جلوسي

فالجسم مني للجليس مؤانس * وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

توفيت سنة خمس وثلاثين وقيل وثمانين ومائة وقبرها على رأس جبل طور زيتا شرقي بيت المقدس بجوار مصعد السيد عيسى عليه السلام من جهة القبلة وهو في زاوية ينزل اليها من درج وهو مكان مأنوس يقصد للزيارة * ومن النساء العابدات ببيت المقدس امرأة تسمى طافية كانت تأتي بيت المقدس تتعبد فيه وامرأة اخرى تسمى لبابة ذكرهما ابن الجوزي وذكر عدة من العابدات المجهولات الاسماء ولم يؤرخ وفاة واحدة منهن * وسليمان بن طرخان الهيثي التيمي نزل بالبصرة وسمع أنسا وكان يقول اذا دخلت بيت المقدس كأن نفسي لا تدخل معي حتى أخرج منه توفي سنة ثلاث واربعين ومائة * ومقاتل بن سليمان المفسر قدم بيت المقدس فصلى فيه

وجلس

وجلس عند باب الصخرة القبلي واجتمع اليه خلق كثير من الناس يكتبون
عنه ويسمعون منه فأقبل بدوي يطأ بنعليه على البلاط وطأ شديدا
فسمع مقاتل فقال لمن حوله انفرجوا فانفرج الناس عنه فأهوى بيده
يشير اليه ويزيده بصوته أيها الواطئ اوفق بوطئك فو الذي نفس مقاتل
بيده ما تطأ الا على اجاجين الجنة وفي كلام آخر قال الامام الشافعي
رضي الله عنه الناس كلهم عيال على ثلاثة مقاتل بن سليمان في التفسير
وذكر الآخرين توفي مقاتل سنة خمسين ومائة * والاوزاعي عبد الرحمن بن
عمرو احد الائمة الاعلام فقيه الشام كان رأسا في العلم والعبادة قدم بيت
المقدس فصلى فيه ثمان ركعات والصخرة وراءه ثم صلى فيه الخمس وقال
هكذا فعل عمر بن عبد العزيز ولم يأت شيئا من المزارات توفي في الحمام سنة
سبع وخمسين ومائة * وسفيان الثوري هو ابن سعيد بن مسروق الامام
العالم المجمع على جلالته وزهده وورعه أتى المسجد الاقصى فصلى فيه
بموضع الجماعة وأتى قبة الصخرة الشريفة وختم فيها القرآن وروى انه
اشترى موزا بدرهم فأكل منه في ظلها ثم قال ان الحمار اذا وفي عليقه أو قال
علفه زيد في عمله ثم قام يصلي حتى رحمه من رآه توفي بالبصرة سنة احدى
وستين ومائة * وابراهيم بن ادهم بن اسحاق من كور بلخ احد الزهاد
وهو من ثقات اتباع التابعين ومن ابناء الملوك خرج يوما يتصيد وأثار ثعلبا
او أرنبا واسرع في طلبه فهتف به هاتف ألهذا خلقت ام بهذا أمرت
ثم هتف به من قربوس سرجه والله ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فنزل
من دابته وترك الامارة * ودخل البادية وتزهد وصحب الامام أبا
حنيفة وله من الكرامات ما هو مشهور بها قدم بيت المقدس
وقام بالصخرة الشريفة وسكن الشام وتوفي بمدينة جبلة من اعمال
طرابلس وقبره مشهور بها * قال صاحب مثير الغرام انه مات ببلاد
الروم ووفاته في سنة احدى وستين ومائة * الليث بن سعد بن عبد الرحمن
الفهمي مولاهم عالم أهل مصر كان نظير مالك في العلم قيل انه كان دخله

فى كل سنة ثمانين الف دينار فما وجبت عليه زكاة وفى رواية لا ينقضى
عليه عام الا وعليه دين من كثرة جوده وبره وقدم بيت المقدس قال الليث
لما ودعت أبا جعفر يعنى الخليفة ببيت المقدس قال اعجبنى ما رأيت من
شدة عقلك فالحمد لله الذى جعل فى رعيتى مثلك ويقال انه كان حنفى
المذهب وانه ولى القضاء بمصر ولد سنة اثنتين وتسعين من الهجرة
الشريفة وتوفى يوم الخميس منتصف شعبان سنة خمس وسبعين ومائة
ودفن يوم الجمعة بالقرافة الصغرى وقبره أحد المزارات قال بعض أصحابه
لما دفن الليث بن سعد سمعنا صوتا يقول

ذهب الليث فلا ليث لكم * ومضى العلم غريبا وقبر

قال فالتفتنا فلم نر احدا وترجمه الشافعى رحمه الله ترجمة عظيمة وكان يأتى
الى قبره بالقرافة كل عشية جمعة ويستمر حتى يقرأ على قبره ختما كاملا
فاستمر أهل مصر يفعلون ذلك بقبره فى عشية كل جمعة الى يومنا هذا
ويختلفون لذلك ولهم فيه اعتقاد عظيم وله شهرة ظاهرة واحوال بارزة
نفعنا الله به * ووكيع بن الجراح بن مليح ابو سفيان الرواسى مولده سنة
تسع وعشرين ومائة وكان من الاعلام وهو من الرواة عن الامام أحمد بن
حنبل رضى الله عنه وروى عنه الامام أحمد أيضا وقال عنه ما رأيت
أوعى للعلم منه ولا أحفظ * قدم بيت المقدس وأحرم منه الى مكة
توفى يوم عاشوراء ودفن بفيد راجعا من الحج سنة تسع وقيل سنة
ثمان وتسعين ومائة * الامام الاعظم والحبر الاكرم محمد بن ادريس
الشافعى المطلبى أحد الائمة المجتهدين الاعلام وامام أهل السنة ركن
الاسلام ولد بغزة من بلاد الشام على الاصح سنة خمسين ومائة وهى
التى توفى فيها الامام الاعظم أبو حنيفة رضى الله عنه وقيل فى اليوم الذى
مات فيه * خرج كتاب الام وكتاب السنن وأشياء كثيرة كلها فى أربع
سنين قدم بيت المقدس فصلى فيه وقال سلونى عما شئتم اخبركم من كتاب الله
وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له ما تقول فى محرم قتل زنبورا

فقال قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
وحدثنا ابن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن حذيفة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر وحدثنا ابن
عيينة عن مسعود عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب ان عمر أمر
المحرم بقتل الزنبور * وتوفي الامام الشافعي رضي الله عنه بمصر يوم
الجمعة ودفن من يومه بعد العصر آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين
بالقرافة الصغرى وقبره مشهور يزار نفعنا الله به واما الائمة الثلاثة
رضي الله عنهم فلم اطلع على شيء يدل على قدوم أحد منهم بيت المقدس
* والمؤمل بن اسماعيل البصري صدوق وكان شديدا في السنة
قدم بيت المقدس واعطى به قوما شيئا ودار وابه تلك الاماكن توفي
سنة ست ومائتين * وبشر بن الحارث الحافي أحد رجال الطريقة
من كبار الصالحين وأعيان الاتقياء المتورعين أصله من مرو من
قرية من قراها وسكن بغداد وانما لقب بالحافي لانه جاء الى اسكاف
يطلب منه شسعا لاحد نعليه وكان قد انقطع فقال له الاسكاف
ما اكثر كلفتكم على الناس فألقى النعل من رجله وحلف لا يلبس نعلا
بعدها ولد سنة خمسين ومائة * قيل له لم يفرح الصالحون ببيت المقدس
قال لانها تذهب الهم ولا تشتغل النفس بها وقال ما بقي عندي من لذات
الدنيا الا أن أستلقي على جنبي تحت السماء بجامع بيت المقدس توفي في شهر
ربيع الآخر سنة ست وقيل سبع وعشرين ومائتين ببغداد وقيل بمرو *
وذو النون المصري أبو الفيض ثوبان بن ابراهيم الصالح المشهور أحد رجال
الطريقة قدم بيت المقدس وقال وجدت على صخرة بيت المقدس كل عاص
مستوحش وكل مطيع مستأنس وكل خائف هارب وكل راج طالب
وكل قانع غني وكل محب ذليل قال فرأيت هذه الكلمات اصول ما استعبد
الله به الخلق توفي سنة خمس وأربعين ومائتين * والسري بن المغلس
السقطي قدم بيت المقدس وروى عنه جماعة قال خرجت من الرملة الى

بيت المقدس الشريف فمررت بشرفة وغدير ماء وعشب نابت فجلست آكل من العشب وأشرب من الماء فقلت فى نفسى ان كنت أكلت أو شربت فى الدنيا حلالا فهو هذا فسمعت هاتفا يقول يا سرى فالنفقة التي بلغتك من أين توفى سنة احدى وخمسين ومائتين * ومحمد بن كرام المتكلم التي تنسب اليه الفرقة الكرامية الذى ينسب اليهم تجويز وضع الاحاديث للترغيب والترهيب وكرام بفتح الكاف وتشديد الراء على وزن جمال أبو عبد الله السجستانى العابد ومنهم من يقول محمد بن كرام بكسر الكاف وتخفيف الراء روى عن جماعة وكان حبسه طاهر بن عبد الله فلما أطلقه ذهب الى ثغور الشام ثم عاد الى نيسابور فحبسه محمد بن طاهر بن عبد الله فطال حبسه وكان يتأهب لصلاة الجمعة فيمنعه السجان فيقول اللهم انك تعلم ان المنع من غيرى اقام ببيت المقدس وكان يجلس للوعظ عند العمود الذى عند مهد عيسى واجتمع عليه خلق كثير ثم تبين لهم انه يقول ان الايمان قول فتركه أهل بيت المقدس توفى ببيت المقدس ليلا ودفن بباب اريحا عند قبور الانبياء عليهم الصلاة والسلام وله ببيت المقدس نحو عشرين سنة وكانت وفاته فى صفر سنة خمس وخمسين ومائتين قلت والباب المعروف بباب اريحا قد اندرس لطول المدة واستيلاء الافرنج ولم يبق له أثر والظاهر انه كان عند انتهاء البناء الذى كان متصلا بطور زيتا وكذلك قبور الانبياء لا يعلم مكانها لطول المدة واستيلاء الافرنج على الارض المقدسة * وصالح بن يوسف أبو شعيب المقنع الواسطى الاصل يقال انه حج تسعين حجة راجلا فى كل حجة يحرم من صخرة بيت المقدس وكان يدخل البادية تبوك على التجريد والتوكل توفى بمدينة الرملة سنة اثنتين وثمانين ومائتين * حكى انه يستشفى بقبره ويستجاب الدعاء عنده قلت ولم يعلم الآن قبره لطول الزمان واستيلاء الافرنج على تلك الاراضى مدة طويلة رحمه الله تعالى * وبكر بن سهل الدمياطى المحدث قدم الى بيت المقدس فجمعوا له ألف دينار حتى روى لهم التفسير توفى فى ربيع الاول

سنة

سنة تسع وثمانين ومائتين * وأحمد بن يحيى البزاز البغدادى حكى عنه
أبوالحسن على بن محمد الجلالى البغدادى انه أخبره انه قدم من مكة
الى بيت المقدس فندم على مجيئه وقال تركت الصلاة بمكة بمائة ألف
صلاة وهنا بخمسة وعشرين ألف صلاة وبمكة تنزل مائة وعشرون
ألف رحمة للطائفين والمصلين والناظرين وأراد الخروج الى مكة
فرأى النبى صلى الله عليه وسلم وذكر له ماخطر بباله من الفضل فقال له
النبى صلى الله عليه وسلم نعم هنالك تنزل الرحمة نزولا وهنا تنصب الرحمة
صبا ولولم يكن لهذا الموضع شان عظيم وأشار بيده الى موضع الاسراء
عند قبة المعراج لما أسرى بى اليه فأقام الرجل بالقدس الى ان مات به
وكانت هذه الرؤيا فى رجب سنة احدى وأربعين وثلثمائة * والشيخ
سلامة بن اسماعيل بن جماعة المقدسى الضرير صاحب شرح المفتاح
لابن القاص وله أيضا مصنف مفرد فى التقاء الختانين كان عديم
النظير فى زمانه لاجل ما خصه الله به من حضور القلب وصفاء الذهن
وكثرة الحفظ وقد ذكره جماعة وأثنوا عليه توفى سنة ثمانين واربعمائة *
وشيخ الاسلام الامام العالم الحبر أبو الفرج عبد الواحد بن احمد بن محمد
ابن على بن أحمد الشيرازى ثم المقدسى الانصارى الحنبلى شيخ الشام
فى وقته وهو من أصحاب القاضى أبي يعلى بن الفراء امام الحنابلة قدم
الشام فسكن بيت المقدس وهو الذى نشر مذهب الامام أحمد رضى
الله عنه فيما حوله ثم أقام بدمشق فنشر المذهب بها وكان له أتباع وتلامذة
ويقال انه اجتمع مع الخضر عليه السلام دفعتين وكان يتكلم فى عدة
أوقات على الخاطر كما كان يتكلم ابن القزوينى الزاهد * له تصانيف منها
المبهج والايضاح والتبصرة فى اصول الدين ومختصر فى الحدود فى
اصول الفقه ومسائل الامتحان ويقال ان له كتاب الجواهر فى
التفسير وهو ثلاث مجلدات توفى يوم الاحد ثانى عشر ذى الحجة سنة ست
وثمانين وأربعمائة بدمشق ودفن بمقبرة الباب الصغير رحمه الله تعالى *

والشيخ العلامة أبو الفتح نصر بن ابراهيم المقدسى النابلسى الشافعى شيخ المذهب بالشام صاحب التصانيف مع الزهد والعبادة سمع الحديث وأملى وحدث اقام بالقدس مدة طويلة بالزاوية التى على باب الرحمة المعروفة بالناصرية والظاهر ان تسميتها بالناصرية نسبة للشيخ نصر ثم عرفت بالغزالية لاقامة الغزالى بها ثم قدم دمشق فسكنها وعظم شأنه وحكى بعض أهل العلم قال صحبت امام الحرمين ثم صحبت الشيخ أبا اسحاق فرأيت طريقته أحسن ثم صحبت الشيخ نصرا فرأيت طريقته أحسن منهما ولما قدم الغزالى الى دمشق اجتمع به واستفاد منه ومن تصانيفه التهذيب وكتاب التقريب وكتاب الفصول وكتاب الكافى وله شرح متوسط على مختصر شيخه سليمان بن أيوب الرازى سماه الاشارة وكتاب الحجة لتارك المحجة توفى يوم عاشوراء سنة تسعين واربعمائة بدمشق ودفن بالباب الصغير رحمه الله * والفقيه أبو الفضل عطا شيخ الشافعية بالقدس الشريف فقها وعلما وشيخ الصوفية طريقة كان فى زمن الشيخ نصر المقدسى رحمهما الله تعالى * والشيخ الامام أبو المعالى المشرف بن المرجا بن ابراهيم المقدسى كان من علماء بيت المقدس له كتاب فضائل البيت المقدس والصخرة وما اتصل بذلك من أخبار وآثار وفضائل الشام وهو كتاب مفيد رواه بالاسانيد عنه أبو القاسم مكى الرميلى الآتى ذكره بعده ولم أطلع لابى المعالى على ترجمة ولا تاريخ وفاة ولكنه كان فى عصر أبى القاسم المذكور * والشيخ أبو القاسم مكى بن عبد السلام بن الحسين بن القاسم الانصارى الرميلى الشافعى الحافظ مولده سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة كانت الفتاوى تأتى اليه من مصر والشام وغيرهما وكان من الجوالين فى الآفاق كثير التعب والنصب والسهر وكان ورعا سمع بالقدس وبلاد كثيرة وشرع فى تاريخ بيت المقدس وفضائله وجمع فيه أشياء كثيرة ولما أخذ الافرنج بيت المقدس فى سنة ثنتين وتسعين وأربعمائة أخذوه يسيرا وبعثوه الى البلاد ينادى فى فكاكه بألف دينار لما علموا انه من علماء

المسلمين

المسلمين فلم يستفكه أحد فرموه بالحجارة على باب انطاكية حتى قتلوه رحمه الله * وقال السبكى فى طبقات الشافعية انهم قتلوه ببيت المقدس فى اليوم الثانى عشر من شعبان سنة ثنتين وتسعين وأربعمائة *
أبو القاسم عبد الجبار بن أحمد بن يوسف الرازى الشافعى تفقه على الخجندى بأصبهان ثم استوطن بغداد مدة ثم انتقل الى بيت المقدس وسلك سبيل الورع والانقطاع الى الله تعالى الى ان استشهد على يد الافرنج لعنهم الله تعالى حين أخذهم القدس فى شعبان سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة * والغزالى الامام زين الدين حجة الاسلام أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالى الطوسى الشافعى * ولد سنة خمسين وأربعمائة ولم يكن للطائفة الشافعية فى آخر عصره مثله اشتغل فى مبدأ أمره بطوس ثم قدم نيسابور وصار من الاعيان المشار اليهم وارتفعت منزلته * أقام بدمشق ثم انتقل الى بيت المقدس مجتهدا فى العبادة والطاعة وزيارة المشاهد والمواضع العظيمة وأخذ فى التصانيف المشهورة ببيت المقدس فيقال انه صنف فى القدس احياء علوم الدين وأقام بالزاوية التى على باب الرحمة المعروفة قبل ذلك بالناصرية شرقى بيت المقدس فسميت بالغزالية نسبة اليه وقد خربت ودثرت توفى بطوس يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة رحمه الله * والقاضى محمد بن حسن بن موسى بن عبد الله البلاشاعونى التركى الحنفى ويعرف بالاشتلى ولى قضاء بيت المقدس فشكوا منه فعزل ثم ولى قضاء دمشق وكان عالما فى مذهب أبى حنيفة وهو الذى رتب الاقامة مثنى وكان شديد التعصب توفى فى جمادى الآخرة سنة ست وخمسمائة * والامام الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر بن على بن أحمد المعروف بابن القيسرانى كذا اسمه فى تاريخ ابن خلكان وقيل اسمه على بن أحمد بن محمد بن طاهر المقدسى الجوال فى الآفاق الجامع بين الذكاء والحفظ وحسن التصنيف وجودة الخط ولد ببيت المقدس فى سادس شوال سنة ثمان وأربعين وأربعمائة وحدث

فى سنة ستين وأول من سمعه الفقيه نصر المقدسى وكان من المشهورين
بالحفظ والمعرفة بعلوم الحديث وله فى ذلك مصنفات مجموعات تدل على
غزارة علمه وجودة معرفته وصنف تصانيف كثيرة منها أطراف
الكتب الستة وهى صحيح البخارى ومسلم وأبوداود والترمذى والنساءى
وابن ماجه وأطراف الغرائب تصنيف الدارقطنى وكتاب الانساب فى
جزء لطيف وهو الذى ذيله الحافظ أبوموسى الاصبهانى وغير ذلك من
الكتب وله شعر حسن وكتب عنه غير واحد من الحفاظ منهم أبوموسى
المذكور * رحل الى بغداد فى سنة سبع وستين وأربعمائة ثم رجع الى بيت
المقدس وأحرم منه الى مكة توفى ببغداد يوم الجمعة لليلتين بقيتا من شهر ربيع
الآخر سنة سبع وستين وخمسمائة ودفن بالمقبرة العتيقة بالجانب الغربى
وكان ولده أبوزرعة طاهر من المشهورين بعلو الاسناد وكثرة السماع
قدم بغداد للحج فحدث بها باكثر مسموعاته وسمع منه الوزير أبوالمظفر
يحيى بن هبيرة والقيسرانى بفتح القاف والسين المهملة بينهما ياء مثناة من
تحتها ثم راء مفتوحة وبعد الالف نون هذه النسبة الى قيسرية بلدة على
ساحل البحر ببلاد الشام * وأبوالغنائم محمد بن على بن ميمون القرشى
الكوفى الحافظ كان دينا خبيرا ثقة رحل الى الشام وسمع الحديث ببيت
المقدس وتوفى سنة عشر وخمسمائة بجيلة وحمل الى الكوفة * وأبوروح
ياسين بن سهل القابسى الخشاب توفى بنيسابور سنة اثنتى عشرة وخمسمائة
* وأبوالفتح سلطان بن ابراهيم بن المسلم المقدسى الفقيه الشافعى صاحب
الذخائر ولد بالقدس سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة وتفقه على الفقيه نصر
حتى برع فى المذهب ودخل مصر بعد السبعين والاربعمائة وكان من
الفقهاء بمصر وقرأ عليه اكثرهم روى عنه السلفى وغيره وصنف كتابا فى
أحكام التقاء الختانين توفى سنة ثمانية عشر أوفى التى بعدها وقيل فى سنة
خمس وثلاثين وخمسمائة * الطرطوشى الامام أبوبكر محمد بن الوليد بن
محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب القرشى الفهرى الاندلسى المالكى قدم

بيت المقدس وحج وتفقه على الامام أبي بكر الشاشي المستظهر وكان اماما عالما زاهدا سكن الشام ودرّس بها مولده سنة احدى وخمسين وأربعمائة تقريبا وتوفي ليلة السبت لاربع بقين من جمادى الاولى سنة عشرين وخمسمائة بثغر الاسكندرية والطرطوشي نسبة الى طرطوشه وهي مدينة بالاندلس في آخر بلاد المسلمين في شرقي الاندلس على ساحل البحر * وأبو عبد الله محمد بن احمد بن يحيى الاموي العثماني المقدسي النابلسي نزل بغداد وتفقه على الشيخ نصر المقدسي وكان يفتي ويدرس وهو من أهل العلم والعمل توفي سنة سبع وعشرين وخمسمائة عن خمس وستين سنة * وأبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي العثماني المشهور بالديباجي من أولاد الديباجي بن عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان ومحمد الديباجي أمه فاطمة بنت الحسن بن علي بن أبي طالب سمي الديباجي لحسنه ولان ديباجة وجهه كانت تشبه ديباجة وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أصله من مكة وأقام ببيت المقدس وكتب الاحاديث بها وسمعها وسكن بغداد بدرب السلسلة وهو فقيه فاضل حسن السيرة قوال بالحق كان يقال له سمي النبي صلى الله عليه وسلم وشبيهه توفي يوم الاحد سابع عشري صفر سنة تسع وعشرين وخمسمائة ودفن بالوردية * وأبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الله الربعي المقدسي الشافعي اشتغل على الشيخ أبي اسحاق وسمع الحديث من الشيخ نصر المقدسي والحافظ أبي بكر الخطيب ثم دخل الغرب وسكن البرية توفي سنة احدى وثلاثين وخمسمائة * وأبو علي الحسن بن فرج بن حاتم المقدسي الواعظ الشافعي * روى عن القاضي الرشيد المقدسي توفي في نصف شعبان سنة خمس وثلاثين وخمسمائة * والامام أبو بكر بن العربي محمد بن عبد الله المغربي المعافري الاندلسي الاشبيلي الحافظ المشهور دخل مع أبيه الى المشرق سنة خمس وثمانين وأربعمائة ولقي الامام الطرطوشي وتفقه عليه وصحب الشاشي والغزالي قدم بيت

المقدس وروى عنه خلق كثير من العلماء توفى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة * وأبو بكر الجرجاني محمد بن أحمد بن أبي بكر من أهل جرجان من عمل نيسابور قصد هو وأبو سعيد السمعاني زيارة بيت المقدس فذهبا ولم يفترقا حتى رجعا الى العراق * وكان شيخا صالحا قيما بكتاب الله دائم البكاء كثير الحزن مولده سنة خمس وستين وأربعمائة توفى سنة أربع وأربعين وخمسمائة * وتاج الاسلام أبو سعد عبد الكريم ابن محمد بن منصور السمعاني الشافعي صاحب كتاب الذيل لتاريخ مدينة السلام عدة مجلدات وله تاريخ مرو والاسباب وطراز المذهب فى آداب الطلب وتحفة المسافر وعز العزلة والمناسك والتحبير فى المعجم الكبير والامانى وغير ذلك قدم بيت المقدس زائرا له وهو فى ايدى الكفار وتوفى فى غرة ربيع الاول سنة اثنتين وستين وخمسمائة * ومن عباد بيت المقدس المشهورين بالصلاح ادريس بن أبي خولة الانطاكى * وعبد العزيز المقدسى وكانا صالحين ذكرهما ابن الجوزى فى صفوة الصفوة وذكر لهما كرامات ولم يؤرخ وفاتهما * واما من دخل بيت المقدس واستوطنه من الزهاد والصالحين ممن لم يعرف اسمه فكثير ولهم اخبار ومناقب لم نذكرها لعدم معرفة اسمائهم وبالله التوفيق * وقد انتهى ذكر ماقصدته من تراجم الاعيان بالقدس الشريف ممن كان به فى الزمن السالف قبل استيلاء الافرنج عليه ولم أظفر بغير ذلك لطول الازمنة وانقطاع أخبار السلف باستيلاء الكفار على الارض المقدسة وسأذكر ما تيسر من اسماء العلماء والاعيان بالقدس الشريف ممن كان به بعد الفتح الصلاحى كما تقدم الوعد به ان شاء الله تعالى * ولنذكر الآن نبذة يسيرة مما وقع ببيت المقدس من الحوادث والاخبار فى ذلك الزمان فمن ذلك ماوقع فى شهور سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ان الحاكم بأمر الله أبو على المنصور بن العزيز الفاطمى خليفة مصر أمر بتخريب كنيسة القمامة من بيت المقدس وأباح للعامة ما كان بها من اموال وأمتعة وغير ذلك وكان

ذلك

ذلك بسبب ما انهى اليه من الفعل الذى تتعاطاه النصارى يوم الفصح من
النار التى يحتالون بها بحيث يتوهم الاغمار من جهلتهم انها تنزل من
السماء وانها مصبوغة بدهن البيلسان فى خيوط الابريسم الرفاع المدهونة
بالكبريت وغيره بالصنعة اللطيفة التى تروج على العظام منهم والعوام
وهم الى الآن يستعملونها فى القمامة وتسمى ذلك اليوم عندهم سبت النور
ويقع فيه من المنكر بحضور المسلمين مالا يحل سماعه ولا رؤيته من
جهرهم بالكفر ورفع أصواتهم يقولون يالدين الصليب واظهاركتهم
ورفع الصلبان على رؤسهم وغير ذلك من الامور التى تقشعر منها
الاجساد * ثم لما توفى الحاكم بأمر الله فى شوال سنة احدى عشرة
وأربعمائة ولى بعده الظاهر لاعزاز دين الله أبو الحسن على واستمر الى أن
توفى فى شعبان سنة سبع وعشرين وار بعمائة * ثم تولى بعده المستنصر بالله
أبو تميم معد فهادن ملك الروم على ان يطلق خمسة آلاف يسير ليمكن من
عمارة قمامة التى كان خربها جده الحاكم فى أيام خلافته فاطلق الاسرى
وأخرج ملك الروم عليها أموالا عظيمة (قلت) والذى يظهر أن تخريبها لم
يكن تخريبا كليا بل كان فى غالبها والله أعلم * ورأيت فى بعض التواريخ
انه فى سنة سبع واربعمائة فى ربيع الاول احترق مشهد الحسين بن على
رضى الله عنه بشرارة وقعت من بعض الشعالين من حيث لم يشعر * وورد
الخبر بتشعب الركن اليمانى من المسجد الحرام وسقوط جدار بين يدى
قبر النبى صلى الله عليه وسلم وانه سقطت القبة الكبيرة التى على صخرة
بيت المقدس قال الناقل وهذا من أغرب الاتفاقات واعجبها قلت ولم أطلع
على حقيقة الحال فى سقوط القبة التى على الصخرة ولا أعادتها والظاهر
ان السقوط كان فى بعضها لا فى كلها والله أعلم * وفى سنة خمس وعشرين
واربعمائة كثرت الزلازل بمصر والشام فهدمت أشياء كثيرة ومات
تحت الردم خلق كثير وانهدم من الرملة ثلثها وتقطع جامعها تقطعا
وخرج أهلها منها فأقاموا بظاهرها ثمانية أيام ثم سكن الحال فعادوا

اليها وسقط بعض حيطان بيت المقدس ووقع من محراب داود قطعة كبيرة ومن مسجد ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام قطعة * وفى سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة سقط تنور قبة الصخرة ببيت المقدس وفيه خمسمائة قنديل فتطير المقيمون به من المسلمين وقالوا ليكونن فى الاسلام حادث عظيم فكان أخذ الافرنج له على ما سنذكره ان شاء الله تعالى * وفى جمادى الاولى سنة ستين وأربعمائة كانت زلزلة بأرض فلسطين أهلكت بلاد الرملة ورمت شرافتين من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانشقت الارض عن كنوز من المال وهلك منها خمسة عشر ألف نسمة وانشقت صخرة بيت المقدس ثم عادت فالتأمت بقدرة الله تعالى وغار البحر مسيرة يوم ودخل الناس فى أرضه يلتقطون منه فرجع عليهم فأهلك خلقا كثيرا منهم فسبحان من يتصرف فى عباده بما يشاء * وفى سنة ثلاث وستين وأربعمائة فى أيام المستنصر بالله العبيدى خليفة مصر استولى على القدس والرملة آتسز بن اوق الخوارزمى صاحب دمشق * وفى سنة خمس وستين اقيمت الدعوة العباسية ببيت المقدس وقطعت دعوة الفاطميين ثم استولى آتسز على دمشق بعد استيلائه على القدس والرملة وقطع الخطبة العلوية من دمشق فلم يخطب بعدها لهم بها وأقام الخطبة العباسية يوم الجمعة لخمس بقين من ذى القعدة سنة ثمان وستين وأربعمائة فلما قتل آتسز فى سنة احدى وسبعين وأربعمائة استولى بعده على دمشق تاج الدولة الامير تتش بن السلطان البارسلان السلجوقى وكان القدس من مضافاته على عادة من تقدمه فقلده للامير أرتق بن اكسك التركمانى جد الملوك أصحاب ماردين واستمر أرتق مالكا للقدس الى أن توفى فى سنة اربع وثمانين واربعمائة * ثم استقر الامر بعده فى القدس لولديه ايلغازى وسقمان ابنى ارتق واستمر على ذلك الى ان قتل تتش صاحب دمشق فى سنة ثمان وثمانين واربعمائة ثم سار الافضل بن بدر الجمالى أمير الجيوش من مصر بعسكر الخليفة العلوى وهو المستعلى بأمر الله

فاستولى على القدس بالامان فى شعبان سنة تسع وثمانين وأربعمائة * وسار سقمان وأخوه ايلغازى من القدس وأقام سقمان ببلد الرها وسار أخوه ايلغازى الى العراق وبقى القدس فى يد المصريين

﴿ذكر تغلب الافرنج على بيت المقدس واستيلائهم عليه﴾

لما فتح الله البيت المقدس على يد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعمر على يده ثم على يد عبد الملك بن مروان وغيره من الخلفاء كما سبق شرحه استمر بأيدى المسلمين الخلفاء من حين الفتح العمرى فى سنة خمس وعشرين من الهجرة الشريفة الى سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة فى خلافة المستظهر بالله هو أبو العباس أحمد بن المقتدى بأمر الله العباسى خليفة بغداد وكان لبثه بأيدى المسلمين أربعمائة سنة وسبعا وسبعين سنة وكان الفاطميون قد تغلبوا على بنى العباس وادعوا الخلافة بالمغرب من أواخر سنة ست وتسعين ومائتين فى أيام المقتدر بالله أبى الفضل جعفر بن المستنصر العباسى خليفة بغداد ثم بنوا القاهرة واستولوا على الديار المصرية والشام ومكة واليمن وبيت المقدس وأولهم عبيد الله المهدى بالله الذى ينسبون اليه ثم ابنه أبو القاسم محمد القائم بأمر الله ثم ابنه أبو الطاهر اسماعيل المنصور بنصر الله ثم ابنه أبو تميم معد المعز لدين الله بانى القاهرة المحروسة على يد القائد أبى الحسن جوهر المعروف بالكاتب الرومى فانه جهزه من المغرب لاخذ الديار المصرية فاخذها فى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وبنى القاهرة المحروسة والجامع الازهر ثم أرسل يستدعى مخدومه المعز لدين الله فحضر الى القاهرة واستوطنها فى شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلثمائة واستمر الى ان توفى بها فى يوم الجمعة السابع عشر من ربيع الاول سنة خمس وستين وثلثمائة وهو الذى تنسب اليه القاهرة فيقال القاهرة المعزية ولما بناها جوهر سماها المنصورية فلما قدم المعز لدين الله اليها سماها القاهرة وقيل ان سبب تسميتها بذلك انها تقهر من شذ عليها ورام مخالفة أمرها * ولما توفى استقر بعده فى الخلافة

بمصر ابنه المنصور نزار العزيز بالله * ثم ابنه أبو علي المنصور الحاكم بأمر الله
الذي أمر بتخريب كنيسة القمامة كما تقدم * ثم ابنه أبو الحسن علي الظاهر
لاعزاز دين الله * ثم ابنه أبو تميم معد المستنصر بالله الذي مكن الكفار من
اعادة كنيسة القمامة كما تقدم * ثم ابنه أبو القاسم أحمد المستعلي بأمر الله
* وسيأتي ذكر من بقي منهم عند ابتداء ذكر الفتح الصلاحي ان شاء الله تعالى
فلما آل الامر الى المستعلي بأمر الله وكانت وفاة أبيه المستنصر في ذي الحجة
سنة سبع وثمانين وأربعمائة ولي الامر بعد أبيه بالديار المصرية
وكان المتولي لتدبير دولته الافضل أبو القاسم شاهنشاه بن بدر الجمالي
أمير الجيوش وفي أيام المستعلي بأمر الله اختلفت دولتهم وضعف
أمرهم وانقطعت من اكثر مدن الشام دعوتهم وانقسمت البلاد
الشامية بين الاتراك والافرنج وكان مدبر دولته الافضل قد استولى على
بيت المقدس في شعبان سنة تسع وثمانين وأربعمائة كما تقدم * وكان
الفاطميون يخافون من الافرنج خوفا شديدا فلا يطيقون مقاتلتهم
بخلاف الدولة الايوبية فلما دخلت سنة تسعين وأربعمائة سار الافرنج
الى الشام وأخذوا انطاكية بعد أن حاصروها تسعة أشهر وملكوها
في ذي القعدة وحصل بينهم وبين المسلمين وقعات وحروب وولى المسلمون
هاربين وكثر القتل فيهم ونهب الافرنج خيامهم وتقووا باسلحتهم ثم سار
الافرنج الى معرة النعمان فاستولوا عليها ووضعوا السيف في أهلها فقتلوا
فيها ما يزيد على مائة ألف انسان وسبوا السبي الكثير وأقاموا بالمعرة
أربعين يوما وساروا الى حمص وصالحهم أهلها وذلك في سنة احدى
وتسعين فلما دخلت سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة قصد الافرنج بيت
المقدس وهم في نحو ألف ألف مقاتل لعنهم الله وحاصروا بيت المقدس
نيفا وأربعين يوما وملكوه في ضحى نهار الجمعة لسبع بقين من شعبان سنة
اثنتين وتسعين وأربعمائة ولبث الافرنج يقتلون في المسلمين بالقدس
الشريف أسبوعا وقتل في المسجد الاقصى ما يزيد على سبعين ألف

نفس منهم جماعة كثيرة من ائمة المسلمين وساداتهم وعبادهم وزهادهم ممن جاور فى هذا الموضع الشريف وغنموا مالا يقع عليه الحصر وجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم حصروا جميع من فى القدس من المسلمين بداخل المسجد الشريف واشترطوا عليهم انهم متى تأخروا عن الخروج بعد ثلاثة أيام قتلوهم عن آخرهم فشرع المسلمون فى الاسراع والمبادرة الى الخروج فمن شدة ازدحامهم بأبواب المسجد قتل منهم خلق كثير لا يحصيهم الا الله سبحانه وتعالى وأخذ الافرنج من عند الصخرة ألفين وأربعين قنديلا من فضة زنة كل منهم ثلاثة آلاف وستمائة وتنورا من فضة وزنه أربعون رطلا بالشامى وثلاثة وعشرين قنديلا من الذهب وهزم الافضل بن بدر الجمالى أمير الجيوش بظاهر عسقلان أقبح هزيمة وكان عند الافرنج شاعر منتجع اليهم فقال يخاطب ملك الافرنج واسمه صنجلى

نصرت بسيفك دين المسيح * فلله درك من صنجلى
وماسمع الناس فيما روى * بأقبح من كسرة الافضل

فتوصل الافضل الى ذبح هذا الشاعر وذهب الناس هاربين على وجوههم من الشام الى العراق ووصل المستنفرون الى بغداد فى رمضان مستغيثين الى الخليفة والسلطان * منهم القاضى بدمشق أبو سعد الهروى واجتمع أهل بغداد فى الجوامع واستغاثوا وبكوا حتى انهم أفطروا من عظم ماجرى عليهم وندب الخليفة ببغداد وهو المستظهر بأمر الله أبو العباس أحمد العباسى الفقهاء الى الخروج فى البلاد ليحرضوا الملوك على الجهاد فخرج الامام أبو الوفاء بن عقيل الحنبلى وغير واحد من أعيان الفقهاء وساروا فى الناس فلم يفد ذلك شيئا فانا لله وانا اليه راجعون ووقع الخلف بين السلاطين السلجوقية فتمكن الافرنج فى البلاد وانزعج المسلمون فى سائر ممالك الاسلام بسبب أخذ بيت المقدس غاية الانزعاج ثم استولى الافرنج على اكثر بلاد السواحل فى أيام المستعلى بأمر الله

فلكوا يافا وقيسارية وغيرهما من القلاع والحصون وكانت محنة فاحشة فالحكم لله العلى الكبير وكان الآخذ لهذه البلاد بيت المقدس وغيره بردويل الافرنجي * ثم في سنة احدى عشرة وقيل أربعة عشر وخمسمائة قصد الديار المصرية ليأخذها فانتهى الى غزة ودخلها وخربها وأحرق مساجدها ورحل عنها وهو مريض فهلك في الطريق قبل وصوله الى العريش فشق أصحابه بطنه ورموا حشوته هناك فهي ترجم الى اليوم ورحلوا بجثته فدفنوها بكنيسة قمامة بالقدس الشريف وسبخة بردويل هي التي في سبخة الرمل على طريق الشام وهي مما يلي العريش الى جهة مصر منسوبة الى بردويل المذكور والحجارة الملقاة هناك والناس يقولون هذا قبر بردويل وانما هي الحشوة لعنة الله عليه ولما أخذ بيت المقدس وغيره من المسلمين قال في ذلك مظفر الابيوردي أبياتا منها

مزجنا دماء بالدموع السواجم * فلم يبق منا عرضة للمراحم
وشر سلاح المرء دمع يفيضه * اذا الحرب شبت نارها بالصوارم
فأيها بني الاسلام ان وراءكم * وقائع يلحقن الذرى بالمناسم
وكيف تنام العين ملأ جفونها * على هفوات أيقظت كل نائم
فاخوانكم بالشام يضحي قتيلهم * ظهور المذاكي او بطون القشاعم
تسومهم الروم الهوان وأنتم * تجرون ذيل الخفض فعل المسالم
وكم من دماء قد أبيحت ومن دمى * توارى حياء حسنها بالمعاصم
وبين اختلاس الطعن والضرب وقعة * يظل لها الولدان شيب القوادم
وتلك حروب من يغب عن غمارها * ليسلم يقرع بعدها سن نادم
سللنا بأيدي المشركين قواضبا * ستغمد منهم في الطلى والجماجم
يكاد لهن المستكن بطيبة * ينادي بأعلى الصوت يا آل هاشم
أرى أمتي لا يشرعون الى العدى * رماحهم والدين واهي الدعائم
ويجتنبون النار خوفا من الردى * ولا تحسبون العار ضربة لازم
أترضى صناديد الاعارب بالاذى * وتغضي على ذل كماة الاعاجم

فليتهمو اذلم يذودوا حمية * عن الدين شنوا غيرة للمحارم
وان زهدوا فى الاجراذحمى الوغى * فهلا أتوه رغبة فى المغانم

واستمر بيت المقدس وماجاوره من السواحل بيد الافرنج احدى وتسعين سنة فلم ير فى الاسلام مصيبة أعظم من ذلك وعجز ملوك الارض عن انتزاعه منهم حتى اذن الله سبحانه وتعالى وقدر فتحه على يد من اختاره من عباده فى شهر شوال سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة فأقول وبالله استعين وعليه اتوكل فهو حسبى ونعم الوكيل

ذكر الفتح الصلاحى الذى يسره الله تعالى على يد السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيوب تغمده الله برحمته

قد تقدم ذكر تغلب الفاطميين على غالب المملكة واستيلائهم عليها وتقدم ان أولهم المهدى بالله عبيد الله وتقدم ذكر من بعده الى المستعلى بأمر الله الذى أخذ الافرنج القدس فى أيامه فلما مات المستعلى بأمر الله استقر بعده فى خلافة مصر ابنه أبو على المنصور الملقب بالآمر بأحكام الله ثم ابن عمه أبو الميمون عبد المجيد الحافظ لدين الله ثم ابنه أبو منصور اسماعيل الظاهر بأمر الله ثم ابنه أبو القاسم عيسى الفائز بنصر الله ثم ابن عمه أبو محمد عبد الله العاضد لدين الله وهو آخرهم وكان استقراره فى خلافة مصر فى سنة خمس وخمسين وخمسمائة وكان صاحب دمشق فى ذلك الزمان السلطان الملك العادل نور الدين أبا القاسم محمود بن زنكى الملقب بالشهيد رضى الله عنه فلما دخلت سنة أربع وستين وخمسمائة تمكن الافرنج من البلاد المصرية وتحكموا على المسلمين بها وملكوا ابلبيس قهرا فى مستهل شهر صفر ونهبوها وقتلوا أهلها وأسروهم ثم ساروا من بلبيس ونزلوا على القاهرة عاشر صفر وحاصروها وكان وزير العاضد أمير الجيوش شاور فاحرق شاور مدينة مصر خوفا من ان يملكها الافرنج وأمر أهلها بالانتقال الى القاهرة فبقيت النار تحرقها أربعة وخمسين يوما وأرسل العاضد العلوى خليفة مصر الى السلطان نور الدين الشهيد يستغيث به وأرسل فى الكتب شعور النساء وصالح شاور الافرنج

على ألف ألف دينار يحملها اليهم فحمل اليهم مائة ألف دينار وسألهم ان يرحلوا عن القاهرة ليقدر على جمع المال وحمله فرحلوا ولما وصل الى السلطان نور الدين كتب العاضد جهز الامير اسد الدين شيركوه بن شادى الى الديار المصرية ومعه العساكر النورية وأنفق فيهم الاموال واعطى شيركوه مائتي ألف دينار سوى الثياب والدواب والاسلحة وغير ذلك وأرسل معه عدة امراء منهم ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب الذى تسلطن فيما بعد وكان مسير صلاح الدين على كره منه أحب نور الدين مسير صلاح الدين وفيه ذهاب الملك من بين يديه وكره صلاح الدين المسير وفيه سعادته وملكه وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم فان نور الدين أمره بالمسير مع عمه شيركوه وكان شيركوه قد قال بحضرة نور الدين تجهز يا يوسف فقال والله لو اعطيتني ملك مصر ما سرت اليها فلقد قاسيت بالاسكندرية ما لا انساه ابدا فقال شيركوه لنور الدين لا بد من مسيره معي فتأمره نور الدين وهو يستقيل فقال نور الدين لا بد من مسيرك مع عمك فشكى الضيقة فأعطاه ما تجهز به فكأنما يساق الى الموت ولما قرب شيركوه من مصر رحل الافرنج من ديار مصر على اعقابهم الى بلادهم فكان هذا المصر فتحا جديدا ووصل أسد الدين شيركوه الى القاهرة فى رابع ربيع الآخر واجتمع بالعاضد وخلع عليه وعاد الى خيامه بالخلعة العاضدية وشرع شاور يماطل شيركوه فيما كان بذله لنور الدين قبل ذلك من تقرير المال وافراد ثلث البلاد له ومع ذلك فكان شاور يركب كل يوم الى أسد الدين شيركوه ويعده ويمنيه وما يعدهم الشيطان الا غرورا ثم ان شاور عزم على ان يعمل دعوة لشيركوه وامرائه ويقبض عليهم فنعه ابنه الكامل بن شاور من ذلك ولما رأى عسكر نور الدين من شاور ذلك عزموا على الفتك بشاور واتفق على ذلك صلاح الدين يوسف ومن معه من الامراء وعرفوا شيركوه بذلك فنهاهم عنه واتفق ان شاور قصد شيركوه على عادته فلم يجده فى المخيم وكان

قدمضى لزيارة قبر الشافعي رضي الله عنه فلقي صلاح الدين شاور وأعلمه
برواح شيركوه الى زيارة الشافعي فساراومن معهما جميعا الى شيركوه
فوثب صلاح الدين ومن معه على شاور وألقوه على الارض عن فرسه
وامسكوه في سابع عشر ربيع الآخر سنة أربع وستين وخمسمائة فهرب
أصحابه عنه وأعلموا شيركوه بما فعلوا فحضر ولم يمكنه الاتمام لذلك
وسمع العاضد الخبر فارسل الى شيركوه يطلب منه انفاذ رأس شاور
فقتله وأرسل رأسه الى العاضد ودخل بعد ذلك شيركوه الى القصر عند
العاضد فخلع عليه خلعة الوزارة ولقبه الملك المنصور أمير الجيوش
واستقر في الامر وكتب له منشورا بالوزارة وتفويض أمور الخلافة اليه
ولما لم يبق له منازع أتاه أجله حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة وهم
لا يشعرون وتوفي في يوم السبت الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة
أربع وستين وخمسمائة فكانت ولايته شهرين وخمسة أيام وهي ابتداء
الدولة الايوبية وكان شيركوه وأيوب ابني شادي من بلد دوين وأصلهما
من الاكراد وخدما عماد الدين زنكي ثم ولده نور الدين محمود وبقيا معه
الى ان أرسل شيركوه الى مصر مرة بعد اخرى حتى ملكها وتوفي في هذه
السنة على ماذكرناه ولما توفي شيركوه طلب جماعة من الامراء النورية
التقدم على العسكر وولاية الوزارة العاضدية فأحضر العاضد
صلاح الدين وولاه الوزارة ولقبه الملك الناصر وثبت قدمه على انه نائب
لنور الدين يخطب له على المنابر بالديار المصرية وكان نور الدين يكتب
لصلاح الدين الاسفهسلار ويكتب علامته على رأس الكتاب تعظيما
عن ان يكتب اسمه وكان لا يفرده بكتاب بل الى الامير صلاح الدين وكافة
الامراء بالديار المصرية يفعلون كذا وكذا ثم أرسل صلاح الدين يطلب
من نور الدين أباه أيوب وأهله ليتم له السرور وتكون قضيته مشاكلة
لقضية يوسف الصديق عليه السلام فأرسلهم اليه نور الدين فوصل والده
اليه في جمادى الآخرة سنة خمس وستين وخمسمائة وسلك مع والده

من الادب ماجرت به عادته والبسه الامر كله فابى ان يلبسه فحكمه فى
الخزائن كلها واعطى صلاح الدين أهله الاقطاعات بمصر وتمكن من
البلاد وضعف أمر العاضد * وفى هذه السنة وهى سنة خمس وستين
وخمسمائة سار الافرنج الى دمياط وحاصروها وشحنها صلاح الدين
بالرجال والسلاح فحاصروها خمسين يوما وخرج نور الدين فاغار على
بلادهم بالشام فرحلوا عائدين على أعقابهم ولم يظفروا بشئ منها * وفى سنة
ست وستين وخمسمائة سار صلاح الدين من مصر فغزا بلاد الافرنج
قريب عسقلان والرملة وعاد الى مصر ثم خرج الى ايلة وحاصرها وهى
للافرنج على ساحل البحر الشرقى ونقل اليها المراكب وحاصرها برا وبحرا
وفتحها فى العشر الاول من ربيع الآخر واستباح أهلها ومافيها وعاد الى
مصر وعزل قضاة المصريين وكانوا شيعة ورتب قضاة شافعية وذلك فى
العشرين من جمادى الآخرة سنة ست وستين * ثم لما دخلت سنة سبع
وستين وخمسمائة اقيمت الخطبة العباسية بمصر وقطعت خطبة العاضد
لدين الله وانقرضت الدولة العلوية الفاطمية وكان سبب الخطبة
العباسية بمصر انه لما تمكن الملك الناصر صلاح الدين من مصر وحكم على
القصر وأقام فيه قراقوش الاسدى وكان خصيا ابيض وبلغ نور الدين ذلك
ارسل الى صلاح الدين يأمره حتما جزما بقطع خطبة العلويين واقامة
الخطبة العباسية فراجعه صلاح الدين فى ذلك خوف الفتنة فلم يلتفت
اليه نور الدين واصر على ذلك وكان العاضد قد مرض فأمر صلاح الدين
الخطباء ان يخطبوا للمستضىء بأمر الله هو أبو محمد الحسن بن المستنجد بالله
العباسى خليفة بغداد ويقطعوا خطبة العاضد فامتثلوا ذلك ولم ينتطح
فيها عنزان وكانت قد قطعت الخطابة لبنى العباس من ديار مصر فى سنة
تسع وخمسين وثلثمائة فى خلافة المطيع لله العباسى حين تغلب الفاطميون
على مصر أيام المعز بالله الفاطمى بانى القاهرة الى هذا الآن وذلك مائتا
سنة وثمان سنين وكان العاضد قد اشتد مرضه فلم يعلمه أحد من أهله

بقطع خطبته فتوفى العاضد يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمسمائة
ولم يعلم بقطع خطبته واستولى صلاح الدين على قصر الخلافة وعلى جميع
مافيه وكانت كثرته تخرج عن الاحصاء ونقل أهل العاضد الى موضع
من القصر ووكل بهم من يحفظهم وخلا القصر من سكانه كان لم يغن بالامس
وهذا العاضد هو آخر خلفاء الفاطميين * وجملة مدتهم من حين ظهور
جدهم المهدى بالله عبيد الله بجلماسة فى ذى الحجة سنة ست وتسعين
ومائتين الى ان توفى العاضد فى التاريخ المذكور مائتان وسبعون سنة
ونحو شهر وهذا دأب الدنيا لم تعط الا واستردت ولم تحل الا وتمررت
ولم تصف الا وتكدرت بل صفوها لا يخلو من الكدر وانقرضت دولتهم
فى خلافة المستضىء بأمر الله العباسى كما تقدم ولما وصل خبر الخطبة
العباسية بمصر الى بغداد ضربت لها البشائر عدة أيام وسيرت الخلع مع
عماد الدين صندل وهو من خواص الخدام المنسوبة الى نور الدين وصلاح
الدين والخطباء وسيرت الاعلام السود * ثم توفى والد الملك صلاح الدين
وهو الملك الافضل نجم الدين أبو الشكر أيوب وكان ولده غائبا عن القاهرة
فى جهة الكرك لانه كان قصدها للغزو الافرنج فلما عاد وجد أباه قد مات
وسبب موته انه ركب بمصر فنفر به فرسه فوقع فحمل الى قصره وبقى
أياما ومات فى السابع والعشرين من ذى الحجة سنة ثمان وستين وخمسمائة
وكان خيرا عاقلا حسن السيرة كريما كثير الاحسان ودفن الى جانب
أخيه شيركوه ثم نقلا بعد سنتين الى المدينة الشريفة على ساكنها افضل
الصلاة والسلام * ثم دخلت سنة تسع وستين وخمسمائة فتوفى فيها الملك
العادل نور الدين الشهيد هو ابو القاسم محمود بن الملك المنصور عماد الدين
أبي الجود زنكي بن اق سنقر تغمده الله برحمته ومولده فى شوال سنة احدى
عشرة وخمسمائة وكانت وفاته يوم الاربعاء حادى عشر شوال سنة تسع
وستين وخمسمائة وكان ملكه لدمشق فى سنة تسع وأربعين وخمسمائة
بعد أن ملك حلب وغيرها من قبل ذلك وكان ملكا عادلا مجاهدا خيرا

فتح الفتوحات واتسع ملكه وخطب له بالحرمين واليمن ومصر وخطب له في الدنيا على جميع منابر الاسلام وبنى السبل والمكاتب واكمل سور المدينة الشريفة وطبق ذكره الارض بحسن سيرته وعدله وزهده رضى الله عنه واستقر بعده في الملك بدمشق ولده الملك الصالح اسماعيل فقصد الملك الناصر صلاح الدين دمشق وأخذها وكان الصالح توجه الى حلب ليقيم بها وثبت قدم الملك صلاح الدين وقرر أمر دمشق وكان دخوله اليها في سلخ ربيع الاول سنة سبعين وخمسمائة ثم سار الى حمص وحماه وملكهما ثم الى حلب وحاصرها فلم يقدر على أخذها لان أهلها صدوه عنها محبة في الملك الصالح وآخر الامر وقع الاتفاق أن يكون للملك الناصر صلاح الدين ما بيده من الشام وللملك الصالح ما بقى بيده منه فصالحهم على ذلك ورحل عن حلب وأخذ عدة أماكن وقلاع ممن هي بيده ثم عاد الى مصر * فلما توفى الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين في سنة سبع وسبعين وخمسمائة استقر بعده في الملك بحلب عمه عز الدين مسعود * ثم استقر بحلب عماد الدين زنكى بن مودود صاحب سنجار واستقر مسعود بسنجار بتراضيهما * ثم في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة في خامس المحرم سار الملك الناصر صلاح الدين عن مصر الى الشام ولم يعد بعد ذلك الى مصر الى ان توفى وسار في طريقه على بلاد الافرنج وغنم ووصل الى دمشق في صفر ثم سار في ربيع الاول ونزل قرب طبرية وشن الاغارة على بلاد الافرنج مثل بيسان وجيبين والغور فغنم وقتل ثم سار الى بيروت وحاصرها وأغار على بلادها ثم سار الى عدة بلاد * وفي السنة المذكورة وهي سنة ثمان وسبعين وخمسمائة قصد الافرنج المقيمون بالكرك والشوبك المسير لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم لينبشوا قبره الشريف وينقلوا جسده الكريم الى بلادهم ويدفنوه عندهم ولا يمكنوا المسلمين من زيارته الا بجعل فانشأ البرنس ارباط صاحب الكرك سفنا حملها على البر الى بحر القلزم وركب فيها الرجال وسارت الافرنج ومضوا

يريدون المدينة الشريفة فكان السلطان صلاح الدين على حوران فلما
بلغه ذلك بعث الى سيف الدولة بن منقذ نائبه بمصر يأمره بتجهيز الأمير
حسام الدين لؤلؤ الحاجب خلف العدو فاستعد لذلك وسار فى طلبهم
حتى أدركهم ولم يبق بينهم وبين المدينة الشريفة النبوية الا مسافة يوم
وكانوا نيفا وثلثمائة وقد انضم اليهم عدة من العربان المرتدة ففرّت
العربان والتجأ الافرنج الى رأس جبل صعب المرتقى فصعد اليهم فى نحو
عشرة أنفس وضايقهم فيه فخارت قواهم بعدما كانوا معدودين من
الشجعان وقبض عليهم وقيدهم وحملهم الى القاهرة وكان لدخولهم يوم
مشهود وتولى قتلهم الصوفية والفقهاء وأرباب الديانة بعدما ساق
رجلين من أعيان الافرنج الى منى ونحرهما هنالك كما تنحر البدن التى
تساق هديا الى الكعبة * ثم فى سنة تسع وسبعين وخمسمائة ملك حمص
وآمد وعنتاب وغيرهما ثم سار الى حلب وحاصرها وأخذها من صاحبها
عماد الدين زنكى ابن مودود بن عماد الدين وعوضه عنها سنجار ومامعها
وتسلم حلب فى صفر من هذه السنة ومن الاتفاقات العجيبة ان محيى الدين
ابن الزكى قاضى دمشق مدح السلطان بقصيدة منها

وفتحكم حلبا بالسيف فى صفر * مبشر بفتوح القدس فى رجب

فوافق فتح القدس فى رجب سنة ثلاث وثمانين على ماسنذكره ان شاء
الله تعالى * وفى سنة ثمانين وخمسمائة غزا السلطان الكرك وضيق
على أهلها من الافرنج وملك ربض الكرك وبقيت القلعة وحصل بين
المسلمين والافرنج القتال فرحل عنها وسار الى نابلس وأحرقها ونهب
مابتلك النواحى وقتل وأسر وسبى وعاد الى دمشق * وفى سنة احدى
وثمانين وخمسمائة ملك ميافارقين * وفى سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة
أحضر السلطان ولده الملك الافضل من مصر فاقطعه دمشق ثم أحضر
أخاه العادل من حلب وجعل ولده العزيز عثمان نائبا عنه بمصر واستدعى
نائبه بمصر هو ابن أخيه الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه وزاده على

حماه سنج والمعرة وكفرطاب وميا فارقين واستقر العزيز عثمان والعادل
أبو بكر فى مصر واستمر الحال على ذلك الى ان دخلت سنة ثلاث وثمانين
وخمسمائة * فيها كانت الوقعة العظيمة التى فتح الله بها بيت المقدس
وغيره على يد السلطان الاعظم والليث الهمام المقدم سلطان الاسلام
والمسلمين محيي العدل فى العالمين قاتل الكفرة والمشركين قاهر الخوارج
والمتمردين جامع كلمة الايمان قامع عبدة الصلبان رافع علم العدل
والاحسان خادم الحرمين الشريفين منقذ البيت المقدس من أهل
الزيغ والطغيان الملك الناصر صلاح الدنيا والدين هو أبو المظفر يوسف
ابن أيوب بن شادى تغمده الله برحمته واسكنه فسيح جنته وجزاه عن
الاسلام والمسلمين خيرا وذلك فى أيام الامام الاعظم والخليفة الاكرم
أمير المؤمنين ابن عم سيد المرسلين وارث الخلفاء الراشدين الامام
الناصر لدين الله هو ابو العباس أحمد بن الامام المستضيء بالله بن محمد بن
الحسن بن الامام المستنجد بالله ابي المظفر يوسف بن الامام المقتفى لامر
الله أبي عبد الله أبي العباس محمد بن الامام المستظهر بالله أحمد بن الامام
المقتدى بالله أبي القاسم عبد الله بن محمد الذخيرة بن الامام القائم بأمر
الله أبي جعفر عبد الله بن الامام القادر بالله ابي العباس أحمد بن الامير
اسحاق بن الامام المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن الامام المعتضد بالله
أبي العباس أحمد بن الموفق بالله أبي أحمد طلحة بن الامام المتوكل على الله
أبي الفضل جعفر بن الامام المعتصم بالله أبي اسحاق محمد بن الامام الرشيد
ابي جعفر هارون بن الامام المهدى أبي عبد الله محمد بن الامام المنصور
أبي جعفر عبد الله بانى مدينة السلام بغداد ابن محمد بن على بن عبد الله
ابن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه وعن اسلافه الطاهرين * وقد
حكى ان السلطان لما كثرت فتوحاته فى السواحل واوجع فيهم بسهامه
وسطوته وكان لا يتجاسر على فتح بيت المقدس لكثرة ما فيه من الابطال
والعدة لكونه كرسى دين النصرانية وكان فى بيت المقدس شاب مأسور

من

من أهل دمشق كتب هذه الابيات وأرسل بها الى الملك صلاح الدين على لسان القدس فقال

يا أيها الملك الذى * لمعالم الصلبان نكس
جاءت اليك ظلامة * تسعى من البيت المقدس
كل المساجد طهرت * وانا على شرفى منجس

فكانت هذه الابيات هى الداعية له الى فتح بيت المقدس ويقال ان السلطان وجد فى ذلك الشاب اهلية فولاه خطابة المسجد الاقصى *
وكان السلطان الملك الناصر رحمه الله لما عزم على الفتح كتب يستدعى للجهاد من جميع البلاد وبرز من دمشق يوم السبت مستهل شهر الله المحرم الحرام سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة قبل اجتماع العساكر عليه وحضور من استنفره للجهاد اليه وسافر بمن معه من عسكره وخيم على قصر سلامة من بصرى على سمت الكرك خوفا على الحاج من صاحب الكرك البرنس ارباط فانه كان شديد العداوة للمسلمين مقداما على الشر واثارة الحروب وكان قد عزم على أسر الحاج فلما أحس بنزول السلطان قريبا منه عاد وأقام بحصنه خشية على نفسه فوصل الحاج فى أول صفر الى وطنهم بدمشق واطمأنت فكرة السلطان عليهم وانتظر السلطان وصول العسكر المصرى فابطأ عليه فأمر ولده الملك الافضل نور الدين عليا أن يقيم برأس الماء ويجمع العساكر الواصلة اليه وتوجه السلطان ومن معه الى الكرك وضياعه فأحرق فيها ونهب واسر وسار الى الشوبك ففعل كذلك ووصل اليه عسكر مصر واستمر على هذا الحال شهرين والملك الافضل مقيم برأس الماء فى جمع عظيم ينتظر ما يأمره به والده ثم قوى عزمه على طبرية فسار بمن معه ووصل الى صفورية فخرج اليهم الافرنج فى جمع كبير والتقى الفريقان فنصر الله المسلمين وظفرهم بالمشركين فقتلوا منهم واسروا وعد ذلك من حسن تدبير الملك الافضل فوردت البشائر على السلطان بالكرك ثم سار السلطان واجتمع به ولده

وقد كثر عسكر الاسلام واجتمع واشتد عزمهم على الجهاد وقوى وسمع الافرنج بما هم فيه من الكثرة وتحققوا انهم مأخوذون وكان بينهم خلف وتنافر فشرعوا حينئذ فى الصلح وتوافقوا على اجتماع الكلمة ثم ان السلطان سار بالعسكر الى ديار الافرنج بعد ان رتب العسكر واستعرضه ورحل على هيئة عظيمة يوم الجمعة سابع عشر شهر ربيع الآخر وخيم على جبين ثم أصبح سائرا ونزل على الاردن وهو نهر الشريعة والافرنج قد تأهبوا للحرب بصفورية ورتبوا جيوشهم ورفعوا صلبانهم وكانوا نحو خمسين ألفا واكثر والسلطان فى كل صباح يسير اليهم ويراميهم (فتح طبرية) ثم قوى عزمه على طبرية فسار اليها ونزل عليها واحضر الجارين والنقابين وأمرهم بالهدم والنقب وكان ذلك يوم الخميس فنقبوا فى برج فهدموه وتسلقوا فيه وتسلموه ودخل الليل فلما بلغ الافرنج ذلك اعتدوا وشدوا عزمهم وعلموا ان طبرية متى أخذت تؤخذ منهم جميع البلاد فاجتمع الافرنج مع ملوكهم وساروا بفارسهم وراجلهم نحو السلطان فبلغ السلطان ذلك يوم الجمعة فاكذب الخبر واستغار الله تعالى وسار بعسكره وجاء يوم الجمعة رابع عشر ربيع الآخر والافرنج سائرون الى طبرية فرتب السلطان الاطلاب فى مقاتلتهم فحال الليل بين الفريقين (وقعة حطين) وهى الوقعة العظمى فلما أسفر الصبح ثار الحرب بين الفريقين وصاح المسلمون صيحة رجل واحد فألقى الله الرعب فى قلوب الكافرين ووقع البطش فى الافرنج ومكن الله المسلمين منهم فأووا الى جبل حطين وهى قرية عندها قبر النبى شعيب عليه الصلاة والسلام وانهزم القمس حين أحس بالكسرة وذلك قبل اضطراب الجمع فدهمهم المسلمون ومالوا عليهم من كل جانب فتثبتوا فأحاط بهم عسكر الاسلام وأوقدوا حولهم النيران فانه كان تحت اقدام خيولهم حشيش فأمر السلطان بالقاء النار فيه فاجتمع عليهم حر الشمس وحر النار واشتد بهم العطش وضاق بهم الامر ووقع فيهم السيف واشتد القتال فنصر الله المسلمين واطلقوا

عليهم السهام وحكموا فيهم السيوف وأبادوا الافرنج قتلا واسرا وأسروا ملكهم ومن معه وسميت هذه الوقعة وقعة حطين وهى من الوقعات المشهورة وقتل من الافرنج ثلاثون ألفا من شجعانهم وفرسانهم وروى بعض الفلاحين وهو يقود نيفا وثلاثين أسيرا قد ربطهم فى طنب خيمته وباع منهم واحدا بنعل لبسه فى رجله فقيل له فى ذلك فقال أحببت أن يقال باع أسيرا بمداس وجلس السلطان لعرض اكابر الاسارى فأول من قدم اليه مقدم الراوية وعدة كثيرة منهم ومن الاستبارية وأحضر الملك كى وأخاه جفرى وأود صاحب جبيل وهنفرى والبرنس ارباط صاحب الكرك وهو أول من أسر وكان السلطان قد نذر دمه وأقسم انه اذا ظفر به يعجل باتلافه لانه كان قد عبر به بالشوبك قوم من الديار المصرية فى حال الصلح فغدر بهم وقتلهم فناشدوه الصلح الذى بينه وبين المسلمين فقال ما يتضمن الاستخفاف بالنبى صلى الله عليه وسلم وقصد المسير الى المدينة المنورة ومكة المشرفة كما تقدم ذكره وبلغ ذلك السلطان فحملته الحمية الدينية على ان نذر دمه ولما فتح الله عليه بنصره جلس فى دهليز الخيمة لانها لم تكن نصبت بعد وعرضت عليه الاسارى فلما حضر بين يديه اجلسه الى جنب الملك والملك بجنب السلطان وقرعه على غدره وقصده الحرمين الشريفين وذكره بذنبه من حلفه وحنثه ونقضه العهود والمواثيق فقال الترجمان انه يقول قد جرت بذلك عادة الملوك وكان الملك كى يلهث من الظما فآنسه السلطان وسكن رعبه وأتى بماء مثلوج فشرب منه ثم ناوله البرنس فأخذه من يده فشربه الملعون فقال السلطان للملك ان هذا الملعون لم يشرب الماء باذنى فيكون امانا له ثم نصبت له الخيام فلما جلس فى خيمته أحضر البرنس فلما أقبل عليه أوقفه بين يديه وقال له ها انا انتصر لمحمد منك ثم عرض عليه الاسلام فلم يقبل فبادر وضربه بالسيف فصرعه ثم امر برأسه فقطع وجر برجله قدام الملك فارتاع وانزعج فعرف السلطان منه ذلك فاستدعاه وأمنه وطمنه وقال ذلك لما تجدر

غدربابه لانه تجاوز الحد وتجرأ على الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه وكانت هذه النصرة للمسلمين في يوم السبت لخمس بقين من ربيع الآخر وبات الناس فى تلك الليلة على أتم سرور وترفع أصواتهم بحمد الله تعالى وشكره وتهليله وتكبيره حتى طلع الفجر * واما الصليب الاعظم عندهم فان المسلمين استولوا عليه يوم المصاف ولم يؤسر الملك حتى أخذ صليب الصلبوت وهو الذى اذا رفع ونصب سجد له كل نصرانى وركع وهم يزعمون انه من الخشبة التى صلب عليها معبودهم وقد غلفوه بالذهب وكللوه بالجوهر وكان أخذه عندهم أعظم من أسر الملك وعظمت مصيبتهم بأخذه ثم نزل السلطان على صحراء طبرية وندب الى حصنها من تسلمه بالامان وكانت الست صاحبة طبرية قد حمته ونقلت اليه كل ما تملكه فأمنها على أصحابها وأموالها وخرجت بمن معها الى طرابلس بلد زوجها القمس وصارت طبرية للمسلمين وعين لولايتها صارم الدين قيماز النجمى وكان من الاكابر والسلطان نازل ظاهر طبرية فلما أصبح يوم الاثنين سابع عشرى ربيع الآخر طلب السلطان الاسارى من الراوية والاستبارية فاحضر العسكر منهم فى الحال مائتين وأمر بضرب أعناقهم وكان عنده جماعة من أهل العلم والتصوف فسأل كل واحد فى قتل واحد فقتلوا بحضرة السلطان ثم سير ملك الافرنج وأخاه وهنفرى وصاحب جبيل ومقدم الراوية وجميع اكابرهم المأسورين الى دمشق وسجنهم (فتح عكا) ورحل السلطان ظهر يوم الثلاثاء بمن معه من العساكر الاسلامية ونزل عشية بارض لوبيا فلما أصبح سار وكان فى صحبته الامير عز الدين أبو فليتة القاسم بن المهنى الحسينى أمير المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وكان حضر تلك السنة صحبة الحجاج وهو ذو شيبة نيرة وحضر مع السلطان هذا الفتح جميعه فاقبل السلطان على عكا وخيم قريبا منها وأصبح يوم الخميس ركب لحربها فخرج أهل البلد يطلبون الامان فامنهم وخيرهم بين المقام والانتقال وامهلهم أياما حتى

ينتقل من يختار النقلة فاسرع الافرنج فى الخروج منها ودخل الجند
واستولوا على الدور ونزلوا بها وغنموا منها شيئا كثيرا وكان السلطان جعل
للفقيه ضياء الدين عيسى الهكارى كل ما يتعلق بالزاوية من منازل وضياع
فاخذها بما فيها ووهب عكا لولده الملك الافضل ودخلها المسلمون يوم
الجمعة مستهل جمادى الاولى وصليت الجمعة بها وجعلت الكنيسة العظمى
مسجدا جامعا ورتب فيه القبلة والمنبر وخطب جمال الدين عبد اللطيف
ابن الشيخ أبى النجيب السهروردى وتولى بها القضاء والخطابة وأقام
السلطان فى خيمة بباب عكا على التل وكتب لاخيه الملك العادل سيف
الدين أبى بكر وهو بمصر يعلمه بالفتح فوصلت البشائر للسلطان بوصوله
وانه فتح فى طريقه حصن مجدل يابا ومدينة يافا عنوة وغنم ما فيها فتوجه
اليه القصاد من اخيه السلطان الملك الناصر وانعم عليهم مما غنمه وسباه
بشئ كثير واستمر السلطان مقيما بخيمه وفرق الامراء لفتح البلاد
المجاورة وأمدهم بالعساكر (فتح الناصرة وصفورية) فسار مظفر الدين
كوكبورى صاحب اربد الملقب بالملك المعظم الى الناصرة ومعه حسام
الدين ابن طومان وفتحها وأخذ ما فيها وسبى نساءها واسر رجالها واما
صفورية فهرب أهلها فلم يجدوا بها أحدا وكان بها من الاموال والذخائر
مالا يحصى (فتح قيسارية) وتوجه بدر الدين دلدرم وغرس الدين قلج
وجماعة من الامراء الى قيسارية ففتحوها بالسيف واستولوا على ما فيها
ثم تسلموا ارسوف (فتح نابلس) وسار حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين
على سمت نابلس ووصل الى سبسطية فتسلمها ووجد مشهد زكريا
عليه السلام قد اتخذوه القسوس كنيسة فاعاده مشهدا كما كان ثم قصد
نابلس ونازلها وحاصرها ولم يزل مقيما عليها حتى استأمنوه ووثقوا
بأمانه ثم سلموها وخلصت له نابلس وأعمالها وكان معظم أهلها وجميع
سكان نواحيها مسلمين وكانوا فى شدة عظيمة من الافرنج (فتح الفولة
وغيرها) وكانت الفوله من أحسن الحصون وفيها من العدد والاموال

شئ كثير وكانت مجمعهم فلما كان يوم المصاف خرجوا بأجمعهم وحصل لهم ماحصل من القتل والحصر والاسر ولم يبق فيها الا الاراذل فسلموا الحصن بما فيه الى السلطان وتسلموا جميع مايتلك الناحية مثل دبورية وجينين ودرعين والطوالية والعجون وبيسان والقيمون وجميع مالطبرية وعكا من الولايات والزيب ومعليا والبعنه واسكندرية (فتح تبنين) ثم أمر السلطان ابن أخيه الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بقصد حصن تبنين فقصده وأخذ في مضايقته وطال حصاره فارسلوا الى السلطان وسألوه الامان واستمهلوا خمسة أيام فامهلوا بعدان بذلوا رهائن واطلقوا ماعندهم من الاسرى فسر السلطان بذلك وأحسن الى المأسورين وكان هذا دأبه في كل بلد يفتحه فخلص في تلك السنة من الاسرى اكثر من عشرين ألف أسير وأخلوا القلعة ثم ساروا الى صور صحبة جماعة من عسكر السلطان ورتب في الموضع مملوكه سنقر الدوري وأوصاه بحفظها وكان النزول على تبنين يوم الاحد حادي عشر جمادى الاولى وتسلمها يوم الاحد الثامن عشر منه (فتح صيدا) نزل السلطان عليها يوم الاربعاء الحادي والعشرين من جمادى الاولى وهي مدينة لطيفة على الساحل بها انهار وبساتين وأشجار فجاءت رسل صاحبها بمفاتيحها وقد أخلاها وتسلمها السلطان ونصبت عليها رايات الاسلام واقيمت بها الجمعة والجماعة (فتح بيروت) ثم سار السلطان الى بيروت وكان النزول عليها يوم الخميس ثاني عشر جمادى الاولى ووقع القتال واشتد ثم نقب السور حتى كاد يقع البرج وضاق الامر بهم فطلبوا الامان وان يكتب لهم السلطان مثالا بذلك فكتب لهم وأمنهم وتسلم السلطان بيروت يوم الخميس التاسع والعشرين من جمادى الاولى (فتح جبيل) ولما كان السلطان على بيروت وصل اليه كتاب الصفي بن القابض من دمشق يتضمن ان اودصاحب جبيل اذعن بتسليمها ويطلق فرسم السلطان باحضاره وهو مقيد فاحضر بين يديه

وسمح بتسليم بلده وتسلمها السلطان وأطلقه ولم تكن عاقبة اطلاقه حميدة فانه كان من أعظم الافرنج واشدهم عداوة للمسلمين وكان معظم أهل صيداو بيروت وجبيل مسلمين وكانوا فى ذل كبير من مساكنة الافرنج ففرج الله عنهم وكان تسليم جبيل فى يوم الثلاثاء سابع عشرى جمادى الاولى والسلطان يومئذ على بيروت وكان كل من استأمن من الكفار مضى الى صور وصارت منزلهم وهى التى فر القمس اليها يوم كسرتهم على حطين (هلاك القمس ودخول المركيس الى صور) لما عرف القمس قرب السلطان منها أخلاها وتوجه الى طرابلس فهلك بها وكان المركيس من اكبر طواغيت الكفر ولم يكن وصل الى بلاد الساحل قبل هذا العام واتفق وصوله الى ميناء عكا ولم يعلم بفتحها ولا مافيها من المسلمين فلما قدم عليها تعجب من أهلها لكونهم لم يتلقوه ورأى من فيها غير هيئة النصارى فارتاب لذلك وسأل عن الحال فاخبروه بما وقع ففكر فى النجاة وقصد الفرار فلم تهب له ريح وسأل عن البلد ومن اليه أمره فقيل له الملك الافضل فقال خذوا الى منه امانا حتى أدخل فجىء اليه بالامان فقال ما أثق الا بخط يده فما زال يردد الرسل ويدبر الحيل حتى وافقته الريح فاقلع وتوجه الى صور وضبطها بمن فيها وأرسل رسله الى الجزائر يستعدى ويستنفر وثبت فى صور وبقى كلما فتح السلطان بلدا بالامان يسير اهلها فى حفظ السلطان الى صور فاجتمع اليه أهل البلاد المفتوحة باجمعهم وشرع المركيس يحفر الخندق ويحكمه وسنذكر ما كان من أمره ان شاء الله تعالى (فتح عسقلان وغزة والرملة والداروم وغيرها) وكان النزول على عسقلان يوم الاحد سادس عشر جمادى الآخرة ولما فرغ السلطان من فتح بيروت وجبيل عاد عابرا على صيدا وصرفند وجاء الى صور ولم يكترث بأمرها وكان قد استحضر ملك الافرنج ومقدم الراوية وشرط معهما واستوثق منهما انه يطلقهما من الاسر اذا تمكن من بقية البلاد فانزعج المركيس بصور واشتد خوفه واجتمع السلطان باخيه الملك العادل واتفقا على المسير ونزل على

عسقلان وحاصرها ورماها بالمناجيق واشتد القتال وراسلهم عند ذلك الملك المأسور وأشار عليهم بعدم مخالفته وترددت الرسل ثم أذعنوا بأنهم يسلمون عسقلان على ان يخرجوا بأموالهم بعد أخذهم الميثاق واليمين وذلك في يوم السبت سلخ جمادى الآخرة فكان حصارها أربعة عشر يوما وكان بين فتح عسقلان وأخذ الافرنج لها من المسلمين خمس وثلاثون سنة فانهم كانوا أخذوها من المسلمين فى السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة وممن استشهد على عسقلان من الامراء الكبار ابراهيم بن حسين المهرانى وهو أول أمير استشهد وكان السلطان قد أخذ فى طريقه اليها الرملة ويبنا وبيت لحم والخليل وأقام بها حتى تسلم حصون الداروم وغزة والنطرون وبيت جبريل واجتمع بالسلطان ولده صاحب مصر الملك العزيز عثمان بعسقلان فقرت عينه بقدومه واعتضد به وكان قد استدعى الاساطيل فحضرت والحاجب لؤلؤ مقدمها وشرع يقطع الطريق على سفن العدو ومراكبه ويقف له فى جزائر البحر وسنذكر ذلك فى محله ان شاء الله تعالى (فتح بيت المقدس) ثم رحل السلطان من عسقلان الى القدس الشريف وسمع خبره من فى القدس فاشتد رعبهم وكان بها من مقدمى الافرنج باليان بن بارزان والبطرك الاعظم ومن كلا الطائفتين الاستبارية والراوية وضاقت بهم منازلهم فاخذوا فى تدبير أنفسهم وأيسوا وصاروا فى هرج ومرج واشتد بهم الكرب وأقبل السلطان بعساكر الاسلام وهو فى ابهته وهيئته المرهبة ونزل على القدس الشريف من جهة الغرب يوم الاحد خامس عشر رجب وكان فى القدس يومئذ ستون ألف مقاتل من الافرنج وقد وقفوا دون البلد للمبارزة وقاتلوا أشد القتال واستمر الحرب بين الفريقين فانتقل السلطان يوم الجمعة لعشرين من رجب الى الجانب الشمالى وخيم هنالك وضيق على الافرنج ونصب المناجيق ورمى بها حتى تهدم غالب السور ثم أخذ المسلمون فى نقب السور مما يلى وادى جهنم واشتد القتال وتباشر أهل

الاسلام

الاسلام بالفتح وكان يوما عسيرا على الكافرين غير يسير فبرز من
الافرنج ابن بارزان ليطلب الامان من السلطان فلم يجبه السلطان الى
ذلك وقال لا آخذها الا بالسيف مثل ما أخذها الافرنج من المسلمين
فتعرضوا للتضرع وعاودوه فى طلب الامان وعرفوه ما هم عليه من الكثرة
وانهم ان ايسوا من الامان قاتلوا خلاف ذلك ولا يجرح أحد منهم حتى
يجرح عشرة ويخربوا الدور وقبة الصخرة ويقتلوا كل من عندهم من
أسارى المسلمين وهم الوف ويعدموا ما عندهم من الاموال وكذلك
الذرارى فعقد السلطان محضرا للشورة وأحضر اكابر دولته واكثر
عساكره وشاورهم فى الامر ودار الكلام بينهم واجتمع رأيهم على الصلح
بشرط أن يؤدى كل من بها من الرجال عشرة دنانير ومن النساء خمسة
ويؤدى عن الطفل ديناران وأى من عجز عن الاداء كان أسيرا فاجاب
الافرنج الى ذلك ودخل ابن بارزان والبطرك ومقدم الراوية والاستبارية
فى الضمان وبذل ابن بارزان ثلاثين ألف دينار عن الفقراء وسلموا البلد
يوم الجمعة قبيل الظهر وقت الصلاة السابع والعشرين من رجب على هذا
الشرط ولم تتفق يومئذ صلاة الجمعة لضيق الوقت وكان فيها اكثر من مائة
ألف انسان من الرجال والنساء والصبيان واغلقت أبواب المدينة ورتب
النواب لعرضهم واستخراج المال منهم ووكل بكل باب أمين ومقدم كبير
يضبط من يدخل ويخرج فمن أدى ما عليه مكن من الخروج ومن لم يؤد
قعد فى الحبس وحصل التفريط من العمال فى المال وشرعوا يواطئون
الافرنج فى ذلك لارتشائهم منهم فمنهم من دلى من السور بالحبال ومنهم
من ظهر مختفيا ومنهم من وقعت فيه شفاعة وكانت فى القدس ملكة
مترهبة ولها مال كثير فمن عليها السلطان بالافراج ولم يتعرض منها الى شئ
وكانت زوجة الملك المأسور ابنة الملك أيادى فخلصت بمن معها ومن تبعها
وكذلك الابرنسانية ابنة فليب ام هنفرى أعفيت من الوزن واستطلق
صاحب البيرة زهاء خمسمائة أرمنى اذ ادعى انهم من بلده وانهم حضروا

للزيارة وطلب مظفر الدين كوكبورى ألف ارمنى ادعى انهم من الزهاد فاطلقهم السلطان وكان السلطان قد رتب عدة دواوين فى كل ديوان منها عدة من النواب المصريين ومنهم من الشاميين فمن أخذ من أحد من الدواوين خطا بالاداء انطلق مع الطلقاء بعد عرض خطه على من الباب من الامناء والوكلاء وحصل من الامناء مواطأة واختلاس كثير فى المال ومع ذلك حصل لبيت المال ما يقارب مائة ألف دينار وبقى من الافرنج جماعة فى الاسر لعدم القيام بما عليهم ﴿ذكر يوم الفتح﴾ وهو يوم سابع عشرى رجب كما تقدم واتفق فتح بيت المقدس فى يوم كان مثل ليلة معراج النبى صلى الله عليه وسلم ورفعت الاعلام الاسلامية على اسواره وجلس السلطان للقاء الاكابر والامراء والمتصوفة والعلماء وهو جالس على هيئة التواضع وعليه الابهة والوقار وحوله أهل العلم والفقهاء وعليهم السكينة والجلال وقد ظهر السرور على أهل الاسلام بنصرتهم على عدوهم المخذول وزينت بلاد الاسلام لفتح بيت المقدس وتسامع الناس بهذا النصر والفتح فوفدوا للزيارة من سائر البلاد واما الافرنج فشرعوا فى بيع امتعتهم واستخراج ذخائرهم وباعوها بالهوان وتقاعد الناس فى الشراء فابتاعوها بارخص ثمن وكان ما يساوى عشرة دنانير يباع باقل من دينار وأخذوا ما فى كنائسهم من اوانى الذهب والفضة والستور وجمع البطرك كل ما كان على القبر من صفائح الذهب والفضة وجميع ما كان فى القمامة فقال العماد الكاتب للسلطان هذه أموال جزيلة تبلغ مائتى ألف دينار والامان فى أموالهم لا على أموال الكنائس والديارات فلا نتركها لهم فقال السلطان اذا تأولنا عليهم نسبونا الى الغدر فنحن نجريهم على ظاهر الامان ولا ندعهم يتكلمون فى حق المسلمين وينسبونهم الى الغدر والنكث بل ندعهم يثنون عنا الجميل فاخذ الافرنج ما خف حمله وتركوا ما ثقل وانتقل بعضهم الى صور وبقى منهم زهاء خمسة عشر ألفا لم يؤدوا ما شرط عليهم قد دخلوا فى الرق وكان الرجال نحو سبعة آلاف

فاقتسمهم المسلمون واحصيت النساء والصبيان ثمانية آلاف نسمة وما أصيب الافرنج من حين خرجوا الى الشام فى سنة تسعين واربعمائة الى الآن بمصيبة مثل هذه الواقعة ووصل المستنفرون من الكفار الى أقصى بلاد الافرنج ومثلوا صورة المسيح عليه السلام وصورة النبى صلى الله عليه وسلم وهو بيده عصا وهو يقصد المسيح ليضربه والمسيح منهزم منه وأقاموا الشناع والغوغا فى بلادهم لذلك واشتد ملوكهم واعتدوا وجهزوا العساكر لقصد بلاد الاسلام ومحاربة الملك صلاح الدين رحمه الله تعالى ولما استقر بيت المقدس مع المسلمين وطهره الله من المشركين سأل النصارى فى الاقامة به ببذل الجزية وان يدخلوا فى الذمة فاجيبوا الى ذلك * ولما تسلم السلطان القدس أمر باظهار المحراب وكان الراوية قد بنوا فى وجهه جدارا وتركوه هويا وقيل اتخذوه مستراحا وبنوا غربى القبلة دارا وسيعة وكنيسة فهدم ما قدام المحراب من الابنية ونصب المنبر وأظهر المحراب ونقض ما أحدثوه بين السوارى وفرش المسجد بالبسط وعلقت القناديل وكان يوما مشهودا ظهر فيه عز الاسلام وعلت كلمة الايمان وبطلت نغمات القسس والرهبان وعلت أصوات أهل التوحيد بالقرآن وخرس الناقوس وسمع الاذان وعزل الانجيل وتولى القرآن وبطل ما كان بالمسجد الاقصى من الكفر والطغيان وعبد فيه الملك الديان وقد تقدم ان من الاتفاقات العجيبة ان محيي الدين بن زكى قاضى دمشق لما فتح السلطان صلاح الدين حلب فى صفر سنة تسع وسبعين وخمسمائة مدحه بقصيدة منها

وفتحكم حلبا بالسيف فى صفر * مبشر بفتوح القدس فى رجب

فكان كما قال وفتح القدس فى رجب كما تقدم فقيل لمحيي الدين من أين لك هذا فقال أخذته من تفسير ابن برجان فى قوله تعالى الم غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين وكان الامام أبو الحكم ابن برجان الاندلسى قد صنف تفسيره المذكور

فى سنة عشرين وخمسمائة وبيت المقدس اذ ذاك فى يد الافرنج لعنهم الله تعالى قال ابن خلكان فى تاريخه فى ترجمة ابن الزكى ولما وقفت انا على هذا البيت وهذه الحكاية لم ازل أطلب تفسير ابن برجان حتى وجدته على هذه الصورة قال ولكن رأيت هذا الفصل مكتوبا على الحاشية بخط غير الاصل ولا أدرى هل كان من أصل الكتاب أم هو ملحق وذكر له حسابا طويلا وطريقا فى استخراج ذلك حتى حرره من قوله فى بضع سنين انتهى ﴿ذكر أوّل خطبة بعد الفتح﴾ ولما فتح السلطان القدس تطاول الى الخطابة يوم الجمعة كل واحد من العلماء الذين كانوا فى خدمته حاضرين وجهز كل واحد منهم خطبة بليغة طمعا فى أن يكون هو الذى يعين لذلك والسلطان لا يعين الخطبة لاحد فلما دخل يوم الجمعة رابع شعبان واجتمع الناس لصلاة الجمعة حتى امتلأ الجامع ونصبت الاعلام على المنبر وتكلم الناس فيمن يخطب والامر مبهم حتى حان الزوال وأذن المؤذن للجمعة فرسم السلطان وهو بقبة الصخرة للقاضى محيي الدين محمد بن زكى الدين على القرشى أن يخطب وهى أوّل جمعة صليت بالمسجد الاقصى الشريف بعد الفتح وأعاره العماد الكاتب اهبة سوداء كانت عنده من تشريف الخلافة ليلبسها فى الحال فلما رقى على المنبر استفتح بسورة الفاتحة فقرأها الى آخرها ثم قال فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين * ثم قرأ أوّل سورة الانعام الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون وهو الله فى السموات وفى الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون * ثم قرأ من سورة سبحان الذى اسرى وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا * ثم قرأ من سورة الكهف أولها الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات

أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا مالهم
به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا
فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا * ثم قرأ
من سورة النمل وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما
يشركون * ثم قرأ من سورة سبأ الحمد لله الذى له ما فى السموات وما
فى الارض وله الحمد فى الآخرة وهو الحكيم الخبير * ثم قرأ من سورة فاطر
الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا أولى اجنحة مثنى
وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء ان الله على كل شئ قدير ما يفتح الله
للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز
الحكيم * ثم شرع فى الخطبة فقال الحمد لله معز الاسلام بنصره ومذل
الشرك بقهره ومصرف الامور بأمره ومديم النعم بشكره ومستدرج
الكفار بمكره الذى قدر الايام دولا بعدله وجعل العاقبة للمتقين بفضله
وأفاء على عباده من ظله وأظهر دينه على الدين كله القاهر فوق عباده
فلا يمانع والظاهر على خليقته فلا ينازع والآمر بما يشاء فلا يراجع
والحاكم بما يريد فما يدافع * أحمده على اظفاره واظهاره واعزازه لاوليائه
ونصره لانصاره وتطهير بيته المقدس من ادناس الشرك واوضاره حمد
من استشعر الحمد باطن سره وظاهر جهاره وأشهد أن لا اله الا الله
وحده لا شريك له الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد
شهادة من طهر بالتوحيد قلبه وأرضى به ربه واشهد ان محمدا عبده
ورسوله رافع الشك وداحض الشرك ورافض الافك الذى أسرى به
ليلا من المسجد الحرام الى هذا المسجد الاقصى وعرج به منه الى السموات
العلي الى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى اذ يغشى السدرة ما يغشى
ما زاغ البصر وما طغى صلى الله عليه وسلم وعلى خليفته أبي بكر الصديق
السابق الى الايمان وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول من رفع عن
هذا البيت شعائر الصلبان وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ذى

النورين جامع القرآن وعلى أمير المؤمنين على بن أبي طالب مزلزل الشرك ومكسر الاوثان * وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم باحسان * أيها الناس أبشروا برضوان الله الذى هو الغاية القصوى والدرجة العليا لما يسره الله على أيديكم من استرداد هذه الضالة من الامة الضالة وردها الى مقرها من الاسلام بعد ابتذالها فى أيدى المشركين قريبا من مائة عام وتطهير هذا البيت الذى اذن الله ان يرفع ويذكر فيه اسمه واماطة الشرك عن طرقه بعد أن امتد عليها رواقه واستقر فيها رسمه ورفع قواعده بالتوحيد فانه بنى عليه وشيد بنيانه بالتمجيد فانه اسس على التقوى من خلفه ومن بين يديه فهو موطن أبيكم ابراهيم ومعراج نبيكم عليه الصلاة والسلام وقبلتكم التى كنتم تصلون اليها فى ابتداء الاسلام وهو مقر الانبياء ومقصد الاولياء ومدفن الرسل ومهبط الوحى ومنزل ينزل به الامر والنهى وهو فى أرض المحشر وصعيد المنشر وهو فى الارض المقدسة التى ذكرها الله فى كتابه المبين وهو المسجد الاقصى الذى صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالملائكة المقربين وهو البلد الذى بعث الله اليه عبده ورسوله وكلمته التى القاها الى مريم وروحه عيسى الذى اكرمه برسالته وشرفه بنبوته ولم يزحزحه عن رتبة عبوديته فقال تعالى لن يستنكف المسيح أن يكون عبد الله ولا الملائكة المقربون كذب العادلون بالله وضلوا ضلالا بعيدا ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن فى الارض جميعا ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شئ قدير وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير يا أهل الكتاب

قدجاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير
ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شئ قدير وهو أول القبلتين
وثانى المسجدين وثالث الحرمين لا تشد الرحال بعد المسجدين الا اليه
ولا تعقد الخناصر بعد الموطنين الا عليه فلولا انكم ممن اختاره الله من
عباده واصطفاه من سكان بلاده لما خصكم بهذه الفضيلة التى لا يجاريكم
فيها مجار ولا يباريكم فى شرفها مبار فطوبى لكم من جيش ظهرت على
أيديكم المعجزات النبوية والوقعات البدرية والعزمات الصديقية
والفتوحات العمرية والجيوش العثمانية والفتكات العلويه جددتم
للاسلام أيام القادسيه والملاحم اليرموكية والمنازلات الخيبريه
والهجمات الخالدية فجزاكم الله عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أفضل
الجزاء وشكر لكم ما بذلتموه من مهجكم فى مقارعة الاعداء وتقبل منكم
ما تقربتم به اليه من اهراق الدماء وأثابكم الجنة فهى دار السعداء
فاقدروا رحمكم الله هذه النعمة حق قدرها وقوموا لله قانتين بواجب
شكرها فله تعالى المنة عليكم بتخصيصكم بهذه النعمة وترشيحكم لهذه
الخدمة فهذا هو الفتح الذى فتحت له أبواب السماء وتبلجت بأنوار وجوده
الظلماء وابتهج به الملائكة المقربون وقر به عينا الانبياء والمرسلون
فماذا عليكم من النعمة أن جعلكم الجيش الذى يفتح على يديه البيت
المقدس فى آخر الزمان والجند الذى تقوم بسيوفهم بعد فترة من النبوة
اعلام الايمان فيوشك ان يفتح الله على أيديكم امثاله وان يكون التهانى
لاهل الخضراء اكثر من التهانى لاهل الغبراء أليس هو البيت الذى
ذكره الله فى كتابه ونص عليه فى محكم خطابه فقال تعالى سبحان الذى اسرى
بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه
من آياتنا انه هو السميع البصير أليس هو البيت الذى عظمته الملل
وأثنت عليه الرسل وتليت فيه الكتب الاربعة المنزلة من الله عز وجل
أليس هو البيت الذى أمسك الله تعالى لاجله الشمس على يوشع ان

تقرب وباعد بين خطواتها بالتيسر فتحه ويقرب اليس هو البيت الذى أمر الله عز وجل موسى ان يأمر قومه باستنقاذه فلم يجبه الا رجلان وغضب الله عليهم لاجله فألقاهم فى التيه عقوبة للعصيان فاحمدوا الله الذى امضى عزائمكم لما نكلت عنه بنو اسرائيل وقد فضلت على العالمين ووفقكم لما خذلت فيه امم كانت قبلكم من الامم الماضين وجمع لاجله كلمتكم وكانت شتى وأغناكم بما امضيته كان وقد عن سوف وحتى فليهنكم ان الله قد ذكركم به فيمن عنده وجعلكم بعدان كنتم جنودا الاهويتكم جنده وشكر لكم الملائكة المنزلون على ما أهديتم لهذا البيت من طيب التوحيد ونشر التقديس والتمجيد وما امطتم عن طرقهم فيه من أذى الشرك والتثليث والاعتقاد الفاجر الخبيث فالآن تستغفر لكم املاك السموات وتصلى عليكم الصلوات المباركات فاحفظوا رحمكم الله هذه الموهبة فيكم واحرسوا هذه النعمة عندكم بتقوى الله التى من تمسك بها سلم ومن اعتصم بعروتها نجا وعصم واحذروا من اتباع الهوى ومواقعة الردى ورجوع القهقرى والنكول عن العدى وخذوا فى انتهاز الفرصه وازالة ما بقى من الغصه وجاهدوا فى الله حق جهاده وبيعوا عباد الله أنفسكم فى رضاه اذ جعلكم من خيار عباده واياكم ان يستزلكم الشيطان وان يتداخلكم الطغيان فيخيل لكم ان هذا النصر بسيوفكم الحداد وخيولكم الجياد وبجلادكم فى مواطن الجلاد لا والله ما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم فاحذروا عباد الله بعد ان شرفكم الله بهذا الفتح الجليل والمنح الجزيل وخصكم بنصره المبين وأعلق أيديكم بحبله المتين ان تقترفوا كبيرا من مناهيه وان تأتوا عظيما من معاصيه فتكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا وكالذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين والجهاد الجهاد فهو من أفضل عباداتكم واشرف عاداتكم انصروا الله ينصركم احفظوا الله يحفظكم اذكروا الله يذكركم اشكروا الله يزدكم ويشكركم خذوا فى حسم الداء وقطع شأفة

الاعداء وطهروا بقية الارض من هذه الانجاس التي اغضبت الله ورسوله
واقطعوا فروع الكفر واجتثوا أصوله فقد نادت الايام بالثارات
الاسلامية والملة المحمدية الله اكبر فتح الله ونصر غلب الله وقهر اذل الله
من كفر واعلموا رحمكم الله ان هذه فرصة فانتهزوها وفريسة فناجزوها
وغنيمة فحوزوها ومهمة فأخرجوا لها هممكم وأبرزوها وسيروا اليها
سرايا عزماتكم وجهزوها فالامور باواخرها والمكاسب بذخائرها فقد
أظفركم الله بهذا العدو المخذول وهم مثلكم أو يزيدون فكيف وقد اضحى
قبالة الواحد منهم منكم عشرون فقد قال تعالى ان يكن منكم عشرون
صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا
بأنهم قوم لا يفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن
منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا الفين باذن
الله والله مع الصابرين أعاننا الله واياكم على اتباع أوامره والازدجار
بزواجره وأيدنا معاشر المسلمين بنصر من عنده ان ينصركم الله فلا غالب لكم
وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده ان أشرف مقال يقال في مقام
وأنفذ سهام تمرق عن قسي الكلام وأمضى قول تحلى به الافهام كلام
الواحد الفرد العزيز العلام قال الله تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له
وانصتوا لعلكم ترحمون أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن
الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم هو
الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر
ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله
من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم
وايدي المؤمنين فاعتبروا يا اولي الابصار ثم قال آمركم واياي عباد الله بما
أمر الله به من حسن الطاعة فاطيعوه وأنهاكم واياي عما نهى الله عنه من
قبح المعصية فلا تعصوه أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم
ولسائر المسلمين فاستغفروه ثم خطب الخطبة الثانية على عادة الخطباء

مقتصرة ثم دعا للامام الناصر خليفة العصر ثم قال اللهم وأدم سلطان عبدك الخاضع لهيبتك الشاكر لنعمتك المعترف بموهبتك سيفك القاطع وشهابك اللامع والمحامي عن دينك المدافع والذاب عن حرمك الممانع السيد الاجل الملك الناصر جامع كلمة الايمان وقامع عبدة الصلبان صلاح الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين مطهر البيت المقدس من أيدي المشركين أبي المظفر يوسف بن ايوب محيي دولة أمير المؤمنين اللهم عم بدولته البسيطه واجعل ملائكتك براياته محيطه وأحسن عن الدين الحنيفي جزاءه واشكر عن الملة المحمدية عزمه ومضاءه اللهم أبق للاسلام مهجته ووف للايمان حوزته وانشر في المشارق والمغارب دعوته اللهم كما فتحت على يديه البيت المقدس بعد ان ظنت الظنون وابتلي المؤمنون فافتح على يديه داني الارض وقاصيها وملكه صياصي الكفرة ونواصيها فلا تلقاه منهم كتيبة الا مزقها ولا جماعة الا فرقها ولا طائفة بعد طائفة الا ألحقها بمن سبقها اللهم اشكر عن محمد صلى الله عليه وسلم سعيه وأنفذ في المشارق والمغارب أمره ونهيه اللهم وأصلح به أوساط البلاد واطرافها وأرجاء الممالك واكنافها اللهم ذلل به معاطس الكفار وأرغم به انوف الفجار وانشر ذوائب ملكه على الامصار وابثث سرايا جنوده في سبل الاقطار اللهم أثبت الملك فيه وفي عقبه الى يوم الدين واحفظه في بنيه الغر الميامين واخوانه أولي العزم والتمكين وشد عضده ببقائهم واقض باعزاز أوليائه وأوليائهم اللهم كما أجريت على يده في الاسلام هذه الحسنة التي تبقى على الايام وتتجدد على ممر الشهور والاعوام فارزقه الملك الابدي الذي لا ينفد في دار المتقين وأجب دعاءه في قوله رب أوزعني ان أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وان أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ثم دعا بما جرت به العادة ونزل وصلى ولما قضيت الصلاة انتشر الناس وكان قد نصب سرير الوعظ تجاه القبلة

فجلس عليه الشيخ زين الدين أبو الحسن على بن نجا الانصارى الحنبلى المعروف بابن نجيه وعقد مجلسا للوعظ وكان واعظا حسنا بليغا وصلى السلطان الجمعة فى قبة الصخرة وكانت الصفوف ملىء الصحن ثم رتب فى المسجد الاقصى الشريف خطيبا * وكان الملك العادل نور الدين الشهيد قد عزم على فتح بيت المقدس وعمل منبرا بحلب وتعب عليه مدة وقال هذا لاجل القدس فادركته المنية وكان الفتح على يدمن أراد الله فأرسل السلطان صلاح الدين من أحضر المنبر من حلب وجعله فى المسجد الاقصى وهو الموجود فى عصرنا هذا * واما الصخرة فقد كان الافرنج بنوا عليها كنيسة ومذبحا وجعلوا فيها الصور والتماثيل فأمر السلطان بكشفها ونقض البناء المحدث فيها وأعادها كما كانت ورتب لها اماما حسن القراءة ووقف عليها دارا وأرضا وحمل اليها والى محراب المسجد الاقصى مصاحف وختمات وربعات شريفة ورتب للصخرة وللمسجد الاقصى خدمة وكان الافرنج قد قطعوا من الصخرة قطعا وحملوا منها الى قسطنطينية ونقلوا منها لى صقليه قيل باعوها بوزنها ذهبا ولما فتح السلطان القدس كان على رأس قبة الصخرة صليب كبير مذهب فتسلق المسلمون وقلعوه فسمع لذلك ضجة لم يعهد مثلها من المسلمين للفرح والسرور ثم شرع السلطان فى العمارة وأمر بترخيم محراب الاقصى * وكتب عليها بالفصوص المذهبة ماقراءته بسم الله الرحمن الرحيم أمر بتجديد هذا المحراب المقدس وعمارة المسجد الاقصى الذى هو على التقوى مؤسس عبد الله ووليه يوسف بن أيوب أبو المظفر الملك الناصر صلاح الدنيا والدين عندما فتحه الله على يديه فى شهور سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وهو يسأل الله ايزاعه شكر هذه النعمة واجزال حظه من المغفرة والرحمة * وشرع ملوك بنى أيوب فى فعل الآثار الجميلة بالمسجد الاقصى منهم الملك العادل سيف الدين أبو بكر أخو السلطان * واما الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه فانه فعل فعلا حسنا وهو انه

حضر فى قبة الصخرة مع جماعة وتولى بيده كنس أرضها ثم غسلها بالماء مرارا ثم أتبع الماء بماء الورد وطهر حيطانها وغسل جدرانها وبخرها ثم فرق مالا عظيما على الفقراء وكذلك الملك الافضل نور الدين على والملك العزيز عثمان فعلا فيه أنواعا من البر والخير ووضع الاسلحة برسم المجاهدين فى سبيل الله *(محراب داود عليه السلام وغيره من المشاهد)* اما محراب داود عليه السلام فهو خارج المسجد الاقصى فى حصن عند باب المدينة وهو القلعة وكان الوالى يقيم بهذا الحصن ويعرف هذا الباب قديما بباب المحراب والآن بباب الخليل فاعتنى السلطان باحواله ورتب له اماما ومؤذنين وقواما وأمر بعمارة جميع المساجد والمشاهد وكان موضع هذه القلعة دار داود عليه السلام وكان الملك العادل نازلا فى كنيسة صهيون واجناده فى خيامهم على بابها وفاوض السلطان جلساءه من العلماء فى مدرسة للفقهاء الشافعية ورباط للصلحاء الصوفية فعين للمدرسة الكنيسة المعروفة بصندحنة فيقال ان فيها قبر حنه أم مريم وهى عند باب الاسباط وعين للرباط دار البطرك وهى بقرب كنيسة قمامة وبعضها راكب على ظهر قمامة . ووقف عليهما أوقافا حسنة وأمر باغلاق كنيسة قمامة ومنع النصارى من زيارتها وأشار عليه بعض أصحابه بهدمها ومنهم من أشار بعدم الهدم لان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما فتح بيت المقدس أقرهم عليها ولم يهدمها وأقام السلطان على القدس على تسلم ما بقى بها من الحصون ورحل الملك الافضل الى عكا ثم تبعه الملك المظفر الى عكا أيضا ثم ان السلطان فرق ما جمعه على مستحقيه من الجند والفقهاء والفقراء والشعراء فقيل له لو ادخرت هذا المال لامر يحدث فقال املى بالله قوى وجمع الاسارى وكانوا ألوفا من المسلمين فكساهم وأحسن اليهم وذهب كل منهم الى وطنه ومكث السلطان على القدس ينظر فى مصالحه وكان فى خدمته الامير على بن أحمد المشطوب وكان معه صيدا وبيروت وهما

بقرب صور وخاف أن يفوته فتحها وكان يحث السلطان على المسير اليها
وكان المركيس عند اشتغال المسلمين بالقدس شرع فى احكام سور
حصنها وجعل لها خندقا وضيق طريقها * وكتب السلطان الى الخليفة
الناصر لدين الله يعلمه بالفتح وكتب أيضا الى الآفاق رسائل من انشاء
العماد الكاتب فيها من البلاغة والالفاظ الفائقة مالا يقدر عليه غيره
﴿ذكر رسالة السلطان للخليفة﴾ وكانت الرسالة الى الخليفة على يد ضياء
الدين بن الشهرزورى بخط القاضى الفاضل من انشائه وهى آدام الله أيام
الديوان العزيز النبوى ولا زال مظفرا الجد بكل جاحد غنيا بالتوفيق عن
رأى كل رائد موقوف المساعى على اقتناء مطلقات المحامد مستيقظ
النصر والنصل فى جفنه راقد واردا الجود والسحاب على الأرض غير وارد
متعدد مساعى الفضل وان كان لا يلقى الا بشكر واحد ماضى حكم العدل
بعزم لا يمضى الا بنبل غوى وريش راشد ولا زالت غيوث فضله الى
الاولياء أنواء الى المرابع وأنوارا الى المساجد وبعوث رعبه الى الاعداء
خيلا الى المراقب وخيالا الى المراقد كتب الخادم هذه الخدمة تلو ما صدر
عنه مما كان يجرى مجرى التباشير لصبح هذه الخدمة والعنوان لكتاب
وصف هذه النعمة فانها بحر فيه للاقلام سبح طويل ولطف تحمل الشكر
فيه عبء ثقيل وبشرى للخواطر فى شرحها مآرب ويسرى للاسرار
فى اظهارها مشارب ولله تعالى فى اعادة شكره رضا وللنعمة الراهنة به
دوام لا يقال معه هذا مضى ولقد صارت أمور الاسلام الى أحسن
مصائرها واستثبتت عقائد أهله على أبين بصائرها وتقلص ظل رجاء
الكافر المبسوط وصدق الله أهل دينه فلما وقع الشرط وقع المشروط وكان
الدين غريبا فهو الآن فى وطنه والفوز معروضا فقد بذلت الانفس فى
ثمنه وأمر أمر الحق وكان مستضعفا وأهل ربعه وكان قد عيف حين عفا
وجاء أمر الله وأنوف أهل الشرك راغمه وأدلجت السيوف الى الآجال
وهى نائمه وصدق وعد الله فى اظهار دينه على كل دين واستطارت له أنوار

ابانت ان الصباح عندها حسان الجبين واستردا لمسلمون تراثا كان
عنهم آبقا وظفروا بقظة بما لم يصدقوا انهم يظفرون به طيفا على النأى
طارقا واستقرت على الاعلام أقدامهم وخفقت على الاقصى أعلامهم
وتلاقى على الصخرة قبيلهم وشفيت بها وان كانت صخرة كما يشفى بالماء
غليلهم ولما قدم الدين عليها عرق منها سويداء قلبه وهنا كفؤها الحجر
الاسود بيت عصمتها من الكافر بحربه وكان الخادم لا يسعى سعيه
الالهذه العظمى ولا يقاسى تلك البؤسى الارجاء هذه النعمى ولا يحارب
من يستظلمه فى حربه ولا يعاتب باطراف القنا من يتمادى فى عتبه
الا لتكون الكلمة مجموعة فتكون كلمة الله هى العليا وليفوز بجوهر الآخرة
لا بالعرض الادنى من الدنيا وكانت الالسن ربما سلقته فانضج قلوبها
بالاحتقار وكانت الخواطر ربما غلت عليه مراجلها فاطفأها بالاحتمال
والاصطبار ومن طلب خطيرا خاطر ومن رام صفقة رابحة جاسر ومن
سما لأن يجلى غمرة غامر والافان العقود تلين تحت نيوب الاعداء المعاجم
فيعضها وتضعف فى أيديها مهز القوائم فيفضها هذا الى كون القعود
لا يقضى به فرض الله فى الجهاد ولا يراعى به حق الله فى العباد ولا يوفى به
واجب التقليد الذى تطوقه الخادم من ائمة قضوا بالحق وكانوا به يعدلون
وخلفاء الله كانوا فى مثل هذا اليوم لله يسألون لاجرم انهم أورثوا
اسرارهم وسريرهم خلفهم الاطهر ونجاهم الاكبر وبقيتهم الشريفة
وطليعتهم المنيفة وعنوان صحيفة فضلهم لاعدم سواد القلم وبياض
الصحيفة فما غابوا لما حضر ولا غضوا لما نظر بل وصلهم الاجر لما كان به
موصولا وشاطروه العمل لما كان عنه مسؤلا ومنه مقبولا وخلص اليهم
الى المضاجع ما اطمأنت به جنوبها والى الصفائح ما عبقت به جيوبها
وفاز منها بذكر لا يزال الليل به سميرا والنهار به بصيرا والشرق يهتدى
بأنواره بل ان أبدى نورا فى ذاته هتف به الغرب بأن واره فانه نور لا تكنه
اغساق السدف وذكر لا توازيه أوراق الصحف وكتب الخادم هذا

وقد أظفر الله بالعدو الذى تشظت قناته شققا وطارت من فرقه فرقا
وفل سيفه فصار عصا وصدعت حصاته وكان الاكثر عددا وحصا
وكلت حملاته وكان قدرا يضرب قيه العنان بالعنان وعقوبة من
الله ليس لصاحب بد نها يدان وعثرت قدمه وكانت الارض لها حليفة
وغضت عينه وكانت عيون السيوف دونها كثيفه ونام جفن سيفه
وكانت يقظته تريق لطف الكرى من الجفون وجدعت أنوف رماحه
وطالما كانت شامخة بالمنا وراعفة بالمنون واصبحت الارض المقدسة
الطاهرة وكانت الطامث والرب الفرد الواحد وكان عندهم الثالث
وبيوت الكفر مهدومة ونيوت الشرك مهتومة وطوائفه المحاميه
مجمعة على تسليم القلاع الحامية وشجعانه المتوافيه مذعنة لبذل القطائع
الوافيه لا يرون فى ماء الحديد لهم عصره ولا فى نار الأنفة لهم نصره قد
ضربت عليهم الذلة والمسكنة وبدل الله مكان السيئة الحسنة ونقل
بيت عبادته من أيدى أصحاب المشئمة الى أيدى أصحابه الميمنة وقد كان
الخادم لقيهم اللقاءة الاولى فأمده الله بمدار كته وانجده بملائكته
فكسرهم كسرة مابعدها جبر وصرعهم صرعة لا ينتعش بعدها بمشيئة
الله كفر وأسر منهم من أسرت به السلاسل وقتل منهم من فتكت به
المناصل واجلت المعركة عن صرعى من الخيل والسلاح والكفار وعن
المصاف بخيل فانه قتلهم بالسيوف الافلاق والرماح الاكسار فنيلوا
بثار من السلاح ونالوه أيضا بثار فكم أهلة سيوف تقارض الضراب
بها حتى عادت كالعراجين وكم انجم قنا تبادلت الطعان حتى صارت
كالمطاعين وكم فارسية ركض عليها فارسها الشهم الى أجل فاختلسه
وفغرت تلك القوس فاها فاذا فوها قد نهش القرن على بعد المسافة
وافترسه وكان اليوم مشهودا وكانت الملائكة شهودا .وكان الصليب
صارخا وكان الاسلام مولودا وكانت ضلوع الكفار لنار جهنم وقودا
وأسر الملك وبيده أوثق وثائقه وآكد وصله بالدين وعلائقه وهو

صليب الصلبوت وقائد أهل الجبروت ماداهموا قط بأمر الا وقام بين دهمائهم يبسط لهم باعه فكان مد اليدين فى هذه الوقعة وداعه لاجرم انه تتهافت على ناره فراشهم ويجتمع فى ظل ظلاله خشاشهم ويقاتلون تحت ذلك الصليب أصلب قتال واصدقه ويرونه ميثاقا يبنون عليه أشد عقد وأوثقه ويعدونه سورا تحفر حوافر الخيل خندقه وفى هذا اليوم أسرت سراتهم ودهيت دهاتهم ولم يفلت منهم معروف الا القومص وكان لعنه الله مليا يوم الظفر بالقتال ومليا يوم الخذلان بالاحتيال فنجا ولكن كيف وطار خوفا من ان يلحقه منسر الرمح أو جناح السيف ثم أخذه الله بعد أيام بيده وأهلكه لموعده فكان لعدتهم فذالك وانتقل من ملك الموت الى مالك وبعد الكسرة مر الخادم على البلاد قطواها بما نشر عليها من الراية العباسية السوداء صبغا البيضاء صنعا الخافقة هى وقلوب أعدائها الغالبة هى وعزائم أوليائها المستضاء بأنوارها اذا فتح عينها النشر وأشارت بانامل العذبات الى وجه النصر فافتتح بلاد كذا وكذا وهذه كلها امصار ومدن وقد تسمى البلاد بلادا وهى مزارع وفدن وكل هذه ذوات معاقل ومعاقر وبحار وجزائر وجوامع ومنابر وجموع وعساكر يتجاوزها الخادم بعد ان يحرزها ويتركها وراءه بعد ان ينتهزها ويحصد منها كفرا ويزرع ايمانا ويحط من منابر جوامعها صلبانا ويرفع اذانا ويبدل المذابح منابر والكنائس مساجد ويبوئ أهل القرآن بعد أهل الصلبان للقتال عن دين الله مقاعد ويقر عينه وعيون أهل الاسلام أن يعلق النصر منه ومن عسكره بجار ومجرور وان يظفر بكل سور ما كان يخاف زلزاله ولا زياله الى يوم النفخ فى الصور ولما لم يبق الا القدس وقد اجتمع اليه كل شريد منهم وطريد واعتصم بمنعته كل قريب منهم وبعيد وظنوا انها من الله مانعتهم وان كنيستها الى الله شافعتهم فلما نازلها الخادم رأى بلدا كبلاد وجمعا كيوم التناد وعزائم قد تألبت وتالفت على الموت فنزلت بعرصته وهان عليها مورد السيف

وان

وان تموت بغصته فداور البلد من جانب فاذا أودية عميقه ولجج وعر
غريقه وسور قد انعطف عطف السوار وابرجة قد نزلت مكان
الواسطة من عقد الدار فعدل الى جهة اخرى كان للمطامع عليها معرج
وللخيل فيها متوج فنزل عليها وأحاط بها وقرب منها وضرب خيمته بحيث
يناله السلاح باطرافه ويزاحمه السور باكتافه وقابلها ثم قاتلها ونزلها ثم
نازلها وبرز اليها ثم بارزها وحاصرها ثم ناجزها وضمها ضمة ارتقب بعدها
الفتح وصدع جمعها فاذا هم لا يبصرون على عبودية الحد عن عتق الصفح
فراسلوه ببذل قطيعة الى مدة وقصدوا نظرة من شدة وانتظار النجدة
فعرفهم الخادم فى لحن القول وأجابهم بلسان الطول وقدم المنجنيقات
التى تتولى عقوبات الحصون عصيها وحبالها وأوترلهم قسيها التى ترمى
ولا تفارقها سهامها ولكن تفارق سهامها نصالها فصافحت السور
فاذا سهمها فى ثنايا شرفاتها سواك وقدم النصر نسرا من المنجنيق يخلد
اخلاده الى الارض ويعلو علوه الى السماك فأناخ مرابع أبراجها واسمع
صوت عجيجها صم أعلاجها ورفع المدارع ما بين العنق الى المرفق مثار
عجاجها فأخلى السور من السياره والحرب من النظاره فامكن
النقاب ان يسفر للحرب النقاب وان يعيد الحجر الى سيرته الاولى من
التراب فتقدم الى الصخرة فمضغ سرده بأنياب معوله وحل عقده بضربه
الاخرق الدال على لطافة انمله واسمع الصخرة الشريفة انينه
باستقالته الى ان كادت ترق لمقالته وتبرأ بعض الحجارة من بعض
وأخذ الخراب عليها موثقا فلن يبرح الارض وفتح من السور بابا سد
من نجاتهم أبوابا وأخذ ينقب فى حجره فقال عنده الكافر يا ليتنى كنت
ترابا فحينئذ يئس الكافر من أصحاب الدور كما يئس الكفار من أصحاب
القبور وجاء أمر الله وغرهم بالله الغرور وفى الحال خرج طاغية
كفرهم وزمام أمرهم ابن بارزان سائلا ان تؤخذ البلد بالسلم لا بالعنوة
وبالامان لا بالسطوة وألقى بيده الى التهلكة وعلاه ذل الهلكة بعد عز

المملكة وطرح جبه على التراب وكان جنبا الا يتعاطاه طالمزح وبذل
مبلغا من القطيعة لا يطمح اليه أمل طامح وقال هاهنا اسارى مسلمون
يتجاوزون الالوف وقد تعاقد الافرنج على انه ان هجمت عليهم الدار
وحملت الحرب على ظهورهم الاوزار بدئ بهم فجعلوا وثنى بنساء الافرنج
واطفالهم فقتلوا ثم استقتلوا بعد ذلك فلا يقتل خصم الا بعد أن ينتصف
ولا يفلت سيف من يد الا بعد ان ينقطع أو ينقصف فاشار الامراء بأخذ
الميسور من البلد المأسور فانه لو أخذ حربا فلا بد ان يقتحم الرجال
الانجاد وتبذل نفوسها في آخر أمر قد نيل من اوله المراد وكانت الجراح
في العساكر قد تقدم منها ما اعتقل الفتكات وأثقل الحركات فقبل
منهم المبذول عن يد وهم صاغرون وانصرف أهل الحرب عن قدرة وهم
ظاهرون وملك الاسلام خطة كان عهده بها دمنة فكان تخدمها الكفر
الى ان صارت روضة جنات لا جرم ان الله أخرجهم منها واهبطهم وأرضى
أهل الحق وأسخطهم فانهم خذلهم الله حموها بالاسل والصفاح وبنوها
بالعمد والصفاح وأودعوا الكنائس بها وبيوت الديوية والاستبارية
فيها كل غريبة من الرخام الذي يطرد ماؤه ولا ينطرد لألاؤه قد لطف
الحديد في تجزيعه وتفنن في توشيعه الى ان صار الحديد الذي فيه بأس
شديد كالذهب الذي فيه نعيم عتيد فما ترى الا مقاعد كالرياض لها من
بياض الترخيم رقراق وعمدا كالاشجار لها من التنبيت أوراق وأذعن
الخادم برد الاقصى الى عهده المعهود وأقام له من الائمة من يوفيه ورده
المورود واقيمت الخطبة يوم الجمعة رابع شهر شعبان فكادت السموات
يتفطرن للنجوم لا للوجوم والكواكب منها ينتثرن للطرب لا للرجوم
ورفعت الى الله كلمة التوحيد وكان طريقها مسدوده فظهرت قبور
الانبياء وكانت بالنجاسات مكدودة واقيمت الخمس وكان التثليث
يقعدها وجهرت الالسن بالله اكبر وكان سحر الكفر يعقدها وجهر باسم
أمير المؤمنين في وطنه الاشرف من المنبر فرحب به ترحيب من بر

وخفق

وخفق علماه فى خافقيه * فلوطار سرور الطار بجناحيه وكتاب الخادم وهو مجد فى استفتاح بقية الثغور واستشراح ماضاق بتمادى الحروب من الصدور فان قوى العساكر قد استنفدت مواردها وأيام الشتاء قد قربت مواردها والبلاد المأخوذة المشار اليها قد جاست العساكر خلالها ونهبت ذخائرها وأكلت غلالها فهى بلاد ترفد ولا تسترفد وتجم ولا تستنفد ينفق عليها ولا ينفق منها وتجهز الاساطيل لبحرها وتقام المرابط لساحلها ويدأب فى عمارة أسوارها ومرمات معاقلها وكل مشقة بالاضافة الى نعمة الفتح محتملة وأطماع الفرنج بعد ذلك مراميها غير مرتجة ولا معتزلة فلن يدعوا دعوة ويرجو الخادم من الله انها لا تسمع ولن يفكوا ايديهم من أطراف البلاد حتى تقطع وهذه الالفاظ لها تفاصيل لا تكاد من غير الالسنة تتخلص ولا بما سوى المشافهة تتلخص فلذلك نفذ الخادم لسانا شارحا ومبشرا صادحا يطالع بالخبر على سياقته ويعرض بجيش المسرة من طليعته الى ساقته وهو فلان فليسمع منه وليروعنه والرأى أعلى ان شاء الله تعالى والله الموفق * هذا آخر الرسالة الفاضلية ورحل السلطان عن القدس يوم الجمعة الحادى والعشرين من شهر شعبان وودعه ولده الملك العزيز وسار معه قدر مرحلة ثم وصاه وشيعه وصحب أخاه الملك العادل فوصل الى عكا فى أول شهر رمضان نخيم بظاهرها ثم سار فوصل الى صور تاسع شهر رمضان يوم الجمعة فنزل بعيدا من سورها ومكث حتى ورد عليه العسكر وتكامل ثم تقدم اليها فى يوم الخميس الثانى والعشرين من رمضان وحاصرها وحضر اليه ولده الملك الظاهر غياث الدين غازى فشد ازره وزحفوا على الكفار وقطعت الاشجار ورمى عليهم بالمناجيق واشتد الامر وتعسر الفتح *ذكر ماتم على الاسطول* وكان السلطان قد تقدم من صور واحضر اليها من عكا ما كان بها من مراكب الاسطول فوصلت منها عشر شوانى مشحونة بالرجال والعدد واتصلت بها مراكب المسلمين من بيروت وجبيل فاستشعر المركيس

منها الضرر وعمر الآخر مراكب وكانت مراكب المسلمين بالساحل محفوظة بالعسكر ولا تتمكن الفرنج منها وكل من الفريقين يعالج الآخر فاطمأن المسلمون واغتروا بالسلامة وبات ليلة خامس شوال وربطوا بقرب ميناء صور وسهروا الى قريب الصبح فغلب عليهم النوم فما انتبهوا الا وسفن الفرنج محيطة بهم فأخذت شوانى المسلمين وأسروا منها جماعة فاغتم السلطان لذلك وكانت هذه أول حادثة حدثت للمسلمين فانزعج العسكر الاسلامى واشتد حزن المسلمين وأشار الناس بابعاد بقية الشوانى فسيرت الى بيروت وركب العسكر فى الساحل مباريها وهى بحذائه فى البحر فظهر عليها شوانى الفرنج فخرج المسلمون الى البر على وجوههم وتواقعوا الى الماء خوفا على انفسهم وكانوا لا معرفة لهم بالقتال وكان فى جملة الشوانى قطعة رئيسها له خبرة بالامور فاسرع وفات الفرنج ولم يدركوه فنجا بالمركب ومن فيه وبقيت المراكب الباقية خالية ممن كان فيها فدفعها المسلمون الى البر هذا والقتال مشتد بين الفريقين ولما عبر الفرنج على تلك المراكب ظنوا بعجز المسلمين وخرجوا للقتال فى جمع كبير واشتد الامر وارتفعت الاصوات ووقع المسلمون فى الفرنج فولوا مدبرين وعادوا الى البلاد وأسر منهم مقدمان وأسر قمص عظيم عندهم وكان الملك الظاهر غازى لم يحضر شيئا مما تقدم من الوقعات فبادر وضرب عنقه وكان القمص يشبه المركيس فظنوا انه هو فلما رأى المسلمون هذا الحال وان السلطان مصمم على ما هو فيه وله قدرة وثبات على القتال اجتمع بعض الامراء وشرعوا فى تدبير أمر يعرض على السلطان يتضمن ان هذا الامر أمر عسير والاولى تركه والرحيل عن هذا المكان فاطلع السلطان على ما هم فيه فتلطف بهم ووعظهم وقال كيف نخلى هذا المكان وندهب واذا سئلنا عنه فماذا نجيب ثم أخرج الاموال وفرقها على العسكر وأمرهم بالثبات فامتثلوا أمره *(فتح حصن هرنين)* كان السلطان قد وكل بها بعض امرائه فاستمر يحاصرها حتى طلب أهلها الامان فورد

الخبر على السلطان بذلك وهو على محاصرة صور فندب بدر الدين و بدرم البارزنى وهو من اكابر عظمائه فضى اليهم وتسلمت هرنين بما فيها و تسلمها بيرم أخو صاحب بانياس * وأقام السلطان على صور يحاصرها فدخل الشتاء وضجر العسكر وكثرت الجرحى وتوالت الامطار والسلطان يحرضهم على القتال والثبات وكثر القتال واشتد الامر وما زالوا يراجعون السلطان ويشيرون عليه بالرحيل وكان السلطان أنفق فى تلك المدة اموالا كثيرة على آلة القتال ولا يمكن نقلها وان تركها تقوى بها الكفار فنقضها وفك بعضها وأحرق ما تعذر حمله وحمل بعضها الى صيدا وبعضها الى عكا وتأخر السلطان عن قرب صور فشرع العسكر فى الانصراف وواعد فى المعاودة الى أوان الربيع وودع الملك المظفر تقى الدين من هنالك وبقى السلطان يتأسف على الفتح فسار الى عكا وخيم على بابها ثم اشتد البرد فدخل السلطان المدينة وسكن بها وشرع فى التاهب الى الجهاد واصلاح العدد واكرام من يغدو اليه وكانت رسل الآفاق من الروم وخراسان والعراق عاكفين على بابه فما مر يوم ولا شهر الا ويصل اليه رسول ورتب أحوال عكا وأمورها ووقف نصف دار الاستبار رباطا للصوفية ونصفها مدرسة للفقهاء وجعل دار الاسقف بيمارستان للضعفاء * ودخلت سنة أربع وثمانين وخمسمائة والسلطان مقيم بعكا فلما دخل فصل الربيع سار ونزل على سمت حصن كوكب فى العشر الاوسط من المحرم قبل تكامل العسكر وحاصره فرأى أن فيه صعوبة ويطول أمره ثم وكل بها قايماز النجمى فى خمسمائة مقاتل ورتب على صفد خمسمائة فارس وجهزهم اليها * (ذكر حال الكرك من أول الفتح) * قد مضى ذكر ابرنس الكرك وقتله وكانت زوجته ابنة فليب صاحب الكرك مقيمة بالقدس وممن أسر ولدها هنفرى ابن هنرى فلما فتح بيت المقدس حضرت الى السلطان وتخضعت له وتذللت وسألت فى فك ولدها من الاسر وصحبتها زوجة ابنها ابنة الملك وحضرت الملكة مع صاحبة الكرك تسأل

فى زوجها الملك فاكرمهن السلطان وأحسن اليهن واما الملكة فجمع شملها بالملك وتقرر مع صاحبة الكرك اطلاق ابنها على تسليم قلعتى الشوبك والكرك فاستحضر هنقرى من دمشق واجتمع بوالدته وسارا مع جماعة من الامراء لتسليم القلعتين فلما وصلت هى وولدها لم يطعها أهل الكرك ولم يسلموا وأفحشوا فى الخطاب لها * ثم وقع لها كذلك بالشوبك فرجعت الى السلطان فقبل عذرها وطمن قلبها على ولدها فتوجهت الى عكا ثم استقلت الى صور وجهز السلطان العساكر لحصار الكرك والشوبك ثم وصل الى السلطان وهو على كوكب بهاء الدين قراقوش فندبه لعمارة عكا لعلمه بكفائته وأمده بالاموال والرجال فسار الى عكا وشرع فى عمارتها وتحصين أسوارها وورد على السلطان الرسل من ملوك الروم وغيرها وأقام السلطان على كوكب الى آخر صفر فتعسر فتحها ثم رحل السلطان الى دمشق ودخل اليها فى يوم الخميس سادس شهر ربيع الاول فنشر العدل وفصل الحكومات فوصل الخبر بوصول العسكر من الشرق وأصبح السلطان بكرة يوم الثلاثا حادى عشر ربيع الاول على الرحيل ثم سار الى بعلبك ورحل على سمت اللبوة ووصل اليه عماد الدين صاحب سنجار بالعسكر فتلقاه السلطان أحسن لقاء واكرمه واجمعوا على دخول بلاد الساحل وتجردوا عن الاثقال وساروا فنزل السلطان على حصن غور وفتحه وغنم ما فيه ثم عاد الى مخيمه وانقضى شهر ربيع الآخر وقد وصل قاضى جبلة يحث على قصدها وكان بها خلق كثير من المسلمين ورحل السلطان يوم الجمعة رابع جمادى الاولى الى جهة الساحل فوصل الى انطرسوس وحاصرها ونهبها وسبا أهلها فاحتمى جماعة ببرجين هناك فهدم أحدهما وامتنع الآخر ونقض أسوار انطرسوس وترك البرج الممتنع ورحل العسكر عنها ونزل على مرقبه وقد أخلاها أهلها وكان الفرنج قد صفوا المراكب فى البحر وسار السلطان بالعسكر ووقع بين المسلمين والافرنج وقعات وأمور يطول

شرحها وقصد جبله * فتح جبله * اشرف السلطان على جبلة بكرة يوم
الجمعة ثامن عشر جمادى الاولى وأحاط بها العساكر فطلبوا الامان على
ان يعيدوا ما استرهنوه فى انطاكية من أهلها و يسلموا كل ما لهم من
السلاح والعدّة والخيل وكان قاضى جبلة هو المتوسط لهم فى أخذ
الامان وسلمت الى المسلمين يوم الخميس وأقام السلطان بها أياما يقرر
أمورها وكان يعظم قاضى جبلة ويحسن اليه ووقف عليه ملكا نفيسا
وأقره على ولايته بمنصب القضاء وكان حصن بكرائل قد سلم من قبل *
فتح اللاذقية * ورحل السلطان ثالث عشر جمادى الاولى يوم الاربعاء
وبات تلك الليلة بالقرب من اللاذقية بجبل عاصم فلما أصبح يوم الخميس
كان حصارها واشتد القتال ونقب أسوارها فطلبوا الامان
فى يوم الجمعة الخامس والعشرين من جمادى الاولى وصعد اليهم قاضى
جبله يوم السبت وفتحت صلحا وسلموا القلاع بما فيها ورحل منها جماعة
ودخل جماعة فى عقد الذمة ورتب السلطان فيها جماعة من مماليكه
وركب السلطان وطاف بالبلد وقرر أمورها ورحل عنها * فتح حصن
صهيون وغيره * رحل السلطان من اللاذقية ظهر يوم الاحد السابع
والعشرين من جمادى الاولى وأخذ على سمت صهيون وخيم عليها يوم
الثلاثاء التاسع والعشرين وأحاط العسكر بها يوم الاربعاء وحاصرها
فملكوا ثلاثة أسوار بما فيها فطلبوا الامان وسلموا البلد ثم سلم حصن
صهيون بجميع أعماله وما فيه من الذخائر وتسلم يوم السبت قلعة العيد
ويوم الاحد قلعة الجماهريين ويوم الاثنين حصن بلاطنس وسار
السلطان فى ثانى يوم فتح صهيون ونزل على العاصى وتسلم حصن بكاس
يوم الجمعة تاسع جمادى الآخرة ثم حاصر قلعة الشغر وطال القتال حتى أيس
منه فخرج من الحصن من يطلب الامان فى ثالث عشر الشهر يوم الثلاثاء
وتسلم قلعة الشغر ثم سار ولد السلطان الملك الظاهر الى قلعة سرمانيه
فحاصرها وخربها وفتحها يوم الجمعة الثالث والعشرين من جمادى

الآخرة * فتح حصن برزية * وسار السلطان الى قلعة برزية وهى من أحصن القلاع فنازلها يوم السبت رابع عشرى الشهر ثم تجرد يوم الاحد ورقى الجبل فرآها قلعة على سن من الجبل عالية فأحدق بها وبالجبل وزحف عليها فى يوم الثلاثاء السابع والعشرين من الشهر ورتب عليها الامراء نوبا فقاتلوا واشتد القتال وتقدم السلطان بنفسه فى النوبة الثانية فلما أيقنوا بأنهم ملكوا طلبوا الامان وسلموا الحصن فلما حصل الفتح عاد السلطان الى خيامه وكانت صاحبة حصن برزية أخت زوجة الابرنس صاحبة انطاكية قد سبيت فأمر باحضارها وأعتقها وكذلك زوجها وأحضر أيضا ابنة لهما وزوجها وعدة من أصحابهم وأدخلهم معهم فى الاطلاق وقلد الحصن لامير من جماعته وكان فتح هذا الحصن من آيات الله تعالى لحصانته وعدم القدرة عليه فيسر الله فتحه فى ايسر وقت * فتح حصن دربساك * رحل السلطان وأقام أياما على جسر الحديد ثم قصد دربساك وهو حصن مرتفع وكان عش الداوية نزل عليه يوم الجمعة ثامن رجب وحصره ورمى برجا من السور بالنقب فلما كان يوم الثلاثاء تاسع عشر رجب طلبوا الامان وتسلم الحصن بما فيه يوم الجمعة ثانى عشرى الشهر * فتح حصن بغراس * توجه بكرة السبت الى بغراس وهى قلعة قريبة من انطاكية وهى على رأس جبل عالية حصينة وهى للداوية فخيم بقربها فى المرج وتقدم جمع كثير من العسكر بينها وبين انطاكية وصار يركب كل يوم ويقف تجاه انطاكية وصعد السلطان متجردا فى جماعة من عسكره الى الجبل بازاء الحصن ونصب عليه المناجيق من جميع جهاته ورمى عليه وحاصره فطلبوا الامان وتسلم القلعة فى ثانى شعبان وحرز ما فى بغراس من الغلة فكان تقديرا اثنى عشر ألف غرارة * عقد الهدنة مع انطاكية * ولما فرغ السلطان من فتح هذه الحصون قصد انطاكية وكانت قد تلاشت أحوالها وقل ما فيها من القوت وكان الابرنس صاحبها قد أرسل أخا زوجته يسأل فى عقد الهدنة وطلب

الامان على ماله وولده لثمانية أشهر من تشرين الى آخر ايار وأجابه السلطان الى ذلك وهادنه وشرط عليه اطلاق من عنده من الاسارى وسار رسول السلطان ومعه شمس الدولة بن منقذ لاجل الاسارى ورحل السلطان ثالث شعبان الى سمت حلب ولما رحل السلطان من بقراس ودّع عماد الدين بن زنكي وعساكر البلاد وخلع عليه ومنحه بالتحف النفيسة وأنعم على العسكر بأشياء خلاف ما غنموه وسار فى عسكره ووصل الى حلب ثم سار منها ووصل الى حماه وبات بها ليلة واحدة ثم سار على طريق بعلبك فجاءها قبل رمضان بأيام وكان العسكر قصدهم الصوم فى أوطانهم بدمشق فلما وصل السلطان الى دمشق اشتد عزمه وتحرك للجهاد من أجل صفد وكوكب وغيرهما وخرج من دمشق فى أوائل شهر رمضان * فتح الكرك وحصونه * ووردت البشائر بتسليم حصن الكرك فان السلطان لما كان فى بلاد انطاكية لم يزل الحصار على الكرك وكان أخوه الملك العادل بمن معه على تبنين لحفظ البلاد وكان صهره سعد الدين كمشه بالكرك موكلا بحصاره فراسل الافرنج الملك العادل فى الامان فامتنع ثم صالحهم وسلموا الحصن * محاصرة صفد وفتحها * ثم سار السلطان حتى نزل على صفد وجاء الملك العادل وشرعوا فى حصار القلعة ورميها بالمناجيق واستمر الحال على ذلك الى ثامن شوال وصعب فتحها حتى أذن الله تعالى وسهل فأذعنوا وأخرجوا من عندهم من أسرى المسلمين ليشفعوا لهم فى طلب الامان وسلمت للمسلمين وخرج من فيها من الكفار الى صور ولما أشرفت صفد على الفتح شرع الافرنج فى تقوية قلعة كوكب وأجمعوا على تسيير مائتى رجل من الابطال المعدودين ليكمنوا للمسلمين فى الطريق فعثر بواحد منهم بعض جند المسلمين فأمسكه وأتى به الى صارم الدين قايماز فاخبره بالحال وان الكمين بالوادى فركب اليهم فى أصحابه والتقطهم عن آخرهم وأحضرهم الى السلطان وهو على صفد وكان فيهم مقدمان من الاسبتارية فاحضرا عند السلطان

فانطقهما الله تعالى وقالا ما نظن انا بعد ما شاهدناك يلحقنا سوء فمال الى كلامهما وأمر باعتاقهما فان تلك الكلمة أوجبت عدم قتلهما فانه كان لا يبقى على أحد من الاستبارية والراوية وفتح الله صفد فى ثامن شوّال * حصار كوكب وفتحها * وسار السلطان الى كوكب وهى فى غاية الحصانة فحاصرها وقاتل من فيها أشد قتال وحصل الضيق الزائد لوقوع البرد الشديد وقوة الشتاء ومازال السلطان ملازما للحصن بالرمى حتى تهدم غالب بنائه ونصر الله المسلمين وملكوا كوكب وأخرجوا الكفار وغنموا أموالهم وكان هذا الفتح فى منتصف ذى القعدة وعرض السلطان القلعة على جماعته فلم يقبلوها فولاها قايماز النجمى على كره منه ثم تحوّل لسلطان الى أرض بيسان وأذن للامراء والجند فى الانصراف وسار معه أخوه الملك العادل فى مستهل ذى الحجة الى القدس الشريف ووصل يوم الجمعة ثامن الشهر وصلى فى قبة الصخرة وعيد بها يوم الاحد الاضحى ونحر الاضحية وسار يوم الاثنين الى عسقلان للنظر فى مصالحها وتدبير أحوالها وأقام أياما ثم ودّعه أخوه الملك العادل وسار بعسكره الى مصر ورحل السلطان الى عكا * ودخلت سنة خمس وثمانين وخمسمائة والسلطان مقيم بعكا يرتب أمورها ويحصنها الى ان وصل جماعة من مصر فامرهم بالاقامة فيها وأمر بهاء الدين قراقوش باتمام بناء سورها ثم سار الى طبرية ودخل دمشق مستهل شهر صفر ثم خرج منها يوم الجمعة ثالث ربيع الاول متوجها الى شقيف ارنون وأتى مرج عيون وخيم فيه بقرب الشقيف واعتمد للقتال يوم الجمعة سابع عشر ربيع الاول وكان الشقيف فى يد ارناط صاحب صيدا فنزل الى خدمة السلطان يسأله أن يمهله ثلاثة أشهر لينقل أهله من صور وأظهر انه يخاف أن يعلم المركيس بحاله فلا يمكنه من أهله فاجابه السلطان لذلك وشرع ارناط فى تحصين نفسه واستعداده للحرب فعلم السلطان بحقيقة حاله فتقرب السلطان من

الشقيف فلما علم صاحب الشقيف بذلك حضر الى خدمة السلطان وشرع فى الاستعطاف له وازالة ما عنده وعاد الى حصنه ثم حضر وأنهى تخوفه على أهله وسأل المهلة سنة فارسل السلطان من كشف الحصن فوجده قد تحصن زيادة على ما كان فيه فأمسك صاحب الحصن وقيد وحمل الى قلعة بانياس ثم استحضره فى سادس رجب وهدده ثم سيره الى دمشق وسجنه وحاصر الحصن فى يوم الاربعاء ثامن رجب ورتب عليه عدة من الامراء لمحاصرته الى ان تسلمه بعد سنة وأطلق صاحبه ولما كان السلطان بمرج عيون اجتمع الافرنج واتفقوا على اقامة المركيس بصور وأجمعوا على حرب المسلمين والمركيس يمدهم من صور فبلغ السلطان ذلك فى يوم الاثنين سابع عشر جمادى الاولى وانهم على قصد صيدا فركب فى الحال والتقى بعسكره مع الافرنج فهزمهم باذن الله تعالى ونصر الله المسلمين وأسر من أعيانهم سبعة وعاد السلطان الى مخيمه وأقام الى يوم الاربعاء تاسع عشر جمادى الاولى ثم ركب فى ذلك اليوم وتواقع هو والافرنج واشتد القتال فاستشهد جماعة من المسلمين وقتل خلق كثير من المشركين ثم قوى عزم السلطان على قصدهم فى مخيمهم وشاع هذا الخبر فخاف الافرنج وذهبوا الى صور فاقتضى الحال التأخير وسار السلطان الى تبنين صبيحة يوم الخميس السابع والعشرين من الشهر ثم سار منها الى عكا ورتب أمورها وعاد الى المعسكر وأقام الى يوم السبت سادس جمادى الآخرة فبلغه ان الافرنج ينتشرون فى الارض فأمر السلطان بتكمين كمائن لهم واذا رأوهم يطاردونهم وسار السلطان يوم الاثنين فتواقعوا واشتد القتال وكان بالعسكر جماعة من العرب لا خبرة لهم بالطريق فتطاردوا بين يدى الافرنج فى واد لا ينفذ فحصرهم الافرنج فلم يقدروا على السلوك من الوادى فاستشهدوا رحمهم الله تعالى *مسير الافرنج الى عكا* ووصل الخبر يوم الاربعاء ثامن رجب ان العدو على قصد عكا وان جماعة منهم سبقوا الى النواقير ونزلوا باسكندرونة وتواقعوا مع جماعة من المسلمين

فركب السلطان العسكر بجمعهم ورحل الافرنج يوم الاحد ثانى عشر رجب ونزلوا على عين عبد فاصبح السلطان يوم الاثنين على الرحيل وجاء عصر يوم الثلاثاء والسلطان نازل بارض كفركنا ثم أصبح يوم الاربعاء خامس عشر الشهر ونزل على جبل الخروبة وترك الاثقال بارض صفورية ونزل الافرنج على عكا من البحر الى البحر محتاطين بها يحاصرونها واجتمعت العساكر فصار العدو حول البلد وأحاط المسلمون بالافرنج ومنعوهم من الطرق واشتد القتال واستدارت الافرنج بعكا ومنعوا من الدخول والخروج وذلك يوم الاربعاء والخميس سلخ رجب فاصبح السلطان يوم الجمعة مستهل شعبان على عكا وتباشر المسلمون بالنصر وثار الحرب واصبحوا يوم السبت على ذلك وحمل الناس من جانب البحر شمالى عكا حملة شديدة وانهزم الافرنج الى تل الصياصية وأخلوا ذلك الجانب وانفتح للمسلمين طريق عكا ودخل العسكر اليها وخرج واستطرقت اليها الجيوش واطلع السلطان على الافرنج من سورها وخرج عسكر البلد للقتال وتشاور المسلمون فيما بينهم ودبروا الحيل فى قتال العدو المخذول فلما كان يوم الاربعاء ثامن شعبان ركب الافرنج آخر النهار بأجمعهم وتقدموا وحملوا على المسلمين فصدمهم المسلمون فولى الكفار هاربين مدبرين وقتل وجرح منهم ودخل الليل وبات الحرب على حاله وانتقل السلطان ليلة الاثنين حادى عشر الشهر الى تل الصياصية لانه مشرف عليهم للعلو وبلغ السلطان ان الافرنج يخرجون للاحتشاش وينتشرون فى الارض فانتدب جماعة من العربان فاغاروا عليهم وحالوا بينهم وبين خيامهم وحشروهم وأبادوهم قتلا وقطعوا رؤسهم وأحضروها عند السلطان وذلك يوم السبت سادس عشر شهر شعبان وسر المسلمون وتباشروا هذا والقتال على عكا متصل * ومن النوادر الواقعة انه أفلت من بعض مراكب الافرنج حصان من الخيول الموصوفة عندهم فلم يقدروا على امساكه وما زال يعوم فى البحر وهم حوله الى أن دخل مينا

نادرة

البلد فتسارع المسلمون اليه وأخذوه واهدوه الى السلطان فتباشر المسلمون بالنصر ورآه الافرنج من أمارات خذلانهم *الوقعة الكبرى* وأصبح الافرنج يوم الاربعاء لعشرين من شعبان وقد رفعوا صلبانهم وتقدموا وزحف أبطالها وقد عبى السلطان الميمنة والميسرة وشرع يمر بالصفوف ويقوى عزم العساكر واشتد القتال واستشهد جماعة من المسلمين وولى العسكر الاسلامى منهزما فمنهم من وصل طبرية ومنهم من وصل دمشق وبقى المسلمون فى شدة عظيمة حتى أدركهم الله تعالى بالنصر وهو انه لما تمت الكسرة على المسلمين وصل جماعة من الافرنج الى خيمة السلطان ولم يتبعهم من يعضدهم فهابوا الوقوف هنالك فانحدروا عن التل فاستقبلهم المسلمون وتبعوهم وظفروا بهم فقتلوا منهم وضربوا رقابهم واشتد الحرب وثبت المسلمون فمالوا على ميسرة الافرنج فقلوها ووضعوا فيهم السيوف فأبادوهم قتلا وممن قتل مقدم عسكرهم وتبعهم المسلمون حتى كلت سيوفهم وقتل من الافرنج خمسة آلاف فارس وقتل مقدم الراوية وحكى عنه أنه قال عرضنا فى مائة ألف وعشرة آلاف ومن العجب ان الذين ثبتوا من المسلمين لم يبلغوا ألفا فردوا مائة ألف فكان الواحد من المسلمين يقتل من الكفار ثلاثين وأربعين وأرسل السلطان بهذه النصرة البشائر الى دمشق وعاد السلطان الى مكانه وعزم على انه يصابح العدو وتفقد العسكر فاذا هو قد غاب وذلك ان بعض الغلمان والاوباش لما وقعت الوقعة ظنوا ان عسكر الاسلام انهزم فنهبوا الاثقال وانهزموا وانهزم جماعة من الجند فمضى العسكر وراء الغلمان فتأخر من أجل ذلك العزم عن المسير وانتعش الافرنج لذلك وكثرت جيف الافرنج المقتولين فشكى المسلمون نتن رائحتها فرسم السلطان بحملها على العجل ورميها فى النهر فحمل أكثر من خمسة آلاف جثة ثم فى يوم الخميس التاسع والعشرين من شعبان حضر أكابر الامراء عند السلطان ودار الكلام بينهم فى المشورة فاشاروا

بالانصراف لهجوم البرد والشتاء وان أبدانهم وخيولهم قد ضعفت وان السلطان يراسل البلاد ويجمع الجموع ثم يحضر للجهاد فى سبيل الله تعالى هذا والسلطان متكره من هذه المقالات وليس عنده ملل وفى كل يوم يطوف على العسكر ويقوى عزمهم فانتقل ليلة الثلاثاء رابع شهر رمضان الى الخروبه عند الانتقال وأمر من بعكا بغلق الباب وشرع الافرنج فى حفر خندق على معسكرهم حوالى عكا من البحر الى البحر وتحصنوا وتستروا واقام السلطان بالمخيم وهو متوعك فمن الله تعالى بالعافية وصرف الاجناد الغرباء ليرجعوا الى الربيع وأقام بمماليكه فامضى يوم الا وفيه وقعة والمماليك ظافرون بالافرنج وفى يوم الاثنين ثالث شهر رمضان اخذ المسلمون بعكا مركبا للافرنج مقلعا الى صور فيه ثلاثون رجلا وامرأة واحدة ورزمة من الحرير فغنموه وتباشروا واشتد أزرهم بذلك *وصول ملك الالمان* ورد الخبر بوصول ملك الالمان الى قسطنطينية فى عدد كثير على قصد العبور الى بلاد الاسلام وانه فى ثلثمائة ألف مقاتل وقد قطع الروم الى جهة الشأم فانزعج المسلمون لذلك وندب السلطان الرسل الى جميع الامصار يستنفر للجهاد فوصل الملك العادل سيف الدين من مصر فى نصف شوال فى جيش عظيم فحصل به السرور وقوى المسلمون ونزل فى مخيمه وأرسل السلطان الى رجال دمشق والبلاد فحضروا وشرع المسلمون فى كل يوم يعاجون الافرنج ولهم معهم فى كل ليلة كبسة وفى يوم الثلاثاء ثالث عشر ذى القعدة وصل الاسطول من مصر وعدته خمسون شونة فان السلطان لما وصل الافرنج الى عكا كتب الى مصر بتجهيز الاسطول وتكثير رجاله وعدده فصادف مراكب الافرنج فى البحر فاول ماظفر الاسطول بشونة للافرنج فقتل مقاتليه ووقعت بينهم وقعة كبرى وتفرقت سفن الافرنج وصارت البشائر للمسلمين بوصول الاسطول ولما اشتد البرد وكثرت الامطار واستظهر البلد برجال الاسطول وكانوا زهاء عشرة آلاف بحرى فامتلأ البلد وشرعوا يتلصصون

الشونة المركب المعد للجهاد فى البحر انتهى قاموس

على الكفار وكبسوا الليلة سوق الخمارات وسبوا واحدة من النساء الحسان فكان فى ذلك نكاية عظيمة للكفار وأمكن الله المسلمين منهم وشرعوا فى نهبهم وأسرهم فى كل وقت * ذكر نساء الافرنج * ثم وصلت مركب فيها ثلثمائة امرأة افرنجية من النساء الحسان اجتمعن من الجزائر لاسعاف العزبان وسبلن أنفسهن وفروجهن للعزبان ورأين ان هذه قربة ماثم أفضل منها وعند الافرنج ان العزباء اذا مكنت منها الاعزب لاحرج عليها وتسامع عسكر الاسلام بهذه القضية فأبق من المماليك والجهال جماعة وذهبوا اليهن ووصلت أيضا فى البحر امرأة كبيرة القدر وهى ملكة بلدها وفى خدمتها خمسمائة فارس وفى الافرنج نساء يلبسن هيئة الرجال ويقاتلن * وفى يوم الوقعة أسر جماعة منهن فلم يعرفن حتى سلبن وعرين * وأما العجز فحضر منهن جماعة وهن ينشدن تارة ويحرضن وينخين الرجال لعنة الله عليهن * وفى هذه السنة ندب السلطان الرسل الى البلاد لاستنفار المجاهدين وتوفى الفقيه ضياء الدين عيسى الهكارى بمنزلة الخروبة سحر ليلة الثلاثاء تاسع ذى القعدة سنة خمس وثمانين وكان من الاعيان وله منزلة عند السلطان وحمل من يومه الى القدس ودفن به * ودخلت سنة ست وثمانين وخمسمائة والسلطان مقيم بعسكره بمنزلة الخروبه وعكا محصورة وخرجت هذه السنة والحصر مستمر ووقعت وقائع وهلك من الافرنج عدد لا يقع عليه الحصر * وقعة الرمل وكان السلطان يركب احيانا للصيد وهو لا يبعد من المخيم فركب يوما فى صفر فأبعد والكركية على الرمل وساحل البحر فخرج الافرنج وقت العصر فتسامع المسلمون بهم فخرجوا اليهم وزحفوا عليهم وطردوهم وأحاطوا بهم ورموهم حتى فرغ النشاب فلما علم الافرنج بذلك تجاسروا وحملوا حملة واحدة حتى ردوا المسلمين الى النهر فثبت جماعة واستشهد جماعة ودخل الليل وحال بين الفريقين * فتح شقيف أرنون وفى يوم الاحد خامس عشر ربيع الاول تسلم بالامان شقيف أرنون وكان

بصاحبه ارناط صاحب صيدا معتقلا بدمشق لاجله فسلمه بما فيه واخرج عنه وسار الى صور ورحل السلطان ونزل على تل كيسان يوم الاربعاء ثامن عشر ربيع الاول * مقاتلة الافرنج عكا وكان السلطان قد رتب طيورا تحمل البطاقات منه الى من بعكا وتعيد اليه الجواب منهم وكان يأتى اليه الخبر أيضا على يد العوامين فى البحر وكان الافرنج شرعوا فى عمل ابراج من خشب وأتقنوها وزحفوا بها الى السور وتساعدوا على طم الخنادق فوصل الى السلطان عوام يخبره بالحال فركب وزحف الى الافرنج فى عشرين من ربيع الاول يوم الجمعة وسار الى القتال بخيله ورجله وضايقهم حتى دخل الليل فلما أصبح يوم السبت صبحهم بالحرب واستمر الى آخر النهار وأصبح يوم الاحد على القتال وأيده الله تعالى بالنصر واستمر القتال فلما كان يوم السبت الثامن والعشرين من الشهر بعد الظهر واذا بنار فى احد الابراج موقدة فأحدقت النار بالبرج حتى أحرقته ثم أحرقت البرج الثانى ثم الثالث وسقطت الثلاثة أبراج بقدرة الله تعالى فحصل للمسلمين السرور بذلك ودمر الله الكافرين والعجب ان الابراج كانت متباعدة وقد أبعدها الافرنج بمسافات وكل واحد منها على جانب من البلد فاحترقت فى وقت واحد * وكان سبب حرقها أن رجلا يعرف بعلى ابن عريف النحاسين بدمشق كان استأذن السلطان فى دخول عكا للجهاد وأقام بها وشرع يعمل النفط ويركب عقاقيره والناس يسخرون منه فلما قدمت الابراج الى البلد رمى عليها بالنفوط وغيرها فلم يفد فحضر ابن العريف الى بهاء الدين قراقوش واستأذنه فى الرمى فاذن له على كره فان الصناع قد أيسوا فلما أذن له بهاء الدين قراقوش رمى احد الابراج فأحرقه وكان فيه سبعون رجلا تعذر عليهم الخلاص منه ودخل جماعة لاستنقاذ ما فيه فاحترقوا بدروعهم وسيوفهم وتحول ابن العريف الى مقابلة البرج الثانى فاحرقه وانتقل الى الثالث فاحرقه ولم يكن ذلك بصنعه بل وفقه الله تعالى له وخرج المسلمون من البلد فحفروا الخندق وجاؤا الى موضع

الحريق واستخرجوا الحديد من موضع الحريق وما وجدوا من الزرديات وغيرها ولله الحمد والمنة * وصول الاسطول من مصر * كان السلطان أمر بتسيير أسطول آخر من مصر فلما كان يوم الخميس ثامن جمادى الاولى ظهر الاسطول فركب السلطان ليشغل الافرنج عن قتال الاسطول فعمر الافرنج أسطولا وتلاقى هو وأسطول المسلمين فجاءت مراكب المسلمين ونطحت مراكبهم وأخذ المسلمون مركبا للافرنج وأخذ الافرنج مركبا للمسلمين واتصل الحرب في البحر الى غروب الشمس فقتل من الافرنج عدة كثيرة وسلم المسلمون * قصة ملك الألمان * صح الخبر أن ملك الالمان عبر من قسطنطينية بجنوده فقيل انهم أقاموا في قفار ومواضع مدة شهر لا يجدون الطعام فصاروا يذبحون خيلهم ويأكلونها ويكسرون قنطارياتهم لعدم الحطب ويشعلونها في البرد الشديد وزمان الثلج وحصل لهم من الشدة مالا يكاد يوصف وضعف حالهم وذلك من لطف الله بالمسلمين فلما وصل الى بلاد قلج أرسلان بن مسعود حصل بينه وبين الكفار طراد وقتال ثم تراسلا واصطلحا وتهاديا واقتضى الحال بينهما ان ملك الالمان يدخل الى البلاد الشامية وانه يسير في بلاده وأعطاه عشرين مقدما من أكابر أمرائه ليكونوا معه حتى يصل المأمن فلما وصل الملعون الى بلاد الارمن غدر بالرهائن وتأول عليهم بان التركمان سرقوا منه في طريقه ونزل على طرطوس وهناك نهر فتواردت عليه العساكر وازدحموا فقصد ملك الالمان النزول الى النهر ليغتسل فقال هل تعرفون موضعا يمكن العبور منه فقال له واحد هنا مخاضة ضيقة لا يدخل فيها لا واحد بعد واحد فدخل في تلك المخاضة فقوى عليه الماء فصدمته شجرة في وجهه شجت جبينه وتورط في الماء فتعبوا في اخراجه فلما خرج بقي مريضا ثم هلك لعنه الله وخلفه ولده فقيل انهم سلقوه في قدر حتى تخلص عظمه وانهرى لحمه وجمعوا عظامه في كيس ليدفن في كنيسة قمامة بالقدس حسبما أوصى به ووصل الخبر الى السلطان بهلاك الكافر وأن ولده

خلفه وهو واصل فى جمع كبير فعزم السلطان على استقباله وصده ثم
تثبت وأرسل العساكر الى البلاد التى هى فى طريق هذا الكافر القادم
ووقع المرض فى الافرنج وأمر السلطان بهدم سور طبريه وهدم يافا
وارسوف وقيسارية وهدم صور وصيدا وجبيل ونقل أهلها الى بيروت
*وأما ولد ملك الالمان فمرض أياما فى بلاد الارمن وهلك أصحابه من
الجوع ووقع الموت فى خيلهم ثم ساروا من بلاد الارمن وحصل له
ولعسكره شدة عظيمة *الوقعة العادلية* كان الافرنج لما صح عندهم
وصول ولد ملك الالمان الى البلاد فى جمع كبير قالوا اذا جاء صار الامر له
ولا يبقى لنا كلام معه فنحن نهجم على المسلمين ونظفر بهم قبل قدومه
فخرجوا ظهر يوم الاربعاء لعشرين من جمادى الآخرة فى جمع كبير وقصدوا
مخيم الملك العادل فوقف الملك العادل ومن معه من الامراء وحمل معه
العسكر الحاضر قبل أن تتصل به بقية العساكر فكسر الافرنج كسرة
فاحشة وركبت العادلية أكتافهم وحكموا فيهم السيوف وكان السلطان
قد ركب وسار مع جماعة من المماليك فوصل وشاهد ما سره
وقتل من الافرنج زهاء عشرة آلاف ولم يبلغ من استشهد من المسلمين
عشرة أنفس وكتب السلطان الى بغداد ودمشق وغيرهما يبشر بذلك*
ذكر ما تجدد للافرنج بوصول الكندهرى* ومازال الافرنج فى وهن
وضعف حتى وصل من البحر رجل يقال له كندهرى وهو عندهم عظيم
القدر أفاض عليهم الاموال فقوى أهل الكفر وشاع هذا الخبر
فتشاور السلطان وأكابره ورحل يوم الاربعاء السابع والعشرين من
جمادى الآخرة الى منزله الاول بالخروبة واشتغل بتدبير أمره والاخبار
متواردة من عكا مع السباحين وبطاقات الحمام وأخبار ملك الالمان
متواصلة بضعف حاله وتلاشى أحواله* حريق المنجنيقات وفى رجب
من السنة المذكورة أنفق الكندهرى على الرجال فاعطى عشرة آلاف
رجل فى يوم واحد ليجدوا معه فى القتال وضايق عكا ونصب عليها

المناجيق

المناجيق فاشتد عزم المسلمين ممن بعكا وخرجوا بالفارس والراجل وحالوا بين الافرنج وبينها وخرج الزراقون من البلد ورموا النار فيها فاحترق جميعها وقتل فى ذلك اليوم من الافرنج سبعون فارسا وأسر منهم خلق كثير فخمد الافرنج بذلك وكان من جملتها منجنيقان كبيران مصروف أحدهما ألف وخمسمائة دينار وكان ذلك فى الليلة الاولى من شعبان *وصول ولد ملك الالمان الذى قام مقام أبيه الى الافرنج بعكا* وصل الى السلطان خبر وصوله فى سادس شعبان وحزرهم من شاهدهم بخمسة عشر ألفا ووصل فى البحر الى عكا آخر النهار سادس شهر رمضان فرآه الافرنج وليس له وقع فقالوا انه لم يصل الينا فأخذ يحرضهم ويقوى عزمهم فعرفوه قوة بأس المسلمين فاظهر لهم قوة وعزما فلما عرفوا جهله قالوا انه نخرج للمسلمين لعلنا نظفر بهم فاجتمعوا وساروا الى مخيم السلطان فركب من خيمته وتقدم الى تل كيسان ووقف ينهض العسكر وحال بينهم الليل وحصل للالمان مشقة فلما لم يبلغوا قصدهم من العسكر أخذوا فى قتال البلد وحصاره *ذكر برج الذبان* وهو مدمينا عكا فى البحر برج يعرف ببرج الذبان منفرد عن البلد قصد الافرنج حصاره قبل مجىء ملك الالمان فى الثانى والعشرين من شعبان بمراكب جهزوها من العرو شحنوها بالآلات والعدد ومنها مركب عظيم لما قرب من البرج رميت عليه النار فاحترق بكل ما فيه وملؤا بطة أخرى بالاحطاب فسرى فيها النفط فحرقها وكان الافرنج فى مراكب من ورائها فانقلب الريح على الافرنج وتطاير الشرر من بطة الحطب وعاد على الافرنج فالتهبوا وانقلبت بهم السفينة فاحترقوا وغرقوا واحتمى برج الذبان فلم يظفروا منه بشىء *ذكر الكبش وحريقه* واستأنف الافرنج عمل دبابة فى رأسها شكل عظيم يقال له الكبش وقد سقفوها مع كبشها باعمدة الحديد والبسوا رأس الكبش بعد الحديد بالنحاس حشية عليها من النار وصبوها فانزعج المسلمون لذلك وقالوا ليس فى هذه حيلة ثم نصب المسلمون مناجيق ورموا

بالحجارة فنفر من حولها من الرجال ثم قذفوها بالنار فدخلت من باب الذبابة فاشتعلت النار فيها وخرج منها الافرنج واحترقت تلك الذبابة ورموها بالمناجيق حتى انهدمت وخرج المسلمون من الثغر وقطعوا رأس الكبش واستخرجوا ما تحت الرماد من الحديد وحملوا منه ما استطاعوا وحصل بذلك النصرة للمسلمين والخذلان للمشركين وكان ذلك يوم الاثنين ثالث عشر رمضان واحترقت البطة يوم الاربعاء خامس عشره *واتفق في يوم الاثنين هذا من العدو على البلد الزحف الشديد ورموا بالمناجيق وخرج المسلمون فطردوهم الى خيامهم *ذكر غير ذلك من الحوادث *وصل الخبر أن صاحب انطاكية تحرك على المسلمين فسربت له السكمائن فخرجوا عليه وقتلوا أكثر رجاله وفي هذا التاريخ ألقت الريح بساحل الذيب بطستين خرجتا من عكا بجماعة من الرجال والصبيان والنساء وحصل بين المسلمين والكفار وقائع وغنم المسلمون من الكفار وفي عشية الاثنين تاسع عشر رمضان رحل السلطان الى منزل يعرف بشعزعم لما بلغه من تحرك الافرنج نحوهم هنالك وشرع يتواقع هو والافرنج في كل وقت وغلت الاسعار عند الافرنج واشتد بهم البلاء وخرج منهم جماعة ولجؤا الى السلطان مما اصابهم من الجوع فقبلهم وأحسن اليهم فنهم من اعتذر ومنهم من أسلم وصار في خدمة السلطان *نوبة رأس الماء *ولما ضاق بالافرنج الامر تشاوروا وعزموا على المصادمة فخرجوا في عدد كثير وذلك في يوم الاثنين حادي عشر شوال بعد أن رتبوا على البلد من يحصرها وكان اليزك على تل الصياصية ونزل العدو تلك الليلة واتصل خبرهم بالسلطان فرحل الثقل وبقي الناس على جرائد الخيل وسار العدو يوم الثلاثاء والعساكر في أحسن أهبة وامتد الجيش في الميمنة الى الجبل وفي الميسرة الى النهر بقرب البحر والسلطان في القلب فسار حتى وقف على تل عند الخروبة وحوله أولاده وأخوه وخواص امرائه وأمراء القبائل من الاكراد وسار الافرنج شرقي

النهر مواجهين حتى وصلوا الى رأس النهر فانقلبوا الى غربيه ونزلوا على التل بينه وبين البحر والسلطان فى خيمة لطيفة يشاهد القوم وأصبح الافرنج يوم الاربعاء راكبين الى ضحوة النهار والمسلمون قد قربوا منهم فأحس الافرنج بالخذلان فساروا وولوا مدبرين فتبعهم عسكر الاسلام ورموهم بالسهام وهم مجتمعون فى سيرهم وكلما صرع منهم قتيل حملوه ودفنوه حتى لا يظهر للمسلمين كسرهم ونزلوا ليلة الخميس فقطعوا الجسر وأصبحوا بكرة الخميس وقد دخلوا الى مخيمهم فعاد السلطان الى محله وكان مع الافرنج الخارجين المركيس والكندهرى وأقام ملك الالمان على عكا *وقعة الكمين اقتضى رأى السلطان أن يرتب كمينا للعدو فجمع يوم الجمعة الثانى والعشرين من شوّل رجاله وأبطاله وانتخب منهم من عرف بالشجاعة وأمرهم أن يكمنوا على ساحل البحر فضوا وكمنوا ليلة السبت وخرجت منهم عدة يسيرة بعد الصباح ودنوا من الافرنج فطمعوا فيهم وحملوا عليهم وطردوهم فانهزم المسلمون أمامهم حتى وقفوا على الكمين فخرجوا عليهم فلم يستطع فارس منهم أن يفرّ فقتل معظمهم ووقع فى الاسر خازن الملك وعدة من الافرنسيسية ومقدمهم وجاء الخبر للسلطان فركب بمن معه ووقف على تل كيسان وشاهد النصر وجاءه مماليكه بالاسرى وترك السلطان الاسلاب والخيول لآخذيها وكانت باموال عظيمة وجلس السلطان فى خيمته وحوله جنده وأنصاره وأحضر الاسرى بين يديه وأحسن اليهم وأطعمهم وألبسهم وألبس المقدم الكبير فروته الخاصه وأذن لهم أن يسيروا غلمانهم لاحضار ما يريدون ثم جهزهم الى دمشق للاعتقال * ذكر غير ذلك من الحوادث *ثم هجم الشتاء فصرف السلطان العسكر للاستراحة الى الربيع وأقام هو على الجهاد ثم نقل الافرنج سفنهم خوفا عليها الى صور وأخلوا ساحل عكا وأقام الملك العادل على البحر فوصل يوم الاثنين ثانى ذى الحجة من مصر سبعة مراكب فيها الغلة فخرج أهل البلد لمشاهدتها والمساعدة فى نقلها

فعلم الافرنج بخروج أهل البلد الى جانب البحر فزحفوا زحفا شديدا وأحاطوا بعكا وأتوا بسلالم فنصبوها على السور وتراحموا على الطلوع فى سلم وتصادموا فاندق بهم السلم فتساقطوا وتداركهم المسلمون وفتكوا فيهم وقتلوا منهم جماعة وردوهم على أعقابهم فلما اشتغل الناس بامرهم تركوا المراكب ومافيهما من الغلال فهاج البحر فكسرت المراكب وتلف مافيها وغرق ما كان فيهما من الامتعة وهلك بها زها ستين نفسا والحكم لله العلى الكبير * وفى ليلة السبت سابع ذى الحجة وقعت قطعة عظيمة من سور عكا فهدمت منه جانبا فبادر الافرنج طمعا فى الهجوم فجاء أهل البلد وصدوهم حتى عمر الهدم وجرح من العدو خلق كثير كل ذلك بهمة بهاء الدين قراقوش * وفى ثالث عشر ذى الحجة هلك ابن ملك الالمان فحصل الوهن فى الافرنج بموته وهلك منهم عدد كثير * وفى يوم الاثنين عشرى ذى الحجة عاد المستأمنون من الافرنج الذين أنهضهم السلطان ليغزوا فى البحر ويكونوا جواسيس فرجعوا وقد غنموا أشياء كثيرة فوهبهم السلطان ذلك ولم يتعرض لشئ منها فلما رأوا ذلك أسلم منهم شطرهم * وفى الرابع والعشرين من ذى الحجة أخذ من الافرنج مركوسين فيهما نيف وخمسون نفرا * وفى الخامس والعشرين منه أخذ أيضا مركوسا فيه جماعة من أعيان الافرنج ومعهم ملوطة مكللة باللؤلؤ بأزرار من جوهر قيل انها من ثياب ملك الالمان وأسر فيه رجل كبير قيل انه ابن أخيه واستشهد فى هذه السنة جماعة بعكا من الامراء * ودخلت سنة سبع وثمانين وخمسمائة والشتاء موجود والمسلمون مع الكفار فى وقعات وفى أول ليلة من شهر ربيع الاول خرج المسلمون على العدو فكبسوه فى مخيمه وأسروا من الافرنج وقتلوا وعادوا سالمين ومعهم اثنتا عشرة امرأة فى السبى * وفى يوم الاحد ثالث الشهر المذكور ثار الحرب بين المسلمين والكفار فنصر الله المسلمين وهلك من الافرنج خلق كثير وقتل منهم مقدم كبير ولم يفقد من المسلمين الا خادم صغير وكن المسلمون

كما ثن ووصل الى السلطان من بيروت خمسة وأربعون أسيرا من الافرنج وقدم على السلطان جماعة من عسكر الاسلام * وصول ملك الافرنسيس واسمه فليب لنجدة الافرنج بعكا وفى ثانى عشر ربيع الاول يوم السبت وصل ملك الافرنسيس الى الافرنج فى عدد قليل ومن النوادر انه كان مع هذا الملك بازى اشهب ففارقه يوم وصوله وطار ووقع على سور عكا فامسكه المسلمون وأحضروه للسلطان فسر بذلك وبذل الملك فيه ألف دينار فما أجيب * ومما وقع انه كان المستأمنون الينا من الافرنج تسلموا مراكيس يغزون فيها ووصلوا الى ناحية من جزيرة قبرص يوم عيدهم وقد اجتمعوا فى كنيسة فصلوا معهم وأغلقوا باب الكنيسة وأسروهم باسرهم وسبوهم وأخذوا جميع ما فى الكنيسة وحملوهم الى اللاذقية وباعوا بها كل ما أخذوه ومن جملته سبع وعشرون امرأة سبايا وصبيان فباعوها واقتسموا أثمانها وفى سادس عشرى ربيع الآخر هجم جماعة من العسكر وأخذوا قطيعا من غنم الافرنج وخالطوهم فى خيامهم وركب الافرنج بأسرهم فى أثرهم فلم يظفروا بهم وفى يوم الخميس رابع جمادى الاولى زحف العدو الى البلد وكاد يأخذها فاستنفروا العساكر فاصبح السلطان وركب وسير من كشف حال العدو وهل لهم كمين فكلما شاهد الافرنج عسكر المسلمين قد أقبل تركوا الزحف وتأخروا فاذا عاد عادوا (قصة الرضيع) كان لصوص المسلمين فى الليل استلبوا طفلا من الافرنج من يد أمه له ثلاثة أشهر فخرجت والدته والهة عليه فلم يشعر السلطان الا وهى ببابه واقفة فاحضرها السلطان وهى باكية فاخبرته الخبر فطلب الرضيع فقيل لها ان من أخذه باعه بثمن بخس فمازال يبحث عنه حتى جىء به فى قماطه ودفعه لامه وشيع معها من أوصلها الى مكانها وما رد الطفل الا بعد ما اشتراه ممن هو فى يده بثمن يرضيه رحمة الله عليه * انتقال السلطان الى تل الصياصية * لما أصر الافرنج على مضايقة عكا انتقل السلطان الى تل

الصباصية بعساكره وأثقاله واشتد الحرب بينه وبين الكفار في كل وقت وضاق الامر على من بعكا وجرى فصول وحروب يطول شرحها * وصول ملك الانكتير * وفي يوم السبت ثالث عشر الشهر أشاع الكفار وصول ملك الانكتير في عدد كثير ووقع الارجاف في الناس والسلطان قوي الجنان لا يرهبه ذلك وهو معتمد على الله في اموره وأعلم ملك الانكتير ان أهل التوحيد لهم قوة وانهم لا يبالون به * غرق البطة * كان السلطان قد عمر في بيروت بطة وشحنها بالعدد والآلات وفيها نحو سبعمائة رجل مقاتل فلما توسطت في البحر صادفها ملك الانكتير وأحاطت بها مراكبه وحصل القتال بين الفريقين وقتل من الافرنج خلق كثير وعجزوا عن أخذها فلما رأى مقدمها اشتداد الامر نزل نحرقها حتى غرقت في البحر ووصل خبرها للسلطان في السادس عشر من جمادى الاولى وكانت هذه الوقعة أول حادثة حصل بها الوهن للمسلمين * حريق الذبابة * وكان الافرنج قد اتخذوا دبابة عظيمة ولها أربع طبقات وهي خشب ورصاص وحديد ونحاس وقربوها الى أن بقي بينها وبين البلد خمسة أذرع وكانت هذه الدبابة على العجل وانزعج المسلمون بذلك ورموا عليها النفط وهو لا يفيد فيها حتى قدر الله تعالى وجاءها سهم صائب فأحرقها الله تعالى فحصل للمسلمين السرور وزال عنهم ما كان من الغم بسبب غرق البطة فان حريق الدبابة كان يوم وصول خبر غرق البطة * ثم وقع وقعات في هذا الشهر وكانت العلامة بين عسكر السلطان وبين المقيمين بعكا عند زحف العدو دق الكوس فاذا سمعت أدركهم العسكر فوقع لهم عدة وقعات فمن ذلك وقعة في يوم الجمعة تاسع عشر الشهر اشتد فيها القتال الى وقت الظهر حتى حمي الحر فافترق الفريقان ورجع كل الى مخيمه * ووقعة في يوم الاثنين الثالث والعشرين من الشهر حصر العدو البلد واستشهد اثنان من المسلمين وقتل جماعة من المشركين * ووقعة في اليوم الثامن والعشرين من الشهر خرج العدو فارسا وراجلا

وركب السلطان واشتد الامر واستشهد من المسلمين بدوى وكردى وهلك خلق كثير من المشركين واسر منهم فارس بفرسه * ووقعة فى يوم الاحد التاسع والعشرين من الشهر طال فيها القتال وأسر الكفار من المسلمين واحدا فاحرقوه وأسر المسلمون منهم واحدا وأحرقوه * قال العماد الكاتب وشاهدنا النارين فى حالة واحدة يشتعلان والصفان واقفان يقتتلان * ذكر المركيس ومفارقته * وفى يوم الاثنين سلخ الشهر ذكر عن المركيس انه هرب الى صور فانه كان بينه وبين هنفرى عداوة وأحقاد باطنية لامور كانت بينهما فلما جاء ملك الانكثير تظلم اليه هنفرى واستعداه على المركيس فلما علم المركيس بذلك فر منه

﴿ فصل ﴾ ووصل العساكر الى السلطان من سنجار ومن مصر وحضر رسول من عند بعض ملوك الافرنج الى السلطان بكلام مهمل لا طائل تحته ثم حضر رسل ثلاثة فاكرمهم السلطان وأحسن اليهم وكان غرض الافرنج بتكرير الرسالات الخداع حتى يشتغل المسلمون عنهم وضعف الثغر من قوة الحصر ولما علم السلطان يوم الثلاثاء سابع جمادى الآخرة بما عليه البلد من غلبة البلاء زحف بعسكره ودهم الافرنج ونهب من خيامهم وأمسى تلك الليلة ثم أمر بدق الكؤس سحرا حتى ركب العسكر فجرى ذلك اليوم من القتال أشد مما كان من أمس ووصل الى السلطان مطلعة من البلد انهم عجزوا ولم يبق الا تسليم البلد فعظم الامر على السلطان وفى هذا اليوم بعث العساكر وزحف الى خنادقهم وخالطوهم وحصل بينهم قتال شديد ولما تكاثر الافرنج على عكا وقل المسلمون لكثرة من استشهد خرج سيف الدين على المشطوب الى ملك الافرنسيس بامان وقال له قد علمتم ما عاملنا كم به عند أخذ بلادكم من الامان لاهلها ونحن نسلم اليك البلد على أن تعطينا الامان ونسلم فقال ان اولئك الملوك كانوا عبيدى وأنتم مماليكى أفعل بكم ما يقتضيه

رأى فقام المشطوب من عنده مغتاظا وأغلظ له فى القول وقال نحن لا نسلم البلد حتى نقتل باجمعنا ونقتلكم قبلنا ولا يقتل منا واحد حتى يقتل خمسين ولما رجع المشطوب وعلم حاله هرب جماعة من الامراء والاجناد من بالبلد وغضب عليهم السلطان وأخرج اقطاعاتهم ثم رجع بعضهم الى البلد فحصل له الرضا ووقع فى بعضهم شفاعة واستمروا على المقت عند السلطان وفى يوم الخميس حصلت وقعة عظيمة واشتد فيها الحرب وأصبح العسكر يوم الجمعة عاشر الشهر على أهبة القتال فلم يحصل شئ وانقضى النهار والعسكر محيط بالعدو والعدو محيط بالبلد وأصبح يوم السبت والافرنج قد ركبوا وخرج منهم أربعون فارسا واستدعوا بعض المماليك الناصرية فلما وصل اليهم أخبروه أن الخارج صاحب صيدا فى أصحابه وهو يستدعى نجيب الدين احد أمناء السلطان لانه كان يتردد فى الرسالات للافرنج فلما حضر أرسله الى السلطان ليتحدث فى خروج من بعكا بانفسهم بحكم الامان وطلبوا فى مقابلة ذلك أشياء لا يمكن وقوعها وتعنتوا فى الاشتراط فتردد من عند السلطان نجيب الدين مرارا وكان الافرنج اشترطوا اعادة جميع البلاد واطلاق أساراهم فبذل السلطان لهم عكا بما فيها وأن يطلق لهم فى مقابلة كل شخص أسيرا فلم يقبلوا وسمح لهم برد صليب الصلبوت وانفصل الامر على غير اتفاق وضعف البلد وعجز من فيه *استيلاء الافرنج على عكا* وفى يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الآخرة اجتمعت الافرنج بجموعها وهجمت وطلعت فى السور المهدوم فثار عليهم المسلمون وصدوهم وحصلت الوقعة حتى كلت الرجال فخرج سيف الدين على بن أحمد المشطوب وحسام الدين حسين نازيك وأخذا امان الافرنج على أن يخرجوا باموالهم وأنفسهم على تسليم البلد ومائتى ألف دينار وخمسمائة أسير من المجهولين وما أسر من المعروفين وصليب الصلبوت وأشياء ذكراها غير ذلك فلم يشعروا الا بالرايات الافرنجية قد نصبت على عكا وما عند

السلطان علم بما جرى عليه الحال فانزعج السلطان والمسلمون لذلك ونقل الثقل تلك الليلة الى منزله الاول بشغرعم وأقام فى خيمة لطيفة ثم انتقل سحر ليلة الاحد تاسع عشر الشهر الى المخيم وهو فى غم عظيم فسلاه اصحابه واستعطفوا بخاطره وخرج رسول بهاء الدين قراقوش لطلب ماقدروه من القطيعة وقال أدركونا بنصف المال وجميع الاسارى وصليب الصلبوت قبل خروج الشهر وان تأخر شئ من ذلك أسرنا ونصف المال يصبرون به الى شهر آخر فاحضر الاكابر وفاوضهم فاشاروا باستنقاذ اخوانهم من المسلمين فشرع السلطان فى تحصيله وكتب الى الاقطار يعلمهم بالحال ويستنفرهم للجهاد فى سبيل الله وفى يوم الخميس سلخ جمادى الآخرة خرج الافرنج وانتشروا فضربت الكاسات السلطانية فانتدب العسكر واشتد الحرب وانهزم الافرنج فجاءت العرب وحالت بينهم وبين أسوارهم وصرعوا ازهاء خمسين رجلا وكروا عليهم ثم كر الافرنج على المسلمين كرة عظيمة فتثبتوا ثم عادوا عليهم حتى طردوهم الى خنادقهم وانتصف الاسلام فى ذلك اليوم بعض الانتصاف وفى يوم الجمعة ثانى رجب جاءت الرسل فى تقرير القطيعة المقررة بخلاص الجماعة وأخبروا ان ملك الافرنسيس توجه الى صور لترتيب أموره ووكل المركيس فى قبض ما يخصه فجهز السلطان رسولا لكشف خبره وعلى يده هدية له ونقل خيمته يوم السبت الى تل بازاء شغرعم وراء التل الذى كان عليه ومازالت الرسل تتردد حتى أحضر مائة ألف دينار والاسارى المطلوبين وصليب الصلبوت ليوصل ذلك الى الافرنج فى الاجل المعين ووقع الخلف فى كيفية التسليم فقال السلطان أسلمه اليكم على أن تطلقوا جميع أصحابنا وتأخذوا باقى المال فومار هائن فابوا الا أخذ الجميع بسرعة ويحلفون للمسلمين على تسليم من عندهم فقيل لهم تضمنكم الداوية فلم يضمنوا فتحير السلطان وقال متى سلمنا اليهم من غير احتياط بالشرط كان على الاسلام غبن وعار فلو أيقنا بخلاص أصحابنا سمحنا لهم فى الحال

بصليب الصلبوت والاسارى والمال ووقف الامر الى أن مضى الاجل وجاء الرسل ورأوا الاسارى قد حضروا والمال موزونا فظنوا ان صليب الصلبوت قد أرسل الى دار الخلافة فسألوا احضاره لينظروه فلما أحضر خروا له ساجدين واطمأنوا وظهر للسلطان منهم أمارات الغدر وفى يوم الاربعاء الحادى والعشرين من رجب أخرج الافرنج الى ظاهر المرج خياما نصبوها وجلس فيها ملك الانكتير ومعه خلق من جماعته *غدر ملك الانكتير وقتل المسلمين المأخوذين بعكا* وفى عصر يوم الثلاثاء سادس عشرى رجب ركب الافرنج بأسرهم وجاؤا الى المرج الذى بين تل الصياصية وتل كيسان فعلم السلطان بذلك فركبت العساكر نحوهم وكانوا قد أحضروا أسارى المسلمين وهم واقفون فى الجبال وحملوا عليهم وقتلوهم جميعهم فحمل عليهم العسكر وقتل منهم خلقا كثيرا وانصرف العدو الى خيامه فلما وقع هذا الغدر تصرف السلطان فى ذلك المال وأعاد أسارى الافرنج الى دمشق وأعاد صليب الصلبوت *رحيل الافرنج صوب عسقلان* وفى عصر الاحد غرة شعبان عزم الافرنج على التوجه الى عسقلان وساروا فعلم السلطان بذلك وكانت نوبة اليزك فى ذلك اليوم للملك الافضل فوقف فى طريقهم وشتت شملهم وأرسل يستنجد والده أن يمده بعسكر حتى يقاتلهم فاستشار من حضر من عسكره فقيل للسلطان ان العسكر لم يتأهب للقتال والافرنج قد فاتوا الحرب فالمقام عند قيسارية وقصده أولى فصرف السلطان عزمه وتوجه نحو قيساريه ونزل على النهر الذى يجرى الى قيساريه وأقام هناك وأتى حرا ابأسارى فامر باراقة دمهم *وقعة قيسارية* وفى يوم الاثنين تاسع شعبان وصل الخبر للسلطان برحيل الافرنج وانهم سائرون فى جمع فركب السلطان ومن معه وسار العدو بازائه وكانت هناك بركة كبيرة مملوءة من الماء والافرنج على عزم ورودها فصدهم عسكر الاسلام عنها وطردوهم فولوا مدبرين وانصرفوا نحو الساحل ونزلوا على نهر يقال له نهر القصب بعد

مشقة حصلت لهم من المسلمين ونزل العسكر بعد انقضاء الحرب على البركة ثم رحل ونزل على أعلا نهر القصب فى أوّله وهو الذى نزل العدوّ فى أسفله فقربت المسافة وكان شخص من الامراء اسمه عز الدين ابن المقدم أبصر جماعة من الافرنج مقبلين لكشف حال العسكر فعبر اليهم النهر وقتل منهم عدّة وأسر ثلاثة فركب الافرنج وحملوا عليه وكانت وقعة عظيمة واحضر الاسارى عند السلطان ورحل وقت الظهر قاصدا نحو ارسوف ونزل على قرية بقربها وأقام بها يوم الاربعاء والعدوّ فى مكانه الاوّل * اجتماع الملك العادل وملك الانكتير * كان فى اليزك علم الدين سليمان ابن جندر فراسله العدوّ أن يحتث مع الملك العادل فاجتمعا يوم الخميس فتكلما فى الصلح وانجاد القصة فقال له الملك العادل ما الذى تريده فقال ردّ البلاد فقال العادل هذا لا سبيل اليه وأغلظ له فى القول وكان الترجمان بينهما هنفرى ابن هنفرى فلما سمع ملك الانكتير ذلك غضب وتفرقا على غير شئ * وقعة أرسوف * لما عرف السلطان من أخيه الملك العادل ماجرى بينه وبين ذلك الملعون جمع يوم الجمعة العساكر وسير الثقل وركب فلما اسفر صباح السبت رابع عشر شعبان ركب العدوّ على صوب أرسوف فهجم عليهم عسكر الاسلام وأحاط بهم واشتدّ القتال بينهم فحملوا على اطلاب المسلمين حملة واحدة فاستشهد جماعة من المسلمين ثم كر العسكر على الكفار فصدّوهم وكسروهم وقتل منهم جماعة وأسر جماعة وهرب الافرنج ودخلوا أرسوف ونزلوا قريبا من الماء وبات السلطان تلك الليلة على نهر العوجاء وأقام العدوّ يوم الأحد فى موضعه ثم رحل يوم الثلاثاء سائرا الى يافا فعارضهم العسكر فى طريقهم ثم رحل السلطان يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان ونزل بالرملة واجتمع عنده الاثقال كلها ثم رحل ونزل بظاهر عسقلان بعد العصر * خراب عسقلان * لما نزل السلطان بالرملة أحضر عنده أخاه الملك العادل وأكابر الامراء وشاورهم فى أمر عسقلان فاشار بعضهم بخرابها للعجز عن حفظها فان

الافرنج نزلوا بيافا وهى مدينة بين القدس وعسقلان متوسطة ولا سبيل الى حفظ المدينتين الا بعدد كثير وتيقن انهم اذا وصلوا الى عسقلان تسلموها كما وقع فى عكا واقتضى الحال هدمها ووصل السلطان الى عسقلان وشرع فى هدمها بكرة يوم الخميس تاسع عشر شعبان فنقض أسوارها وهدم منازلها وكانت من أحسن المدن وأظرفها فصارت خرابا دائرة وحصل لاهلها مشقة زائدة بهدمها وباعوا امتعتهم بابخس الاثمان وتشتتوا فى البلاد

(فصل) فلما هدمها رحل يوم الثلاثاء ثانى شهر رمضان ونزل على يبنا ونزل يوم الاربعاء ثالث الشهر بالرملة ثم خرج الى لد وأشرف عليها وأمر باخرابها واخراب قلعة الرملة ففعل ذلك ثم توجه الى بيت المقدس وأتاه يوم الخميس وخرج منه يوم الاثنين ثامن شهر رمضان بعد الظهر وبات فى بيت نوبه وعاد الى المخيم يوم الثلاثاء ضحوة * وفى هذا التاريخ خرج ملك الانكتير متنكرا فخرج عليه الكمين وجرى قتال عظيم حتى كاد يؤسر الملك وقد أسر منه جماعة وجرى يوم الجمعة ثانى عشر الشهر بين اليزكيه وأهل الكفر وقعة قتل منهم مقدم كبير * ورحل السلطان يوم السبت ثالث عشره ونزل على تل عال عند النطرون وهى قلعة منيعة فهدمها وأشاع الاقامة هنالك وأفاض الانعام على العسكر * ذكر ما تجدد لملك الانكتير * وصلت رسل ملك الانكتير الى العادل بالمصالحة وترددت الرسل وانتظم الحال على ان العادل يتزوج أخت ملك الانكتير ويحكم العادل فى البلاد وتكون المرأة مقيمة بالقدس ويوطن العادل مقدمى الافرنج والراوية والاستبارية بعض القرى ولا يمكنهم من الحصون ولا يقيم معها فى القدس الا قسس ورهبان فاستدعى العادل جماعة من الاعيان منهم العماد الكاتب وغيره وسألهم فى المضى الى السلطان واعلامه بذلك وسؤاله فى ذلك فحضروا الى السلطان وأخبروه بالحال فسمع ورضى وذلك فى يوم الاثنين تاسع عشرى رمضان وعاد الرسول الى ملك الانكتير

ثم ان أكابر الافرنج عرضوا ذلك على قسسهم فلم يرضوه وخبثوا المرأة وندموها وعنفوها بتزويجها بالمسلم فانثنى عزمها عن التزويج وقالت أتزوجه بشرط أن يوافقني على ديني فانف العادل من ذلك واعتذر الملك بامتناع أخته وبطل الاتفاق وكان ذلك ثاني يوم العيد وفي يوم العيد خلع السلطان على أكابره ومد لهم سماطا ونزل السلطان بالرملة ليقرب من العدو وتواتر الخبر بان الافرنج على عزم الخروج فسار يوم الاثنين سابع شوال وخيم خارج الرملة وجاء الخبر أن العدو قد خرج الى بازور فتسارع العسكر اليهم وقربوا من خيامهم وأحاطوا بهم فركب الافرنج وحملوا على الناس حملة واحدة فاندفعوا بين أيديهم فاستشهد ثلاثة وكان السلطان في كل يوم يركب ولا يخلو من وقعة يقتل فيها من الكفار * وقعة الكمين * وفي ليلة الاربعاء سادس عشر شوال أمر السلطان رجال الحلقة المنصورة بان يكمنوا في جهة عينها وخرج الافرنج للاحتشاش ولقيهم اعراب فتواقعوا معهم وخرج الكمين واقتتلوا معهم وقتل جماعة من الكفار واستشهد ثلاثة من المماليك الخواص وأسر من الافرنج فارسان وأحضرا للسلطان وانفصل الحرب وقت الظهر * اجتماع الملك العادل بملك الانكتير * وفي يوم الجمعة ثامن عشر شوال ضرب الملك العادل بقرب اليزك لاجل ملك الانكتير ثلاث خيام وجهز فاكهة وحلوى وطعاما وحضر ملك الانكتير وطالت بينهما المحادثة وافترقا عن غير موافقة ومضى الملك وكان قد وصل صاحب صيدا من صور برسالة المركيس لطلب الصلح مع السلطان حتى يقوى يده على ملك الانكتير وبلغ ذلك ملك الانكتير فوصل رسوله أيضا بنظير هذا الامر ومضى القول مع صاحب صيدا الى المركيس على شرائط شرطت عليه وأمام اسلة الملك فلم ينتج منها أمر وكلما حصل الاتفاق معه على شئ نقضه وكلما قال قولا رجع عنه فلعنة الله عليه وفي يوم الاحد سابع عشري شوال عاد السلطان الى المخيم بالنطرون ورحل الافرنج يوم السبت

ثالث ذى القعدة وتقدموا الى الرملة ونزلوا بها ولم يشك انهم على قصد القدس وأقام السلطان فى كل يوم له سرايا وصار لهم فى كل يوم وقعة وما يخلو من أسرى تقاد اليه ثم هجم الشتاء وتوالت الامطار فعزم على الرحيل * رحيل السلطان الى القدس * وفى يوم الجمعة الثالث والعشرين من ذى القعدة ركب السلطان والغيث نازل وسار بمن معه حتى وصل الى القدس قبل العصر ونزل بدار الاقساء المجاورة لكنيسة قمامة وشرع فى تحصين المدينة وصلى يوم الجمعة مستهل ذى الحجة فى قبة الصخرة وفى يوم الاحد ثالث الحجة وصل اليه عسكر من مصر وتتابعت العساكر المصرية ووصل الخبر بنزول الافرنج بالنطرون فوقع الارجاف فى الناس وجرت يوم الخميس سابع الشهر وقعة قرب بيت نوبة من سرية جهزها السلطان فوقعوا على سرية الافرنج فأسروها وقتلوها ووصلوا بزهاء خمسين أسيرا الى القدس وكانت بشرى عظيمة ثم وقعت وقعة أخرى قتل من الكفار ستة وأسر أربعة وصلى السلطان عيد الاضحية بالقدس يوم الاحد وكانت الوقفة بمكة يوم الجمعة لكن لم ير الهلال بالقدس ليلة الخميس وفى يوم الجمعة خامس عشر ذى الحجة وقعت وقعة بالرملة من أميرين أغارا على الافرنج وأخذا أموالا وأغناما وخيلا وجمالا وبغالا وأسرا ممن كان فى القافلة ثلاثين وأحضراهم للسلطان وأحاط بالافرنج البلاء وكثرت عليهم الغارات فرحلوا وعادوا الى الرملة وطابت قلوب المسلمين * ذكر ما اعتمده السلطان فى عمارة القدس * وصل من الموصل جماعة للعمل فى الخندق جهزهم صاحب الموصل صحبة بعض حجابه وسير معه مالا يفرقه عليهم فى رأس كل شهر وأقاموا نصف سنة فى العمل وامر السلطان بحفر خندق عميق وأنشأ سورا وأحضر من أسرى الافرنج قريبا من ألفين ورتبهم فى ذلك وجدد أبراجا حربية من باب العمود الى باب المحراب وباب المحراب هو المعروف الآن بباب الخليل وأنفق عليها أموالا جزيلة وبناها بالاحجار الكبار وكان الحجر يقطع من الخندق ويستعمل فى بناء السور وقسم بناء

السور

السور على أولاده وأخيه العادل وأمرائه وصار يركب كل يوم ويحضر
على بنائه وكان يحمل الحجر على قربوس سرجه ويخرج الناس لموافقته على
حمل الحجر الى موضع البناء ويتولى ذلك بنفسه وبجماعة خواصه والامراء
ويجتمع لذلك العلماء والقضاة والصوفية والاولياء وحواشي العساكر
والاتباع وعوام الناس فبنى فى أقرب مدة ما يتعذر بناؤه فى سنين
وأرسل السلطان لصاحب الموصل يشكره على تجهيز الرجال لحفر
الخندق بمكتبة أنشأها العماد الكاتب رحمه الله تعالى * ودخلت سنة
ثمان وثمانين وخمسمائة والسلطان مقيم بالقدس فى دار الاقساء بجوار
قمامة لتقوية البلد وتشييد أسواره وجد فى عمارة الصخرة المقدسة وأكمل
السور والخندق وصار فى غاية الاتقان واطمأن أهل الاسلام * ذكر
الحوادث مع الافرنج * رحل الافرنج يوم الثلاثاء ثالث المحرم من الرملة
الى بلد عسقلان ونزلوا بظاهرها يوم الاربعاء وتشاوروا فى اعادة عمارتها
وكان اثنان من الامراء نازلين فى بعض أعمالها فركب ملك الانكثير
عصر يوم الخميس فشاهد دخانا على البعد فساق متوجها الى تلك الجهة
فما شعر المسلمون الا بالكبسة عليهم فلم ينزعجوا فانه كان وقت المغرب
وهم مجتمعون ولم ير العدو الا أحد القسمين من المسلمين فقصده فعرف
القسم الآخر هجوم العدو فركبوا الى العدو فدفعوه حتى ركب رفقاؤهم
المقصودون واجتمعوا وردوا العدو ثم تكاثر الافرنج وتواصلوا ووقعت
الوقعة فلم يفقد من المسلمين الا أربعة ونجا الباقون وكانت نوبة عظيمة
ولكن الله سلم فيها وفى يوم الثلاثاء عاشر المحرم ركب السلطان على
عادته فى نقل الحجارة والعمارة ومعه الملوك وأولاده والامراء والقضاة
والعلماء والصوفية والزهاد والاولياء وخرج كل من بالبلد وهو قد حمل
على سرجه والناس ينقلون معه ولما دخل الظهر نزل فى خيمة بالصحراء
ومد السماط ثم صلى الظهر وانصرف الى منزله وأما سراياه فكانت
لا تزال تغير على الكفار فمن ذلك سرية أغارت يوم الاربعاء الحادى عشر

من المحرم على يبنا وفيها الافرنج فغنمت اثنى عشر أسيرا وخيلا ودواب وأثاثا كثيرا وفي يوم الثلاثاء ثاني صفر أغارت السرية على ظاهر عسقلان وغنمت ثلاثين أسيرا سوى الخيل والبغال وفي ليلة الاحد رابع عشر صفر صبحت سرية على يبنا وظهرت على قافلة الافرنج فاخذتها باسرها مع رجالها وبغالها وأحمالها ثم أغارت على يافا فقتلت وفتكت وعادت بالغنيمة والسبايا وعجز جماعة من الاسارى عن المشى فضربت أعناقهم وأوجب ذلك عتق الباقين ولما خرج سيف الدين على بن أحمد المعروف بالمشطوب من الاسر قرر على نفسه قطيعة خمسين ألف دينار فادى منها ثلاثين ألفا وأعطى رهائن على عشرين ألفا ووصل الى القدس واجتمع بالسلطان يوم الخميس مستهل شهر ربيع الآخر فقام اليه واعتنقه وتلقاه وأقطعه نابلس وأعمالها وعاش الى آخر شوال من هذه السنة وتوفى رحمه الله فعين السلطان ثلث نابلس وأعمالها لمصالح البيت المقدس وعمارة سوره وأبقى باقيها لولده * هلاك المركيس بصور * أضافه الاسقف بصور يوم الثلاثاء ثالث عشر ربيع الآخر فاكل وخرج وركب فوثب عليه رجلان وقتلاه بالسكاكين فامسكا وسئلا من هو الآمر لكما بقتله فقالا ملك الانكتير فقتلا شر قتلة ولما هلك المركيس تحكم ملك الانكتير في صور وولاها الكندهري وأرسل الملك يطلب من السلطان نصف البلاد سوى القدس فانه يبقى للمسلمين بمدينته وقلعته سوى كنيستهم قمامة فأبى السلطان ولم يرض * استيلاء الافرنج على قلعة الداروم * وقلعة الداروم هذه على حد مصر خلف غزة وكانت منها مضرة كبيرة فلما شرع الافرنج في عمارة عسقلان ترددوا اليها مرارا ثم نزلت الافرنج عليها واشتد زحفهم اليها عشية السبت تاسع جمادى الاولى بعد ان نقبوها وطلب أهلها الامان فلم يؤمنوا ولما عرف الوالي بها انهم مأخذون عمد الى الخيل والجمال والدواب فعرقبها والى الذخائر فاحرقها وفتحوها بالسيف وقتلوا من بها وأسروا منهم عدة يسيرة وكانت نوبة كبيرة على

الاسلام ثم رحل الافرنج عنها ونزلوا على ماء يقال له الحسى يوم الخميس رابع عشر الشهر ثم تركوا خيامهم وساروا على قصد قلعة يقال لها مجدل الجبان فخرج عليهم المسلمون وقاتلوهم قتالا شديدا وقتل منهم خلق كثير وانهزموا ثم رحلوا من الحسى يوم الاحد سابع عشر الشهر وتفرقوا فريقين فبعضهم عاد الى عسقلان وبعضهم جاء الى بيت جبريل فتقدم السلطان الى العساكر بمبارزتهم وفي يوم السبت الثالث والعشرين نزلوا بتل الصافية ونزلوا يوم الثلاثاء السادس والعشرين بالنطرون فارجف بقصدهم القدس ثم ضربوا خيامهم يوم الاربعاء على بيت نوبة وأظهر السلطان الاقامة بالقدس وفرق الامراء على الابراج وجرت وقعات وكبسات وفي يوم السبت نزل الناس اليهم وقاتلوهم فى خيامهم وركب العدو وساق الى قلونية وهى ضيعة من القدس على فرسخين وعاد منهزما وفي يوم الثلاثاء ثالث جمادى الآخرة خرج كمين فى طريق يافا على قافلة فاخذوها وأسروا من فيها * كبسة الافرنج على عسكر مصر الواصل * كان السلطان يستحث عسكر مصر بكتبه ورسله ويدعوه نجدة لاهل القدس فضرب خيامه على بلبيس مدة حتى اجتمعوا وانضم اليهم التجار فاغتروا بكثرتهم والعدو منتظر قدومهم وجاء الخبر للسلطان ليلة الاثنين تاسع جمادى الآخرة ان ملك الانكتير ركب فى جمع كبير وسار عصر يوم الاحد فجرد السلطان أميرا وجماعة لتلقي الواصل وأمرهم بان يأخذوا بالناس فى طريق البرية فعبروا على ماء الحسى قبل وصول العدو اليه وكان مقدم العسكر المصرى فلك الدين أخو العادل فلم يسأل عن المنزلة وقصد الطريق الاقرب وترك الاحمال على طريق أخرى ونزل على ماء يعرف بالخويلفه ونادى تلك الليلة انه لا رحيل الى الصباح وناموا مطمئنين فصبحهم العدو عند انشقاق الصبح فى الغلس فلما بغتهم ركب كل منهم على وجهه وفيهم من ركب بغير عدة وانهزموا وتركوا العدو وراءهم فوقع العدو فى أمتعتهم وتفرق العسكر فى البرية فمنهم من رجع الى مصر ومنهم

من توجه على طريق الكرك فاخذ الكفار من الجمال والاحمال مالا يعد
ولا يحصى وكانت نكبة عظيمة ووصل الجند مسلوبين منكوبين
فسلاهم السلطان ووعدهم بكل جميل واشتغل الكفار بالمال عن القتل
والقتال * رحيل ملك الانكتير صوب عكا مظهرا انه على قصد بيروت *
لما تعذر على الافرنج قصد القدس ورأوا ان بيروت فزع منهم وقطع عليهم
طريق البحر فقالوا هذا البلد أخذه هين واذا قصدناه جاء السلطان
وعسكره الينا وخلا القدس فنبادر اليه من يافا وعسقلان وتملكه فلما
عرف السلطان ماعزموا عليه أمر ولده الملك الافضل بمبادرتهم فى
الرحيل وسبقهم الى مرج عيون حتى اذا تيقن قصدهم سبقت العساكر
الى بيروت ودخلتها وكتب السلطان الى العساكر الواصلة الى دمشق أن
يكونوا مع ولده فنزل بمرج عيون والافرنج بعكا لم تخرج منها * نزول
السلطان على مدينة يافا وفتحها * لما رحل ملك الانكتير وترك فى مدينتى
يافا وعسقلان جمعا من العسكر انتهز السلطان الفرصة لغيبته ونهض
بعسكره الحاضر ونزل على يافا وحصرها ورماها بالمناجيق وزحف عليها
وهجم على المدينة وقتل من بها ووجدت الاحمال المأخوذة من قافلة مصر
فأخذت وامتلأت البلد من المسلمين وبقيت القلعة وطلب أهلها الامان
ويسلمونها وكان قرب الاستيلاء عليها فلما طلبوا الامان كف الناس عنها
فخرج البطرك الكبير ومعه جماعة من المقدمين والاكابر على أن يدخلوا
تحت طاعة السلطان ويسلموا المال والذخائر حتى دخل الليل فاستمهلوا
الى الصباح وطلبوا من يحفظهم من المسلمين ومازال يخرج من يستدعى
زيادة التوثقة حتى وصل ملك الانكتير فى البحر فى مراكب فى الليل
ودخل القلعة من الجانب البحرى ونادوا بشعار الكفر فاكتفى منهم بمن
أسر وندم المسلمون على ماوقع من الامان ولوأن السلطان توقف فى
تأمينهم لاخذت القلعة وكان ذلك فتحا عظيما وأخذ المسلمون من
الاموال والغنائم مالا يحصى واستعادوا من الكفار مانهبوه من الكبسة

المصرية وقتل من أقام بالبلد وأسر وحصل فى أيدى المسلمين من مقدمى القلعة نيف وسبعون وكان القصد فى الاول رجوع الكفار عن قصد بيروت وضعف الافرنج من هذه الوقعة وعاد السلطان وخيم على النطرون وأقام السلطان حتى تكاملت العساكر ورحل السلطان ونزل بالرملة وقد اجتمع العساكر من سائر البلاد وقوى واشتد عزم المسلمين وحصل لهم السرور بفتح يافا وأخذ ما فيها وتباشروا بالنصر وخذلان العدو * الهدنة العامة * لما عرف ملك الانكثير اجتماع العساكر واتساع الخرق عليه وان القدس قد امتنع أخذه قصر عما كان فيه وخضع وأظهر انه لم يهادن السلطان وأقام وجد فى القتال ثم طلب المهادنة وكاتب الملك العادل يسأله الدخول على السلطان فى الصلح فلم يجب السلطان لذلك وأحضر السلطان الامراء وشاورهم وقال لهم نحن بحمد الله فى قوة وقد ألفنا الجهاد وما لنا شغل الا العدو وحرضهم على التثبت والتصميم وحثهم على الجهاد فقالوا له رأيك سديد والتوفيق فى كل ما تريد غير ان البلاد تشعثت وقلت الاقوات واذا حصلت الهدنة ففى مدتها نستريح ونستعد للحرب والصواب القبول عملا بقول الله عز وجل وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتعود البلاد الى العمارة واستيطان أهلها وتكثر فى مدة الهدنة الغلة واذا عادت أيام الحرب عدنا وما زالوا بالسلطان حتى رضى وأجاب ثم حصل الصلح والمهادنة بين السلطان وبين الافرنج بشفاعة جماعة من أعيان جماعة السلطان وعقد الهدنة عامة فى البحر والبر وجعل مدتها ثلاث سنين وثمانية أشهر أولها يوم الثلاثاء الحادى والعشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين وخمسمائة الموافق لأول أيلول وحسبوا ان وقت الانقضاء يوافق وصولهم من البحر واستمر أمر الهدنة وتحالفوا على ذلك ولم يحلف ملك الانكثير بل أخذوا يده وعاهدوه واعتذر بان الملوك لا يحلفون وقنع السلطان بذلك وحلف الكندهرى ابن أخته وخليفته فى الساحل وحلف غيره من عظماء الافرنج ووصل ابن الهنفرى

وماليان الى خدمة السلطان ومعهما جماعة من المقدمين وأخذوا يد السلطان على الصلح واستحلفوا الملك العادل أخا السلطان والملك بن الافضل والظاهر ابنى السلطان والملك المنصور صاحب حماه محمد بن تقى الدين عمر والملك المجاهد شيركوه صاحب حصن حمص والملك الامجد بهرام شاه صاحب بعلبك والامير بدر الدين ولدرم البارقى صاحب تل باشر والامير سابق الدين عثمان ابن الدايه صاحب سرمين والامير سيف الدين على بن أحمد المشطوب وغيرهم من المقدمين الكبار وكانت الهدنة على أن يستقر بيد الافرنج من يافا الى قيسارية الى عكا الى صور وان تكون عسقلان خرابا واشترط السلطان دخول بلاد الاسماعيلية فى عقد هدنته واشترط الافرنج دخول انطاكية وطرابلس فى عقد هدنتهم وان تكون لد والرملة مناصفة بينهم وبين المسلمين * فاستقرت المهادنة على ذلك وحضر العماد الكاتب لانشاء عقد الهدنة وكتبها ونادى المنادى بانتظام الصلح وان البلاد النصرانية والاسلامية واحدة فى الامن والمسالمة فمن شاء من كل طائفة يتردد الى بلاد الطائفة الاخرى من غير خوف ولا محذور وكان يوما مشهودا نال الطائفتان فيه من المسرة مالا يعلمه الا الله تعالى وكان ذلك مصلحة فى علم الله تعالى لانه اتفقت وفاة السلطان بعد الصلح بيسير فلو اتفق ذلك فى اثناء وفاته كان الاسلام على خطر * ذكر ماجرى بعد الصلح * عاد السلطان الى القدس واشتغل فى اكمال السور والخندق وفسح للافرنج كافة فى زيارة قمامه فجاؤا وزاروا وقالوا انما كنا نقاتل على هذا الامر وكان ملك الانكثير أرسل للسلطان يسأله منع الافرنج من الزيارة الا من وصل معه كتابه أو رسوله وقصد بذلك رجوعهم الى بلادهم بحسرة الزيارة ليشتد حنقهم على الجهاد والقتال اذا عادوا فاعتذر السلطان اليه بوقوع الصلح والهدنة وقال له أنت أولى بردهم وردعهم فانهم اذا جاؤا لزيارة كنيستهم ما يليق بنا ردهم ومرض ملك الانكثير وركب البحر وأقلع

وسلم

وسلم الامر الى الكندهرى ابن أخته من أمه. وهو ابن أخت ملك افرنسيس من أبيه وعزم السلطان على الحج وصمم عليه وكتب الى مصر واليمن بذلك فمازال الجماعة به حتى انثنى عزمه فشرع فى ترتيب قاعدة القدس فى الولاية والعمارة وكان الوالى بالقدس حسام الدين شاروخ وهو تركى وفيه دين وخير وكان قد أحسن السيرة وفوّض ولاية القدس الى عز الدين جرديك وكان أميرا معتبرا شجاعا وولى علم الدين قنصو أعمال الخليل وعسقلان وغزة والداروم وماوراءها وسأل الصوفية عن أحوالهم وزاد فى أوقاف المدرسة الصلاحية والخانقاه وجعل الكنيسة المجاورة لدار الاستبارية بقرب قمامة بيمارستان للمرضى ووقف عليه مواضع ووضع فيه مايحتاج من الادوية والعقاقير وفوّض النظر والقضاء فى هذا الوقف الى القاضى بهاء الدين يوسف ابن رافع ابن تميم المشهور بابن شدّاد لعلمه بكفاءته * رحيل السلطان الى دمشق * وخرج السلطان من القدس ضحوة الخميس خامس شوّال ونزل على نابلس ضحوة يوم الجمعة فشكى أهلها على صاحبها سيف الدين على المشطوب انه ظلمهم فاقام السلطان بها الى ظهر يوم السبت حتى كشف ظلاماتهم ورحل بعد الظهر وأصبح على جينين ثم رحل الى بيسان ثم الى قلعة كوكب ثم سار ونزل بظاهر طبرية ولقيه هناك بهاء الدين قراقوش وقد أخرج من الاسر ثم رحل ونزل بقرب قلعة صفد تحت الجبل وصعد السلطان اليها وأمر بعمارتها ثم سار الى أن خيم على مرج تبنين وتفقد أحوالها وأمر بعمارة قلعتها ثم سار ونزل على عين الذهب ورحل وخيم بمرج عيون ثم سار وعبر من عمل صيدا وكلما نزل فى مكان يدبر أمره ويرتب أحواله ويأمر بعمارته الى أن وصل الى بيروت فتلقاه واليها عز الدين أسامه وقدم للسلطان ولاركان دولته الهدايا والتحف النفيسة * وصول الابرنس صاحب انطاكيه * لما أراد السلطان الرحيل من بيروت فى يوم السبت الحادى والعشرين من شوّال قيل له ان

الابرنس الانطاكي قد وصل الى الخدمة فاقام السلطان واذن للابرنس في الدخول عليه فلما تمثل بين يديه أكرمه وأظهر البشاشة وسكن روعه وكان معه من مقدمي فرسانه أربعة عشر باروناً وخلع عليه وعليهم وأجزل لهم العطاء وودعه يوم الاحد وفارقه وهو مسرور مجبور * وصول السلطان الى دمشق * لما خرج السلطان من بيروت يوم الاحد بات بالمخيم على البقاع ثم سار ووصل اليه أعيان دمشق لتلاقيه وجاءه فواكه دمشق وأطايبها وأصبح يوم الاربعاء فدخل دمشق لخمس بقين من شوال سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وزينت البلد وخرج كل من في المدينة وفرح الناس به وكانت غيبة السلطان عن دمشق أربع سنين في الجهاد فحصل لهم الفرح والسرور وكان يوماً مشهوداً لدخوله وجلس السلطان في دار العدل ونظر في أحوال الرعية وأزال المظالم وأقام بهاء الدين قراقوش الى أن خلص أصحابه من الاسر ثم توجه الى مصر واطمأن الناس في أوطانهم وخرجت السنة والامر على ذلك * ودخلت سنة تسع وثمانين وخمسمائة * والسلطان مقيم بدمشق في داره ورسل الامصار واردون عليه وهو يجلس كل يوم وليلة بين أخصائه ويجالسه العلماء والفضلاء والظرفاء والادباء وسار الى الصيد شرقي دمشق وصحبته الملك العادل ثم عاد يوم الاثنين حادي عشر صفر ووافق عود الحاج الشامي فخرج لتلقيه فلما رآه فاضت عيناه لفوات الحج وسألهم عن أحوال مكة وامرائها وسر بسلامة الحاج ووصل اليه من اليمن ولد أخيه سيف الاسلام فتلقاه وأكرمه وتوجه الملك العادل الى الكرك * ذكر وفاة السلطان رحمة الله عليه * جلس ليلة السبت سادس عشر صفر في مجلسه على عادته وحوله خواصه منهم العماد الكاتب حتى مضى من الليل ثلثه وهو يحدثهم ويحدثونه ثم صلى وانصرفوا فلما بات لحقه كسل عظيم وغشيه نصف الليل حمى صفراوية وأصبحوا يوم السبت وجلسوا في الايوان لانتظاره فخرج بعض الخدام وأمر الملك الافضل أن يجلس موضعه على السماط وتطير الناس

من تلك الحال ودخلوا اليه ليلة الاحد لعيادته وأخذ المرض فى التزايد
وحدث به فى السابع رعشة وغاب ذهنه واشتد الارجاف فى البلد
وغشى الناس من الحزن والبكاء عليه مالا يمكن شرحه واشتد به المرض
ليلة الثانى عشر من مرضه فتوفى رحمه الله تعالى صبح تلك الليلة وهى
المسفرة عن نهار الاربعاء السابع والعشرين من شهر صفر سنة تسع
وثمانين وخمسمائة بعد صلاة الصبح وغسله الفقيه ضياء الدين أبو القاسم
عبد الملك بن يزيد الدولعى الشافعى خطيب جامع دمشق وأخرج بعد صلاة
الظهر من نهار الاربعاء فى تابوت مسجى بثوب وجميع ما احتاج اليه
فى تكفينه أحضره القاضى الفاضل من جهة حل عرفه وصلى عليه
الناس وكثر عليه التأسف من الخلق واشتغلهم فراقه ودفن
فى قلعة دمشق فى الدار التى كان مريضا فيها وكان نزوله الى قبره وقت
صلاة العصر وكان يوم موته لم يصب الاسلام بمثله منذ فقد الخلفاء
الراشدين رضى الله عنهم وغشى القلعة والدنيا وحشة لا يعلمها الا الله قال
العماد الكاتب مات بموت السلطان رجاء الرجال وفات بفواته الاتصال
وغاضت الايادى وفاضت الاعادى وانقطعت الارزاق وادلهمت
الآفاق فجع الزمان بواحده وسلطانه ورزئ الاسلام بمشيد أركانه
وأرسل الملك الافضل الكتب بوفاة والده الى أخيه العزيز عثمان بمصر
والى أخيه الظاهر الغازى بحلب والى عمه الملك العادل بالكرك ثم ان
الملك الافضل عمل لوالده تربة بالقرب من الجامع الاموى وكانت دارا
لرجل صالح ونقل اليها السلطان يوم عاشوراء سنة اثنتين وتسعين
وخمسمائة ومشى الافضل بين يدى تابوته وأخرج من باب القلعة على
دار الحديث الى باب البريد وأدخل الى الجامع ووضع قدام الستر
وصلى عليه القاضى محيى الدين بن القاضى زكى الدين بالجامع الاموى
ثم دفن وجلس ابنه الملك الافضل فى الجامع ثلاثة أيام للعزاء وأنفقت
ست الشام بنت أيوب أخت السلطان فى هذه النوبة أموالا عظيمة

وكان عمر السلطان حين وفاته قريبا من سبع وخمسين سنة لان مولده
بتكريت فى شهور سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة لما كان عمه وأبوه
بها وكان خروجهم منها فى الليلة التى ولد فيها فتشاءموا به وتطيروا منه
فقال بعضهم لعل فيه الخيرة وما تعلمون فكان كما قال * واتفق أهل التاريخ
على ان اباه وأمه من دوين بضم الدال المهملة وكسر الواو وسكون
الياء المثناة من تحتها وبعدها نون وهى بلدة فى آخر عمل أذربيجان وانهم
اكراد روادية ولم يزل صلاح الدين تحت كنف أبيه حتى ترعرع ولما ملك
نور الدين محمود بن عماد الدين زنكى دمشق لازم نجم الدين أيوب خدمته
وكذلك ولده الملك صلاح الدين ولم تزل مخائل السعادة عليه لائحة
والنجابة له ملازمة تقدمه من حالة الى حالة ونور الدين يرى له ويؤثره ومنه
تعلم صلاح الدين طريق الخير وفعل المعروف والجهاد الى ان كان من
تقدير الله ما سبق شرحه من أمر سلطنته وسيرته وكانت مدة ملكه
بالديار المصرية نحو أربع وعشرين سنة وملك الشام قريبا من سبع
عشرة سنة وهو أول الملوك بالديار المصرية بعد انقراض الدولة الفاطمية
قال العينى وهو أول من لقب بالسلطان والذى نظهران مراده أول من
لقب بالسلطان من ملوك مصر والله أعلم فانى رأيت فى التواريخ من
لقب بالسلطان من ملوك العراق قبل الملك صلاح الدين وخلف سبعة
عشر ولدا ذكرا وابنة صغيرة ولم يخلف فى خزانته سوى دينار واحد وستة
وثلاثين درهما ناصرية وهذا من رجل له الديار المصرية والشام وبلاد
المشرق واليمن دليل قاطع على فرط كرمه ولم يخلف دارا ولا عقارا ولم يكن له
فرس يركبه الا وهو موهوب أو موعود به وكانت مجالسه منزهة عن الهزؤ
والهزل ولم يؤخر صلاة عن وقتها ولا صلى الا فى جماعة وكان شافعى
المذهب يكثر من سماع الحديث النبوى وقرأ مختصرا فى الفقه تصنيف
سليم الرازى وكان اذا عزم على أمر توكل على الله وكان حسن الخلق
صبورا على ما يكره كثير التغافل عن ذنوب أصحابه يسمع من أحدهم

ما يكره ولا يعلمه بذلك ولا يتغير عليه وكان يوما جالسا فرمى بعض المماليك بعضا بسرموزة فاخطأته ووصلت الى السلطان فاخطأته ووقعت بالقرب منه فالتفت الى الجهة الاخرى ليتغافل عنها * وكان طاهر المجالس فلا يذكر أحد فى مجلسه الا بخير وطاهر اللسان فلا يولع بشتم قط وقد أخبرت ان الدعاء عند قبره مستجاب وكذلك عند قبر الملك العادل نور الدين الشهيد رحمة الله تعالى عليهما وقد رثى الملك صلاح الدين الشعراء وأكثروا فيه ومن أحسن المراثى مرثية العماد الكاتب وهى مائتان واثنان وثلاثون بيتا فمنها

شمل الهدى والملك عم شتاته * والدهر ساء وأقلعت حسناته
بالله اين الناصر الملك الذى * لله خالصة صفت نياته
أين الذى ما زال سلطانا لنا * يرجى نداه وتتقى سطواته
اغلال أعناق العدى أسيافه * أطواق أجياد الورى مناته
من فى الجهاد صفاحه ما أغمدت * بالنصر حتى أغمدت صفحاته
من فى صدور الكفر صدر قناته * حتى توارت بالصفاح قناته
ألف المتاعب فى الجهاد فلم يكن * مذ عاش قط لذاته لذاته
مسعودة غدواته محمودة * روحاته ميمونة ضحواته
فى نصرة الاسلام يسهر دائما * ليطول فى روض الجنان سناته
لا تحسبوه مات شخص واحد * فممات كل العالمين مماته
ملك عن الاسلام كان محاميا * ابدا الى أن أسلمته حماته
قد أظلمت مذ غاب عنها نوره * لما خلت من بدره داراته
دفن السماح فليس ينشر بعد ما * وورى الى يوم النشور رفاته
الدين بعد أبي المظفر يوسف * أقوت قواه وأقفرت ساحاته
بحر خلا من وارديه ولم تزل * محفوفة بوفوده حفاته
من لليتامى والارامل راحم * متعطف منفوضة صدقاته
فعلى صلاح الدين يوسف دائما * رضوان رب العرش بل صلواته

من للثغور وقد عداها حفظه * من للجهاد ولم تعد عاداته
بكت الصوارم والصواهل اذ خلت * من سلها وركوبها غزواته
ياوحشة الاسلام يوم تمكنت * فى كل قلب مؤمن روعاته
ما كان أسرع عصره لما انقضى * فكأنما سنواته ساعاته
لم أنس يوم السبت وهو لما به * يبدى السبات وقد بدت غشياته
والبشر منه تبلجت أنواره * والوجه منه تلألأت سبحاته
ونقول لله المهيمن حكمة * فى مرضة حصلت بها مرضاته
هذى مناشير الممالك تقتضى * توقيعه فيها فأين دواته
قد عاد زرعك فى الربيع بجمعها * هذا الربيع وقد دنا ميقاته
والجند فى الديوان جدد عرضه * واذا أمرت تجددت نفقاته
والقدس طامحة اليك عيونه * عجل فقد طمحت اليه عداته
والغرب منتظر طلوعك نحوه * حتى تفى الى هداك بغاته
والشرق يرجو عزمك راضيا * فى ملكه حتى تطيع عصاته
مغرى باسداء الجميل كأنما * فرضت عليه كالصلاة صلاته
هل للملوك مضاؤه فى موقف * شدت على أعدائه شداته
كم جاءه التوفيق فى وقعاته * من كان بالتوفيق توقيعاته
ياراعيا فى الدين حين تمكنت * منه الذئاب وأسلمته رعاته
فارقت ملكا غير باق متعبا * ووصلت ملكا باقيا راحاته
أبنى صلاح الدين ان أباكم * مازال يأبى ما الكرام أباته
لا تفقدوا الا بسنة فضله * ليطيب فى مهد النعيم سباته
وردوا موارد عدله وسماحه * لترد من نهج الشمات شماته

ذكر ما استقر عليه الحال بعد وفاة الملك صلاح الدين تغمده الله برحمته
واستقر فى الملك بدمشق وبلادها المنسوبة اليها* الملك الافضل* نور
الدين أبو الحسن على أكبر أولاد السلطان بعهد من أبيه وبالديار
المصرية* الملك العزيز* عماد الدين أبو الفتح عثمان * وبحلب الملك

الظاهر * غياث الدين أبو الفتح غازى * وبالكرك والشوبك والبلاد الشرقية * الملك العادل * سيف الدين أبو بكر بن أيوب أخو السلطان وبحماه وسلميه والمعره ومنبج * الملك المنصور * ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب * وبعلبك الملك الامجد مجد الدين بهرام شاه ابن فرخ شاه بن شاهنشاه بن أيوب وبحمص والرحبة وتدمر * الملك المجاهد * شيركوه بن محمد شيركوه ابن شادى وبيد الملك الظافر * خضر ابن السلطان صلاح الدين بصرى وهو فى خدمة أخيه الملك الافضل * وبيد الملك الزاهر * مجير الدين داود ابن السلطان صلاح الدين البيرة وأعمالها واستقر اقليم اليمن للملك ظهير الدين * سيف الاسلام * طغتكين بن أيوب أخى السلطان ولم يزل الملك الافضل بالشام والملك العزيز بمصر الى ان وقع الخلف بينهما وجرى بينهما وقائع يطول شرحها * ثم فى سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة اتفق العادل وابن أخيه الملك العزيز على ان يأخذا دمشق وان يسلمها العزيز الى العادل لتكون الخطبة والسكة للعزيز كسائر البلاد كما كانت لابيه فخرجا وسارا من مصر الى دمشق وأخذاها فى يوم الاربعاء السادس والعشرين من رجب من هذه السنة وكان الملك الظافر خضر صاحب بصرى مع أخيه الملك الافضل معاضدا له فأخذت منه بصرى فلحق بأخيه الملك الظاهر فأقام عنده بحلب وأعطى الملك الافضل صرخد فسار اليها باهله واستوطنها وسلم العزيز دمشق لعمه العادل على حكم ما وقع عليه الاتفاق ورحل العزيز من دمشق يوم الاثنين تاسع شعبان فكانت مدة الافضل بدمشق ثلاث سنين وأشهرا وكانت ولادته يوم الفطر وقت العصر سنة خمس وستين وخمسمائة بالقاهرة ووالده يومئذ وزير المصريين وتوفى فى صفر سنة اثنتين وعشرين وستمائة فجأة بسميساط ونقل الى حلب ودفن بتربته بظاهرها * وأما العزيز عثمان * فاستقر بمصر وفى أيامه فى شهور سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة وصل جمع عظيم من الافرنج الى الساحل واستولوا على قلعة

بيروت وسار الملك العادل ونزل بتل العجول وأتته النجدة من مصر ووصل
اليه سنقر الكبير صاحب القدس وميمون القصرى صاحب بلبيس ثم
سار الملك العادل الى يافا وهجمها بالسيف وملكها وقتل الرجال
المقاتلة وكان هذا الفتح ثالث فتح لها ونازلت الافرنج تبنين فارسل الملك
العادل الى الملك العزيز صاحب مصر فسار بنفسه بمن بقى معه من
عساكر مصر فاجتمع بعمه الملك العادل على تبنين فرحل الافرنج على
أعقابهم الى صور وعاد العزيز الى مصر وترك غالب العسكر مع العادل
وجعل اليه أمر الجزية والصلح ومات فى هذه المدة سنقر الكبير فجعل
الملك العادل أمر القدس الى صارم الدين قطلو مملوك عز الدين فرخشاه
ابن شاهنشاه بن أيوب وتوفى الملك العزيز صاحب مصر فى ليلة الاربعاء
الحادية والعشرين من المحرم سنة خمس وتسعين وخمسمائة وكانت مدة
ملكه ست سنين الا أشهرا وكان عمره سبعا وعشرين سنة وأشهرا وكان
حسن السيرة رحمه الله * ثم استقر بعده فى السلطنة ولده * الملك المنصور
محمد * وعمره تسع سنين فتشاور الامراء واتفقوا على احضار الملك
الافضل من صرخد ليقوم بالملك فسار مجدا ووصل الى مصر على انه
اتابك المنصور وخرج المنصور للقائه فترجل له الافضل ودخل بين يديه
الى دار الوزارة وكانت مقر السلطنة ثم برز الافضل من مصر وسار الى
الشام ليأخذها لاشتغال عمه الملك العادل بحصار ماردين فبلغ العادل
ذلك فسار الى دمشق ودخلها قبل نزول الافضل عليها وحصل بينهما
قتال ثم سار الافضل الى مصر فخرج الملك العادل فى أثره فخرج اليه الافضل
واقتتلا فانكسر الافضل وانهزم الى القاهرة ونزل العادل القاهرة وتسلمها
ودخل اليها فى الحادى والعشرين من ربيع الآخر سنة ست وتسعين
وخمسمائة ثم سار الافضل الى صرخد وأقام العادل بمصر على انه اتابك
الملك المنصور محمد بن العزيز عثمان مدة يسيرة ثم أزال الملك المنصور
واستقر * الملك العادل * فى السلطنة وخطب له بالقاهرة ومصر يوم الجمعة

الحادى

الحادى والعشرين من شوال سنة ست وتسعين وخمسمائة وخطب له ابن أخيه الملك الظاهر بحلب وضرب السكة باسمه وانتظمت الممالك الشامية والشرقية والديار المصرية كلها فى سلك ملكه وخطب له على منابرها * وفى الشهر الذى دخل فيه العادل القاهرة توفى القاضى الفاضل أبو على عبد الرحيم بن القاضى الاشرف بهاء الدين ابى المجد على اللخمى العسقلانى الشافعى الملقب مجير الدين وزير السلطان صلاح الدين وكان اماما فى صناعة الانشاء وسيرته مشهورة وكانت وفاته فى ليلة الاربعاء سابع عشر وقيل سادس عشر ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسمائة بالقاهرة فجأة ودفن بتربته بسفح المقطم فى القرافة الصغرى رحمه الله وله نحو سبعين سنة وأرخ الشبكى مولده فى منتصف جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة * وتوفى العماد الكاتب هو ابو عبد الله محمد بن صفى الدين الاصفهانى الشافعى الذى كان فى خدمة الملك صلاح الدين له الفيح القسى فى الفتح القدسى كله رجز مسجع وهو من كتب الدنيا لما فيه من البلاغة والصناعة ووفاته فى ثانى جمادى الآخرة وقيل فى شعبان سنة سبع وتسعين وخمسمائة وله نحو تسعين سنة وكان بينه وبين القاضى الفاضل مكاتبات ومحاورات لطيفة فمن ذلك ما يحكى عنه انه لقيه يوما وهو راكب على فرس فقال له العماد * سر فلا كبابك الفرس * فقال له الفاضل * دام علا العماد * وهذا مما يقرأ مقلوبا ومستقيما بالسواء وكانت وفاة العماد بدمشق ودفن بمقابر الصوفية رحمه الله * وفى سنة ستمائة * كان الملك العادل بدمشق واجتمع الافرنج لقصد بيت المقدس فخرج السلطان الملك العادل من دمشق وجمع العساكر ونزل على الطور فى قبالة الافرنج بالقرب من نابلس ودام ذلك الى آخر السنة * ثم دخلت سنة احدى وستمائة * فيها كانت الهدنة بين الملك العادل والافرنج وسلم الى الافرنج يافا ونزل عن مناصفة لد والرملة ثم سار الى مصر * ثم فى سنة ثلاث وستمائة سار الملك العادل من مصر الى الشام ونازل

فى طريقه عكا فصالحه أهلها على اطلاق جميع من بها من الاسرى ثم سار
الى طرابلس وحصرها ورحل عنها * ثم فى سنة أربع وستمائة وقعت
الهدنة بينه وبين صاحب طرابلس وعاد العادل الى دمشق * ولما كان
بتاريخ سنة أربع عشرة وستمائة والملك العادل بالديار المصرية اجتمع
الافرنج فى داخل البحر ووصلوا الى عكا فى جمع عظيم فلما بلغ الملك العادل
ذلك خرج بعساكر مصر وسار حتى نزل على نابلس فسار الافرنج اليه ولم
يكن معه من العساكر ما يقدر به على ملتقاهم فاندفع قدامهم فاغاروا
على بلاد المسلمين ووصلت غارتهم الى نوى من بلد السواد ونهبوا ما بين
بيسان ونابلس ومشوا سراياهم فقتلوا وأسروا وغنموا من المسلمين
ما يفوق الحصر وعادوا الى مرج عكا وكانت مدة هذا النهب ما بين
منتصف رمضان وعيد الفطر وانقضت السنة والافرنج بجموعهم فى عكا
* ثم دخلت سنة * خمس عشرة وستمائة والملك العادل بمرج الصفر
وجموع الافرنج بمرج عكا ثم ساروا منها الى الديار المصرية ونزلوا على دمياط
وسار الملك الكامل ابن العادل من مصر ونزل قبالهم واستمر الحال على
ذلك أربعة أشهر وأرسل العادل العسكر الذى عنده الى ابنه الملك
الكامل فلما اجتمعت العساكر أخذ فى قتال الافرنج ودفعهم عن دمياط
ثم رحل الملك العادل من مرج الصفر الى عالقين قرية ظاهر دمشق فنزل
بها ومرض واشتد مرضه * وتوفى هنالك رحمه الله فى سابع جمادى
الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة وكان مولده سنة أربعين وخمسمائة
فكان عمره خمسا وسبعين سنة وكانت مدة ملكه لدمشق ثلاثا
وعشرين سنة ولمصر نحو تسع عشرة سنة وكان رحمه الله حازما مستيقظا
غزير العقل سديد الآراء ذا مكر وخديعة حليما صبورا وأتته السعادة
واتسع ملكه وكثرت أولاده وخلف ستة عشر ولدا ذكرا غير البنات ولم
يكن أحد من أولاده حاضرا عنده فحضر اليه ابنه الملك المعظم عيسى
وكان بنابلس فكتم موته وأخذه ميتا فى محفة وعاد به الى دمشق واحتوى

على جميع ما كان مع أبيه من الجواهر والسلاح فلما وصل الى دمشق حلف الناس واظهر موت أبيه وكتب الى الملوك من اخوته وغيرهم يخبرهم بموته * واستقر بعده فى السلطنة بالديار المصرية ولده الملك الكامل * أبو المعالى محمد واستقر فى الشام اخوه * الملك المعظم * عيسى ابن الملك العادل أبى بكر وكانت مملكته من حدود بلد حمص الى العريش يدخل فى مملكته بلاد السواحل الاسلامية وبلاد الغور وفلسطين والقدس والكرك والشوبك وصرخد وغير ذلك * تخريب أسوار بيت المقدس * لما توفى الملك العادل عاد الافرنج لجهة القاهرة وملكوا دمياط وهجموها فى عاشر رمضان بسنة ست عشرة وستمائة وأسروا من بها وجعلوا الجامع كنيسة واشتد طمعهم فى الديار المصرية فلما رأى الملك المعظم عيسى ذلك خشى أن يقصدوا القدس فلا يقدر على منعهم فأرسل الحجارين والنقابين وشرعوا فى تخريبه فى سنة ست عشرة وستمائة فخرب أسواره وكانت قد حصنت الى الغاية وانتقل منه عالم عظيم وهرب أهله منه خوفا من الافرنج ان تهجم عليهم ليلا أو نهارا وتركوا أموالهم واثقالهم وتمزقوا فى البلاد كل ممزق حتى قيل انه بيع القنطار الزيت بعشرة دراهم والرطل النحاس بنصف درهم وضج الناس وابتهلوا الى الله تعالى عند الصخرة وفى الاقصى وكان الملك المعظم عالما فاضلا وكان حنفيا متعصبا للمذهب وخالف جميع أهل بيته فانهم كانوا شافعية وله بالقدس مدرسة الحنفية عند باب المسجد الاقصى المعروف الآن بباب الدويدارية وبنى على آخر صحن الصخرة من جهة القبلة مكانا يسمى النحوية للاشتغال بعلم العربية ووقف على ذلك أوقافا حسنة وفى أيامه جددت عمارة القناطر التى على درج الصخرة القبلى عند قبة الطومار وغير ذلك بالمسجد الاقصى وغالب الابواب الخشب المركبة على أبواب المسجد عملت فى أيامه واسمه مكتوب عليها وعمر مسجد الخليل عليه السلام ووقف عليه قريتى دورا وكفر بريك ولما غاب عن القدس كتب اليه

بعض أصدقائه

غبت عن القدس فاوحشته * لما غدا باسمك مأنوسا
وكيف لا تلحقه وحشة * وأنت روح القدس ياعيسى

*وفى سنة سبع عشرة وستمائة فتح الملك المعظم قيسارية وهدمها *وفى سنة ثمانى عشرة قوى طمع الافرنج المتملكين دمياط فى ملك الديار المصرية وتقدموا عن دمياط الى جهة مصر ووصلوا الى المنصورة واشتد القتال بين الفريقين برّا وبحرا وكتب السلطان الملك الكامل متواترة الى اخوته وأهل بيته يستحثهم على انجاده فسار الملك المعظم عيسى صاحب دمشق بعسكره وأخوه الملك الاشرف مظفر الدين موسى صاحب البلاد الشرقية بعساكره واستصحب عسكر حلب والملك الناصر قلج ارسلان صاحب حماه وصاحب بعلبك الملك الامجد بهرام شاه وصاحب حمص أسد الدين شيركوه ووصلوا الى الملك الكامل وهو فى قتال الافرنج على المنصورة فركب والتقى مع اخوته ومن فى صحبتهم من الملوك وأكرمهم فقويت نفوس المسلمين وضعفت نفوس الافرنج لما شاهدوه من كثرة العساكر الاسلامية وتجمعهم واشتد القتال بين الفريقين ورسل الملك الكامل واخوته مترددة الى الافرنج فى الصلح وبذل لهم المسلمون تسليم القدس وعسقلان وطبرية واللاذقية وجبلة وجميع مافتحه السلطان صلاح الدين من الساحل ماعدا الكرك والشوبك على ان يجيبوا الى الصلح ويسلموا دمياط للمسلمين فلم يرض الافرنج بذلك وطلبوا ثلثمائة ألف دينار عوضا عن تخريب أسوار بيت المقدس وقالوا لابدّ من تسليم الكرك والشوبك وبينما الامر متردد فى الصلح والافرنج يمتنعون اذ عبر جماعة من عسكر المسلمين فى بحر المحلة الى الارض التى عليها الافرنج من برّ دمياط ففتحوا الجوة عظيمة من النيل وكان ذلك فى قوة زيادته والافرنج لاخبرة لهم بأمر النيل فركب الماء تلك الارض وصار حائلا بين الافرنج وبين دمياط وانقطعت عنهم الميرة والمدد فهلكوا جوعا وبعثوا

يطلبون الامان على أن ينزلوا عن جميع مابذله المسلمون لهم ويسلموا دمياط ويعقدوا مدة الصلح وكان فيهم عدة ملوك كبار نحو عشرين ملكا واختلفت الآراء فى ذلك ثم حصل الاتفاق على اجابتهم لتضجر العسكر وطول المدة لانهم كان لهم ثلاث سنين وأشهر فى القتال فأجابهم الملك الكامل وطلب الافرنج رهينة فبعث ابنه الملك الصالح أيوب وعمره يومئذ خمس عشرة سنة الى الافرنج وحضر من الافرنج رهينة ملك عكا وصاحب رومة الكبرى وغيرهما من الملوك وكان ذلك فى سابع رجب سنة ثمانى عشرة وجلس الملك الكامل مجلسا عظيما ووقف بين يديه الملوك من اخوته وأهل بيته جميعهم وسلمت دمياط للمسلمين فى تاسع عشر رجب وهنأت الشعراء الملك الكامل بهذا الفتح العظيم ثم دخل الملك الكامل الى دمياط بمن معه وكان يوما مشهودا ثم توجه الى القاهرة وانصرف الملوك الى بلادهم * وفاة الخليفة الناصر الذى فتح القدس فى أيامه وتوفى الامام الناصر لدين الله العباسى المتقدم ذكره فى أول شوال سنة اثنتين وعشرين وستمائة وكانت خلافته نحو سبع وأربعين سنة وعمى فى آخر عمره وكان عمره نحو سبعين سنة * ولما دخلت سنة أربع وعشرين وستمائة وقع تنافر بين الملك الكامل صاحب مصر وأخيه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق لأمور بينهما فكاتب الملك الكامل الانبرطون ملك الافرنج فى أن يقدم الى عكا ليشغل سر اخيه الملك المعظم عما هو فيه ووعد الانبرطون بان يعطيه القدس فسار الانبرطون الى عكا وبلغ الملك المعظم ذلك * ثم توفى الملك المعظم عيسى * فى هذه السنة يوم الجمعة مستهل ذى الحجة سنة أربع وعشرين وستمائة ودفن بقلعة دمشق ثم نقل الى جبل الصالحية ودفن فى مدرسته هناك المعروفة بالمعظمية وكان نقله ليلة الثلاثاء مستهل المحرم سنة خمس وعشرين وستمائة وكانت مدة ملكه دمشق تسع سنين وشهورا ولما توفى الملك المعظم ترتب فى مملكته بعده ولده * الملك الناصر * صلاح الدين داود * فلما دخلت سنة خمس وعشرين

وستمائة أرسل الملك الكامل صاحب مصر يطلب من ابن أخيه الناصر
داود حصن الشوبك فلم يعطه اياه ولا أجابه اليه فسار الملك الكامل من
مصر الى الشام فى رمضان من هذه السنة ونزل على تل العجول بظاهر
غزة وولى ابن يوسف على نابلس والقدس وغيرهما من بلاد ابن أخيه
ووقع بينهما أمور ومراسلات وقدم الانبرطون الى عكا بجموعه وقد
مات الملك المعظم فاستولى على صيدا وكانت مناصفة بين المسلمين
والافرنج وسورها خراب فعمر الافرنج سورها واستولوا عليها
والانبرطون معناه ملك الامراء بالافرنجية وكان صاحب جزيرة صقلية
وكان فاضلا يحسن الحكمة والمنطق والطب ويميل الى المسلمين * ذكر
تسليم بيت المقدس الى الافرنج * لما دخلت سنة ست وعشرين وستمائة
استهلت وملوك بنى أيوب متفرقون مختلفون قد صاروا احزابا بعد أن
كانوا اخوانا وأصحابا فقوى الافرنج بذلك وبموت المعظم عيسى ومن
وفد اليهم من البحر وكان الملك الكامل قد عزم على انتزاع دمشق من ابن
أخيه الناصر داود وسير الملك الكامل [illegible]اه الملك الاشرف موسى
لحصار دمشق والكامل مشتغل بمراسلة الانبرطون ولما طال الامر ولم
يجد الكامل بدا من المهادنة أجاب الانبرطون الى تسليم القدس اليه على
ان تستمر أسواره خرابا ولا يعمره الافرنج ولا يتعرضوا الى قبة الصخرة ولا
الى الجامع الاقصى ويكون المرجوع فى الرستاق الى والى المسلمين
ويكون لهم من القرى ما هو على الطريق من عكا الى القدس فقط ووقع
الامر على ذلك وتحالفا عليه وتسلم الانبرطون القدس فى ربيع الآخر
على القاعدة المذكورة وعظم ذلك على المسلمين وحصل به وهن شديد
وارجاف فى الناس ولما وقع ذلك كان الناصر داود فى الحصار لانتزاع
دمشق منه فاخذ فى التشنيع على عمه الكامل بذلك وكان بدمشق الشيخ
شمس الدين يوسف سبط أبى الفرج الجوزى وكان واعظا له قبول عند
الناس فامره الناصر داود أن يعمل مجالس وعظ يذكر فيه فضائل بيت

المقدس وما حل بالمسلمين ... الى الافرنج ففعل ذلك وكان مجلسا عظيما ومن جملة ما أنشد قصيدة تائية ضمنها فضل بيت المقدس منها

مدارس آيات خلت من تلاوة * ومنزل وحى مقفر العرصات

وارتفع بكاء الناس وضجيجهم لذلك فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ولما عقد الملك الكامل الهدنة مع الانبرطون وخلاصره من جهة الافرنج سار الى دمشق فوصل اليها فى جمادى الاولى واشتد الحصار على دمشق واستولى عليها الملك الكامل وسلمها لاخيه الملك الاشرف موسى وعوض الناصر داود عنها الكرك والشوبك والبلقا والصلت والاغوار ثم نزل الناصر داود عن الشوبك وسأل عمه فى قبولها فقبله واستمر الاشرف موسى بدمشق الى ان توفى فى المحرم سنة خمس وثلاثين وستمائة وتملك دمشق بعده أخوه * الملك الصالح * اسماعيل بعهد منه ثم سار الملك الكامل الى دمشق ومعه الناصر داود صاحب الكرك ونزلا عليها فى جمادى الاولى من هذه السنة وحصلت أمور ووقائع ثم سلم الصالح اسماعيل دمشق الى أخيه الكامل لاحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الاولى وتعوض عنها بعلبك ولم يلبث الكامل غير أيام حتى مرض واشتد مرضه ومات لتسع بقين من رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة وعمره نحو ستين سنة وكانت مدة ملكه مصر من حين مات والده عشرين سنة وكان ملكا مهيبا حسن التدبير يحب العلماء ومجالستهم وهو الذى بنى القبة على قبر الامام الشافعى رضى الله عنه واستمر بعده فى السلطنة بمصر ولده * الملك العادل * أبو بكر بن الكامل فانه كان نائبه بمصر واتفق الامراء بدمشق حين وفاة والده على تحليف العسكر له وأقاموا فى دمشق الملك الجواد يونس بن مودود بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب نائبا عن الملك العادل ابن الكامل ورحل الناصر داود الى الكرك وتفرقت العساكر * فلما دخلت سنة ست وثلاثين وستمائة استولى * الملك الصالح * نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل على دمشق وأعمالها بتسليم

الملك الجواد يونس فى جمادى الآخرة من سنة سبع وثلاثين
وستمائة وكان الملك الصالح أيوب سار من دمشق واستخلف فيها ولده
* الملك المغيث * فتح الدين عمر ووصل الصالح أيوب الى نابلس لقصد
الاستيلاء على الديار المصرية فسار الصالح اسماعيل صاحب بعلبك
ومعه شيركوه صاحب حمص بجموعهما وهجموا على دمشق وحصروا
القلعة وتسلمها الصالح اسماعيل وقبض على الملك المغيث فى صفر
فلما بلغ الصالح أيوب ذلك رحل من نابلس الى الغور وتشتتت
عنه عساكره وضاق به الامر فقصد نابلس ونزل بها بمن
معه فسار اليه الناصر داود بعسكره من الكرك
وأمسك الصالح أيوب وأرسله الى الكرك واعتقله
بها وأمر بالقيام فى خدمته بكل ما يختاره ولما
اعتقل بالكرك أرسل أخوه الملك العادل
أبو بكر صاحب مصر يطلبه من
الناصر داود فلم يسلمه الناصر داود
فارسل العادل وتهدد
الناصر بأخذ بلاده
فلم يلتفت
الى ذلك

تم الجزء الاول من تاريخ الانس الجليل ويليه الثانى أوله (الفتح الناصرى
الداودى)